
محمد
رسول الله
محمود المصري
أبو عمار
رحمة للعالمين
دار ابن الجوزي
القاهرة
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com



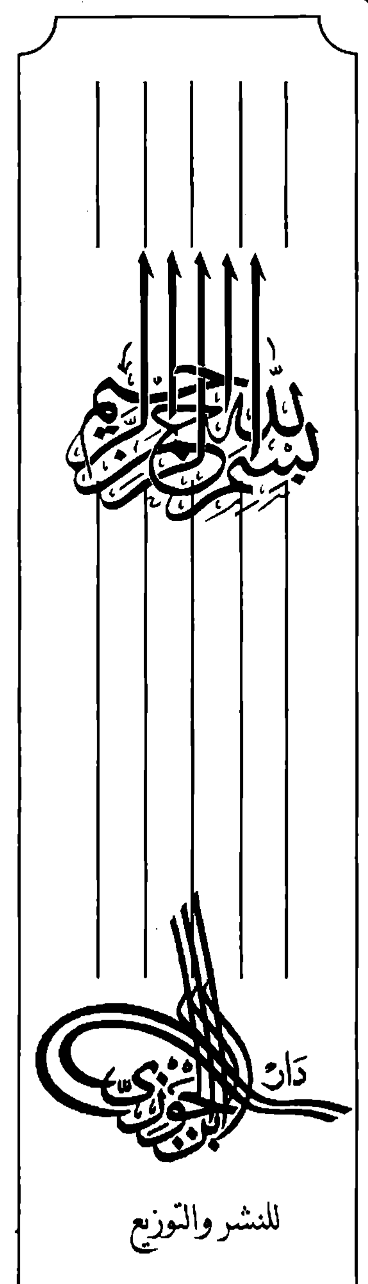
صلى الله عليه وسلم

تأليف

فضيلة الشيخ

محمود المصري (أبو عمار)

دار ابن الجوزي



الطبعة الأولى
٢٠١٢

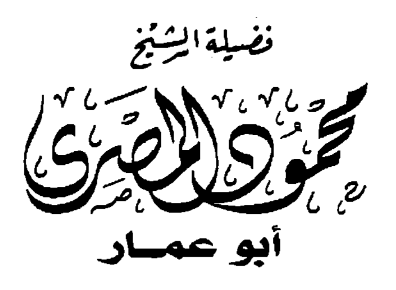
١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م
رقم الإيداع: ١٩٦١/ ٢٠١٢

دار ابن الجوزي

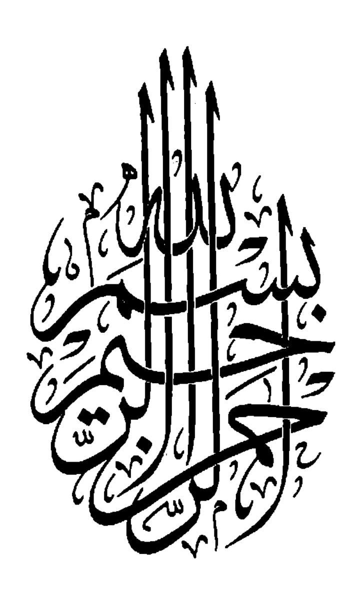
جمهورية مصر العربية - القاهرة
٥ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت: ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٩٠٣
ت: ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٦٢١
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٦٢٠
E-mail: dar_ebnelgawzy@yahoo.com

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الشيخ



أبو عمار


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء واعتراف لأصحاب الفضل

وكما تعودت دائمًا أن أقدم هذا الإهداء والاعتراف لأصحاب الفضل فوالله أنا لا أستطيع أن أنساهم أبدًا... وذلك من باب قول الحبيب ﷺ: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**»(١).

وفى مقدمة هؤلاء الناس جميعًا أقدم هذا الإهداء.

• إلى أمى الحبيبة (رحمة الله عليها):

وكيف أنساكِ يا أمى الحبيبة... يا من ضحيتِ من أجلى بكل شىء كيف أنسى أيامك العامرة بالعطاء والتضحية والرحمة والحنان... والله أنا لا أستطيع أن أوفيك حقك ولو كتبت ألف كتاب ولذلك أقول لك: جزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فهو سبحانه القادر على أن يجزل لك العطاء فى الدارين فأسأله سبحانه أن يرحمك رحمة واسعة وأن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة وأن يجعل أعمالى كلها فى ميزان حسناتك وأن يجمع بينى وبينك فى الجنة.

• إلى أبى الحبيب (حفظه الله وشفاه):

أسأل الله تعالى أن يُعجِّل لك بالشفاء وأن يبارك فى عمرك وأن يرزقنى وإياك وسائر المسلمين حسن الخاتمة.. فجزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فلقد كنت ومازلت نعم الأب الرحيم.

• إلى زوجتى الغالية: أم رودينا:

أسأل الله جل وعلا أن يجزيك عنى خير الجزاء وأن يُعطِّر أيامك بالعلم والحلم والطاعة وأن ينفع بك وأن يجمعك فى الآخرة مع زوجات النبى ﷺ أمهات المؤمنين رضى الله عنهن فى الفردوس الأعلى.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤١).

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، وبعد:

* فلقد كان وما زال حلم عمرى أن أكون فى صحبة النبى ﷺ فى الدنيا والآخرة... فلما فاتتنى صحبته ﷺ عزمت على أن أكون فى صحبته فى الدنيا من خلال التعايش مع سيرته وإلقاء الضوء على حياته العطرة التى جعلها الله نورًا ورحمة للعالمين.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

فقضيت أسعد لحظات العمر وأنا أكتب كتاب (سيرة الرسول ﷺ) وكتاب (أخلاق الرسول ﷺ) وكتاب (ليلة فى بيت النبى ﷺ) وغيرها من الكتب التى تشرَّفَتْ بسيرته وحياته العطرة.

ولكنى رأيت أنه لا بد أن أكتب كتابًا يُلقى الضوء على حياة النبى ﷺ كلها بكل تفاصيلها المشرقة فكان هذا الكتاب المختصر والذى هو بعنوان:

(محمد رسول الله ﷺ) . . فلم أجد له عنوانًا أعظم من اسم النبى ﷺ . . فهو النور الذى أرسله الله ليضىء للناس طريقهم إلى الجنة . .

*** وها أنا أقول لك يا رسول الله :**

أحبك يا رسول الله وأتمنى أن أفديك بنفسى وروحى وكل ما أملك. . . فلقد تعلمت منك الكثير والكثير وأدين لك بالفضل فى كل شىء - بعد الله عز وجل -.

بأبى أنت وأمى ونفسى وروحى يا رسول الله :

* ها أنا أجدد البيعة معك يا رسول الله وأعدك بأن أظل طوال حياتى أدعو الناس إلى دينك وأُعلمهم سُنتك، وأحكى لهم سيرتك العطرة التى هى منهج حياة لكل من يريد أن يحيا حياة كريمة فى الدنيا والآخرة.

* ومهما بذلت ومهما قدمت فلن أوفيك حقك يا رسول الله ولكن عزائى أنى أحبك وأشتاق إليك وأرجو أن أكون ممن قلت فيهم: **«من أشد أمتى لى حبًّا ناسٌ يكونون بعدى يودُّ أحدهم لو رآنى بأهله وماله»** (١) وممن قلت لهم: **«المرء مع من أحب»** (٢) فوالله إنى لأتمنى أن أقدم أهلى ومالى وكل ما أملك من أجل رؤيتك يا رسول الله ولو للحظة واحدة.

* وإلى أن تحين هذه اللحظة عند الحوض فها أنا أقدم رسالتى هذه لك

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٨٣٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦١٦٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب.

يا رسول الله عسى الله أن يجمعنى بك وكل من قرأها على الحوض لنشرب من يدك شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

* وأختم كلامى بالصلاة عليك يا رسول الله فلقد قلت: «**إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىَّ صلاة**» (١).

فاللهم صلِّ وسلِّم وبارك على حبيبنا محمد ﷺ .

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

أبو عمار

(١) حسن: رواه الترمذى وابن حبان وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٦٦٨).

قدر ومكانة النبى ﷺ عند ربه (جل وعلا)

قدر ومكانة النبى ﷺ عند ربه (جل وعلا)[1]

إن شأن رسول الله ﷺ عند الله لعظيم.. وإن قدْره لكريم.. فلقد اختاره الله تعالى واصطفاه على جميع البشر وفضَّله على جميع الأنبياء والمرسلين، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وأعلى له قدره، وزكَّاه فى كل شىء.

زكَّاه فى عقله فقال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[2].

وزكَّاه فى صدقه فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[3].

وزكَّاه فى بصره فقال سبحانه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[4].

وزكَّاه فى فؤاده فقال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[5].

وزكَّاه فى صدره فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[6].

وزكَّاه فى ذكره فقال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[7].

وزكَّاه فى طُهره فقال سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾[8].

وزكَّاه فى حلمه فقال سبحانه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[9].

---

(1) بتصرف من كتاب (موسوعة الحقوق الإسلامية) للمصنف، كتاب (رسالة محمد ﷺ) للشيخ جمال عبد الرحمن، كتاب (شمائل الرسول ﷺ) للشيخ أحمد عبد الفتاح الزواوى.

(2) سورة النجم: الآية: (2).

(3) سورة النجم: الآية: (3).

(4) سورة النجم: الآية: (17).

(5) سورة النجم: الآية: (11).

(6) سورة الشرح: الآية: (1).

(7) سورة الشرح: الآية: (4).

(8) سورة الشرح: الآية: (2).

(9) سورة التوبة: الآية: (128).

وزكّاه فى علمه فقال سبحانه: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[١].
وزكّاه فى خُلقه فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

ثم أخبر عن منزلته فى الملأ الأعلى عند رب العالمين وعند الملائكة المقربين فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[٣].

* ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ليجتمع له الثناء من أهل السماء وأهل الأرض فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٤].

وتالله إننى أقول: إنه لا يعرف قدر النبى ﷺ إلا الرب العلى سبحانه وتعالى.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين»[٥].

(١) عموم اعتناء الله (عزوجل) به ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[٦].

هذه الآية من أعظم الآيات التى تدل على كمال اعتناء الله - سبحانه وتعالى - بنبيه ﷺ حيث أثبتت الآية أنه ﷺ بِمَرْأى ومَسْمَعٍ من الله

---

(١) سورة النجم: الآية: (٥).
(٢) سورة القلم: الآية: (٤).
(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).
(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).
(٥) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٥٣٥) كتاب المناقب، ومسلم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل.
(٦) سورة الطور: الآية: (٤٨).

تعالى، فى كل أحواله وتقلباته ﷺ، فى أُولاه وأُخراه، فى حياته ومماته، قبل البعثة وبعدها، فى حِلِّه وترحاله، فى عاداته وعباداته، بل نجزم أن هذه العناية والرعاية الإلهيـة قد شملته ﷺ قبل مـيلاده بقرون طويلة، ألم تر كيف اختار الله لـه نسبه الشريف، من لَدُن إبراهيم عليه السلام وحـتى عبد المطلب، . . . ودليله مـا رواه مسلم، عن وَاثِلَةَ بن الأسـقع قال: سـمعتُ رسُول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمـاعيل، واصطفى قُريشًا من كنانة، واصطفى من قُريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم**»(١).

ويؤخذ من الآية كمال عصمة النبى ﷺ من الناس، وتمام عصمته من الزلات والهفوات، ورفعة منزلتـه وعلو شأنه، فى الدنيا والآخرة؛ لأن هذا مقام من رعاه الله وحفظه فى كل أحواله.

(٢) رعاية الله تعالى له ﷺ من الصِّغَر:

قـال محـمـد بن إسحـاق: فشـبَّ رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحـفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلقًا وأكرمهم حسبًا، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفُحش والأخلاق التى تُـدنِّس الرجال تنزُّهًا وتكرُّمًـا. حتى ما اسـمه فى قـومه إلا الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

وكان رسول الله ﷺ يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره.

* لقـد حفظ الله (عـز وجل) نبيـه ﷺ من أقذار الجـاهلية وأدرانهـا لتكون حياته كلـها صفحة بيـضاء ناصعة البيـاض ليس فيها شائبـة . . فهو القدوة والأسوة للكون كله فى كل زمان ومكان.

* **فمن ذلك:** أن النبى ﷺ لم يهم بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمُّون به.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٢٧٦) كتاب الفضائل.

* عن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمُّون به، إلا مرتين من الدهر، كلتيهما يعصمنى الله منها، قلت ليلة لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى أغنام لأهله يرعاها: أبصر إلىَّ غنمى حتى أسمُر هذه الليلة بمكة، كما يسمُر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناءً، وضرب دفوف، ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة - لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش - فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتنى عينى، فما أيقظنى إلا حرُّ الشمس، فرجعت فقال: ما فعلت؟ فأخبرته.

ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لى مثل ما قيل لى، فلهوت بما سمعت حتى غلبتنى عينى، فما أيقظنى إلا مسُّ الشمس، ثم رجعت إلى صاحبى فقال: فما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئًا».

قال رسول الله ﷺ: «فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بنبوته»[1].

* ومن ذلك أن الله عز وجل صانه عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام... ومَن أولى بهذه المنقبة من صاحب الرسالة العصماء التى هى أسمح الشرائع فى العمل، وأشدها فى إخلاص التوحيد والبعد عن الشرك... روى أحمد فى مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: حدثنى جار لخديجة أنه سمع النبى ﷺ وهو يقول لخديجة: أى خديجة والله لا أعبد اللات والعُزَّى. قال: كان صنمهم الذى كانوا يعبدون ثم يضطجعون[2].

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى الدلائل، والحاكم فى المستدرك، وضعفه الألبانى رحمه الله فى تخريج فقه السيرة (٧٠).

(٢) رواه أحمد فى مسنده (٤/ ٢٢٢)، (٥/ ٣٦٢) وفضائل الصحابة (٢/ ٨٥١) رقم (١٥٧٨) وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٢٥): رجاله رجال الصحيح.

* ومن ذلك أنه كان لا يأكل مما ذُبح على النُّصُب، ووافقه فى ذلك زيد ابن عمرو بن نُفيل. . . عن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح[١] قبل أن ينزل على النبى ﷺ الوحى، فقدمت إلى النبى ﷺ سُفرة فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد: إنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه. وإن زيد ابن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله. . . إنكارًا لذلك وإعظامًا له»[٢].

* ومن ذلك توفيقه للوقوف بعرفة قبل البعثة، مخالفة لما ابتدع قومه من رأى الحُمس. (وكانت قريش تُسمَّى الحُمس)، وكان الشيطان قد استهواهم فقال لهم: إنكم إن عظَّمتم غير حرمكم استخف الناس بحرمكم، فكانوا لا يقفون بعرفة يوم عرفة، وكان سائر الناس يقف بعرفة، وكانت شريعة محمد ﷺ بعد ذلك الوقوف بعرفة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[٣].

* **عن محمد بن جُبير عن أبيه جُبير بن مطعم قال:** أضللت بعيرًا لى، فذهبت أطلبه يوم عرفة، فرأيت النبى ﷺ واقفًا بعرفة، فقلت: **«هذا والله من الحُمس فما شأنه ههنا»**[٤].

---

(١) ذكرها ياقوت فى معجم البلدان (١/ ٤٨٠) وقال: وادٍ قبل مكة من جهة المغرب. وقال الحافظ فى الفتح: مكان فى طريق التنعيم، ويقال هو وادٍ.

(٢) رواه البخارى (٣٨٢٦) كتاب المناقب (٥٤٩٩) كتاب الذبائح والصيد بعضه، ورواه أحمد (٢/ ٦٩)، وابن سعد (٣/ ١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧)، والنسائى: المناقب من السنن الكبرى، الجزء المطبوع باسم فضائل (ص ٨٦). قال الألبانى: توهم زيد أن اللحم المقدم إليه من جنس ما حرم الله، ومن المقطوع به أن بيت محمد ﷺ لا يأكل ذبائح الأصنام، ولكن أراد الاستيثاق لنفسه، والإعلان عن مذهبه، وقد حفظ محمد ﷺ له ذلك وسرَّ به ـ هامش فقه السيرة للغزالى (ص ٨٧).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٩).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٦٦٤) كتاب الحج، ومسلم (١٢٢٠) كتاب الحج.

* ومن ذلك حفظ الله عز وجل له من أن تبدو عورته أو يظهر عريانًا. . . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما بُنيت الكعبة ذهب النبى ﷺ والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبى ﷺ: «اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة، فخرَّ إلى الأرض وطمحت عينه إلى السماء ثم أفاق. فقال: إزارى إزارى، فشدَّ عليه إزاره».

وفى لفظ لهما من طريق زكريا بن إسحق عن عمرو بن دينار قال: «فحلَّه فجعله على منكبيه فسقط مغشيًا عليه، فما رؤى بعد ذلك عريانًا ﷺ»(١).

وهكذا شبَّ رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه من أقذار الجاهلية ومعائبها، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ... كما قال ابن إسحاق:

إن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلُقًا وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم خلقًا وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال، تنزُّهًا وتكرُّمًا حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين، لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة(٢).

(٣) تطهير قلب النبى ﷺ من حظ الشيطان:

عن أنس بن مالك: أن رسُول الله ﷺ أتاهُ جبريلُ عليه ﷺ وهُو يلعبُ مع الغلمان، فأخذهُ فصرعهُ فشقَّ عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منهُ علقةً، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثُم غسلهُ فى طستٍ من ذهبٍ بماء زمزم، ثُم لأمهُ، ثم أعادهُ فى مكانه، وجاء الغلمانُ يسعون إلى أُمه - يعنى ظئرهُ - فقالُوا: إن مُحمدًا قد قُتل فاستقبلُوهُ وهُو مُنتقعُ اللون. قال أنسٌ: وقد كنتُ أرى أثر ذلك المخيط فى صدره(٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٥٨٢) كتاب الحج، ومسلم (٣٤٠) كتاب الحيض.

(٢) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (١/ ٢٠٧) بتصرف. نقلاً من وقفات تربوية (ص: ٥٢: ٥٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.

الشاهد فى الحديث: قول جبريل عليه السلام: «**هذا حظ الشيطان منك**».

*** بعض فوائد الحديث:**

*** الفائدة الأولى:** كانت للنبى عليه السلام طفولة يلعب فيها مع الغلمان، ويعجبه ما يعجب الغلمان، إلا أن الله - عز وجل - عصمه منذ طفولته مما يخدش الحياء، أو يطعن فى المروءة، حتى من الأشياء التى يتساهل فيها الغلمان، مثل التعرِّى، أو سماع المعازف والأغانى المحرمة، فهذه الأمور ما كان النبى عليه السلام يشارك فيها أقرانه حتى وهو غلامٌ لم يجرِ عليه القلم بعد.

*** الفائدة الثانية:** اعتناء المولى - سبحانه وتعالى - بنبيه ﷺ غاية الاعتناء منذ صغره، ويتبين ذلك من:

١- إرسال جبريل أعظم الملائكة للقيام بهذه المهمة المباركة، وكان يكفى أن يقوم بها أى ملك آخر خاصة أن النبى ﷺ ما زال صغيراً.

٢- عصمة الله - عز وجل - لنبيه منذ الصغر، باستخراج حظ الشيطان من قلبه، وهذا يدل على عصمته قبل وبعد النبوة، وأن الشيطان ليس له أى دخل فى أعماله وأقواله، التى صدرت منه فى كل أحواله.

٣- دلَّنا شرفُ الغاسل، وشرف المادة المستخدمة فى الغسل، ونفيس الوعاء، على شرف المغسول، وهو قلب النبى ﷺ ، ويدلنا أيضًا على اعتناء الآمر بالغسل، وهو الله - عز وجل.

*** الفائدة الثالثة:** التكاليف الشرعية للملائكة، غير تكاليف عباد الله المؤمنين، كما أن هيأتهم ليست كهيأتنا، والدليل على ذلك استخدام الملائكة طستًا من ذهب لغسل قلب النبى ﷺ .

*** الفائدة الرابعة:** غسل القلب كان يمكن أن يكون بغير شق الصدر، وبغير إرسال جبريل عليه السلام وبغير أن يُصرع النبى ﷺ ، ولكن تحققت فوائد كثيرة من هذه العملية وهى:

١- إظهار عجائب قدرة الله - عز وجل -، وما منحه الله لملائكته من عظيم خوارق العادات، فجبريل عليه السلام يفتح صدر النبى ﷺ، وهو ما زال غلامًا، ويستخرج القلب ويغسله بالماء، ثم يعيده مكانه، ثم يلأم الجرح مرة أخرى، وتظهر علامة هذا الالتئام، كأنه المخيط فى صدره.

كل ذلك دون أن يشعر النبى ﷺ بأدنى ألم.

٢- إجراء هذه العملية للنبى ﷺ ووجود أثر مخيط فى صدره، يراه هو ويراه غيره، كلما كشف عن صدره، فيه:

أ- تذكير النبى عليه السلام بعظيم قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يُعجزه شىء فى الأرض والسماوات، فيكون ذلك أدعى له بتصديق كل ما وعده الله به، حتى وإن كانت أمورًا خارقة للعادة.

ب- تذكيره ﷺ بعناية الله به منذ صغره، فالذى اعتنى به وأرسل له جبريل يغسل صدره، لن يخذله ولن يتخلى عنه بعد البعثة من باب أولى.

ج- رؤية الصحابة ﷺ أثر المخيط فى صدره، فيه تثبيتٌ لهم، وإعلام بعلو قدر الرسول ﷺ عند ربه.

* **الفائدة الخامسة:** بركة وشرف ماء زمزم؛ لأن جبريل - عليه السلام- قد غسل قلبه - عليه الصلاة والسلام - بهذا الماء فى هذه الواقعة العظيمة، ولو كان هناك ماء أشرف منه لاستخدمه جبريل عليه السلام.

* **الفائدة السادسة:** نجزم قطعًا أن هذه الحادثة كانت يقظة وليست منامًا، وأن النبى ﷺ وعاها ورآها عيانًا، وكذلك رآها البعض.

* **الفائدة السابعة:** وجود علقة فى قلب الرسول ﷺ، وإرسال جبريل لاستخراجها، وغسل القلب من أثرها، يدل دلالة قاطعة أن كل أحد دون النبى ﷺ - من باب أولى - يوجد فى قلبه هذه العلقة... وعلى المسلم

أن يعتقد ذلك، حتى يبقى فى جهاد مع نفسه التى يوجد بها حظ الشيطان، كما عليه أن يسأل الله - عز وجل - الثبات فى الأمر، وألا يركن إلى نفسه أبدًا.

* **الفائدة الثامنة:** القلب هو سيد الأعضاء وهو الذى يأمرها وينهاها، فبصلاحه يصلح الجسد كله، وبفساده يفسد الجسد كله.

(٤) ملء قلب النبى ﷺ إيمانًا وحكمة:

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجُلٌ من قومه: أن النبى ﷺ قال: «**بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعتُ قائلاً يقول أحدٌ بين الثلاثة فأُتيتُ بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدرى إلى كذا وكذا**». قال قتادة: قلتُ لأنس بن مالك: ما يعنى؟ قال: «**إلى أسفل بطنى فاستخرج قلبى فغُسل قلبى بماء زمزم ثم أُعيد مكانهُ ثُم حُشى إيمانًا وحكمةً**»(١).

الشاهد فى الحديث: قوله ﷺ: «**ثم حُشى إيمانًا وحكمة**».

(٥) اختياره واصطفاؤه للرسالة والنبوة:

إذ لا يختار الله سبحانه لهذا الأمر إلا من أحبَّه وارتضاه.

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾(٢).

وقال جل شأنه: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾(٣).

وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٤).

عن أبى أُمامة ؓ قال: قلت: يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال:

---

(١) صحيح: رواه مسلم بنحوه: (١٦٤) كتاب الإيمان.
(٢) سورة الحج: الآية: (٧٥).
(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٢٤).
(٤) سورة البقرة: الآية: (١٢٩).

«دعوة أبى إبـراهيم، وبشرى عـيسى، ورأت أمى أنه يخرج منهـا نور أضاءت له قصور الشام»[(١)] .

ومعنى هذا أنه أراد بدء أمره بين الـناس واشتهار ذكره وانتشـاره، فذكر دعوة إبراهيم الذى تُنسب إليه العرب، ثم بشرى عيسى الذى هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل. يدل هذا على أن مَن بينهما من الأنبياء بشَّروا به أيضًا.

(٦) رفعُ الله تعالى قدره وتثقيل وزنه بأمته:

قال ﷺ : «أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، واستُرضعت فى بنى سعد بن بكر، فـبينا أنا فى بَهم[(٢)] لنا أتانى رجلان عليـهما ثيـاب بيض، معهـما طست من ذهب مملوء ثلجًا، فـأضجعانى فشقَّـا بطنى، ثم استخرجا قلبى فـشقَّاه فأخـرجا منه علقـة سوداء فألـقياها، ثم غـسلا قلبى وبطنى بذلك الثـلج حتى إذا أنقياه ردَّاه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زِنْهُ بعشرة من أمته. فوزننى بعشرة فوزنتهم، ثم قال: زِنه بمائة من أمتـه. فوزننى بمائة فوزنتهم، ثم قال: زنه بألفٍ من أمته فوزننى بألف فوزنتهم فقال: دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنهم»[(٣)] .

(٧) تشريفه ﷺ بإنزال القرآن عليه:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَـاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(٤)] .

وقال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[(٥)] .

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٥٤٥ - ١٥٤٦).

(٢) غنم صغار.

(٣) **صحيح**: أخرجه الحافظ ابن كثير فى «البداية» (٢ / ٢٧٥)، وصححه الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٥٤٥).

(٤) سورة الشورى: الآية: (٥٢).

(٥) سورة الحجر: الآية: (٨٧).

(٨) أخذ الميثاق على الأنبياء بأن يؤمنوا بالنبى ﷺ وينصروه:

* بل لقد أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بُعث فيهم الحبيب محمد ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

(٩) أن الله (عز وجل) أقسم بحياة النبى ﷺ:

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أقسم بحياته ﷺ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2]. وإن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم الله عز وجل بها، لما فيها من البركة العامة والخاصة.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس، قال: ما خلق الله وما برأ وما ذرأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحدٍ غيره.

قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

* **بعض فوائد الآية الكريمة:**

الفائدة الأولى: بلغ النبى ﷺ المنتهى فى تكريم الله - سبحانه وتعالى -، فقد بلغ التشريف ذروته بأن أقسم الله بحياته.

الفائدة الثانية: فى قسم الله - سبحانه - بحياة نبيه ﷺ، دون غيره من الأنبياء، دليل على فضله ﷺ وعلو منزلته وزيادة شرفه على بقية الأنبياء عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

الفائدة الثالثة: حياة النبى ﷺ كانت كلها حياة مباركة طيبة، استغرقها ﷺ كلها فى طاعة الله - عز وجل - فإن قسم الله - عز وجل - بها

---

(١) سورة عمران: الآية: (٨١).

(٢) سورة الحجر: الآية: (٧٢).

دليل على رضاه ومباركته لهذه الحياة، وأنه لم يحدث فيها أى قصور أو تقصير، ولم يَشُبْهَا أى خلل أو عيب، ولولا ذلك ما أقسم الله بها.

وعليه، فإن مَن تعرَّض لحياة النبى ﷺ بغمزٍ أو لمزٍ، أو ذكرها بأدنى تنقُّص، أو أراد أن ينتقد شيئًا من عبادته أو عاداته ﷺ التى فعلها فى حياته الشريفة، فقد ذمَّ ما مدحه الله، وعاب ما حكم الله له بالكمال والجمال، وطعن فيما زكاه الله ورضى به وأثنى عليه غاية الثناء.

الفائدة الرابعة: ليس معنى أن الله - عز وجل- قد أقسم بحياة أشرف الخلق نبينا محمد ﷺ أنه يجوز لنا أن نقسم به ﷺ . . . فالله - عز وجل - يقسم بما يشاء على ما يشاء، فقد أقسم سبحانه وتعالى بالقلم والنجم والشمس والطور، أما المخلوق فلا يقسم إلا بالله جل وعلا، وهى سُنة المصطفى ﷺ . . . . روى البخارى فى صحيحه: عَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»(١)، وفى رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**ألا من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله فكانت قريش تحلف بآبائها فقال: لا تحلفوا بآبائكم**»(٢).

(١٠) أن أمته لا تجتمع على ضلالة:

* ومن فضله ﷺ عصمة أمته فلا تجتمع على ضلالة، وحفظ طائفة من أمته لا تزال ظاهرة على الحق. . . كما فى حديث البخارى وغيره «**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتى أمر الله وهم كذلك**»(٣).

(١١) أن الله (عز وجل) أثنى عليه باسمين من أسمائه:

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم**

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٦٧٩) كتاب الشهادات.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٨٣٦) كتاب المناقب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣١١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (١٩٢١) كتاب الإمارة.

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

* **مظاهر الثناء على النبى ﷺ فى هذه الآية الكريمة:**

١- بيان أن إرسال النبى ﷺ إلى الناس هو منة من الله - عز وجل -، حيث إنه من جنسهم ويتكلم بلسانهم، . . . قال الشيخ السعدى فى تفسير الآية: (يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبى الأمى الذى من أنفسهم يعرفون حاله ويتمكنون من الأخذ عنه)(٢).

٢- شفقة النبى ﷺ البالغة بأمته حيث أوضحت الآية أنه يشق عليه كل ما فيه مشقة على أمته أو يسبب لها الحرج وهو العنت، وهذا يدل أيضًا على عظيم حبه لأمته ﷺ.

ومن مظاهر حرصه على عدم إعنات الأمة أنه ﷺ راجَع ربه لتخفيف عدد الصلوات المكتوبة، حتى أصبحت خمس صلوات من أصل خمسين صلاة فى اليوم والليلة.

ويؤخذ من الآية أنه ليس فى الدين كله أى أمر فيه مشقة أو عنت على المسلمين؛ لأن الله ما كان ليشرع لهذه الأمة ما يشق عليها.

٣- حرص النبى ﷺ على إيصال كل أنواع الخير إلى أمته، ودفع كل أنواع الشر عنهم، فى معاشهم ومعادهم؛ لأن هذا هو دأب الحريص على غيره، . . . وقيل: إن معنى ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أى حريص على دخولكم الجنة ونجاتكم من النار.

٤- وهى أعظم ما فى الآية، وهو الثناء على الرسول ﷺ، حيث إن الله قد أثنى عليه باسمين من أسمائه الحسنى، وهما الرءوف والرحيم، ولو لم يكن فى القرآن ثناء على النبى ﷺ إلا هذا الثناء لكفى.

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣٥٦).

(١٢) عصمة الرسول ﷺ من الشيطان:

وعصم الله رسوله ﷺ من الشيطان، وقد أعان الله رسوله على قرينه الشيطان فـأسلم، فلا يأمره إلا بخير، فـفى صحيح مسلم عن عـبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن**، قالوا: وإياك؟ قال: **وإياى، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم، فلا يأمرنى إلا بخير**»[١] وفى حديث عائشة أنه سمى القرين شيطانًا[٢].

(١٣) عصمة الرسول ﷺ من القتل:

عصم الله رسـوله ﷺ من القتل حـتى يبلغ رسالة ربه، قـال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَـا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[٣] قال سفيـان الثورى فيما نقله عنه ابن كثيـر فى تفسير هذه الآية: «بلغ أنـت رسـالتى، وأنا حـافظك، وناصـرك ومـؤيدك على أعدائك، ومظفـرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يـصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك»[٤]. وقد أورد ابن كثـير فى تفسيـره هذه الآية الأحاديث التى تفيد أن الصـحابة كانوا يحرسون الرسـول ﷺ قبل نزول هذه الآية، فلما نزلت ترك رسول الله ﷺ الحرس[٥].

وقد جعل اليهود فى شاة مَـصلية أهدتها يهودية لرسول الله ﷺ سمًّا لتـقتله، فلمـا سألهم عـما حـملهم على ذلك قالوا: «أردنا إن كنت كـاذبًا نستريح منك، وإن كنت صادقًا لم يضرك»[٦].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٤) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع.

(٣) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٠٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٠٦).

(٦) **صحيح**: رواه البخارى (٣١٦٩) كتاب الجزية.

ولما سأل المرأة قالت: «أردت قتلك» فقال: **«ما كان الله ليسلطك على ذلك»**(١).

فقد عصم الله رسوله أن يقتله السم، وأكل معه أحد أصحابه فمات كما أفادته بعض الأحاديث التى روت الواقعة.

(١٤) رؤية الله (عز وجل) له ﷺ (رؤية خاصة):

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٢).

الشاهد فى الآية: أثبتت الآية رؤية الله - عز وجل - لنبيه ﷺ، وهى رؤية خاصة، المقصود بها العناية والحفظ، وليست رؤية إدراك وإحاطة، حيث إنها وردت بعد الأمر بالتوكل، وكأنها تَحُثُّ عليه وتُرغب فيه، ولو كانت رؤية عامة، ما كان لذكرها مزية بعد الأمر بالتوكل؛ لأن الرؤية العامة تشمل الناس جميعًا: متوكلين وغير متوكلين.

ومثال الرؤية الخاصة: قوله تعالى لموسى وهارون (عليهما السلام): **﴿لا تَخَافَا إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾**(٣).

*** وفى الآية فوائد... منها:**

*** الفائدة الأولى:** كمال عبادته ﷺ لله - سبحانه وتعالى - من جميع الوجوه، والتى منها التواضع بها لله والخشوع، وحسن القيام والسجود، وتمام الإخلاص، حيث إن الآية وردت على سبيل التمدُّح من الله - عز وجل - والله لا يمتدح شيئًا فيه نقص أو خلل، بدون توجيه، خاصة إذا كان يتعلق بقدوة هذه الأمة ﷺ.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٦١٧) كتاب الهبة، ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

(٢) سورة الشعراء: الآيات: (٢١٧-٢٢٠).

(٣) سورة طه: الآية: (٤٦).

* **الفائدة الثانية:** وعد الله - عز وجل - نبيه ﷺ بالنصر والظهور على أعدائه، والرحمة له ولأمته، حيث أمره - سبحانه وتعالى - بالتوكل عليه، ورَغَّبه في ذلك بصفتين من صفاته، وهما العزة والرحمة.

* **الفائدة الثالثة:** عظيم أمر التوكل فَبِه يكفينا الله - عز وجل - أمر أعدائنا بالنصر عليهم، ويكفينا شرور أنفسنا بغفران السيئات.

* **الفائدة الرابعة:** خُتمت الآيات بقوله: ﴿**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾، فهو - سبحانه وتعالى - الذى يسمع دعاءك ويعلم حالك، وكأنه وعد منه - تبارك وتعالى - بتحقيق سؤله واستجابة دعائه، وقد تم ذلك كله بما تقر به عينه ﷺ.

(١٥) ولاية الله (عز وجل) له ﷺ:

قال تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ (١).

قيل: إن اللتين تظاهرتا على النبى ﷺ هما عائشة وحفصة رضي الله عنهما حيث ذكرا له أن به ريح مغافير من العسل الذى يشربه عند إحدى نسائه، ولما كان النبى ﷺ يكره أن يجد أحد منه ريحًا كريهة، حرم على نفسه العسل، فنزلت الآية توجه العتاب واللوم لعائشة وحفصة، وتعرض عليهما التوبة إلى الله بسبب ما بدر منهما وميلهن عما ينبغى من الورع والتوقير وعدم المشقة فى حق النبى ﷺ.

والشاهد فى الآية على اعتناء الله - سبحانه وتعالى - بالنبى ﷺ غاية العناية: أن الآية ذكرت أن الله - عز وجل - هو مولى النبى ﷺ، والمولى هو المعين والناصر، وهو الذى يتولى أمر مولاه فى كل شئونه.

مما يوضح هذا المعنى ويجليه ويبين أن ولاية الله هى واحدة من أعظم

---

(١) سورة التحريم الآية: (٤).

شمـائل النبى ﷺ التى ربما نغفل عنها، . . . أقـول: مما يوضح ذلك، ما ذكـره الشيخ السـعدى فى تفسـيـر هذه الآية، ونَصُّه: (أى الجـميع أعـوان للرسول مظاهرون ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره - مما يناوئه - مخذول. وفى هذا أكـبر فضيلة وشـرف لسيد المرسلين حيث جـعل البارئ نفسه الكريمة وخواص خلقه أعوانًا لهذا الرسول الكريم). انتهى.

(١٦) معية الله (عزوجل) له ﷺ :

قال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

الشاهد فى الآية: أثبتت الآية معية الله - عز وجل - لنبيه وصاحبه.

قال تعالى حاكيًا عن نبيه ﷺ أنه قال: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وهى معية خاصة؛ لأنها ذُكـرت بعد النهى عن الحزن الذى حصل بسبب خوف أبى بكر الصديق على الرسول، وارتفع هذا الخوف بعلمه أن الله معهما بنصره وتأييده، فلن يصل إليهما أذى الكفار، . . . ويؤكد هذا المعنى ما رواه البخارى عن أنس عن أبى بكرٍ رضي الله عنه قـال: قُلتُ للنبى ﷺ وأنا فى الغار: لو أن أحـدهُم نظر تحت قدميه لأبصرنا!!. فقال: **«ما ظنك يا أبا بكرٍ باثنين اللهُ ثالثُهُما»**(٢).

أما المعية العامة، والتى يقصد بها العلم والإحاطة، ففى قوله: **﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾**(٣).

(١٧) جعله ﷺ خاتم النبيين:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٦٥٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) سورة المجادلة: الآية: (٧).

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1].

من كريم نعم الله على نبينا محمد ﷺ أن ختم به النبيين؛ لأن الخاتم يثبت له ما لا يثبت لإخوانه من الأنبياء، ومن ذلك على سبيل المثال:

١- أن يكون كتابه هو المهيمن على بقية الكتب السماوية المنزلة.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[2].

٢- أن تكون شريعته هى الشريعة الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة؛ لأنه لا شريعة بعد شريعته ﷺ.

٣- أن لا يحدث أى نسخ - بعد مماته - لكل ما جاء به من كتاب أو سنة.

٤- مطالبة كل أمة - تحت أديم السماء - من يوم بعثته إلى يوم القيامة - بالإيمان به والتصديق التام بكل ما جاء به، بل يكون الإيمان بجميع الرسل داخلاً فى طيات الإيمان به؛ لأنه هو الذى دَلَّ على نبوتهم جميعًا.

٥- أن يكون هو ﷺ الحكم على أفعال كل الأمم السابقة، يزكى حسناتهم ويحذر من سيئاتهم، ولم يثبت ذلك لأمة من الأمم، ثم إن جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام مُبشرون به مُزكون لأمته.

ومعلوم أن الخاتم لكل شىء هو أحسن وأجمل ما فى الشىء، ولذلك يزين به، ولا يكتمل جمال الشىء إلا به... قال تعالى واصفًا جمال شراب أهل الجنة: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[3]، وقد ذكر ابن كثير فى تفسير الآية الكريمة ما نصه: (فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٤٨).

(٣) سورة المطففين: الآية: (٢٦).

الدين الحنيف له، وقد أخبر الله - تبارك وتعالى - فى كتابه، ورسولُه ﷺ فى السنة المتواترة عنه أن لا نبى بعده ليعلموا أن كل من ادَّعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفَّاك ضال مُضل). انتهى (١).

وقد ذكر النبى ﷺ مثله ومثل بقية الأنبياء فى الحديث الذى رواه البخارى عن أبى هُريرة رضي الله عنه أن رسُول الله ﷺ قال: **«إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجُلٍ بنى بيتًا فأحسنهُ وأجملهُ إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطُوفُون به ويعجبون لهُ، ويقُولُون: هلا وُضعت هذه اللبنةُ! قال: فأنا اللبنةُ وأنا خاتم النبيين»** (٢).

(١٨) إمامته لأنبياء الله ورسله بأمر الله سبحانه ليلة الإسراء بالمسجد الأقصى:

لا شك أن إمامة نبينا ﷺ للأنبياء ليلة الإسراء أولهم إلى آخرهم قبله؛ يُرى فيها المنزلة العظمة التى لم تكن إلا له ﷺ.

قال ﷺ: «... ثم مضينا حتى أتينا بيت المقدس، فربطتُّ الدابة بالحلقة التى يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فنُشِرَتْ لى الأنبياء، مَن سمَّى الله عز وجل منهم، ومن لم يُسمِّ فصليتُ بهم...» (٣).

(١٩) تفضيله على الأنبياء بست فضائل أو سبع أو أكثر:

قال ﷺ: «أُعطيت خمسًا لم يُعطَهن أحد قبلى: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليُصلِّ، وأُحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبى يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى النَّاس كافة». وفى رواية: «وخُتم بى

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٩٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٣٥٣٥) كتاب المناقب.

(٣) رواه البزار وأبو يعلى والطبرانى فى «الكبير»، ورجاله رجال الصحيح. قاله الهيثمى (١/ ٧٤).

النبيون»(١). وفي رواية: «وجُعلت أمتي خير الأمم»(٢).

وفي فضله على الأنبياء فيمن أُرسل إليهم قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ﴾(٣). وقال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾(٤) فأرسله إلى الجن والإنس.

فظهر من هاتين الآيتين أن كل نبي كان يُرسَل إلى قومه، وأُرسل النبي ﷺ إلى جميع الأقوام والناس أجمعين.

(٢٠) أمر الأمة بتوقيره وعدم رفع الصوت فوقه ﷺ:

* ومن فضله وشرفه ﷺ أن الله عز وجل أمر الأمة بتوقيره واحترامه، فأخبر عز وجل أن الأمم السابقة كانت تخاطب رسلهم بأسمائهم الأعلام كقولهم: ﴿يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾(٥)، وقولهم: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾(٦). وقولهم: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾(٧). ونهى الله - عز وجل - أمة النبي ﷺ أن ينادوه باسمه فقال عز وجل: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾(٨).

وعن ابن عباس في هذه الآية قال: (كانوا يقولون: يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عن ذلك إعظامًا لنبيه ﷺ، قال: فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله).

ونهى الله عز وجل أمة النبي أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته إعظامًا له

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٢٣) كتاب المساجد.

(٢) مسند أحمد (١٣٦١)، وإسناده حسن.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٤).

(٤) سورة سبأ: الآية: (٢٨).

(٥) سورة الأعراف: الآية: (١٣٨).

(٦) سورة هود: الآية: (٥٣).

(٧) سورة الأعراف: الآية: (٧٧).

(٨) سورة النور: الآية: (٦٣).

ﷺ، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[(١)].

(٢١) حفظ عرضه ﷺ من السب واللعن:

عن أبى هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**ألا تعجبُون كيف يصرفُ اللهُ عنى شتم قريش ولعنهم... يشتمُون مُذممًا ويلعنون مُذممًا وأنا مُحمدٌ**»[(٢)].

(٢٢) الصلاة عليه ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[(٣)]. إذا كانت أعظم نعمة أنزلها الله على رسوله ﷺ هى القرآن الكريم، وإذا كانت أعظم معجزة خَصَّ الله بها رسوله ﷺ هى الإسراء والمعراج، وإذا كان أعظم تشريف حَبَا الله به نبيه ﷺ فى الآخرة هى الشفاعة العُظمى، فإن أعظم مظاهر حب الله - تبارك وتعالى - لنبيه ﷺ هى الصلاة عليه منه - تبارك وتعالى - ومن ملائكته الكرام، وأمرُ المؤمنين بذلك.

ويحسن أن نبدأ بنبذة عن أقوال بعض العلماء عن تلك الصلاة عند شرحهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (المقصود من هذه الآية أن الله - سبحانه وتعالى - أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده فى الملأ الأعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلى عليه ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٣٥٣٣) كتاب المناقب.

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

والسفلى جميعًا)(١).

وقال القرطبى رحمه الله: (هذه الآية شرَّف اللهُ بها رسوله ﷺ ، فى حياته وموته وذكر منزلته وطهر بها سوء فعل من استصحب فى جهته فكرة سوء أو فى أمر زوجاته ونحو ذلك. . . والصلاةُ من الله رحمتُه ورضوانُه، ومن الملائكة الدعاءُ والاستغفار ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره)(٢).

(٢٣) ذَمُّ الله سبحانه من سمع اسم النبى ﷺ ولم يُصلِّ عليه:

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**رَغِم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يُصلِّ علىَّ، ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكِبرَ فلم يُدخلاه الجنة**»(٣).

وعن الحسين بن على ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**البخيل من ذُكرت عنده فلم يُصلِّ علىَّ**»(٤).

(٢٤) تزكية الله (جل وعلا) لنبيه ﷺ :

وهى تشمل عدة أشياء منها:

١- تزكية فطرته ﷺ :

قال أبو هريرة ﷺ : أُتى رسُولُ الله ﷺ ليلة أُسرى به بإيلياء بقدحين من خمرٍ ولبنٍ فنظر إليهما فأخذ اللبن فقال جبريلُ: «**الحمدُ لله الذى هداك للفطرة، لو أخذتَ الخمر غوت أُمتُك**»(٥).

الشاهد فى الحديث: قول جبريل عليه السلام: «**لو أخذت الخمر غوت أمتك**»، وفى رواية مسلم أيضًا: «**أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك**».

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥٠٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٣٢).

(٣) **صحيح:** رواه الترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥١٠).

(٤) **صحيح:** رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٧٨).

(٥) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٧٠٩) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٦٨) كتاب الأشربة.

٢- تزكية قلبه ﷺ :

لما كان القلب هو أعظم جوارح الجسد، فبه تصلح جميع الجوارح وبه تفسد، كما فى الحديث الذى رواه الشيخان عن النعمان بن بشير وفيه: «**ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فسدت فسد الجسدُ كُلُّهُ ألا وهى القلبُ**»(١)، اعتنى الله - عز وجل - اعتناءً عظيمًا بقلب حبيبه وصفيِّه من خلقه وخليله ﷺ منذ صغره، فطهر الله - تبارك وتعالى - هذا القلب ونزع منه حظ الشيطان وملأه إيمانًا وحكمة فقد زكاه من حيث الوحى الذى أنزل إليه فكان هذا القلب الزكى الطاهر وعاءً له، وزكاه من حيث تعامله مع أصحابه، فذكر رقته ورحمته بالمؤمنين، وزكاه من حيث صدقه وحضوره، فحكم عليه بعدم الكذب ومطابقة ما يراه القلب بما يراه البصر، وزكاه من حيث اتصاله الدائم بالله - تبارك وتعالى - وعدم غفلته ﷺ عن ذكره، فذكر ﷺ فى الحديث الصحيح أن عينيه تنامان ولا ينام قلبه(٢).

٣- تزكية لسانه ﷺ :

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(٣).

قال الإمام القرطبى رحمه الله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾، أى: ما يقول قولاً عن هوى وغرض وإنما يقول ما أُمر بتبليغه إلى الناس موفوراً من غير زيادة ولا نقصان)(٤). وقال الشيخ السعدى رحمه اللهُ: (ليس نُطقه صادراً عن هوى نفسه، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. أى: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى فى نفسه وفى غيره)(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٨) كتاب الوضوء، ومسلم (٧٦٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.
(٣) سورة النجم: الآيتان: (٣، ٤).
(٤) وردت هذه الفقرة عند ابن كثير (٢٤٨/٤) وهى من كلامه، وليست من قول القرطبى.
(٥) انظر تفسير السعدى (٨١٨).

٤- تزكية بصره ﷺ:

قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[١]، هذه الآية الكريمة من أعظم الآيات التى تُدلل على حسن خلقه ﷺ عامة ورفيع أدبه خاصة، ولو لم يكن فى القرآن ولا فى السنة غير هذه الآية فى ذكر خُلق النبى ﷺ لكفته ﷺ فخرًا، وللأسف الشديد قد يمر المسلم عليها ويقرأها كثيرًا ولا يستشعر ما فيها من كريم خُلقه ﷺ، فهذه الآية وردت فى معرض ذكر حادثة المعراج بالنبى ﷺ إلى السماء السابعة ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى ما شاء الله تعالى، وبالرغم أن من جملة حِكَم هذه الحادثة هو أن يرى النبى ﷺ من آيات ربه الكبرى.. كما قال تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢] إلا أنه ﷺ من كمال أدبه ورفيع خُلقه لم يلتفت يمنة أو يسرة للنظر فى هذا الملكوت العظيم، والذى ليس به موضع شبر واحد، إلا وفيه آية من آيات الرب - تبارك وتعالى -، ولكنه ﷺ لم يمتد بصره إلا لما أذن الله له أن يرى، ولن يستطيع أحد مهما أوتى من علم وحكمة أن يتصور مثل هذا الخلق الرفيع أو يُقيمه أو يقدره، وليس هذا من باب المبالغة، والسبب فى ذلك أن أحدًا منا لن يستطيع أن يتصور بعقله عظيم ملكوت الله وما به من آيات كبيرة، والتى استطاع النبى ﷺ بخُلقه أن يقصر نظره عنها، فهو خلق عظيم يتناسب مع ما فى ملك الله من آيات، فهل بعد هذا الخلق من خُلق.

وتصور أخى القارئ أنك دخلت قصرًا لملك من ملوك الدنيا تعلم أن فيه ما لم تره عينك ولم تسمع به أذنك ولم يخطر من قبل على قلبك، فكم من أدب تحتاج أن يكون معك حتى لا تنظر يمنة ولا يسرةً، وشتان شتان بين ما

---

(١) سورة النجم: الآية: (١٧).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (١).

عند الله - تبارك وتعالى - من آيات وما عند الملوك، . . . والفارق بينهما كالفارق بين الثرى والثريا، بل الفارق أعظم من ذلك بكثير، ولولا أن هذا الفعل من النبى ﷺ كان خُلقًا رفيعًا منه، ما ذكره الله - سبحانه وتعالى - فى القرآن العظيم فى سياق الثناء والمدح.

وأقول: إذا كان هذا خلقه ﷺ فيما لا يقدر عليه غيره، فكيف يكون خلقه فيما يقدر عليه غيره، وإذا كان هذا الأدب منه ﷺ فيما لم يؤمر به فكيف يكون أدبه ﷺ فيما أُمر به أو نُهى عنه. . . قال الإمام ابن كثير رحمه الله فى تفسير الآية: (قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ذهب يمينًا ولا شمالاً وما جاوز ما أُمر به، وهذه صفة عظيمة فى الثبات والطاعة فإنه ما فعل إلا ما أُمر به ولا سأل فوق ما أُعطى، وما أحسن قول الناظم:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو

رأى غيره ما قد رآه لتاها[1]

وقال الشيخ السعدى رحمه الله: (وهذا كمال الأدب منه ﷺ أن قام مقامًا أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه ولا تجاوزه ولا حاد عنه، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم الذى فاق فيه الأولين والآخرين، فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور إما ألا يقوم العبد بما أُمر به، أو يقوم به على وجه التفريط أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة يمينًا وشمالاً وهذه الأمور كلها منتفية عنه ﷺ)[2].

٥- تزكية خلقه ﷺ :

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

أكتفى هنا بذكر ما قاله الشيخ السعدى رحمه الله فى تفسير تلك الآية

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨١٩).

(٣) سورة القلم: الآية: (٤).

الكريمة التى زكت خُـلُق النبى ﷺ تزكية عظيـمة، ليس قبلهـا ولا بعدها تزكية، إذ قال رحمـه الله ما نَصُّه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أى: عليًّا به، مستعليًا بخُلقك الذى مَنَّ الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين عائشـة ﵂ لمن سألها عنه، فقالت: (كـان خلقه القرآن). وذلك نحو قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]. وما أشـبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافـه ﷺ بمكارم الأخلاق، والآيات الحـاثات على الخلق العظيم، فكان له منها أكـملها وأجلُّها، وهو فى كل خصلة منها، فى الذروة العليا، فكان ﷺ سهلاً لينًا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة مَن دعاه، قاضيًا لحاجة من استـقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمـر لم يسـتبـدَّ به دونهم، بل يشاورهـم ويؤامرهم، وكان يقـبل من محسنهم، ويعفو عن مُسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًـا له إلا كان أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس فى وجهه، ولا يغلظ عليه فى مقاله، ولا يطوى عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إليه غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ[٤].

٦- تزكية صدقه ﷺ فى التبليغ عن ربه:

قال تعـالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٨٧٩).

لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (١).

هذه الآيات الكريمات دليل صـريح أن النبى ﷺ لم يكذب على ربه فى أى شىء من الوحى، صغيراً كان أم كبيراً.

٧- تزكية من علمه ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (٢).

الآية الكريمة تدل على أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذى علم النبى ﷺ القرآن وغـيره من الوحى حـيث نَفَتْ الآية أن الله علم النبى ﷺ الشعر، فنفىُ تعليم الشعر، يثبت أنه - سبـحانه وتعالى - هو الذى تكفل بتعليمه، لأنه لو كان أحد غير الله هو الذى يعلم نبيه ﷺ لأثبت له عدم تعليم النبى ﷺ الشعر، أما قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ (٣)، فهو جبـريل عليه السلام، فلا تنافى بين هذه الآية وما ذكرته آنفًـا حـيث إن جبـريل علم النـبى ﷺ الوحى الذى أنزله الله - تبـارك وتعالى - على نبيه ﷺ، فنسبة التعليم إلى الله - عز وجل - من حيث إنه هو الذى أنزل على عبده الوحى، ونسبـته إلى جبـريل من حيث إنه هو الذى باشر إنزال الوحى، بإذن الله وعلمه.

*** بعض فوائد الآية الكريمة:**

الفائدة الأولى: من طعن فى شىء من السنة الصحـيحة، فقد طعن فى الله - عـز وجل -، لأنه هو الذى علم النـبى ﷺ الوحى كله، قـرآنًا وسُنة.

الفـائدة الثانيـة: لا يليق بشخص النبى ﷺ، ولا يناسب دعوته تعلُّمُ الشعر.

(١) سورة الحاقة: الآيات: (٤٤-٤٦).

(٢) سورة يس: الآية: (٦٩).

(٣) سورة النجم: الآيتان: (٥-٦).

الفائدة الثالثة: اعتناء القرآن الكريم بالرد على شبهات الكفار حول النبى ﷺ حيث لما اتهموه ﷺ أنه شـاعر فى قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**﴾(١) ، رَدَّ الله عليهم شبهتهم بنفى تَعلُّمه ﷺ الشعر.

الفائدة الرابعة: أثبتت الآية الكريمة صفة البيان لهذا القرآن، فهو بيِّن فى نفسه، فلا شبهة فيه ولا التباس، ولا تناقض فيه ولا اعوجاج.

الفائدة الخـامسة: أن فى القرآن غِنى عـمَّا سواه، من علوم الفلسفة والمنطق وغيرها، فلا ينبغى لنا أن نطلب الهداية من تلك العلوم - التى غالبًا ما تعارض القرآن - وقد أنزل الله علينا كـتابًا بينًا مبينًا، أنار لنا الطريق، وبيَّن لنا السبيل، فأغنانا عن كل بديل، كما يتفرع عليه أن كل من تدبر القرآن ولم يهتدِ، فهو إما جاهل بلغة القرآن، وإما مستكبر عن الحق، لأن فى القرآن غاية البيان.

٨- تزكية ما أوحى إليه ﷺ من كل وجه:

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ**﴾(٢).

هذه الآية قد زكَّت الوحى الذى أُنزل على النبى ﷺ سـواء كان قرآنًا أو سنة - بكل أنواع التزكية الممكنة فيما نعلم.

٩- تزكية همته ﷺ فى الدعوة (على لسان مشركى مكة):

قال تعالى: ﴿**وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ**﴾(٣)، الشاهد في الآية: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ**﴾، أى: يريده النبى ﷺ ويقصده، وليس قوله عابر سيتركه بعد أيام أو ليالٍ معدودات، وما علم الكفـار ذلك من النبى ﷺ إلا بقرائن، وهى همـته العالـية فى الدعوة وتحمله ﷺ فى سبيل ذلك كل صعب وشاق.

(١) سورة الطور: الآية: (٣٠).
(٢) سورة محمد: الآية: (٢).
(٣) سورة ص: الآية: (٦).

*** بعض فوائد الآية الكريمة:**

الفائدة الأولى: عِظم ما لاقاه النبى ﷺ فى دعوته إلى الله - سبحانه وتعالى - ويتمثل ذلك فى إصرار الكفار على التمسك بعقيدتهم الباطلة أشد التمسك حتى إنهم يتواصون فيما بينهم على عدم الوقوف لسماع الحق، والصبر على عبادة الأصنام، ومدافعة دعوة النبى لتوحيد الله - عز وجل -.

الفائدة الثانية: فى الآية إشارة وحثٌّ لأهل الحق والدعوة إلى ما يجب أن يكونوا عليه، من الصبر على الدعوة والصبر على تعنُّت أهل العناد والشقاء، والإيذاء فى سبيل الله - سبحانه وتعالى - حيث لاقى النبى ﷺ كل ذلك وصبر عليه، وهو لنا قدوة، بالإضافة إلى أن الكفار كان يأمر بعضهم بعضًا بالصبر على عبادة الأصنام ومخالفة أمر النبى، . . . وأهل العلم والدعوة أولى بالصبر؛ للحق الذى هم عليه، ولجزيل المثوبة والثواب من الله - سبحانه وتعالى - بل عليهم أن يتواصوا بذلك فيما بينهم. . . يصدق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[(١)].

١٠- تزكية دعوته ﷺ ووصفه بالسراج المنير:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[(٢)].

زكَّى الله - سبحانه وتعالى - نبيه ﷺ بأحسن أنواع التزكيات، ومدحه بأبلغ صفات المديح، فكانت الآيتان كلتاهما لرفع ذكره ﷺ فى الدنيا والآخرة، فقد وصفه الله - عز وجل - فى هاتين الآيتين بخمس صفات. . . **الأولى:** أنه الشاهد على أمته يوم القيامة بما عملوا من خير أو

---

(١) سورة العصر: الآيات: (١-٣).

(٢) سورة الأحزاب: الآيتان: (٤٥-٤٦).

شر وأنه شاهد عليهم بالإبلاغ، **الثانية:** أنه المبشر برحمة الله تعالى ورضوانه لمن أطاعه واتقاه، **الثالثة:** أنه النذير بعذاب الله وانتقامه لمن عصاه وعاداه، **الرابعة:** أنه يدعو إلى الله - سبحانه وتعالى -، **الخامسة:** وهى أجملها وأتمها وهى الصفة التى جمعت ما سبق وهى وصفه ﷺ بالسراج المنير، ومن كانت تلك بعض صفاته (وليست كلها) كان أحق الخلق عند رب الخلق بالاصطفاء والاجتباء، وأحق الناس عند الناس بالاقتداء والافتداء.

١١- تزكية دعوته ﷺ على لسان الكافرين:

قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1].

وجه تزكية دعوة النبى ﷺ على لسان الكافرين أنهم أقروا أنه ﷺ إنما يدعوهم لعبادة إله واحد، وذلك واضح فى قولهم: **﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾**.

١٢- تزكية كل أحواله ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2].

لم يكتفِ القرآن العظيم بتزكية لسان النبى ﷺ، وبصره وفؤاده ودعوته وأخلاقه الفاضلة، بل زكّى القرآن الكريم كل أحواله ﷺ بأن أثبت له ﷺ أنه على صراط مستقيم، ولم تكن هذه هى التزكية الوحيدة لأحوال النبى ﷺ بل جاءت على نسقها تزكيات متعددة، منها على سبيل المثال قول الحق - تبارك وتعالى -: **﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾**[3]، فوصفُ القرآن النبى ﷺ أنه على الحق المبين، دون تخصيص هذا الوصف بأمر معين: قد أفادنا أن هذا الوصف قد انسحب على كل ما يتعلق بالنبى ﷺ، فكان ﷺ على الحق - الذى لا يخالطه أدنى باطل - فى عباداته وعاداته، فيما يقول وفيما يحكم، وفيما يعتقد وفيما يشرع، إذا سكت عن أمر كان هذا

---

(١) سورة ص: الآية: (٥).

(٢) سورة يس: الآيتان: (٣-٤).

(٣) سورة النمل: الآية: (٧٩).

هو الحق، وإذا تكلم عن نفس الأمر فى موضع آخر كان هذا هو الحق.

إذا غضب من أمر كان غضبه موافقًا تمامًا للحق، وكذلك إذا مزح وتبسَّط مع أصحابه، . . . ولا تعجب أخي القارئ من ذلك، لأن الله - تبارك وتعالى -، وهو الحق المبين، هو الذى وصف عبده بهذا الوصف الأتم الأكمل.

كما أن من التزكيات العظيمة التى ذكرها المولى - عز وجل - لنبيه ﷺ هو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]. ووجه التزكية هى موافقة ما كان عليه النبى ﷺ وما كان يدعو إليه، وهى أعظم منقبة لأى داعية.

١٣- قيامه ﷺ بالدعوة على أكمل وجه:

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾[2].

قال الإمام القرطبى رحمه الله: (أى أعرض عنهم واصفح عنهم، فما أنت بملوم عند الله لأنك أديت ما عليك من تبليغ الرسالة، ثم نقل عن مجاهد قوله: ليس يلومك ربك على تقصير كان منك). انتهى[3].

وقال الشيخ السعدى رحمه الله: (فليس عليك لوم فى ذنبهم وإنما عليك البلاغ وقد أديت ما حُملت وبلغت ما أُرسلت به).

(٢٥) تسلية الله (عز وجل) لرسوله ﷺ:

المقصود بتسلية الله - عز وجل - رسوله ﷺ هو أن الله يذكر له كل ما من شأنه أن يُخفف عنه حزنه وغمه وهمه، فيُصبره على تكذيب عدوه وعناده، وتولِّيه عن سماع كلامه ﷺ، بتعليمه الأسباب الباعثة لهم على ذلك كالجحود والاستكبار وموت القلوب، مع تطمينه أنه ﷺ لم يقصر أبدًا فى الدعوة إلى الله - عز وجل - وإبلاغ الحق إلى الخلق. وأن الله - تبارك وتعالى - ناصره، ومُعلى شأنه، ومُعذب من عاداه وآذاه، . . . وسنأتى

(١) سورة المؤمنون: الآية: (٧٣).

(٢) سورة الذاريات: الآية: (٥٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٥٤).

إن شاء الله تعالى على بعض أنواع التسلية الموجودة فى الكتاب الكريم.

١- وعده بالنصر على عدوه:

قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾(١) . وهى آية مكية. . . وحدث النصر والتمكين فى المدينة.

٢- إخباره بتعذيب أعدائه فى الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾(٢) .

روى البخارى فى صحيحه، عن ابن عباس: أن النبى ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل فنادى يا صباحاهُ، فاجتمعت إليه قُريشٌ فقال: «**أرأيتم إن حدَّثتكم أن العدو مُصبحكُم أو مُمسيكُم أكُنتُم تُصدقُونى؟**»، قالُوا: نعم، قال: «**فإنى نذير لكُم بين يدى عذاب شديد**» فقال أبُو لهب: ألهذا جمعتنا؟! تبًّا لك. فأنزل اللهُ - عز وجل -: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إلى آخرها.

٣- بذكر استهزاء الكفار لمن قبله من الرسل:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾(٣) .

قال الإمام الطبرى رحمه الله فى تفسير الآية ما نَصُّه: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مسليًا عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقى منهم من أذى الاستهزاء به والاستخفاف فى ذات الله: هون عليك يا محمد ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك المستخفين بحقك وامضِ لما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدى والإقرار بى والإذعان لطاعتى، فإنهم إن تمادوا فى غيهم

(١) سورة القمر: الآية: (٤٥).

(٢) سورة المسد: الآية: (١-٥).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٠).

وإصرارهم على المقام على كفرهم نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم غيرهم من تعجيل النقمة لهم وحلول المثلات بهم)[١].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: (هذه تسلية للنبى ﷺ فى تكذيب مَن كذَّبه من قومه ووعدٌ له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة فى الدنيا والآخرة)[٢].

٤- بذكر أسباب تولى الكفار وتكذيبهم:

والغرض من تلك التسلية أن يتيقن النبى ﷺ أن تولِّى الكفار وعدم سماعهم وإعراضهم عنه ليس بسبب تقصيره فى النصح والإرشاد أو ضعف حجته وبيانه أو خلل فى قرآنه وسنته، ولكن إعراضهم بسبب تكبرهم واستكبارهم وجحودهم وإنكارهم وأمثلة هذه التسلية فى القرآن كثيرة.

(٢٦) رفع ذكره ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٣].

أقول أولاً: إن رفع ذكر النبى ﷺ لهو من أعظم وأجلِّ النعم، ومن الشمائل الحميدة، التى تدل على حب الله - سبحانه وتعالى - لرسولنا الكريم ﷺ . . . وهى أجلُّ شأنًا من الصلاة عليه قطعًا؛ لأن رفع الذكر يشمل أمورًا عديدة، يأتى منها الصلاة عليه، فالصلاة فرع من رفع الذكر.

* كلام بعض العلماء عن معنى رفع الذكر:

قال الإمام ابن كثير: (قال مجاهد: لا أُذكَر إلا ذُكرتَ معى: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وقال قتادة: رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا مُتشهدٌ ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. ثم قال ابن كثير: حكى

---

(١) تفسير الطبرى (٧/ ١٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٥).

(٣) سورة الشرح: الآية: (٤).

البغوى عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان يعنى ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت:

أغر عليه للنبوة خاتم — من الله من نور يلوح ويشهدُ

وضم الإلهُ اسم النبى إلى اسمه — إذا قال فى الخمس: أشهدُ

وشق له من اسمه يُجلَّه — فذو العرش محمود وهذا محمدُ

وقال آخرون: رفع الله ذكره فى الأولين والآخرين ونوَّه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم شَهَرَ ذكره فى أمته فلا يُذكر الله إلا ذُكر معه). انتهى كلام ابن كثير(١) .

وقال القرطبى: (وروى عن الضحاك عن ابن عباس، قال: يقول له: ما ذُكرتُ إلا ذُكرت معى فى الأذان، والإقامة والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم عرفة وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفى خطبة النكاح، وفى مشارق الأرض ومغاربها. ولو أن رجلاً عَبَد الله - جل ثناؤه -، وصدق بالجنة والنار وكل شىء، ولم يشهد أن محمدًا رسول الله، لم ينتفع بشىء وكان كافراً.

وقيل: أى أعلينا ذكرك، فذكرناك فى الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك، ولا دين إلا و دينك يظهر عليه.

وقيل: رفعنا ذلك عند الملائكة فى السماء، وفى الأرض عند المؤمنين، ونرفع فى الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود، وكرائم الدرجات)(٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٠٧).

(٢٧) أن الله (عز وجل) أرسله إلى الإنس والجن:

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أرسل كل نبى إلى قومه خاصة وأرسل نبينا ﷺ إلى الجن والإنس، ولذلك تمنَّن بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ (١).

ووجه التمنُّن أنه لو بعث فى كل قرية نذيرًا، لما حصل لرسول الله ﷺ إلا أجر إنذاره لأهل قريته.

(٢٨) سماع الله لتلاوته ﷺ:

عن أبى هُريرة أنه سمع النبى ﷺ يقُولُ: **«ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت بالقُرآن يجهرُ به»** (٢).

الشاهد فى الحديث: أذِن الله، أى استمع، والسماع هنا ليس من باب السماع العام، بل هو سماع الرضا والقبول، **فالسماع ثلاثة أنواع:**

سماع إحاطة، وقد ثبت فى قوله تعالى: **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾** (٣).

وسماعٌ يُقصد به التهديد والوعيد، وقد ثبت فى قوله تعالى: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾** (٤)، والدليل على أن المقصود بهذا السماع، هو التهديد والوعيد، قوله - عز وجل -: **﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾** (٥).

أما النوع الثالث من السماع: فهو سماعُ رضًا وقبول، ومثاله حديث الباب، والذى قصده العلماء من هذا التقسيم، هو شرح مقصود الله - عز وجل - من إثبات السماع والحكم المترتب عليه، فقد يسمع ويرضى عما

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٥١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٤٤) كتاب التوحيد، ومسلم (٧٩٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) سورة المجادلة: الآية: (١).

(٤)،(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٨١).

سمع ويرتب على ذلك أجزل الثواب، وقد يسمع ويغضب عظيم الغضب مما يقال ويرتب على ذلك أشد العذاب، وقد يكون السماع من باب الإحاطة بما يفعل العباد.

وفى الحديث إثبات حسن صوت النبى ﷺ . . يؤيده ما رواه مسلم، عن عدى بن ثابت قال: سمعتُ البراء بن عازب قال: سمعتُ النبى ﷺ قرأ فى العشاء بالتين والزيتُون فما سمعتُ أحدًا أحسن صوتًا منهُ[1].

(٢٩) أن الله (عز وجل) وقَّره فى ندائه:

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى وقَّره فى ندائه، فناداه بأحب أسمائه وأسنى أوصافه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾[2] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾[3] فنادى الله عز وجل الأنبياء بأسمائهم الأعلام فقال: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[4].

وقال: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ﴾[5] وقال: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[6]، وقال: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[7].

وما خاطب الله عز وجل نبينا ﷺ إلا بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ أو بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ أو بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أو بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾.

وجمع الله عز وجل فى الذكر بين خليله إبراهيم وخليله محمد ﷺ، فذكر خليله إبراهيم باسمه وخليله محمد بكنية النبوة، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٦٤) كتاب الصلاة.
(٢) سورة الأنفال: الآية: (٦٤).
(٣) سورة المائدة: الآية: (٦٧).
(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٩).
(٥) سورة هود: الآية: (٤٨).
(٦) سورة الصافات: الآيتان: (١٠٤، ١٠٥).
(٧) سورة مريم: الآية: (١٢).

أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾(١) . فكنّاه إجلالاً له ورفعة لفضل مرتبته ونباهته عنده ثم قدَّمه فى الذكر على من تقدمه فى البعث فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(٢) .

(٣٠) أقسم بالضحى والليل أنه ما أهمل نبيه ﷺ:

* بل أقسم الله (عز وجل) بالضحى والليل إذا سجى أنه ما أهمل محمدًا ﷺ وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباه، وأن ما أعده له فى الآخرة خير له من كل ما أعطاه فى دنياه فقال جل فى عُلاه: ﴿وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ⑤ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(٣) .

(٣١) النبى ﷺ خليل الله:

عن عبد الله عن النبى ﷺ قال: «**لو كُنتُ متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابن أبى قحافة (أبو بكر) خليلاً، ولكن صاحبكُم خليل الله**»(٤) .

الخلة لله - سبحانه وتعالى - هى أعظم مقامات العبد، بل هى منتهى تلك المقامات، فليس بعدها من مقام، فهى أرفع قطعًا من مقام المحبة، حيث ثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له، ولكن الخلة لم تثبت إلا لاثنين لا ثالث لهما، هما محمد وإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام -، وقد ثبتت خلة إبراهيم بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

(١) سورة آل عمران: الآية: (٦٨).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٧).

(٣) سورة الضحى.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٨٣) كتاب فضائل الصحابة.

مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾(١).

وللخلة معانٍ كثيرة ذكرها العلماء، فالخلة من العبد معناها: الافتقار والانقطاع، فخليل الله هو المنقطع إليه وقيل: سُمِّي الخليل خليلاً لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللاً إلا ملأته، وقيل: هو الذى ليس فى محبته خلل.

أما خلة الله للعبد، فمعناها: نصرة العبد وجعله إمامًا لمن بعده، وقيل: هى كامل المحبة والاصطفاء... وأضيف فأقول: إذا كانت رؤية الله - عز وجل- ثبتت للمؤمنين يوم القيامة، وإذا كان الكلام سيحدث أيضًا بين الله وبين عباده المؤمنين ليس بينه وبينهم ترجمان، فإن الخلة ستبقى هى الخصلة التى اختُص بها محمد وإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - لم يشاركهما فيها أحد فى الدنيا والآخرة.

(٣٢) أن أمته هى السابقة يوم القيامة:

* ومن شرفه وفضله ﷺ ما رواه الشيخان عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بَيْد أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذى فُرض عليهم** - يعنى الجمعة - **فاختلفوا فيه، فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد**»(٢).

والمعنى أن هذه الأمة ببركة نبيها ﷺ آخر الأمم خَلقًا، وأولهم دخولاً الجنة يوم القيامة... وفى الحديث كذلك أن الله عز وجل قد فرض على الأمم السابقة يومًا يعظمونه ويتعبدون فيه فوقع اختيار اليهود على يوم السبت والنصارى على يوم الأحد، وهدى الله عز وجل أمة النبى ﷺ ليوم الجمعة.

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٨٧٦) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٥٥) كتاب الجمعة.

(٣٣) الوعد بنصره ﷺ فى الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾(١).

فالآية أثبتت أن الله - عز وجل - ناصرٌ نَبيه ﷺ لا محالة فى الدنيا والآخرة، وأن كيد أعدائه لن يستطيع أن يرد نصر الله له.

قال ابن كثير فى شرح هذه الآية الكريمة: (من كان يظن أن الله ليس بناصرٍ محمداً وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه فإن الله ناصره لا محالة). انتهى(٢).

(٣٤) أن الله أحلَّ له ﷺ ولأمته الغنائم:

* ومن فضله ﷺ أنه أُحلت له الغنائم، . . . ففى الصحيحين عن جابر أن النبى ﷺ قال: **«أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد قبلى، نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليُصلِّ، وأُحلت لى الغنائم ولم تَحل لأحد قبلى، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبى يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة»**(٣).

(٣٥) كفاية الله له ﷺ:

الكفاية فى اللغة: من كفى وهو الاستغناء. . . يقال كفاه الشىء يكفيه أى استغنى عن غيره فهو كافٍ وكفىٌّ.

وقد قَسَّمت كفاية الله - تبارك وتعالى - لنبيه ﷺ إلى ثلاثة أقسام وهى (كفايته شرعًا - كفايته قدرًا - كفايته شرعًا وقدرًا) ليتبين للقارئ مدى حب الله - سبحانه وتعالى - لنبيه ﷺ وحفظه من جميع الوجوه والتى

(١) سورة الحج: الآية: (١٥).

(٢) تفسير ابن كثير(٣/ ٢١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٥) كتاب التيمم، ومسلم (٥٢١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

من أمثلتها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٢].

١- كفايته شرعًا:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[٣]. قال الإمام الطبرى رحمه الله فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه ﷺ: «أشهدك يا محمد ربُّك على نفسه أن سيُظهر الدين الذى بعثك به وحسبك به شاهدًا»، وقال رحمه الله: (أشْهَدَ لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الدين كله)[٤].

*** بعض فوائد الآية الكريمة:**

الفائدة الاولى: أظهرت الآية بجلاء حب الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ حيث بينت الآية كفاية الله له ﷺ من كل وجه... يتبين ذلك من:

١- ثناء الله - تبارك وتعالى - البالغ على ما أرسل به النبى ﷺ فلا يضره بعد ذلك ذم القادحين ولا يزيده مدح المادحين.

٢- كفاه الله - سبحانه وتعالى - هَمَّ ظهور هذا الدين: هل سيظهر هذا أم لا؟ هل سيعلو على كل الأديان أم لا؟ فطمأنه الله - تبارك وتعالى - وكفاه حمل هذا العبء الثقيل، بأن وعده أنه سيُمكِّن له دينه ﷺ غاية التمكين.

٣- كفاه الله - سبحانه وتعالى - شهادة كل أحد من الخلق على صدق نبوته وإظهار دينه، قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٦٤).

(٢) سورة التحريم: الآية: (٤).

(٣) سورة الفتح: الآية: (٢٨).

(٤) تفسير الطبرى (٢٦/١٠٩).

قال الإمام الطبرى رحمه الله: (أشهدك يا محمد ربُّك على نفسه أنه سيظهر الدين الذى بعثك به وحسبك به شهيدًا)[١].

٢- كفايته قدرًا:

قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[٢].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله فى معنى الآية: (أى بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله ولا تخفهم فإن الله كافيك إياهم وحافظك منهم)[٣].

*** بعض فوائد الآيتين الكريمتين:**

الفائدة الأولى: حب الله - سبحانه وتعالى - لنبيه ﷺ وغضبه الشديد - عز وجل - على من تعرض لخليله ﷺ فوعده بالانتقام منهم.

الفائدة الثانية: فى الآية تهديد شديد ووعيد أكيد لكل من استهزأ بأدنى شيء يخص نبينا ﷺ . . . ويكفى أن أقول له: يكفيك أنك قد جعلت الله خصمًا لك.

الفائدة الثالثة: عظيم علم الله وحكمته وقدرته - سبحانه وتعالى - فبعلمه اطلع على المستهزئين، وبحكمته وعد نبيه بإهلاكهم، وبقدرته أنفذ وعده ونصر عبده ﷺ .

*** شاهد ثانٍ على كفايته ﷺ قدرًا:**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٤].

قال الشيخ السعدى رحمه الله: (هذه حماية وعصمة من الله لرسوله من

---

(١) تفسير الطبرى (٢٦/ ١٠٩).

(٢) سورة الحجر: الآيتان: (٩٤-٩٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٦٠).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

الناس، وأنه ينبغى أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ ولا يُثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك)[١] .

*** شاهد ثالث على كفايته قدرًا:**

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعفر محمدٌ وجهه بين أظهركم؟ - أى: هل يصلى أمامكم - قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه فى التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه قال: فقيل له: ما لك؟! فقال: إن بينى وبينه لخندقًا من نار، وهولاً وأجنحة!! فقال رسول الله ﷺ : «**لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**»[٢] .

٣- كفايته شرعًا وقدرًا:

قال تعالى: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾[٣] .

قلت: إن هذه الآية تدل على كفاية الله - سبحانه وتعالى - شرعًا وقدراً - أى أنها كفاية من كل الوجوه - لأن الآية لم تقيد الكفاية بنوع معين، فعلمنا أنها تشمل كل أنواع الكفاية فى الدين والدنيا والآخرة وفى الحياة وفى الممات.

قال الشيخ السعدى رحمه الله: (فإن الله سيكفيه فى أمر دينه ودنياه ويدفع عنه من ناوأه بسوء)[٤] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٣٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) سورة الزمر: الآية: (٣٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧٢٥).

(٣٦) إرضاؤه ﷺ:

أولاً: إرضاؤه ﷺ فى الدنيا:

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾(١).

عن البراء بن عازب: (أن النبى ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال: أخواله - من الأنصار، وأنه صلى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهرًا - أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمرَّ على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة. فداروا كما هم قِبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قِبَل بيت المقدس، وأهل الكتاب.. فلما ولى وجهه قِبَل البيت أنكروا ذلك).

قال زهير: حدثنا أبو إسحاق عن البراء فى حديثه هذا أنه مات على القبلة قبل أن تُحوَّل رجال وقُتلوا فلم ندرِ ما نقول فيهم؟! فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾(٢)(٣).

الشاهد فى الحديث: أن النبى ﷺ صلى قِبل بيت المقدس، ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، ولكن كان يحب أن تُحول القبلة إلى المسجد الحرام، قبلة إبرهيم عليه السلام، وكان من علامات رجائه فى تحويل القبلة، أنه كان يقلب وجهه فى السماء، طلبًا لذلك.

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤٤).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤١) كتاب الإيمان.

وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(١) .

ثانيًا: إرضاؤه ﷺ في الآخرة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ تلا قول الله - عز وجل - : ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى﴾(٢) . . . الآية، وقال عيسى - عليه السلام -: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٣) ، فرفع يديه وقال: **«اللهم أمتى أمتى»**، وبكى، فقال الله - عز وجل -: **«يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسَلْهُ ما يُبكيك؟ فأتاه جبريل - عليه السلام -** فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو **أعلم - فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنُرضيك فى أمتك ولا نَسوؤك»**(٤) .

الشاهد فى الحديث: قول الله تعالى: **«يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك»**.

(٣٧) زوَّجه ربُّه من فوق سبع سماوات:

عن أنس قال: (لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: **«فاذكرها علىَّ»**. قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهى تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى، فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أُؤامر ربى، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن)(٥) .

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤٤).

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٣) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (١٤٢٨) كتاب النكاح.

الشاهد فى الحديث: قول أنس ﵁: (وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن).

ملخص القصة: كان النبى ﷺ قد تبنَّى زيد بن حارثة ونسبه إليه، فكان يُدعى: زيد ابن محمد، وقد تزوج زيد من زينب بنت جحش، ابنة عمة النبى ﷺ، فلما أراد الله - عز وجل - أن يُبطل مسألة التبنى، نزل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾(1)، فدُعى زيد مرة أخرى إلى أبيه، وبقيت مسألة أخرى كانت قد استحكمت فى نفوس الناس، وهى أن الرجل المتبنى، لا يحل له أن يتزوج بمطلقة من تبناه لأنها بمثابة زوجة ابنه، فأوحى الله إلى رسوله ﷺ، أن زيداً سيطلق زوجته، ثم يتزوجها النبى ﷺ ليبطل تلك العادة، وكان زيد يأتى النبى ﷺ، يشاوره فى طلاق زوجته، فيأمره النبى ﷺ أن يصبر عليها ويمسكها بالمعروف ويخفى ما أوحى الله إليه، ولما تم أمر الله بالطلاق وانقضت عدة زينب ﵄، أرسل النبى ﷺ زيداً إلى مطلقته يخبرها برغبة النبى ﷺ بالزواج منها، فقالت: أشاور ربى، أى أستخير، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾(2)، فدخل النبى ﷺ على زينب بغير إذنها.

(٣٨) يبيت ﷺ يُطعمه ربُّه ويسقيه:

عن أبى هريرة ﵁ قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال، فقال له رجال من المسلمين: فإنك يا رسول الله تواصل! فقال رسول الله ﷺ:

---
(1) سورة الأحزاب: الآية: (٣٧).
(2) سورة الأحزاب: الآية: (٣٧).

«**أيكم مثلى، إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقين**». فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يومًا ثم رأوا الهلال، فقال: «**لو تأخر لزدتكم**». كالمُنكِّل بهم حين أبوا)[١].

الشاهد فى الحديث: قوله ﷺ : «**أيكم مثلى إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقين**»، ومناسبة هذا القول أن الرسول ﷺ كان يواصل صيام عدة أيام من شهر رمضان بدون إفطار فلما أراد الصحابة أن يفعلوا مثله ذكر لهم هذه المقولة.

(٣٩) الأمر بالصدقة بين يدى نجواه ﷺ :

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٢].

إن أمْرَ الله المؤمنين بالصدقة قبل مناجاة النبى ﷺ - أى الإسرار إليه - لهو من أبين الأدلة على عناية الله - سبحانه وتعالى - بنبيه، بما يضمن رفع شأنه، وإظهار فضله وبيان عظيم مكانته، وما قلته ليس من باب المبالغة فى شىء، ولكن هذه فحوى ما قاله العلماء فى تفسير الآية.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى: (أمر الله عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجى رسول الله ﷺ أن يقدم بين يدى ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله؛ لأن يصلح لهذا المقام). انتهى[٣].

(٤٠) تعظيم المكان بإقامته ﷺ فيه:

قال تعالى: ﴿**لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾[٤]. فالبلد المعنية بالآية الكريم - بالاتفاق - هى مكة المكرمة، المشرفة المعظمة على سائر

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٨٥١) كتاب الحدود.

(٢) سورة المجادلة: الآية: (١٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٧).

(٤) سورة البلد: الآيتان: (١-٢).

القرى والبلدان، ولكن الله - تبارك وتعالى - لما أقسم بها، ذكر إقامة النبى ﷺ بمكة فتزداد شرفًا وعزًّا، فيزداد القسم توكيدًا، قال صاحب تفسير الزُّبَد[١] : (أى استحل منك مشركو مكة أن يؤذوك فى البلد الحرام يا محمد. وقيل: المعنى: أقسم بهذا البلد الذى أنت مقيم فيه تشريفًا لك وتعظيمًا لقدرك لأنه قد صار بإقامتك فيه عظيمًا شريفًا).

وقال صاحب المنتخب[٢]: (أقسم قسمًا مؤكدًا بمكة البلد الحرام وأنت مقيم بهذا البلد تزيده شرفًا وقدرًا).

*** بعض فوائد الآية الكريمة:**

الفائدة الأولى: شرف النبى ﷺ عند ربه - تبارك وتعالى -، فقد عظم القسم بالبلد الحرام بذكر مقام النبى ﷺ فيه.

الفائدة الثانية: تتفاضل القرى والبلاد بتفاضل من يسكنها ويعمرها، فإذا كانت مكة المكرمة التى لها من الحرمة والتعظيم والتشريف ما ليس لغيرها، قد ازدادت شرفًا ورفعة بإقامة النبى ﷺ فيها، فمن باب أولى ما دونها من البلدان. ويتفرع عليه عظيم قدر مدينة رسول الله ﷺ فى حياته ﷺ وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى؛ إذ دُفن فيها ﷺ .

(٤١) جعل صلاته واستغفاره ﷺ رحمة للمؤمنين:

عظَّم الله - تبارك وتعالى - شأن صلاة النبى ﷺ على المؤمنين، أى: دعاؤه لهم بمغفرة ذنوبهم وتخفيف فتنة القبر عليهم ودخولهم الجنة، وغير ذلك من أنواع الأدعية كثير، فجعلها الله - تبارك وتعالى - صلاة مباركة طيبة تُقبل قبولاً حسنًا، بل إن الله - تبارك وتعالى - حث المؤمنين أن يذهبوا لرسول الله ﷺ ليستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم، بل الأعظم من ذلك أن الله - تبارك وتعالى - جعل من علامات المنافقين

---

(١) تفسير الزبد.

(٢) المنتخب.

الاستكبار عن الذهاب لرسول الله ﷺ ليستغفر لهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾(١)، قال صاحب التفسير الميسر: (وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: أقبلوا تائبين معتذرين عما بدر منكم من سيئ القول وسَفَهِ الحديث يطلب لكم رسول الله من ربه أن يعفو عنكم: حَرَّكوا رءوسهم استهزاءً واستكباراً وأبصرتهم - يا محمد - يُعرضون عنك وهم مستكبرون عن الامتثال لما طُلب منهم).

* بعض فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: عمل النبى ﷺ بأمر ربه فكان يستغفر لمن كان يأتيه بالصدقات... فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن أبى أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «**اللهم صلِّ عليهم**». فأتاه أبو أوفى بصدقته، فقال: «**اللهم صلِّ على آل أبى أوفى**»(٢).

الفائدة الثانية: فى الآية دليل على تعظيم الصحابة رضي الله عنهم لدعاء النبى ﷺ وصلاته عليهم وتيقنهم أن دعاءه مقبول عند الله - تبارك وتعالى - فبدعائه ﷺ تُمحى السيئات وتُقال العثرات وتُرفع الدرجات وتُشفى الأمراض، ووجه استنباط ذلك من الآية: أن الله - تبارك وتعالى - أبلغنا أن قلوب الصحابة تطمئن بدعاء النبى ﷺ.

الفائدة الثالثة: إثبات فضيلة خاصة للصحابة رضي الله عنهم تميزوا بها دون سائر الأمة، ألا وهى استغفار النبى ﷺ لهم وصلاته عليهم، ولم يضيعوا رضي الله عنهم هذه المزية ولم يُفوتوها عليهم، فكثيراً ما كانوا يطلبون من رسول الله ﷺ الدعاء لهم ولأولادهم.

---

(١) سورة المنافقون: الآية: (٥).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٠٧٨) كتاب الزكاة.

الشاهد الثاني: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(١).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (يرشد تعالى العُصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى رسول الله ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(٢).

(٤٢) من استهزأ به ﷺ كفر:

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾(٣).

هذه الآية اختلف المفسرون في سبب نزولها، ولكن كل الأقوال تدور حول استهزاء بعض المنافقين في غزوة تبوك بالرسول ﷺ وأصحابه، حيث قال المنافقون: (ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغبَ بطونًا وأكذبَ ألسُنًا وأجبنَ عند اللقاء)، ولم يثبت في الصحاح شيء في سبب النزول، والذي يهمنا هنا ليس هو سبب النزول لكن الحكم الذي جاءت به الآية الكريمة حيث حكمت بكفر من استهزأ بشيء من الدين سواءً كان متعلقًا بالله أو بآياته أو برسوله ﷺ.

(٤٣) كماله وعصمته ﷺ:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(٤).

---

(١) سورة النساء: الآية: (٦٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٠).

(٣) سورة التوبة: الآيتان: (٦٥-٦٦).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

الشاهد فى الآية: جعل الله - عز وجل - الرسول ﷺ أسوة حسنة لنا، نقتدى به فى كل شىء، لذا نقطع أن الرسول ﷺ معصوم، وأن كل ما فعله، موافق للصواب والحكمة، ظاهرًا وباطنًا، يرضى عنه الرب - تبارك وتعالى -، ويكافئ عليه خيرًا، وإلا فكيف يأمرنا الله باتباع من يزلّ أو يخطئ، والله لا يأمر إلا بالعدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وبالقطع كان ﷺ معصومًا؛ لأن الله أمرنا باتباعه المطلق، فلو أن النبى بَدَر منه أى شىء محرم، (حاشا لله)، واتبعه أحد فى هذا الفعل المحرم امتثالاً لأمر الله - سبحانه وتعالى -، فلن يخرج أمر المتبع من حالين، إما أن يحمل وزرًا، وهذا ينافى كمال عدل الله، وإما أن يثاب وهذا ينافى بالغ حكمته - عز وجل-، فثبتت عصمته ﷺ من الصغائر والكبائر، ولا شك أن الذى ثبتت له العصمة فى كل شىء، يثبت له الكمال البشرى فى كل أحواله. . . وهذا ما أردت إثباته، فلله الحمد والمنة على عصمة نبينا ﷺ .

(٤٤) أن الله (عز وجل) غفر له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

* ومن الأدلة على شرفه ﷺ أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم يُنقل أنه أخبر أحدًا من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم؛ لأن كل واحد منهم إذا طُلبت منهم الشفاعة فى الموقف ذكر خطيئته التى أصابها وقال: «نفسى نفسى» كما ورد فى حديث الشفاعة الطويل وفيه أن الناس يذهبون إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى يطلبون الشفاعة، فكلٌّ منهم يذكر أن الله غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ثم يقول: «نفسى نفسى» ويحيلهم على غيره

(١) سورة النحل: الآية: (٩٠).

حتى يأتوا عيسى فيقول لهم: «**لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» فإذا أتوا النبى ﷺ قال: «**أنا لها أنا لها**»(١).

(٤٥) إسلام قرينه ﷺ :

عن عائشة زوج النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع فقال: «**ما لك يا عائشة أغرت**» فقلت: وما لى لا يغار مثلى على مثلك!! فقال رسول الله ﷺ : «**أقد جاءك شيطانك**» قالت: يا رسول الله أوَ معى شيطان قال: «**نعم**» قلت: ومع كل إنسان قال: «**نعم**» قلت: ومعك يا رسول الله قال: «**نعم ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم**»(٢).

الشاهد فى الحديث: قول النبى ﷺ : «**ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم**».

*** فى الحديث فوائد منها:**

١- خرَق الله - سبحانه وتعالى - العادة له بإسلام قرينه الشيطان، وما حدث ذلك إلا بإعانة الله له ﷺ .

٢- كمال عصمته ﷺ فبالإضافة إلى غسل قلبه بماء زمزم، وإخراج حظ الشيطان من قلبه، جاء إسلام قرينه، حتى تكتمل منظومة العصمة، وكان يمكن أن يموت ذلك القرين، أو لا يكون هناك قرين أصلاً، ولكن المعجزة أنه يُسْلِم ولا يموت، حتى يأمره بالخير، فهى معجزة على معجزة، وعصمة فوق عصمة. . . . جاء عند مسلم: «**إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير**»، فالقلب قد طُهر وغُسل ونُزع منه حظ الشيطان، ومُلئ

(١) أخرجه ابن حبان بسند صحيح، وقال الألبانى فى تحقيق بداية السول وهو مخرج فى ظلال الجنة وفى تخريج السنة برقم (٣٩٣) وله شاهد من حديث أبى سعيد الخدرى عند الترمذى وغيره، وحسنه وهو فى الصحيح رقم (١٥٧١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٥) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

بدلاً من ذلك إيمانًا وحكمة، والقرين قد أسلم، ويأمره بالخير، واللسان قد حُفظ فلا ينطق عن الهوى، والبصر قد شملته الرعاية الإلهية، فلا يزيغ ولا يطغى، والذِّكر قد رُفع، والذنبُ قد مُحى، مع عدم وجوده أصلاً، فله الحمد - سبحانه وتعالى - أن طهر نبينا من كل ما يسوء، ومنحه كل ما يعلو به ويرفع قدره.

٣- لطف النبى ﷺ مع زوجاته وعذره لهن على ما يجِدنَه فى نفوسهن من الغيرة الشديدة عليه، وعدم نهرهن على ذلك، لعلمه بضعف المرأة، ورحمته بهذا الضعف.

(٤٦) أمر المؤمنين بتقديمه ﷺ على أنفسهم:

قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[1].

هذه الآية الكريمة تبين بجلاء عظيمَ قدرِ النبى ﷺ، وما يستحقه من تبجيل وتوقير وطاعة من المؤمنين، لما له من فضل عليهم، وتوضح فى المقابل ما للمؤمنين من حق على النبى ﷺ؛ لأنه يجب فهم قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ من الجهتين، من جهة أن النبى ﷺ أحق بأداء ما على المؤمنين من حقوق وديون إن أعدموا، ومن جهة أنه يجب على المؤمنين أن يقدموا طاعة النبى ﷺ وحُبَّه على طاعة أنفسهم وحُبها.

(٤٧) تشريف الله تعالى له بإعطائه الكثير من أسمائه الحسنى:

إن الله تعالى خص كثيرًا من الأنبياء بكرامة خلعها عليهم من أسمائه، كتسمية إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم، وإبراهيم بحليم، ونوح بشكور، وعيسى ويحيى بِبَر، وموسى بكريم وقوى، ويوسف بحفيظ عليم، وأيوب

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦).

بصابر، وإسماعيل بصادق الوعد كما فى الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وفضَّل محمدًا ﷺ بأن حلاَّه منها فى كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة أسماء كثيرة:

* **فمن أسمائه تعالى:** الحميد ومعناه المحمود، لأن حمد نفسه وحمده عباده، ويكون أيضًا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات.

* وسمى الله تعالى النبى ﷺ محمدًا وأحمد، فمحمد بمعنى محمود، وأحمد بمعنى: أكبر من حُمِد وأجلّ من حُمِد، وأشار إلى نحو هذا حسان بقوله:

وشق له من اسمه ليجلَّه

فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

* **ومن أسمائه تعالى:** الرؤوف الرحيم، وهما بمعنى متقارب، وقد سمَّاه فى كتابه بذلك، فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

* ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق: الموجود والمتحقق أمره، وكذلك المبين أى البيِّن أمره وإلهيته، ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم. وسمى النبى ﷺ بذلك فى كتابه فقال: ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾[4]. وقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾[5] قيل: محمد وقيل القرآن، ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره، وهو بمعنى الأول... والمبين: البيِّن أمره ورسالته أو المبين

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٢) سورة الزخرف: الآية: (٢٩).

(٣) سورة الحجر: الآية: (٨٩).

(٤) سورة يونس: الآية: (١٠٨).

(٥) سورة الأنعام: الآية: (٥).

عن الله ما بعثه به كما قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[(١)].

* ومن أسمائه تعالى: النور: منور السموات والأرض بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية، وسمى الله تعالى محمدًا نورًا فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[(٢)] قيل محمد وقيل القرآن.

وقال فيه: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[(٣)] سُمِّى بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين بما جاء به.

* ومن أسمائه تعالى: الشهيد ومعناه العالم وقيل: الشاهد على عباده يوم القيامة، وسماه شهيدًا وشاهدًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾[(٤)]. وقال تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(٥)] وهو بمعنى الأول.

* ومن أسمائه تعالى: الكريم؛ ومعناه الكثير الخير، وقيل: المفضل، وقيل: العفو، وقيل: العلى. وسماه تعالى كريمًا بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[(٦)] قيل: محمد، وقيل: جبريل.... وهكذا.

(٤٨) تخصيص ملائكة سَيَّاحة فى الأرض تبلغه سلام أمته:

عن ابن مسعود ﷺ أن النبى ﷺ قال: «إن لله تعالى ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى من أمتى السلام»[(٧)].

ومثله حديث أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علىَّ إلا ردَّ الله إلىَّ روحى حتى أرد عليه السلام»[(٨)].

---

(١) سورة النحل: الآية: (٤٤).
(٢) سورة المائدة: الآية: (١٥).
(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٤٦).
(٤) سورة الفتح: الآية: (٨).
(٥) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).
(٦) سورة الحاقة: الآية: (٤٠).
(٧) صحيح: رواه أحمد والنسائى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٧٤).
(٨) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٦٦٦).

(٤٩) النبى ﷺ كليم الله:

إذا كان النبى ﷺ من عظيم فضله ورفيع قدره قد شارك إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فى منزلة الخلة، فقد شارك موسى - عليه الصلاة والسلام - فى الكلام مع ربه قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(١)، وهى منزلة عظيمة،. . . قال القرطبى - رحمه الله تعالى: (تكليمًا مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان من يقول خلق لنفسه كلامًا فى شجرة فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقى الذى يكون به المتكلم متكلمًا، وأجمع النحويون على أنك إذا أكَّدتَ الفعل بالمصدر لم يكن مجازًا). انتهى(٢).

أما كلام الله - عز وجل - مع الحبيب محمد ﷺ فقد كان ليلة الإسراء والمعراج. . . ونعلم بثبوت كلام الله لنبينا ﷺ أن الله - عز وجل - لم يخص نبيًّا من أنبيائه بفضيلة إلا كان للنبى ﷺ منها أوفرُ الحظ وأكملُه، فقد شاركهم النبى ﷺ فى كل الفضائل والشمائل - حتى المعجزات الحسية، وزاد عليهم - بفضل الله ومنته - شمائل عظيمة انفرد بها دون غيره.

(٥٠) تأييد الله تعالى له ﷺ بالمعجزات وتثبيته بالآيات:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾(٣).

وسيأتى الحديث عن المعجزات بشىء من التفصيل.

(٥١) أن معجزته ﷺ باقية:

* ومن فضله وشرفه ﷺ أن معجزة كل نبى تصرَّمت وانقضت ومعجزته ﷺ - وهى القرآن المبين - باقية إلى يوم الدين.

ففى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: «ما من الأنبياء نبى

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (١٦٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٨).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٣٣).

إلا أُعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أُوتيته وحيًا أوحاه الله إلىَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[١] .

(٥٢) تتابع الوحى عليه قبل موته ﷺ :

عن ابن شهاب قال: أخبرنى أنس بن مالك: (أن الله - عز وجل- تابع الوحى على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتى تُوفِّى وأكثر ما كان الوحى يوم تُوفِّى رسول الله ﷺ).

الشاهد فى الحديث: قول أنس بن مالك ﷺ: (حتى تُوفِّى، وأكثر ما كان الوحى يوم تُوفِّى رسول الله ﷺ).

*** بعض فوائد الحديث:**

الفائدة الأولى: بيان عظيم إكرام الله - سبحانه وتعالى - لنبيه واعتنائه به إلى يوم وفاته، ومن مظاهر هذا الإكرام كثرةُ نزول الوحى عليه قبل وفاته، حتى كان أكثر نزولاً - بالنسبة لما سلف من جميع أيام حياته - يوم وفاته ﷺ .

الفائدة الثانية: إرادة تسلية الله - عز وجل - لنبيه قبل وفاته وذلك بكثرة نزول الوحى عليه، حتى لا يجد فى قلبه ما يجده غيره يوم وفاته من قلة أهميته وهوانه وانقطاع حاجة الناس إليه. ورغبتهم فيه، فهذا كله - قطعًا - لم يحدث للنبى ﷺ إلى يوم وفاته بسبب تتابع الوحى واتصاله بالسماء.

الفائدة الثالثة: حفظ الله - سبحانه وتعالى - عقل نبيه ﷺ وقلبه إلى يوم وفاته، لأن الوحى ما كان ينزل عليه وقد ذُهل عقله أو غفل قلبه ﷺ .

الفائدة الرابعة: حثّ المؤمن على أن يكون موصولاً بالله - سبحانه وتعالى - فترة شبابه وصحته وشغله حتى يضمن أن يكون موصولاً بالله تعالى، فى حال وفاته.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٧٢٧٤) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (١٥٢) كتاب الإيمان.

(٥٣) نعيه وتوديعه ﷺ فى القرآن:

قال تعـالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾(١) .

عن ابن عباس قال: (كان عمر يُدخلنى مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَن قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رُئيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون فى قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا. فقال لى: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول)(٢) .

الشاهد فى الحديث: هو قول ابن عباس رضي الله عنهما: (﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك)، وفى رواية: (نُعيت إليه نفسه)، وهذا شرف عظيم لنبينا ﷺ أن يخبره الله بقرب أجله، وينعيه، ولا يكون ذلك إلهامًا ولا منامًا، ولكن بقرآن يُتلى إلى يوم القيامة، فى سورة كاملة، هى سورة النصر، ولن نعقل هذا الفضل والشرف، إلا إذا عقل المسلم عظيم شأن القرآن، وأنه لا ينزل إلا فى الأمور العظيمة، والأحداث الجسيمة، وكل حرف منه جاء لحكمة وبحكمة.

(٥٤) أن النبى ﷺ اختبأ دعوته شفاعة لأمته:

* ومن شرفه وفضله ﷺ إيثاره ﷺ أمته على نفسه بدعوته؛ إذ جعل الله عز وجل لكل نبى دعوة مستجابة، فكلٌ منهم تعجَّل دعوته فى

(١) سورة النصر: الآيات: (١-٣).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٤٩٧٠) كتاب تفسير القرآن.

الدنيا، واختبأ هو ﷺ دعوته شفاعةً لأمته.

ففي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«لكل نبي دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»**(١).

وقد دلَّت الأحاديث الكثيرة على رحمة النبي ﷺ بأمته، وإيثاره إياهم على نفسه، ودعائه لهم في كل مناسبة تعرض له، بل بلغ من شفقته عليهم أنه أخذه البكاء عند الدعاء لهم، كما ثبت في صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: **﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**(٢).

وقول عيسى: **﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**(٣).

فرفع يده وقال: **«أمتي أمتي»** ثم بكى فقال الله تعالى: **«يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنُرضيك في أمتك ولا نسوؤك»**(٤).

(٥٥) أن الله تعهد بحفظ كتابه:

* **ومن فضله ﷺ حفظ كتابه... كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**(٥)

وقال عن الكتب السابقة: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾(٦) فجعل حفظه إليهم فضاع.

* وتعهد كذلك بحفظ سُنته ﷺ . . والدليل على ذلك قوله (جل

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٠٤) كتاب الدعوات، ومسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٣) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(٥) سورة الحجر: الآية: (٩).

(٦) سورة المائدة: الآية: (٤٤).

وعلا): ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]..
والمعنى أن الله (عز وجل) أنزل السُّنة ليُبين النبى ﷺ بها القرآن..

فقد جاء القرآن ليأمر المسلمين بالصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من العبادات فأنزل الله السُّنة لتشرح للمسلمين تفاصيل تلك العبادات وكيف يؤدونها على الوجه الأكمل.. ولذا قال تعالى: ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[٢].

(٥٦) تثقيل موازينه ﷺ يوم القيامة:

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«من دعا إلى هـدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجـورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»**[٣].

الشاهد فى الحديث: قوله ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبـعه»**، وحيث إن الرسول هو الذى دلَّ على كل خـير، ودعا إلى كل هدى، وحذر من كل ضلالة، فإن له من الأجر الموفور يوم القيامة، مثل أجور هذه الأمـة جميـعًا، ولذلك فلا غـرابة، أن تكون له الدرجة العـالية الرفيعة فى الجنة، التى لا تنبغى إلا له ﷺ.

(٥٧) أنه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة:

* من الأدلة على شـرفه وفـضله ﷺ أنه سـاد الكل ﷺ كمـا فى حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه من قوله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخـر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شـافع، بيدى لواء الحـمد تحـته آدم فمن دونه»**[٤].

---

(١) سورة النحل: الآية: (٤٤).

(٢) سورة القيامة: الآيات: (١٦-١٩).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

(٤) **صحيح:** رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٦٨).

ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يُذكر افتخارًا في الغالب، أراد ﷺ أن يقطع وهم من توهَّم من الجهلة أنه يذكر ذلك افتخارًا فقال: «**ولا فخر**».

(٥٨) أن أمته ﷺ أمة شاهدة يوم القيامة:

* ومن فضله ﷺ أن الله عز وجل أنزل أمته منزلة العُدول من الحكام،... فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدعَى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب. فيقول: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلَّغكُم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته.. فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليهم شهيدًا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**»[١][٢]. والوسط: العدل.

(٥٩) أنه ﷺ يوم القيامة أول شافع وأول مُشفع:

* ومنها أنه ﷺ أول شافع وأول مُشفَّع... كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع**»[٣].

فهو ﷺ أول من يشفع في الخلائق يوم القيامة، كما في حديث الشفاعة حين يذهب للشفاعة يستأذن على الله فيأذن له، فإذا رأى الله تعالى خرَّ ساجدًا، فيدعه الله ما شاء ثم يقال: «**ارفع رأسك محمد قُل تُسمع وسَلْ تُعطَ، واشفع تُشفع**»[٤].

وهذه هي الشفاعة العظمى في الخلائق كلهم يوم القيامة، وهي المقام

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٣٣٩) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٠) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٩٤) كتاب الإيمان.

المحمود الذى اختص به نبـينا ﷺ فى قوله تعالى: ﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾(١) .

وعسى من الله واجب كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ولنبينا ﷺ شفاعات أخرى.

منها: شفاعته لأهل الجنة فى دخولها، فلا تُفتح لأحد قبل ﷺ .

ومنها: شفاعـته لقوم من العصاة من أمـته قد استوجـبوا النار بذنوبهم، فيشـفع لهم حتى لا يدخلوها، ومنها شفاعـته لقوم من أهل الجنة فى زيادة ثوابهم ورفعـة درجاتهم، ومنها: شـفاعتـه لأهل الكبائر من أمـته، ومنها: شفاعته فى بعض أهله الكفـار حتى يخفف عنهم عذاب النار، وهذه خاصة بأبى طالب، ففى الصحيحين عن العباس رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: ما أغنيت عن عمك وكان يـدفع عنك ويحوطك؟ قال: «**هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار**»(٢) .

(٦٠) أن الله (عز وجل) سيُدخل من أمته سبعين ألفًا بغير حساب ولا عذاب:

* ومن فضله وشرفه ﷺ أن الله عز وجل وهبه سبعين ألفًا من أمته، يدخلون الجنة بلا حـساب ولا عـذاب وجوههم مثـل القمر ليلـة البدر، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وليس هذا لأحدٍ غيره ﷺ . .

* **فـفى الصحـيحـين عن ابن عـباس رضي الله عنهما قـال:** قال رسول الله ﷺ : «**عُـرضـت علىَّ الأمم، فـرأيت النـبى ومعـه الرُّهيط(٣) والنبى ومـعـه الرجل**

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٧٩).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٨٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٩) كتاب الإيمان. ورواه أحمد عن ابن عباس وقال الألبـانى رحمه الله فى التعليق عليه: هذا الحديث نص فى أن السـبب فى التخفيف إنما هو النبى عليه السلام أى شـفاعته وليس هو عمل أبى طالب، وهذه خصـوصية للرسول ﷺ كرامة أكـرمه الله تبارك وتعالى بها، مع أن القـاعدة فى المشركين أنهم كمـا قال الله عز وجل: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ ولكن الله تعالى يختص بفضله من يشاء.

(٣) الرهط: الجماعة من الرجال دون العشرة.

والرجلان، والنبى وليس معه أحد إذ رُفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى، فقيل لى: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لى: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لى: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا فى الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئًا ـ وذكروا أشياء ـ فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذى تخوضون[1] فيه؟» فأخبروه فقال: «هم الذين لا يسترقون[2]، ولا يتطيرون [3]، ولا يكتوون [4] وعلى ربهم يتوكلون» فقام عُكَّاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم فقال: «سبقك بها عُكَّاشة»[5].

* ومن كمال رحمة النبى ﷺ بالأمة فلقد سأل الله - عز وجل- المزيد ممن يدخلون الجنة من أمته بغير حساب ولا عذاب.

قال ﷺ: «أُعطيت سبعين ألفًا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجلٍ واحدٍ فاستزدت ربى ـ عز وجل ـ فزادنى مع كل واحد سبعين ألفًا»[6].

وفى رواية قال ﷺ: «وَعدنى ربى أن يُدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بلا حساب

---

(١) تخوضون: تتناظرون وتتناقشون.

(٢) الرقية: تعويذ المريض بقراءة أذكار مشروعة عليه، والاسترقاء: طلب الرقية.

(٣) الطيرة: التشاؤم الذى يصد صاحبه عن العمل.

(٤) يكتوون: يتداوون بالكىّ.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٠٥) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

(٦) صحيح: رواه أحمد (٢٣) مسند العشرة المبشرين بالجنة، من حديث أبى بكر الصديق رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٨٤).

عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حَثَيات[١] من حثيات ربى»[٢].

(٦١) أن أمته ثلثى أهل الجنة.. وأعمالهم فى ميزانه ﷺ:

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله عز وجل يكتب لكل نبى من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها، . . . وأمته ثلثى أهل الجنة.

فقد روى أحمد ومسلم والأربعة من حديث أبى هريرة بلفظ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»[٣].

وأمته خير الأمم ﷺ، وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعارف والأحوال والأقوال والأعمال؛ ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غِبطة غَبَط بها النبى ﷺ إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسى عليه السلام، . . . وصحَّ هذا فى قصة المعراج من حديث (أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا وفيه. . . **«ثم صعد بى إلى السماء السادسة فلما خلصت، فإذا موسى، قال: (جبريل): هذا موسى فسلِّم عليه فسلمت عليه فردَّ، ثم قال مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى. قيل له ما يُبكيك؟ قال: أبكى لأن غلامًا بُعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتى»[٤].**

قال ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم»[٥].

(٦٢) أن الله (عز وجل) أعطاه نهر الكوثر:

* ومن شرفه ﷺ الكوثر الذى أعطاه الله عز وجل، وهو نهر فى

(١) حَثَيات: الحثو: الأخذ بملء الكفين.

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وأحمد، من حديث أبى أمامة ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١١١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٨٨٧) كتاب المناقب - غَبِط النبى: أى حسده حسدًا محمودًا - والحسد المحمود هو: تمنِّى مثل ما عند الغير دون تمنِّى زوال النعمة من عند الغير.

(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٢٦).

الجنة وحوض فى الموقف.

روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا فى المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**لقد أُنزلت على آنفًا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾**[1]».

ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر**»؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير، وهو حوض تَرِد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فى السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول يا رب! إنه من أمتى، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدث بعدك**»[2].

(٦٣) أنه ﷺ صاحب أعلى درجة فى الجنة (الوسيلة):

* ومن شرفه وفضله ﷺ أنه ﷺ صاحب الوسيلة، وهى أعلى درجة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وهى له ﷺ.

ففى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ فإنه من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سَلُوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لى الوسيلة حلَّت عليه الشفاعة**»[3].

* كانت هذه بعض مظاهر حب الله (جل وعلا) لنبيه ﷺ.. ولو استطردنا فى الحديث عن هذا الحب لاحتاج الأمر إلى مصنفات لا يُحصى عددها إلا الخالق (جل وعلا).

* * *

---

(١) سورة الكوثر.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٢٢١) كتاب الحج.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم

من أخلاق الرسول ﷺ

كان النبى ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان وبلاغة القول.

* وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدَّبه الله بها، . . . وكل حليم قد عُرفت منه زلة، وحُفظت عنه هفوة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا.

قالت عائشة: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[1]، وكان أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضًا.

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره. . . كان يعطى عطاء مَن لا يخاف فقرًا، قال ابن عباس: كان النبى ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان، فيُدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المُرسَلة[2].

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذى لا يُجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفرَّ عنه الكُماة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يتزحزح.

وكان أشد الناس حياء وإغضاء، . . . قال أبو سعيد الخدرى: كان أشد

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٦٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦) كتاب بدء الوحى، ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

حياء من العــذراء فى خدرها، وإذا كره شيئًا عُــرف فى وجهه[١]، وكان لا يُثبِّت نظره فى وجه أحد، خافض الطرف لا يشافه أحدًا بما يكره حياءً وكرم نفس، وكان لا يُسمى رجــلاً بلغ عنه شىء يكرهه: بل يقول، «**ما بال أقوام يصنعون كذا**»[٢].

وكان أعدل الناس، وأعفّهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك مُـحـاوروه وأعداؤه، وكـان يســمى قـبل نبوته الـصادق الأمــين، ويُتحاكم إليه فى الجاهلية قبل الإسلام.

وكان أشد الناس تواضعًا، وأبعدهم عن الكـبر، يمنع عن القيام له كما يقومـون للملوك وكان يعـود المساكـين، ويجالس الفـقراء، ويجـيب دعوة العبد، ويجلس فى أصحابه كأحدهم، . . . قالت عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعـمل بيده كمـا يعمل أحدكم فى بيـته[٣]، وكان بشرًا من البشر يفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه[٤].

كان أوفى الـناس بالعهود، وأوصـلهم للرحم، وأعظمهم شـفقـة ورأفة ورحمـة بالناس، وأحـسن الناس عِشـرة وأدبًا، وأبسط الناس خلقًا، أبـعد الناس عن سوء الأخـلاق، لم يكن فاحشًا، ولا مـتفحشًـا، ولا لعَّانًا، ولا صخَّابًا فى الأسـواق، ولا يجزى السيئـة بالسيئة، ولكن يعـفو ويصفح[٥]،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٥٦٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٢٠) كتاب الفضائل.

(٢) ورد هذا الخلق الحـميـد فى أحاديث كـثيرة، انظـر على سبيـل المثال: صـحيح البـخارى (٧٥٠)، وصحيح مسلم (٥) (١٤٠١)، وسنن أبى داود (٣٩٣٠)، وسنن ابن ماجه (٢٠١٧).

(٣) رواه أحمد، وعبد بن حميـد فى «المنتخب» (١٤٨٢)، وأبو الشيخ (ص٢١)، وأبو يعلى، وصححه ابن حبان (١٢/ ٥٦٧٦، ٥٦٧٧)، والألبانى فى «صحيح الأدب المفرد» (٤١٩).

(٤) رواه أحمد، والتـرمذى فى «الشمائل» (٣٤٢)، والبخارى فى «الأدب المفـرد» (٥٤١)، والبغوى فى «شرح السنة» (٣٦٧٦)، وصححه ابن حبان (١٢/ ٥٦٧٥)، والألبانى فى «الصحيحة» (٢/ ٦٧١).

(٥) أخرجه الترمذى، وفى «الشمائل» (٣٣٠)، وأحمد من حديث عائشة وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح» وبنحوه أخرجه البخارى (٢١٢٥)، وأحمد (٢/ ١٧٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

وكان لا يدع أحدًا يمشى خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه فى مأكل ولا ملبس، ويخدم مَن خَدَمه، ولم يقل لخادمه أُفٍّ قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تَرْكِه[١]، وكان يحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيرًا لفقره.

وعلى الجملة فقد كان النبى ﷺ مُحلًّى بصفات الكمال المنقطعة النظير، وأدَّبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنيًا عليه فقال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٢]، وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحبَّبه إلى القلوب، وصيَّره قائدًا تهوى إليه الأفئدة، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء، حتى دخلوا فى دين الله أفواجًا [٣].

وحسبُه أن الله (عز وجل) جمع له ذلك كله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

النبى ﷺ كان خُلقه القرآن

* لقد اجتمعت فى رسول الله ﷺ خصال الخير من حياءٍ وكرم وشجاعةٍ ووفاء ونجدة وشهامة وحُسن استقبال وحلم وإكرام يتيمٍ وحُسن سريرة وصدق حديث وعفة وطهارة وزكاء نفس وسائر خصال الخير.

* **قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:** «جمع النبى ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»[٤].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٧٦٨) كتاب الوصايا، ومسلم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل.

(٢) سورة القلم: الآية: (٤).

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٥٣٢ : ٥٣٧) بتصرف.

(٤) الفوائد (ص: ٧٥).

* وقد سُئلت أم المؤمنين عائشة ﵂ عن خُلُق النبى ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»[١] .

وصف موجز وبليغٌ تصف به أم المؤمنين الفقيهة العالمة رسول الله ﷺ !
وصف شامل وجامع، «كان خلقه القرآن» صلوات ربى وسلامه عليه.
خُلقه هذا القرآن الذى ﴿يَهْدِى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٢] ، و﴿يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ﴾[٣] .

* خلقه القرآن، ذلكم الكتاب الذى: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٤] .

* لقد كانت أخلاقه ﷺ عظيمة مع أصحابه وأعدائه وفى بيته وخارج بيته ومع القريب والبعيد. فكان لا يعامل الناس بأخلاقهم بل كان يتحمل سوء أخلاقهم ويعاملهم بأخلاقه هو ﷺ . . . حتى شهد له أعداؤه قبل أحبابه.

فها هو أبو سفيان ﵁ الذى كان زعيمًا للمشركين ومع ذلك فقد شهد للنبى ﷺ بُحسن الخلق قبل أن يُسلم .. بل قال له عند إسلامه: «**والله إنك لكريم، ولقد حاربتك فنعم محاربى كنت، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت، فجزاك الله خيرًا**»[٥] .

* بل لا أكون مبالغًا إذا قُلت أن أعداءه قد انبهروا بأخلاقه فكان ذلك سببًا فى اعتناقهم لهذا الدين العظيم.

فها هو ملك عُمان المعاصر لرسول الله ﷺ وهو الجُلَنْدى[٦] ؛ الذى انبهر

(١) أخرج مسلم (٧٤٦) من طريق هشام بن عامر قال: يا أم المؤمنين أنبئينى عن خُلق رسول الله ﷺ ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبى الله ﷺ كان القرآن.

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٩).

(٣) سورة الجن: الآية: (٢).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢).

(٥) أبو نعيم الأصبهانى: معرفة الصحابة (٣/ ١٥٠٩).

(٦) الجلندى: مَلِك عمان بعث إليه رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يدعوه إلى الإسلام، انظر: ابن حجر العسقلانى: الإصابة (١/ ٥٣٨) ترجمة رقم (١٢٩٨).

بأخلاقه ﷺ، فقال: «والله لقد دلّني على هـذا النبى الأُمى أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذٍ به، ولا ينهى عن شىء إلا كان أول تاركٍ له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلَب فلا يضجر، ويفى بالعهد وينجز الموعود، وأشهد أنه نبى»[١].

* وها هو المستشرق البريطانى وليم موير[٢] (١٨١٩-١٩٠٥م)، يصف حيـاته ﷺ قائلاً: «كانت السهـولة صورة من حيـاته كلها، وكان الذوق والأدب من أظهر صفاته فى معاملته لأقل تابعيه، . . . فالتواضع، والشفقة، والصبر، والإيثار، والجُود صفات ملازمة لشخصه، وجالبة لمحبة جميع مَن حوله، فلم يُعـرف عنه أنه رفض دعوة أقل الناس شـأنًا، ولا هديةً مهـما صغرت، وما كـان يتعـالى ويبرز فى مـجلسه، ولا شعـر أحد عنده أنه لا يختصُّه بإقبال وإن كان حقيرًا، وكان إذا لقى من يفرح بنجاحٍ أصابه أمسك يده وشاركه سروره، وكان مع المصاب والحزين شريكًا شديد العطف، حسن المواساة، وكان فى أوقات العسر يقتسم قُوتَهُ مع الناس، وهو دائم الاشتغال والتفكير فى راحة من حوله وهناءتهم»[٣].

* وهذا هو السر فى أن النبى ﷺ قـد اشتهر بين قومـه بأنه الصادق الأمين. . وحينما أراد المشركـون أن يفتروا على النبى ﷺ وأن يصفوه بما ليس فيه قالوا عنـه كلامًا كثيرًا كله ظُلم وبُهتـان لكن لم يستطع واحدٌ منهم بأن يصفه بأنه كذاب أو خائن.

- وليس هناك أدل على ذلك من أن الواحد منهم كان إذا أراد أن يحفظ شيئًـا ثمينًا من ممتلكاته فإنه كـان لا يجد إلا النبى ﷺ فيضـعها عنده. .

---

(١) الشفا/ للقاضى عياض (١/ ٢٤٨).

(٢) السير وليم موير (william Muir) مؤرخ ومسـتشرق إنجليزى، وكان يـبحث فى الإسلام ويدرس أخلاق نبـى الإسلام منذ بداية وجـوده فى الهند عام ١٨٣٧م، ودرس الحـقوق فى جـامعتـى أدنبره وجلاسجو ووصل إلى منصب رئيس جامعة أدنبره، وتوفى عام ١٩٠٥م.

(٣) انظر: وليم موير: حياة محمد - نقلاً عن سعيد حوى: الرسول ص١٤٧ .

لأنه يعلم أن النبى ﷺ لا يكذب ولا يخون.

ولذلك فإن النبى ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة طلب من على بن أبى طالب رضي الله عنه أن ينام مكانه ليرد تلك الأمانات لأصحابها.

* ولم يكن الأمر قاصرًا على قريش فحسب.. بل كان العرب جميعًا يشهدون للنبى ﷺ بحسن الخلق وبدعوته إلى حسن الخُلق.

فعندما عرض محمد ﷺ نفسه - مثلاً - على وفد بنى شيبان بن ثعلبة - وكان فى القوم مفروق بن عمرو، والمثنى بن حارثة، وهانئ بن قبيصة، والنعمان بن شريك - فتلا عليهم رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[1]، فقال مفروق: ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه. فتلا رسول الله ﷺ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[2]، فقال مفروق: دعوت والله يا قرشى إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، ولقد أُفِكَ[3] قومٌ كذبوك وظاهروا عليك[4].

* ولم تكن أخلاق النبى ﷺ مع قومٍ دون قومٍ بل كان حسن الخلق مع الغنى والفقير ومع السادة والعبيد.. فكان يحب المساكين ويجالس

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥١).

(٢) سورة النحل: الآية: (٩٠).

(٣) أُفِكَ قوم كذبوك: أى صُرفوا عن الحق ومُنعوا منه. انظر: ابن الأثير: النهاية فى غريب الحديث والأثر (١/ ١٣٦)، وابن منظور: لسان العرب، مادة أفك (١٠/ ٣٩٠).

(٤) انظر البيهقى: دلائل النبوة (٦٩٥)، وابن الأثير: أسد الغابة (٥/ ٢٦٤)، وأبو نعيم الأصبهانى: معرفة الصحابة (٥/ ٢٦٤٢)، وابن كثير: السيرة النبوية (٢/ ١٦٧).

الفقراء ويزور أصحابه ويُلبِّى الدعوة ويعـود المرضى ويشهد الجنائز وتسير به الأَمة فى شوارع المدينة أينما شاءت.

وبالجملة فقد كان رحيمًا بكل من حوله دائم الابتسامة متهلل الوجه كثير العفو عمَّن أساء إليه وظلمه.

* وكان النبى ﷺ يستمد أخلاقه من القرآن فقد كان النبى ﷺ قرآنًا يمشى على الأرض لذلك قالت أُمُّ المؤمنين عائشة ﵂ عندما سألها سعد بن هشام بن عامر ﵁ عن خُلُق رسول الله ﷺ : ألست تقرأ القرآن؟ قلتُ: بلى. قالت: فإن خُلق نبى الله ﷺ كان القرآن[1].

* ومع كل هذا فقد كانت أخلاقه متكافئة بحيث لا يطغى خُلق على خُلقٍ آخر فكان حياؤه مثل ورعه وكان صدقه مثل حلمه وكان صبره مثل شجاعته وكان توكله مثل إحسانه وكانت أمانته مثل كرمه وكان وفاؤه مثل رحمته.. وهكذا.

* ولو أردت أن أتكلم عن أخلاق النبى ﷺ حتى آخر لحظة من عمرى ما استطعت أن أوفيه حقه ﷺ.

وحسبُه أن الله (جل وعلا) وصفه بأعظم وصفٍ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

الله (جل وعلا) يأمر عباده بحسن الخلق

* أمر الله تعالى بحسن الخلق مع الناس كافة، ولم يستثنِ، فقال عز من قائل: **﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾**[3].

وعن على بن أبى طالب ﵁ قال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: «يعنى

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٤٦) صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) سورة القلم: الآية: (٤).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٨٣).

الناس كلهم»[١]، وعن عطاء قال: «للناس كلهم، المشرك وغيره»[٢].

فينبغى للإنسان أن يكون قوله للناس لينًا، ووجهه منبسطًا طلقًا مع البَر والفاجر، والسُّنى والمبتدع، من غير مداهنة ولا موالاة محرمة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضى مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾[٣] فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه.

* وقال طلحة بن عمر: قلت لعطاء: «إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل فىَّ حدة، فأقول لهم بعض القول الغليظ»، فقال: «لا تفعل! يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فدخل فى هذه الآية اليهود والنصارى، فكيف بالحنيفى؟»)[٤].

* وقال تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٥].

قال شيخ الإسلام: «وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به، فإذا كان البغض الذى أمر الله به قد نُهى صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف فى بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو بهوى نفس؟! فهو أحق أن لا يُظلمَ، بل يعدل عليه»[٦] ا.هـ.

* * *

(١) «شعب الإيمان» (٥/ ٢٨٨).

(٢) رواه ابن جرير فى «تفسيره» (٢/ ٢٩٦)، وابن أبى الدنيا فى «الصمت» رقم (٣٠٨).

(٣) سورة طه: الآية: (٤٤).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبى (٢/ ١٦).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٨).

(٦) «منهاج السنة» (٥/ ١٢٦).

النبى ﷺ يحض الأمة على حسن الخلق

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ صاحب الخُلق الرفيع يحض الأمة على أن تتحلى بحسن الخلق.

* **عن أبى ذر رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ : **«اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»**(١).

وقال ﷺ : **«أثقل شىء فى الميزان: الخلق الحسن»**(٢).

وقال ﷺ : **«أثقل شىء فى ميزان المؤمن خلُق حسن، إن الله يُبغض الفاحش المتفحش البذى»**(٣).

وقال ﷺ : **«أحبُّ عباد الله إلى الله أحسنهم خُلُقًا»**(٤).

وقال ﷺ : **«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فى مَنْ لا يألف ولا يؤلف»**(٥).

وقال ﷺ : **«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»**(٦).

وقال ﷺ : **«إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل، صائم النهار»**(٧).

---

(١) حسن: رواه الترمذى، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد، من حديث أبى الدرداء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٣٤).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان فى صحيحه، والبيهقى فى سننه الكبرى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٤١).

(٤) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك، والطبرانى فى الكبير، من حديث أسامة ابن شريك، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٩).

(٥) حسن: رواه الطبرانى فى الصغير، من حديث أبى سعيد، والحديث حسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٣١).

(٦) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٣٠).

(٧) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٩٥).

* **وسئل النبي ﷺ فقيل له**: يا رسول الله ما خير ما أُعطى الإنسان؟ قال: «**حسن الخلق**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله، وحسن الخلق**». وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار، فقال: «**الفم والفرج**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون(٣)، والمتشدِّقون(٤)، والمتفيهقون**». قالوا: يا رسول الله، ما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**»(٥).

وقال ﷺ: «**ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، فإن الله تعالى يُبغض الفاحش البذيَّ**»(٦).

فقه الأخلاق

يقول الشيخ الحبيب/ مصطفى العدوي - حفظه الله -:

* هذا وللأخلاق فقه كما أن للعبادات فقهًا!!

للشجاعة فقهٌ وللحياء فقهٌ وللكرم فقهٌ ولسائر الأخلاق فقه!!

فقد يظن شخصٌ أنه شجاع مغوار وهو طائش متهور!!

وقد يظن شخص أنه صادق الحديث قوالٌ بالحق وهو مغتابٌ نمام!!

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٤٣٦) كتاب الطب، وأحمد (١٧٩٨٦)، من حديث أسامة بن شريك، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٢١).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٧٧).

(٣) الثرثارون: هم الذين يكثرون الكلام تكلفًا.

(٤) التشدق: التكلم بملء الفم إظهارًا للفصاحة.

(٥) **حسن**: رواه الترمذي، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٩١).

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود، والترمذي، وأحمد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٣٢).

قد يبالغ الشخص فى اللين وخفض الجناح حتى يصل إلى الاستسلام والضعف والخور!!

والشدة فى موطن يحتاج إلى رفق تُعد نوعًا من أنواع التهور والطيش!!

والتراخى فى موطن يحتاج إلى حزم يعد نوعًا من أنواع الضعف!!

وقد يصل الكرم بالشخص أحيانًا إلى حد التبذير، ويكون الشخص فى عداد المسرفين المبذرين وهو يظن أنه من الكرماء الممدوحين!!

وقد يظن الشخص أنه ينفع أخاه بالثناء الزائد عليه وهو فى الحقيقة يقطع عنقه ويذبحه ذبحًا بغير سكين!!

ومن الناس من تكفيه الإشارة لردعه وزجره ونهيه عما هو فيه!

ومنهم من يحتاج إلى نوع من نوعى البيان، القلم أو اللسان!

ومنهم من لا يصلح معه لزجره إلا الضرب بالسياط!

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ....﴾[1].

فخصال الناس تختلف وطبائعهم تتنوع وأحوالهم لها اعتبار عند التعامل معهم، وأوضاعهم وظروفهم تحتم علينا نوعًا من التعامل يختلف من شخص إلى شخص آخر. وكى يوفق المرء فى التعامل مع الناس عليه أن يعرف الداء وأن يعرف أيضًا الدواء، عليه أن يكون مُلمًّا بأكبر قدر ممكن من الكتاب والسنة وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه، ومعاملات الرسول ﷺ والناس، ومُلمًّا أيضًا بأحوال العباد، ويُنزل الدليل من الكتاب والسنة منزلته الصحيحة، ويعطى كل واقعة ما يليق بها من المعاملة الحسنة معها، وهذا من الحكمة، ومن الحكمة أن تضع الدليل الصحيح فى موقعه الصحيح.

فكم من شخص يحمل قدرًا كبيرًا من الكتاب والسنة لكنه لا يعرف كيف ينزل هذا الدليل ولا أين يضع هذه الآية وهذا الحديث!!

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٥).

مثل ذلك كمثل صيدلى صيدليته كلها دواء، لكن قد يأتيه مريض فيعطيه دواء ليس هو بدواء ذلك الداء، فلا يبرأ المريض، بل يزداد مرضًا إلى مرضه وألمًا إلى ألمه ووجعًا إلى وجعه!

ولكن إذا صُرف الدواء بناءً على وصف طبيب فاهم فى طبه وتخصصه، بارع فى عمله أصاب الدواء الداء فشفى المريض بإذن الله.

وكذلك حامل الكتاب والسنة عليه أن يُنْزل كل دليل منزلته وكل تصرف فى موقعه... وصدق الرسول ﷺ إذ يقول: «**رب مبلِّغ يبلغه من هو أوعى له منه**»[1].

وصدق عليه الصلاة والسلام إذ يقول: «من يُرد الله به خيراً يفقهه فى الدين»[2].

وصدق الله إذ يقول: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3][4].

فوائد وثمرات حسن الخلق

والأخلاق الحسنة لها فوائد وثمرات كثيرة وسأكتفى بذكر بعضها:

- **حُسن الخلق من أفضل ما يُقرب العبد إلى الله:**

وذلك لأن الله - عز وجل - أمرنا بحسن الخلق فإذا تحلَّى العبد بحسن الخلق فقد امتثل أمر الله - جل وعلا -.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[5].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٧) كتاب العلم، ومسلم (١٦٧٩) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، من حديث أبى بكرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة، من حديث معاوية.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٦٩).

(٤) فقه الأخلاق (١/ ١٧ - ١٩).

(٥) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: «أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»(١).

• أنه طاعة لرسول الله ﷺ:

فقد قال ﷺ: «... وخالق الناس بخلق حسن»(٢).

• أنه سبب لمحو السيئات:

فقد قال ﷺ: «... وأتبع السيئة الحسنة تمحها...»(٣).

ولا شيء أفضل من حُسن الخلق.

• أنه سبب لعفو الله وجالبٌ لغفرانه:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُتى بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال: له ماذا عملت فى الدنيا؟ قال: ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ قال: يا رب آتيتنى مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خُلُقى الجواز، فكنت أتيسر على الموسر وأُنظر المُعسر. فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدى**»(٤).

• أنه سبب للفوز بمحبة الله - جل وعلا -:

وذلك لقول النبى ﷺ: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلُقًا**»(٥).

• أنه سبب للفوز بمحبة رسول الله ﷺ:

فقد قال ﷺ: «**إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»(٦).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٦٤٤) كتاب تفسير القرآن.

(٢) حسن: رواه الترمذى، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٧).

(٣) انظر السابق.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٧٧) كتاب البيوع، ومسلم (١٥٦٠) كتاب المساقاة، من حديث حذيفة.

(٥) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (٤/٤٤٣)، والطبرانى فى الكبير (٤/٤٤٣)، من حديث أسامة ابن شريك، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٩).

(٦) صحيح: رواه الترمذى، من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٦).

• أنه من خير أعمال العباد:

عن أسامة بن شريك ﷺ قال: سُئل النبى ﷺ ، فقيل له: يا رسول الله، ما خير ما أُعطِى الإنسان؟ قال: «**خلق حسن**»(١).

وقال رسول الله ﷺ : «يا أبا ذر، ألا أدلك على خصلتين، هما أخفُّ على الظَّهر، وأثقل فى الميزان من غيرهما؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «**عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذى نفس محمد بيده، ما عمل الخلائق بمثلهما**»(٢).

• أن صاحبه يوصف بالخيرية:

قال ﷺ : «إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا»(٣).

• أن حسن الخلق سبب لتعمير الديار وزيادة الأعمار:

عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ : «**صلة الرحم، وحسن الخُلق، وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن فى الأعمار**»(٤).

• صاحب الخلق الحسن يألف الناس ويألفه الناس:

فإن قلوب العباد تميل دائمًا إلى صاحب الخلق الحسن وتبغض الإنسان صاحب الخلق السىء ولذا قال ﷺ : «**المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه، وأحمد، من حديث أسامة بن شريك، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٢١).

(٢) **حسن**: رواه أبو يعلى فى مسنده (٦/٥٣)، والبيهقى فى الشعب (٤/ ٢٤٢)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٥٤٠): رواه البزار وفيه شنار بن الحكم وهو ضعيف، من حديث أنس بن مالك، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٠٤٨).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٥٥٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٢١) كتاب الفضائل، من حديث عبدالله بن عمرو.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد، من حديث عائشة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥١٩).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد من حديث أبى هريرة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٦١)، ورواه أحمد، من حديث سهل بن سعد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٢٦).

• حُسن الخلق يُصلح ما بين الإنسان وبين الناس:

قال ابن القيم - رحمه الله -: «جمع النبى ﷺ بين تقوى الله وحُسن الخلق، لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خَلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»[١].

• بالخلق الحسن يكثر الأحباب ويقل الأعداء:

قال الماوردى - رحمه الله -: «إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مُصافوه، وقل مُعادوه، فتسهلت عليه الأمور الصِّعاب، ولانت له القلوب الغضاب»[٢].

• حسن الخلق يحول العدو إلى صديق:

فقد قال - جل وعلا -: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٣].

• أنه دليل على كمال إيمان العبد:

عن أبى هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا**»[٤].

ويقول ابن القيم - يرحمه الله -: «الدين كله خلق، فمن زاد عليك فى الخلق، زاد عليك فى الدين»[٥].

• أنه سبب لتأييد الله ونصره لعباده:

فلقد وصفت خديجة بنت خويلد ؓ رسول الله ﷺ عندما أخبرها

---

(١) الفوائد (٧٥).

(٢) أدب الدنيا والدين (٢٣٧).

(٣) سورة فصلت: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود، والترمذى، وأحمد، من حديث أبى هريرة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٢٨).

(٥) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٤).

بنزول الوحى، وقال: «لقد خشيت على نفسى»، فقالت: «كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا» - ثم ذكرت سبب ذلك بقولها -: «والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»)[١].

* **قال النووى - رحمه الله -:**

«قال العلماء ﷺ: معنى كلام خديجة ﷺ أنك لا يُصيبك مكروه، لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم الشمائل، وذكرت ضروبًا[٢] من ذلك، وفى هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق، وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء»[٣].

* ووصف ابن الدَّغنة أبا بكر الصديق بمثل ما وصفت به خديجة ﷺ رسول الله ﷺ من مكارم الأخلاق.

عن عائشة ﷺ قالت: «خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة، حتى بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة - وهو سيد القارة - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟»

فقال أبو بكر: «أخرجنى قومى، فأريد أن أسيح فى الأرض، وأعبد ربى».

قال ابن الدغنة: «إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتقرى الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فأنا لك جار[٤]، ارجع واعبد ربك ببلدك» فرجع[٥].

• سبب لتحريم جسد العبد على النار:

فقد قال ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحْرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤) كتاب بدء الوحى، ومواضع، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان، من حديث عائشة.

(٢) «ضروبًا»: أنواعًا، والمفرد: ضَرْبٌ.

(٣) شرح النووى على مسلم (٢/ ٢٠٢).

(٤) جارٌ: أى مُجير، أمنع من يؤذيك.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٢٩٨) كتاب الحوالات، من حديث عائشة.

على كل قريب هينٍ سهل»(١).

• حسن الخلق أثقل شىء فى الميزان يوم القيامة:

عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من شىء أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق»(٢).

• من أسباب دخول الجنة:

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق»، وسُئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار، فقال: «الفم والفرج»(٣).

• من أسباب الارتقاء فى درجات الجنة:

فيبلغ العبد بحسن الخلق أعلى درجات الجنة مع عباد الله المخلصين الذين لا يفتُرون عن الصيام والقيام.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم»(٤).

• النبى ﷺ يضمن له بيتًا فى أعلى الجنة:

عن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم(٥) ببيت فى ربض(٦) الجنة لمن ترك المراء(٧) وإن كان مُحقًّا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك

---

(١) رواه أبو يعلى والترمذى والطبرانى وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٢٦٠٩).

(٢) رواه أبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٢/ ٥٧٢١)، و«الصحيحة» (٨٧٦).

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه، وصححه الألبانى فى «صحيح سنن الترمذى» (١٦٣٠).

(٤) رواه أبو داود وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (١٩٣٢).

(٥) زعيم: ضامنٌ.

(٦) ربض الجنة: أدناها، وربض المدينة: ما حولها، وجمع ربض: أرباضٌ.

(٧) المراء: أصله من مريت الناقة، إذا استخرجت ما فى ضرعها، وهو المنازعة فى القول والعمل بقصد الباطل، فإذا كان بقصد الحق فهو جدال.

الكذب وإن كان مازحًا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[١] .

• أن صاحبه يكون قريبًا من النبى ﷺ فى الجنة:

لقول النبى ﷺ : **«إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا...»**[٢] .

فهذه بعض الثمرات التى يجنيها العبد من وراء حسن الخلق ولو لم يكن هناك ثمرة لحسن الخلق إلا أن صاحبه يفوز بمحبة الله وصحبة رسول الله ﷺ والقرب من النبى ﷺ فى الجنة لكفى.

فأسأل الله - جل وعلا - أن يرزقنى وإياكم حسن الخلق.

صدقه ﷺ

لقد كانت حياته ﷺ أفضل مثال للإنسان الكامل الذى اتخذ من الصدق فى القول والأمانة فى المعاملة خطًا ثابتًا لا يحيد عنه قيد أنملة، وقد كان ذلك فيه بمثابة السجية والطبع فعُرف بذلك حتى قبل البعثة، وكان لذلك يُلقَّب بالصادق الأمين، واشتهر بهذا وعرف به بين أقرانه، وقد اتخذ ﷺ من الصدق الذى اشتهر به بين أهله وعشيرته مدخلاً إلى المجاهرة بالدعوة، إذ أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[٣] جمع أهله وسألهم عن مدى تصديقهم له إذا أخبرهم بأمر من الأمور، فأجابوا بما عرفوا عنه قائلين: ما جربنا عليك إلا صدقًا، . . . روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[٤] صعد النبى ﷺ على الصفا فجعل ينادى: **«يا بنى فهر، يا بنى عدى»** لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبولهب وقريش، فقال:

(١) **حسن**: رواه أبو داود، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٦).

(٣)، (٤) سورة الشعراء: الآية: (٢١٤).

«أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟». قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا قال: «فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد». فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (١)(٢).

وقد كان الصدق من خصائص أقواله ﷺ، . . . يقول صاحب «جلاء الأفهام» ما خلاصته: لقد كان ﷺ محفوظ اللسان من تحريف فى قول واسترسال فى خبر يكون إلى الكذب منسوبًا وللصدق مجانبًا. . وكانت قريش كلها تعرف عنه ذلك، ولو حفظوا عليه كذبة نادرة فى غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه فى الرسالة، ومن لزم الصدق فى صغره كان له فى الكبر ألزم، ومن عُصم منه فى حق نفسه كان فى حقوق الله أعصم.

وبعد البعثة المباركة كان تصديق الوحى له مدعاة لأن يطلق عليه أصحابه «الصادق المصدوق»، وصدق الله - عز وجل - إذ قال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٣)(٤).

مظاهر الصدق فى حياة النبى ﷺ

لقد كان النبى ﷺ أصدق الناس جميعًا فى أحواله وأقواله وأفعاله.

- فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع بعض الصور المضيئة من الصدق فى حياة النبى ﷺ.

* فقد شهدت قريش له بأنه الصادق الأمين. . والفضل ما شهدت به الأعداء.

(١) سورة المسد: الآيتان: (١، ٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤٧٧٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٠٨) كتاب الإيمان.

(٣) سورة النجم: الآيات: (٢-٤).

(٤) نضرة النعيم (٦/ ٢٤٧٥-٢٤٧٦).

* وهذا هو أبو سفيان بن حرب، وكان من ألد أعداء النبى ﷺ ، قبل إسلامه يوم الفتح، ومع هذا شهد بصدقه عندما أرسل إليه هرقل، وذهب إليه، ودعاه هو ومن معه إلى مجلسه، كان حوله عظماء الروم، ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبًا، فقال: ادنوه، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إنى سائله عن هذا الرجل، فإن كذبنى فكذبوه، فوا الله لولا الحياء من أن يأثروا علىَّ كذبًا لكذبت عليه.

ثم كان أول ما سألنى عنه: أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسبٍ.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلتُ: لا.

قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلتُ: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أفيزيدون أم ينقصون؟قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحدٌ منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلتُ: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما يقول؟ قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه فى مدة، لا ندرى ما هو فاعل فيها.

قال أبو سفيان: ولم تمكنى كلمة أدخل فيه شيئًا غير هذه الكلمة.

قال: فهل قاتلتموه؟ قلتُ: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلتُ: الحربُ بيننا وبينه سجال، ينال منا، وننال منه.

قال: فماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده لا شريك له، ولا

تشركــوا به شيئًــا، واتركوا ما يقــول آباؤكم، ويأمرنا بالصــلاة، والصدق، والعفاف، والصلة!

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث فى نسب قومها.

وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟

فذكــرت: لا، فقلــت: لو كان أحد قــال هذا القول قــبله، لقلت رجل يأتسى بقولٍ قيل قبله، وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟

فــذكــرت أنه لا.. قلت: فلو كان مــن آبائه من ملك، **قلت:** رجل يطلب مُلكَ أبيه.

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت، أن لا؛ **فقلت: أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله...**[1].

* بل لقــد روى أن رجــلاً من ســادات قــريش لقى أبا جــهل فى أحــد طرقات مكة فاســتوقفه ثم قال له: يا أبا الحكم ليس هنا غــيرى وغيرك... أنشدك بالله هل مــحمد صادق أم كــاذب؟ فأجابه أبو جهل بكل صــراحة، فقال: والله إن محمدًا صادق وما كذب قط.

قال: فما يمنعكم من اتباعه؟

فقال أبو جهل: تنافسنا نحن وبنو هاشم وتنازعنا الزعامة والفخر فأطعَموا فأطعمنا، وسقــوا فسقينا، وأجاروا فأجرنا حــتى كنا كفرسى رهان ثم زادوا علينا فــقــالوا: بُعث منا نبى فــمن أين نأتيــهم بنبى؟! والله لا نؤمن به ولا نتبعه، . وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٣٣).

فـهم يعلمـون أن مـا جاء به النبـى ﷺ هو الحق الذى لا مـراء فيـه ولكنهم قوم يستكبرون كما قال الحق -جل وعلا-: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(١).

* بل ها هى خديجة ﷺ عندما نزل الوحى لأول مرة على النبى ﷺ وجاء إليها ترتعد فرائصه وهو يقول: «زمِّلونى زمِّلونى»... وإذا بها لم تجد مـا تُهدِّئ به رَوعـه إلا أن قالـت له: «كلا والله لا يُخـزيك الله أبدًا، إنك لتـصل الرحم، وتصدق الحـديث، وتحمل الكَلّ، وتقـرى الضيف، وتعـين على نوائب الحق»(٢).

* بل ها هو النضر بن الحارث الذى كان من ألدِّ أعداء النبى ﷺ ومع ذلك فقد شهد بصدق النبى ﷺ حينمـا قام النضر خطيبًا فى سادة قريش قائلاً لهم: «يا معـشر قريشٍ، إنه والله قد نزل بكـم أمرٌ ما أتيـتُم له بحيلة بعدُ، قد كان محمدٌ فيكم غلامًا حَدَثًا(٣)، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانةً، حتى إذا رأيتم فى صُـدغيه الشيب وجـاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر. لا والله مـا هو بساحر؛ لقد رأينا السحرة ونفـثهُم وعقدهم، وقلتم: كاهن. لا والله ما هو بكاهن؛ قـد رأينا الكهنة وتَخالُجهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر. لا والله ما هو بشـاعر؛ قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلهـا؛ هزجه ورجزه، وقلتم: مجنون. لا والـله ما هو بمجنون... فانظروا فى شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيمٌ»(٤).

* وعندما جاءه وفد هوازن.. وإذا بالنبى ﷺ يغرس فى قلوبهم قيمة

(١) سورة النمل: الآية: (١٤).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٩٥٤) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

(٣) غلامًا حـدثًا: أى فَتِيُّ السن، ورجل حَدَث أى شاب، انظر: ابن منظور لسان العـرب، مادة حدث (٢/ ١٣٢).

(٤) السيرة النبوية/ لابن هشام (١/ ٢٩٩-٣٠٠).

الصدق فى أول يوم لهم فى الإسلام فقال لهم النبى ﷺ : «**أَحبُّ الحديث إلىَّ أصْدَقُه...**»(١).

* وحتى فى وقت الحرب الذى رخَّص فيه النبى ﷺ فى الكذب من أجل النجاة من شرور الأعداء.. ومع ذلك لم يقل النبى ﷺ إلا صدقًا.

- فها هو النبى ﷺ يخرج مع أبى بكر الصديق ﷺ قُبيل غزوة بدر من أجل أن يتعرف على أخبار قريش.. فلقى شيخًا من العرب فسأله النبى ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تُخبرانى ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إذا أخبرتنا أخبرناك**». قال: أذاك بذاك؟ قال: قال: «**نعم**». قال الشيخ: فإنه بلغنى أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذى أخبرنى، فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذى به رسول الله ﷺ - وبلغنى أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا. للمكان الذى فيه قريشٌ. فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نحنُ من ماءٍ**». ثم انصرف عنه، قال يقول الشيخ: ما من ماء؛ أمن ماء العراق؟(٢).

* بل حتى عند المزاح الذى يظن بعض الناس أن الكذب فيه مباح.. كان النبى ﷺ يمزح ولا يقول إلا صدقًا.

فعن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً أتى النبى ﷺ فاستحمله، فقال رسول الله ﷺ : «**إنا حاملُوك على ولد ناقة**». قال: يا رسول الله، ما أصنع بولد ناقة؟ فقال رسول الله ﷺ : «**وهلْ تلدُ الإبلَ إلا النُّوقُ؟!**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٢٣٠٧) كتاب الوكالة.

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية (٢/٣٩٦)، وابن هشام: السيرة النبوية (١/٦١٥)، والسهيلى: الروض الأنف (٥/٧٣)، وابن سيد الناس عيون الأثر (١/٣٢٩).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧١٢٨).

* وكان النبى ﷺ يحض أزواجه وأولاده وأحفاده على الصدق.

وأكبر دليل على ذلك ما رواه أبو الحوراء السعدى حيث قال: قلتُ للحسن بن على رضي الله عنه: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طُمأنينةٌ، وإن الكذب ريبةٌ»**(١).

* بل كان يحض الأمة كلها على الصدق.

قال ﷺ: **«أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق، وعفة مطعمٍ»** (٢).

* **بل ويرتقى النبى** ﷺ **بأمته إلى الجنة فيقول** ﷺ: **«إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»**(٣).

وقال ﷺ: **«اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة؛ اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا اؤتُمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»**(٤).

وقال ﷺ: **«أنا زعيم بيت فى ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه»**(٥).

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٧٨).
(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٣٣).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.
(٤) حسن: رواه أحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٧٠).
(٥) حسن: رواه أبو داود، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٤٨).

الرحمة فى حياة النبى ﷺ

ولقد كان النبى ﷺ أرحم الناس أجمعين. . وشهد له بذلك الكافر قبل المسلم فإنه لما أراد الله تعالى أن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه، ويجدد آماله، ويرثى لخطاياه، ويستميت فى هدايته، أرسل محمدًا ﷺ وسكب فى قلبه من العلم والحلم، وفى خُلُقه من الإيناس والبر، وفى طبعه من السهولة والرقة، وفى يده من السخاوة والندى، ما جعله أزكى عباد الله، وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدراً.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وقيل فى معنى هذه الآية: «حريص عليكم لا يُلقى بكم فى المهالك ولا يدفع بكم إلى المهاوى، فإذا هو كلفكم الجهاد، وركوب الصعاب فما ذلك من هوان بكم عليه ولا بقسوة فى قلبه وغلظة، إنما هى الرحمة فى صورة من صورها. الرحمة بكم من الذل والهوان والرحمة بكم من الذنب والخطيئة، والحرص عليكم أن يكون لكم شرف حَمْل الدعوة وحظّ رضوان الله، والجنة التى وُعد المتقون». اهـ.

صور من رحمته ﷺ

وها هى صور يسيرة من رحمته ﷺ . . وإن كان الحديث عن رحمة النبى ﷺ لا ينتهى أبدًا بل لا أكون مبالغًا لو قلت: إن الأعمار قد تفنى ونحن لا نستطيع أن نصف مدى رحمة النبى ﷺ بمن حوله فلقد سُكبت الرأفة والرحمة فى قلبه منذ نعومة أظفاره ﷺ .

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

* **عن أُبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال:** إن أبا هريرة كان حريصًا على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: يا رسول الله، ما أول ما رأيت في أمر النبوة؟

فاستوى رسول الله ﷺ جالسًا، وقال: «**لقد سألتَ أبا هريرة، إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشْهُر وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجلٍ: أهو هو؟ قال: نعم.**

فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إليَّ يمشيان حتى أخذ كل واحدٍ منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسًّا فقال أحدهما لصاحبه:

أضجعه. فأضجعاني بلا قصر ولا هصر[١]**. وقال أحدهما لصاحبه:**

افلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري فـفلقها، فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغل والحسد.

فأخرج شيئًا كهيئة العلقة، ثم نبذها فطرحها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذي أخرج يشبه الفضة، ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال:

اغد واسلم، فرجعت بها أغدو رقة على الصغير ورحمة للكبير»[٢].

*ولا عجب في ذلك فهو نبي الرحمة ﷺ .

فـفي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُسمي لنا نفسه أسماء، فقال:

«**أنا محمد، وأحمد، والمقفي**[٣]**، والحاشر**[٤]**، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**»[٥].

---

(١) بلا قصر ولا هصر: أي بلا عنف ولا ضغط.

(٢) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند (٢٠٧٥٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢٢): رواه عبد الله ورجاله ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٦١).

(٣) المقفي: المتبع للأنبياء.

(٤) الحاشر: أي الذي يُحشر الناسُ خلفه وعلى ملته دون ملة غيره.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٣٥٥) كتاب الفضائل.

* قال الشاعر:

فـــــآمنوا بنبى لا أبا لكم
ذى خاتم صاغه الرحمن مختوم
رأف رحيم بأهل البر يرحمهم
مقرب عند ذى الكرسى مرحوم

* لقد كان النبى ﷺ يتمنى إيصال الخير لأمته لفرط محبته لتلك الأمة مباركة.

- فها هو ﷺ يفرح بتلك الآية التى تفتح باب الأمل للمذنبين.

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ (١)» (٢).

* **وها هو ﷺ يخشى المشقة على أمته فيقول ﷺ: «لولا أن أشق على أمتى لفرضت عليهم السواك مع الوضوء ولأخرت العشاء الآخرة إلى نصف الليل»** (٣).

* **ويقول ﷺ -كما فى الصحيحين-: «إنى لأدخل فى الصلاة، وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبى، فأتجوز فى صلاتى، مما أعلم من شدة وجد أمه ببكائه»** (٤).

* **بل** وفى رحلة الإسراء والمعراج عندما فرض الله على الأمة خمسين صلاة ظل النبى ﷺ يسأل ربه جل وعلا التخفيف حتى أصبحت خمس

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) **ضعيف:** رواه أحمد، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢١٤)، رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن، وضعفه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٤٤٠٩).

(٣) **صحيح:** رواه أحمد، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣١٦).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٧٠٩) كتاب الأذان، ومسلم (٤٦٩) كتاب الصلاة.

صلوات بأجر خمسين صلاة... رحمة بتلك الأمة.

* وها هو ﷺ يحض الآباء والأمهات على تيسير الزواج للشباب والفتيات فيقول ﷺ: «**خير النكاح أيسره**»[١]، ويا لها من كلمة عظيمة تكشف عن رحمة النبى ﷺ بأمته، ورغبته فى تيسير الخير لكل شاب مسلم ولكل فتاة مسلمة، وذلك لأن المغالاة فى المهور وعدم تيسير الزواج يجلب الشقاء للأمة المسلمة ويجعل الحرام يتفشى فى المجتمع المسلم.

قال ﷺ: «**إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها**»[٢].

قال عروة رضي الله عنه: وأنا أقول من عندى: ومن أول شؤمها أن يكثر صداقها.

* بل ها هو ﷺ يختبئ دعوته شفاعة لأمته.

- **ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى** ﷺ **قال: «لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»**[٣].

- وفى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم: «**﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[٤] **وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[٥] **فرفع يديه وقال: اللهم أمتى، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد -وربك أعلم- فسله: ما يبكيك. فأتاه**

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٠٠).

(٢) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٥) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنُرضيك فى أمتك ولا نسوؤك»(١).

* بل وأخبر النبى ﷺ أمته كيف تفوز بشفاعته ﷺ.

- ففى الحديث السابق الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «... وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى وإنها نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا».

فأعظم الأسباب للفوز بشفاعة النبى ﷺ أن تبتعد عن الشرك وأن تحقق التوحيد لله - عز وجل-.

* أما السبب الثانى الذى يجعلك تفوز بشفاعته ﷺ فلقد أخبر عنه الحبيب ﷺ فقال: كما فى الحديث الذى رواه مسلم: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ؛ فإنه من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لى الوسيلة؛ فإنها منزلة فى الجنة، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة»(٢).

- وفى الحديث الذى رواه البخارى وأحمد أن النبى ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة»(٣).

- وأما عن السبب الثالث فهو أن تصلى على النبى ﷺ عشرًا حين تصبح وعشرًا حين تمسى.

قال ﷺ: «من صلى علىَّ حين يصبح عشرًا وحين يُمسى عشرًا أدركته شفاعتى يوم القيامة»(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦١٤) كتاب الأذان.

(٤) حسن: ذكره الهيثمى فى المجمع (١٠/١٦٣)، وقال رواه الطبرانى بإسنادين وإسناد أحدهما جيد رجاله وثقوا، وحسنه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٥٧).

- وأما عن السبب الرابع فهو أن يموت المسلم بالمدينة المنورة فقد قال ﷺ : «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها**»(١).

رحمته ﷺ بالأطفال

وتأمل معى أيها الأخ الحبيب إلى تلك الصور المشرقة من رحمة النبى ﷺ بالأطفال. . . وسأكتفى بذكر بعض تلك الصور المشرقة:

* **ففى الصحيحين عن أبى هريرة** رضي الله عنه **أنه قال:** قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالسًا، فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»(٢).

* **وفى الصحيحين عن عائشة** رضي الله عنها **قالت:** جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال تُقبلون الصبيان فما نُقبلهم، فقال النبى ﷺ : «**أوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة**»(٣).

* **وروى البخارى عن أسامة بن زيد** رضي الله عنهما **قال:** كان رسول الله ﷺ يأخذنى فيقُعدنى على فخذه ويُقعد الحسن بن على على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: «**اللهم ارحمهما فإنى أرحمهما**»(٤).

* **وفى الصحيحين عن أبى قتادة** رضي الله عنه **قال:** (خرج علينا النبى ﷺ وأُمامة بنت أبى العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها)(٥).

* وروى البخارى عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ وضع صبيًّا فى

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠١٥).
(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٧٣٧٦) كتاب التوحيد.
(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٩٩٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣١٧) كتاب الفضائل.
(٤) **صحيح:** رواه البخارى (٦٠٠٣) كتاب الأدب.
(٥) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥١٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٤٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

حجره يحنكه، فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه[١].

* **وروى البخارى عن أنس ﷺ أنه قال:** كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقًا، وكان لى أخ يقال له أبو عمير قال: أحسبه كان فطيمًا[٢] قال: **فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: «يا أبا عمير، ما فعل النُّغير؟»**[٣] نغر كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو فى بيتنا، فيأمر بالبساط الذى تحته فيُكنس ويُنضح، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلى بنا[٤].

وعن أنس ﷺ قال: ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ[٥].

* **وروى البخارى عن أنس بن مالك ﷺ قال:** «دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبى سيف القين[٦] وكان ظئرًا[٧] لإبراهيم عليه السلام. فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبَّله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك -وإبراهيم يجود بنفسه- فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن ابن عوف ﷺ: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يا ابن عوف إنها رحمة**». ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يُرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[٨].

* **وروى البخارى عن أسامة بن زيد ﷺ قال:** أرسلت ابنة النبى ﷺ إليه: إن ابنا لى قُبض، فأتنا. فأرسل يُقرئ السلام ويقول: «**إن لله ما أخذ**

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٦٠٠٢) كتاب الأدب.
(٢) فطيم: بمعنى مفطوم، أى انتهى إرضاعه.
(٣) النغير: طائر يشبه العصفور.
(٤) **صحيح**: رواه البخارى (٦٢٠٣) كتاب الأدب.
(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣١٦)، وأحمد (١١٦٩٢).
(٦) القين: الحداد. ويطلق على كل صانع.
(٧) ظئرًا لإبراهيم: الظئر: زوج المرضعة، وإبراهيم هو ابن النبى ﷺ.
(٨) **صحيح**: رواه البخارى (١٣٠٣) كتاب الجنائز.

وله ما أعطى، وكلٌ عنده بأجل مسمى. فلتصبر ولتحتسب». فأرسلت إليه تُقسم عليه ليأتينها. فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأُبى بن كعب وزيد ابن ثابت ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبى ونفسه تتقعقع[(١)] قال حسبته أنه قال: كأنها شن[(٢)] ففاضت عيناه. فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: «**هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[(٣)].

رحمته ﷺ بالمذنبين والمخطئين

ولقد كان النبى ﷺ فى قمة الرحمة بالمذنبين والمخطئين.

فكان يرفع عنهم الحرج ويفتح لهم باب الأمل ولا يُقنط أحدًا من رحمة الله.

ومن أمثلة ذلك ما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه فيقول: بينما نحن جلوسٌ عند النبى ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكتُ. قال: «**ما لك؟**» قال: وقعتُ على امرأتى وأنا صائمٌ. فقال رسول الله ﷺ: «**هل تجدُ رقبةً تُعتقُها؟**» قال: لا. قال: «**فهل تستطيعُ أن تصوم شهرين متتابعين؟**» قال: لا فقال: «**فهل تجدُ إطعام ستين مسكينًا؟**» قال: لا. قال: فمكث النبيُّ ﷺ فبينما نحن على ذلك أُتى النبىُّ ﷺ بعرقٍ[(٤)] فيها تمر، قال: «**أين السائلُ؟**» فقال: أنا. قال: «**خُذها فتصدق بها**». فقال الرجل: أعَلَى أفقر منى يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها[(٥)] - يريد الحرتين - أهل بيتٍ أفقر من أهل بيتى.

---

(١) تتقعقع: صوت الشىء اليابس إذا حرك.

(٢) شن: القربة القديمة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٢٨٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٣) كتاب الجنائز.

(٤) العرق: المكتل والجراب والوعاء المنسوج من الخوص، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة عرق (١٠/ ٢٤٠).

(٥) لابتيها: مثنى لابة، وهى الأرض التى بها حجارة سُود، والرجل يقصد المدينة المنورة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة لوب (١/ ٧٤٥).

فضحكَ النبيُّ ﷺ حتى بدت أنيابُهُ، ثم قال: «**أطعمهُ أهلك**»(١).

ومن القصص الواضحة فى هذا ما حدث لمعاوية بن الحكم السلمى رضي الله عنه لما جاء إلى المدينة من البادية ولم يكن يدرى عن تحريم الكلام فى الصلاة قال: بينا أنا أصلى مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرمانى القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أُمياه ما شأنكم تنظرون إلىَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتوننى لكنى سكت (أى أوشكت أن أرد عليهم لكنى تمالكت نفسى ولزمت السكوت) فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبى هو وأمى ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرنى (أى زجرنى وعبس فى وجهى) ولا ضربنى ولا شتمنى، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من كلام الناس، إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن**»(٢).

فالجاهل يحتاج إلى تعليم، وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان، والغافل يحتاج إلى تذكير، والمُصر يحتاج إلى وعظ، فلا يسوغ أن يُسوَّى بين العالم بالحكم والجاهل به فى المعاملة والإنكار، بل إن الشدة على الجاهل كثيراً ما تحمله على النفور ورفض الانقياد بخلاف ما لو علمه أولاً بالحكمة واللين؛ لأن الجاهل عند نفسه لا يرى أنه مخطئ فلسان حاله يقول لمن ينكر عليه: أفلا علمتنى قبل أن تهاجمنى.

دخل شاب إلى المسجد وجعل يتلفت يمينًا وشمالاً كأنه يبحث عن أحد.. وقعت عيناه على رسول الله ﷺ.. فأقبل يمشى إليه..

كان المتوقع أن يجلس الشاب فى الحلقة ويستمع إلى الذكر.. لكنه لم يفعل..! إنما نظر الشاب إلى رسول الله ﷺ وأصحابه حوله..

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٣٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١١١) كتاب الصيام.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

ثم قال بكل جرأة: يا رسول الله.. ائذن لى بـ.. بطلب العلم؟! لا.. لم يقلها.. ويا ليته قالها.. ائذن لى بالجهاد.. لا.. ويا ليته قالها..

أتدرى ماذا قال؟

قال: يا رسول الله.. ائذن لى بالزنا..

عجبًا !! هكذا بكل صراحة؟!!

نعم.. هكذا: ائذن لى بالزنا..

نظر النبى ﷺ إلى الشاب.. كان يستطيع أن يعظه بآيات يقرؤها عليه.. أو نصيحة مختصرة يحرك بها الإيمان فى قلبه.. لكنه ﷺ سلك أسلوبًا آخر..

قال له ﷺ بكل هدوء: «أترضاه لأمك؟».

فانتفض الشاب وقد مرَّ فى خاطره أن أمه تزنى.. فقال: لا.. لا أرضاه لأمى..

فقال له ﷺ بكل هدوء: «كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم»..

ثم فاجأه سائلاً: «أترضاه لأختك؟!».

فانتفض الشاب أخرى.. وقد تخيل أخته العفيفة تزنى.. وقال مبادرًا: لا.. لا.. لا أرضاه لأختى..

فقال ﷺ : «كذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم»..

ثم سأله: «أترضاه لعمتك؟! أترضاه لخالتك؟!».

والشاب يردد: لا.. لا..

فقال ﷺ : «فأحب للناس ما تحب لنفسك.. واكره للناس ما تكره لنفسك..».

أدرك الشاب عند ذلك أنه كان مخطئًا..

فقال بكل خضوع: يا رسول الله.. ادعُ الله أن يطهر قلبى..

فدعاه ﷺ.. فجعل الشاب يقترب.. ويقترب.. حتى جلس بين يديه.. ثم وضع يده على صدره..

وقال: «اللهم اهد قلبه.. واغفر ذنبه.. وحصِّن فرجه..»[١].

فخـرج الشاب وهو يـقول: والله لقد دخلـت على رسول الله ﷺ.. وما من شيء أحب إليَّ من الزنا.. وخرجت من عنده وما من شيء أبغض إليَّ من الزنا..[٢].

رحمة النبى ﷺ بالمشركين

بل لقد وصـلت رحمة النبى ﷺ مـبلغًا لا يخطر على قـلب بشر.. فلقد كـان ﷺ حزينًا كل الحزن لإعـراض المشركين عن نور الهـداية حتى قال له جل وعلا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَـٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٣].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: يسلى الله تعالى نبيه ﷺ فى حزنه على المشركين لتركـهم الإيمان وبُعدهم عنه ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَـٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ يقول: لا تُهلك نـفسك أسفًـا وحزنًا، أى لا تأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تُذهب نفسك عليهم حسرات[٤].

رحمته ﷺ بالحيوان

ولم تقف رحمة النبى ﷺ بالإنسان فحسب بل وصلت حتى إلى الدواب.

* فهـا هو ﷺ يحفز النفـوس للإحسان إلى الدواب من خـلال ذكر

---

(١) صحيح: أخرجـه أحمد، والطبـرانى. قال الهيثـمى : رجاله رجال الصـحيح . وأخرجـه أيضًا : الطبرانى فى الشاميين (٢/ ٣٧٣)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤/ ٣٦٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٧٠).

(٢) استمتع بحياتك / د . محمد العريفى (ص: ١٥٩-١٦٠).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٦).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٦١).

ثواب الإحسان إليهم فيقـول ﷺ كما فى الصحيحين- «فى كل ذات كبد حرى أجرٌ».

* **وقال ﷺ كـما فى الصحـيحين: «بينما كلب يطيف بركـية[1] كاد يقتله العطش، إذ رأته بغى من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقها[2] فسقته فغفر لها به»[3].**

* وفى المقابل يخبـر النبى ﷺ بعقوبة من أساء لتلك الدواب فـيقول ﷺ كما فى الصحيحين-: **«دخلت امرأة النار فى هرة ربطتهـا فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»[4].**

* وأمرنا النبى ﷺ بالإحسان إلى تـلك الدواب حتى عند ذبحها (أى عند ذبح ما أحل اللـه ذبحه وأكل لحمـه)... قال ﷺ كمـا عند مسلم: **«إن الله كتب الإحـسان على كل شىء. فإذا قـتلتم فأحسنوا الـقِـتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدَّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته»[5].**

* وتأمل معى تلك الصورة المشرقة من رحمته ﷺ بالدواب.

عن عبـد الله بن مسعـود رضي الله عنه **قال**: كنا مع رسول الله ﷺ فى سـفر، فانطلق لحاجتـه فرأينا حمرة[6] معها فـرخان فأخذنا فرخيها فـجاءت الحمرة فجعلت تفرش[7] فجاء النبى ﷺ فقال: **«من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليـها»**... ورأى قـرية نمل قد حـرقناها، فقـال: **«من حرق هذه؟»**. قلنا: نحن، قال: **«إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار»[8].**

---

(١) يطيف بركيَّة: أى يدور حول بئر.

(٢) موقها: أى خُفها.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٤٦٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٢٤٥) كتاب السلام.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٣١٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٢٤٢) كتاب السلام.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان.

(٦) الحمرة: طائر صغير يشبه العصفور.

(٧) تفرش: هو أن تفرش جناحيها وتقرب من الأرض وترفوف.

(٨) **صحيح**: رواه أبو داود، وصححه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٥).

رحمة النبى ﷺ بالحيوان[١]

ينظر الإسلام إلى الحيوان إجمالاً نظرة واقعية؛ ترتكز على أهميته فى الحياة، ونفعه للإنسان، وتعاونه معه فى عمارة الكون واستمرار الحياة، ولا أدلّ على ذلك من أن عدة سور فى القرآن الكريم وضع الله لها أسماء من أسماء الحيوان مثل: سورة البقرة، والأنعام، والنحل، وغيرها، وينص كذلك سبحانه وتعالى على تكريم الحيوان، وبيان مكانته، وتحديد موقعه إلى جانب الإنسان، فيقول تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

ومن أهم الحقوق التى أصَّلها الرسول ﷺ للحيوان عدم إيذائه.

فقد روى جابر رضي الله عنه أن النبى ﷺ مرَّ على حمار قد وُسم فى وجهه، فقال: «**لعن اللهُ الذى وسمهُ**[٣]»[٤]. وفى رواية له قال: «نهى رسُولُ الله ﷺ عن الضرب فى الوجه وعن الوسم فى الوجه»[٥]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «لعن النبىُّ ﷺ مَن مثَّل بالحيوان»[٦]. وهذا يعنى أن إيذاء الحيوان وتعذيبه وعدم الرفق به يُعتبر جريمة فى نظر الشريعة الإسلامية.

وكذلك شرع الرسول ﷺ فى تأصيله لحقوق الحيوان: تحريم حبسه وتجويعه، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ: «**عُذبت امرأةٌ فى هرةٍ؛ لم تُطعمها،**

---

(١) أسوة للعالمين / د. راغب السرجانى (ص٨٩: ٩٢).

(٢) سورة النحل: الآيات: (٥-٧).

(٣) وَسَمَه: إذا أثَّر أو علَّم فيه بكى، والوسم والسمة العلامة المميزة للشىء، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة وسم (١٢/ ٦٣٥).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢١١٧) كتاب اللباس والزينة.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢١١٦) كتاب اللباس والزينة.

(٦) **صحيح**: رواه البخارى (٥٥١٣) كتاب الذبائح والصيد.

ولم تسقها، ولم تتركها تأكلُ من خشاش الأرض»[١]. وروى سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ ببعير قد لُحق ظهرهُ ببطنه[٢]، فقال: **«اتقُوا الله فى هذه البهائم المُعجمة... فاركبوها صالحةً، وكُلُوها صالحةً»**[٣].

كما أمر الرسول ﷺ أن يُستخدم الحيوان فيما خُلق له، وحدد الغرض الرئيسى من استخدام الدواب، فقال: **«إياكُم أن تتخذوا ظُهُور دوابكُم منابر**[٤]**؛ فإن الله إنما سخرها لكُم لتُبلغكمُ إلى بلدٍ لم تكُونُوا بالغيه إلا بشق الأنفُس»**[٥].

ونهى الرسول ﷺ عن اتخـاذه غرضًا... فها هو ذا ابـن عمر رضي الله عنهما يمرُّ بفتيانٍ من قريش قد نصـبوا طيرًا وهم يرمونه، فقال لهم: لعن الله من فعل هذا؛ إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا[٦].

ومن أهم ما أصَّله النبى ﷺ من حـقوق الحيوان كـذلك ما كان من وجوب الرحـمة والرفق بـه، وقد تجسَّـد ذلك فى قول رسـول الله ﷺ: **«بينما رجل بطريق اشـتد عليه العطش فوجد بئـرًا، فنزل فيها فـشرب، ثم خرج، فـإذا كلبٌ يلهث**[٧]**، يأكل الثرى**[٨] **من العطش، فـقـال الرجل: لقـد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى. فنزل البئر، فملأ خُفَّه ماءً، ثم أمسكه**

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٢٣٦٥) كتاب المساقاة.

(٢) لحق ظهره ببطنه: أى ظهر عليه الهزال من الجـوع، انظر: العظيم آبادى: عون المعبود فى شرح سنن أبى داود (٥/ ٤٤٨).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود، وأحمد، وابن حبان، وقال الألبانى: صحيح انظر السلسلة الصحيحة (٢٣).

(٤) تتخذوا ظهور دوابكم منابر: كناية عن القيام علـيها؛ لأنهم إذا خطبوا على المنابر قاموا، والمعنى: لا تجلسوا على ظهورها فتوقفونها وتحدثون بالـبيع والشراء وغير ذلك، بل انزلوا واقضوا حاجاتكم، ثم اركبوا: انظر: العظيم آبادى: عون المعبود (٧/ ١٦٩).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود، والبيهقى، وقال الألبانى: صحيح: انظر السلسلة الصحيحة (٢٢).

(٦) **صحيح**: رواه البخارى (٥٥١٥) كتاب الذبائح والصيد.

(٧) يلهث: يرتفع نَفَـسُـه بين أضـلاعه، أو يخـرج لسـانه من شـدة العطش والحر، انـظر: ابن حجـر العسقلانى: فتح البارى (٥/ ٤١)، وابن منظور: لسان العرب، مادة لهث (٢/ ١٨٤).

(٨) الثرى: التراب الندى، وقـيل: أى يعضُّ أو يكدم الأرض الندية، انظر: ابن حجر العسـقلانى: فتح البارى (٥/ ٤١)، وابن منظور: لسان العرب مادة ثرا (١٤/ ١١٠).

بفيه فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له[1] ». قالوا: يا رسول الله، وإن لنا فى البهائم لأجرًا [2] ؟ فقال: **«فى كل ذات كبد رطبة أجر»[3]**.

ومن مظاهر شفقته ورحمته ﷺ كذلك ما يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قائلاً: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمرة[4] معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش[5]، فجاء النبى ﷺ فقال: **«من فجع هذه بولدها؟ رُدُّوا ولدها إليها»[6]**.

كما أمرنا الرسول ﷺ أن نختار للدواب المراعى الخصبة، وإن لم توجد فعلى أصحاب هذه الدواب أن ينتقلوا بها إلى مكان آخر.

يقول ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى رفيقٌ يُحبُّ الرفق، ويرضى به، ويُعينُ عليه ما لا يُعينُ على العنف، فإذا ركبتُم هذه الدواب العُجم فأنزلُوها منازلها، فإن كانت الأرضُ جدبةً فانجُوا عليها بنقْيِها [7] . . . »[8].

على أن هناك درجة أخرى أعلى من الرحمة وأثمن أوجبها النبى ﷺ فى معاملة الحيوان، وهى: الإحسان إليه واحترام مشاعره، وإن أعظم تطبيق لهذا الخُلُق حين ينهى الرسول ﷺ عن تعذيبه أثناء الذبح لأكل لحمه،

---

(1) شكر الله له فغفر له: أى تقبله الله منه وأثابه عليه بتجاوزه عن ذنوبه، وشكر الله هو الثواب على الطاعة، ولا يشكر الله سعيًا ولا عملاً إلا أثاب عليه. انظر: ابن حجر العسقلانى: فتح البارى (1/ 278).

(2) يعنون: أيكون لنا فى سقى البهائم والإحسان لها أجر؟!

(3) **صحيح:** رواه البخارى (5663) كتاب الأدب، ومسلم (2244) كتاب السلام.

(4) الحمرة: طائر صغير كالعصفور، انظر: العظيم آبادى: عون المعبود (7/ 240)، وابن منظور: لسان العرب مادة حمر (4/ 208).

(5) تُعرش أى: ترفرف، والتعريش أن ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها، انظر: العظيم آبادى: عون المعبود (7/ 240)، وابن منظور: لسان العرب، مادة عرش (6/ 313).

(6) أبو داود، والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يُخرجاه.

(7) النِّقْى: الشحم والودك، والمعنى أن ينجو عليها وهى فى عافيتها، حتى يحصل فى بلد الخصب، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة نقا (15/ 338).

(8) **صحيح:** الموطأ - رواية يحيى الليثى. . . . وقال الألبانى: صحيح انظر السلسلة الصحيحة (682).

سواء كان التعذيب جسديًّا بسوء اقتياده للذبح، أو برداءة آلة الذبح، أو كان التعذيب نفسيًّا برؤية السكين؛ ومن ثم يجمع عليه أكثر من موتة! فقد روى شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كُل شيء؛ فإذا قتلتُم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتُم فأحسنُوا الذبح، وليُحدَّ أحدُكُم شفرتهُ، وليُرح ذبيحتهُ**»[١]. كما روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أضجع شاة يُريد أن يذبحها - وهو يحدُّ شفرته - فقال النبي ﷺ: «**أتريدُ أن تُميتها موتات، هلا حددت شفرتك قبل أن تُضجعها**»[٢].

وهكذا حق للحيوان أن ينعم بالأمن والأمان، والراحة والاطمئنان في بيئة علا فيها قول رسول الله ﷺ، وطُبقت فيها أفعاله.

العدل في حياة المصطفى ﷺ

وإذا أردنا أن نتكلم عن العدل فلا نستطيع أبدًا أن ننسى أستاذ البشرية كلها الذي ربَّاه الحق - جل وعلا- وصنعه على عينه ليربي به الأمم والأجيال - بأبي هو وأمي ﷺ - وسأكتفي بذكر بعض المواقف من عدل النبي ﷺ وذلك؛ لأن الحديث عن عدل النبي ﷺ يحتاج إلى مجلدات ومع ذلك فلن نستطيع أن نوفيه حقه ﷺ.

* **قال** ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا**»[٣].

* **وها هي صورة عالية من عدل النبي** ﷺ:

فعن عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان.

(٢) صحيح: رواه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الألباني: صحيح انظر السلسلة الصحيحة (٢٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧) كتاب الإمارة.

ابن زيد حِب رسـول الله ﷺ؟ فكلمه أسامـة، فقـال رسول الله ﷺ: **«أتشفع فى حد من حدود الله تعالى؟»** ثم قام فاختطب ثم قال: **«إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»**(١).

* إن الإمام العادل يضع نُصب عينيه قَول رسول الله ﷺ وهو القدوة والأسوة: **«إنى لأرجو أن أفارقكم ولا يطلبنى أحد منكم بمظلمة ظلمته»**(٢).

وهذه صورة لعدل النبى ﷺ بين أصحابه

* لقد كان النبى ﷺ يحذر أصحابه من أن يأتى واحد منهم إلى النبى ﷺ فيتكلم كلامًا جميلاً ليأخذ حق أخيه.

* (عن أم سلمة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إنكم تختصمون إلىَّ ولعل بعضكم أن يكون ألْحَن بحجته من بعض فأقضى له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار»**)(٣).

* وكان النبى ﷺ لا يشهد على أى شىء فيه ظلم أبدًا.

* (عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير ﵄ وهو على المنبر يقول: أعطانى أبى عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى يشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتنى أن أُشهدك يا رسول الله. قال: **«أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟»**. قال: لا، قال **«فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»** قال: فرجع فرد عطيته)(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٤٧٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٨٨) كتاب الحدود.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٤٨٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٦٨٠) كتاب الشهادات، ومسلم (١٧١٣) كتاب الأقضية.

(٤) **صحيح**: رواه البخارى (٢٥٨٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

* وكان يوصى أصحابه دائمًا أن يتقوا الله فى إخوانهم ولا يظلم بعضهم بعضًا.

* **عن أبى ذر قال:** كان بينى وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فنلت منها، فذكرنى إلى النبى ﷺ فقال لى: «**أساببت فلانًا؟**» قلت: نعم. قال: «**أفَنلْت من أمه؟**» قلت: نعم. قال: «**إنك إمرؤ فيك جاهلية**». قلت: على حينِ ساعتى هذه من كبر السن. قال: «**نعم، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليُطعمه مما يأكل وليُلبسه. مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليُعنه عليه**»(١).

* بل ها هو ﷺ يقدم نفسه للقصاص.. وهو مَن هو؟

هو رسول الله ﷺ وخير خلق الله أجمعين.

فبينما كان رسول الله ﷺ يعدل صفوف جيشه، مر بسواد بن غزية، وهو خارج عن الصف فطعن فى بطنه بعود كان فى يده قائلاً: «**استو يا سواد**»، وهنا قال سواد: أوجعتنى يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق والعدل، ثم طلب من الرسول ﷺ أن يعطى القصاص من نفسه قائلاً: أقدنى، فلم يتردد ﷺ، وكشف عن بطنه ﷺ ليقتضى منه سواد قائلاً له: «**استقد**».

ولكن سوادًا بدلاً من أن يطعن فى بطن الرسول قصاصًا، أخذ يقبلها، فقال له الرسول ﷺ: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**».

قال: يا رسول الله حضر ما ترى ـ يعنى القتال ـ فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك، فدعا له الرسول ﷺ بخير.

* * *

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٦٠٥٠) كتاب الأدب.

وهذه صورة مشرقة لعدله بين أزواجه

* **عن عائشة رضي الله عنها قالت (لعروة بن الزبير)**: يا ابن أختي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم، من مكثه عندنا، وكان قلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التى هو يومها فيبيت عندها. . .»(١).

* وكان النبى ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت ـ التى النبى ﷺ فى بيتها ـ يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبى ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة ويقول: «**غارت أمكم**»، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التى هو فى بيتها فدفع الصحفة الصحيحة إلى التى كُسرت صحفتها وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت(٢).

بل هذا عدله ﷺ مع المشركين

فقبل وفاة النبى ﷺ بعامين أرسل أسامة بن زيد رضي الله عنهما على سرية خرجت للقاء بعض المشركين الذين يناوئون الإسلام والمسلمين وكانت تلك أول إمارة يتولاها أسامة.

قال أسامة رضي الله عنه: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة قال: فصبحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم. قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصارى فطعنته برمحى حتى قتلته. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبى ﷺ قال: فقال لى: «**يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**» قال: قلت: يا رسول الله إنه إنما

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٧٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

كان متعوذًا، قال: «**قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**» قال: فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم(١).

* **وفى رواية قال:** فوالذى بعثه بالحق ما زال يرددها على حتى لوددت أن ما مضى من إسلامى لم يكن، وأنى كنت أسلمت يومئذ، وأنى لم أقتله؛ قال: قلت: أنظرنى يا رسول الله، أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبدًا، قال: «**تقول بعدى يا أسامة**»، قال: قلت بعدك.

وإذا بهذا الدرس العظيم ينتفع به أسامة رضي الله عنه.

فإنه لما حدثت الفتنة بين (على) و(معاوية) رضي الله عنهما اعتزل أسامة تلك الفتنة وقال: «لا أقاتل أحدًا يقول: لا إله إلا الله».

وعن أبى مسعود الأنصارى قال: كنت أضرب مملوكًا لى فسمعت قائلاً من خلفى يقول: «**اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود**» فالتفتُّ فإذا أنا برسول الله ﷺ فقال: «**لله أقدر عليك منك عليه**» قال أبو مسعود: فما ضربت مملوكًا بعد ذلك(٢).

* وها هو ﷺ يحرص على هداية هذا الغلام اليهودى فى أثناء مرضه.

فقد روى الإمام البخارى، عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودى يخدم النبى ﷺ فمرض، فأتاه النبى ﷺ، يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «**أسلِم**». فنظر إلى أبيه، وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبى ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذى أنقذه من النار**»(٣).

* * *

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٢٦٩) كتاب المغازى، ومسلم (٩٦) كتاب الإيمان.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٦٥٩) كتاب الإيمان.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (١٣٥٦) كتاب الجنائز.

النبى ﷺ يدعو الكون كله للعدل

لقد كان النبى ﷺ يدعو الكون كله للتحلى بخلق العدل لتسود المحبة بين الناس أجمعين.

فها هو ﷺ يقول: **«إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قتلتم فأحسنوا فإن الله - عز وجل - محسنٌ يحب المحسنين»**(١).

ويخبر النبى ﷺ أن العدل صدقة تُكتب فى ميزان العبد.

قال ﷺ: **«كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: يعدل بين الناس صدقة..»**(٢).

وأخبر النبى ﷺ **أن الإمام العادل لا تُرد دعوته فقال** ﷺ: **«ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الإمام العادل...»**(٣).

بل وأخبر النبى ﷺ **أن العدل من أعظم أسباب النجاة فقال** ﷺ: **«ثلاثٌ كفارات، وثلاثٌ درجات، وثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ مهلكات... وأما المنجيات: فالعدل فى الغضب والرضا...»**(٤).

* وأخبر النبى ﷺ أن أهل العدل يكونون يوم القيامة فى ظل عرش الرحمن فقال ﷺ: **«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...»**(٥).

* بل وأخبر أن أهل العدل يكونون يوم القيامة على منابر من نور فقال

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٤٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (٥/ ٣٥٦)، رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٩٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٠٧) كتاب الصلح، ومسلم (١٠٠٩) كتاب الزكاة.

(٣) ضعيف: رواه أحمد، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (١٣٥٨).

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٤٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٤٥).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

ﷺ : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور: الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا»(١).

* بل وأخبر أنهم من أهل الجنة فقال ﷺ : «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»(٢).

ولقد أمر رسول الله ﷺ بالعدل مع عامة الناس وخاصتهم حتى الوالد فى ولده فقال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم فى العطاء»(٣).

وأمر الزوج بالعدل بين الزوجات، بل أمر الإنسان نفسه أن يعدل بين نفسه فإذا انقطعت شراك إحدى نعليه فعليه خلع الأخرى، وقال: «لينعلهما معًا أو ليحفهما معًا» (٤).

كرمه ﷺ

إن الإسلام هو دين الجود والكرم والإيثار... ولذا جاءت الآيات والأحاديث لتحض الناس على البذل والجود والكرم.. وجاء الوعد من الله ومن رسول الله ﷺ بالعوض فى الدنيا والثواب الجزيل فى الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(٧).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٥٨٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٨٥٥) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٩٧) كتاب اللباس والزينة.

(٥) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٦) سورة البقرة: الآية: (٢٧٢).

(٧) سورة البقرة: الآية: (٢٧٣).

* وعن أبى كبشة عمرو بن سعد الأنمارى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقولُ: «ثلاثةٌ أُقسمُ عليهن وأُحدثكُم حديثًا فاحفظُوه: ما نقص مالُ عبد من صدقة...» (١).

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجُلٌ آتاهُ الله مالاً، فسلطه على هلكته فى الحق، ورجُلٌ آتاه الله الحكمة، فهو يقضى بها ويُعلمُها» (٢).

معناه: ينبغى أن لا يُغبط أحدٌ إلا على إحدى هاتين الخصلتين.

* **وعنه قال:** قال رسولُ الله ﷺ: «أيُّكُم مالُ وارثه أحبُّ إليه من ماله؟» قالُوا: يا رسول الله. ما منا أحدٌ إلا مالُهُ أحبُّ إليه. قال: «فإن ماله ما قدَّم ومال وارثه ما أخَّر» (٣).

* **وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:** «اتقُوا النار ولو بشق تمرة» (٤).

وقال رسول الله ﷺ: «من تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبلُ اللهُ إلا الطيب، فإن الله يقبلُها بيمينه، ثُم يُربيها لصاحبها، كما يُربى أحدكُم فَلُوَّه

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

وقال عمر: تفقهوا قبل أن تُسوَّدوا قال أبو عبد الله وبعد أن تُسوَّدوا وقد تعلم أصحاب النبى ﷺ فى كبر سنهم.

قال الإمام النووى - رحمه الله -:

قوله ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين» قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقى ومجازى، فالحقيقى: تمنِّى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة. وأما المجازى: فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التى على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهى مستحبة. والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا فى هاتين الخصلتين وما فى معناهما.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٦٤٤٢) كتاب الرقاق.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٠٢٣) كتاب الأدب، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

حتى تكون مثل الجبل»(١).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ما من يومٍ يُصبحُ العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان، فيقولُ أحدُهُما، اللهُم أعط مُنفقًا خلفًا، ويقولُ الآخرُ: اللهُم أعطِ مُمسكًا تلفًا»(٢).

* وقال ﷺ: «صنائعُ المعروف تقى مصارع السوء، والآفات والهلكات، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة»(٣).

* وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أنظَر مُعسرًا، فله بكل يومٍ مثله صدقةٌ، قبل أن يحلَّ الدَّين، فإذا حلَّ الدَّين فأنظَره، فله بكل يومٍ مثلاه صدقة»(٤).

* ولقد كان النبى ﷺ أجود الناس وأكرم الناس حتى وصفه الحق (جل وعلا) بالكرم والجود فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾(٥).

وكانت حياته كلها تطبيقًا عمليًا لكل ما جاء فى القرآن.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجود الناس، وأجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان، فيُدارسه القرآن، فلرسولُ الله ﷺ أجود بالخير من الريح المُرسلة»(٦).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يدخر شيئًا لغدٍ»(٧).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٠) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٤) كتاب الزكاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة. ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه الحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٨٩)، والصحيحة (١٩٠٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٠١٤) كتاب الزهد والرقائق.

(٥) سورة الحاقة: الآية: (٤٠).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦) كتاب بدء الوحى، ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

(٧) صحيح: رواه الترمذى، وابن حبان، والبيهقى، والخطيب، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٨٤٦).

وكان رسـول الله ﷺ يقول: «ما يسُـرُّني أن عندى مثل أُحُـد ذهبًا، تمضى عليَّ ثلاثةٌ وعندى منهُ دينارٌ إلا شيـئًا أرصُدُهُ لدَين، إلا أن أقُول به فى عباد الله: هكذا، وهكذا، وهكذا. عن يمينه وعن شماله ومن خلفه...»(١).

ويُروى عن سهل بن سـعد ﷺ أنه قال: جاءت امرأةٌ إلى النبى ﷺ ببُردة، فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه. فأخذها النبى ﷺ محتاجًا إليها فلبـسها، فرآها عليه رجـلٌ من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه، فاكسُنيها فقال: «نعم». فلما قام النبى ﷺ لامهُ أصحابه، قالوا: ما أحسنت حـين رأيت النبى ﷺ أخذها محتاجًا إليـها ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يُسـألُ شيئًا فيمـنعه. فقال: رجوتُ بركتـها حين لبسـها النبى ﷺ لعلى أُكـفَّن فيـها... وفى رواية قال سـهل: فكانت كفنه(٢).

ومن خـلال هذا الموقف ندرك مـعنى حديث جـابر ﷺ: «ما سُـئل النبىُّ ﷺ عن شىءٍ قطُّ فقال: لا»(٣).

* وعن أنس ﷺ قال: «كان النبى ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس»(٤).

* وعن عبد اللـه بن بسر ﷺ قال: «كان للنبى ﷺ قصـعةٌ يُقال لها: الغراء، يحملها أربعة رجال»(٥).

* وعن ابن شهاب قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة ثم خرج رسُولُ الله ﷺ بمن معهُ من المُسلمين فاقتتلُوا بحُنين. فنصر الله دينهُ

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٠٧٩) كتاب الرقاق.
(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٨٩) كتاب الأدب.
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٣٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣١١) كتاب الفضائل.
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٤٠) كتاب الجهاد، ومسلم (٢٣٠٧) كتاب الفضائل.
(٥) صحيح: رواه أبو داود، وأبو الشيخ، وابن عساكر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٨٣٣).

والمسلمين. وأعطى رسُولُ الله ﷺ يومئذٍ صفوان بن أمية مائة من النعم. ثم مائة ثُم مائة.

قال ابن شهاب: حدثنى سعيد بن المُسيب؛ أن صفوان قال: والله! لقد أعطانى رسُولُ الله ﷺ ما أعطانى، وإنه لأبغضُ الناس إلىَّ. فما برح يُعطينى حتى إنه لأحب الناس إلىَّ(١).

* **وعن جابر بن عبد الله قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لو قد جاءنا مالُ البحرين لقد أعطيتُك هكذا وهكذا**» وقال بيديه جميعًا. فقُبض النبى ﷺ قبل أن يجىء مالُ البحرين. فقدم على أبى بكر بعدهُ فأمر مُناديًا فنادى: من كانت له على النبى ﷺ عِدَةٌ أو دَينٌ فليأتِ فقمتُ فقُلتُ: إن النبى ﷺ قال: «**لو قد جاءنا مالُ البحرين، أعطيتُك هكذا وهكذا وهكذا**» فحثى أبُو بكر مرة. ثُم قال لى: عُدَّها. فعددتُها فإذا هى خمسمائةٍ. فقال: خُذ مثليها(٢).

بل ها هى أمنا خديجة ﵂ تشهد لحبيب الله ﷺ فى أول البعثة عندما نزل عليه الوحى لأول مرة فعاد إليها خائفًا فقالت له بكل ثقة ويقين: «والله لا يخزيك الله أبدًا. إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم وتُعين على نوائب الحق».

فكأنها أرادت أن تقول له: كيف يُخزى الله عبدًا قد تحلَّى بتلك المكارم التى لا تجتمع أبدًا إلا فى رسول الله ﷺ.

* **وعن أنس ﵁ قال:** ما سُئل رسولُ الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجُلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلمُوا فإن مُحمدًا يُعطى عطاءً لا يخشى الفاقة، وإن كان الرجُلُ ليُسلمُ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٣) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٤) كتاب الفضائل.

ما يُريدُ إلا الدنُّيا، فما يـلبثُ إلا يسيرًا حتى يكُون الإسـلامُ أحب إليه من الدنُّيا وما عليها(١).

* **وعن عمر** رضي الله عنه **قال:** قسم رسولُ الله ﷺ قسمًا، فقُلتُ: والله! يا رسول الله لَغيـرُ هؤُلاء كانُوا أحق به منهُم؟ قال: «**إنهُم خيرُونى أن يسألُونى بالفُحش أو يُبخلُونى، فلستُ بباخلٍ**»(٢).

* وعن جُـبير بـن مُطعم رضي الله عنه أنه قال بينمـا هُو يسيـرُ مع النبى ﷺ **مَقْفَلهُ** من حُنين. فعلَقهُ الأعرابُ يسألُونهُ، حتى اضطرُّوهُ إلى سمُرةٍ فخطفت رداءهُ، فوقف النبيُّ ﷺ فـقال: «**أعطُونى ردائى، فلـو كان لـى عددُ هـذه العضَاه نَعمًا، لقسمتهُ بينكُم، ثم لا تجدُونى بخيلاً ولا كذابًا ولا جبانًا**»(٣).

* وعن عائشة رضي الله عنها أنهُم ذبحُوا شاةً، فقال النبيُّ ﷺ: «**ما بقى منها؟**» **قالت: ما بقى منها إلا كتفُها**، قال: «**بقى كُلُّها غير كتفها**»(٤).

ومعناه: تصدقُوا بها إلا كتفها فقال: بقيت لنا فى الآخرة إلا كتفها.

* كان النبى ﷺ يعلم يقينًا أن المال وسيلة وليست غـاية. فاستخدمه فى تأليف قلوب زعماء مكة كـأبى سفيان، وحكيم بن حزام، والحارث بن هشام أخـو أبى جهل، والنضيـر بن الحارث أخو النضر بن الحـارث شيطان قريش المعروف، والذى كان من ألدِّ أعداء الرسول ﷺ، ... كما أعطى زعماء القبـائل من الأعراب كعُيينة بن حصن زعـيم قبيلة بنى فزار، والأقرع ابن حابس زعيم بنى تميم(٥)؛ فكان جوده وكرمـه سببًا من أسـباب رسوخ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣١٢) كتاب الفضائل.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٥٦) كتاب الزكاة.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٢٨٢١) كتاب الجهاد.

* «مقفله» أى حال رجوعه و«السمرة»: شجرة. و«العضاه»: شجر له شوك.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٠٠٩).

(٥) انظر: ابن الأثير: أسـد الغابة (٤/ ٢٨٦)، وتفسير ابن أبـى حاتم (٦/ ١٨٢٢، ١٨٢٣)، والطبرى: تاريخ الأمم والملوك (٢/ ١٧٥)، وابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٣٦٠).

الإسلام فى قلوب هؤلاء، وغدت كلمة أنس رضي الله عنه خير دليل على حالهم: «إن كان الرجل ليُسلِم ما يريد إلا الدنيا، فما يُسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»[١].

* ولقد كان النبى ﷺ جوادًا كريمًا حتى آخر لحظة فى حياته.

وها هى صورة من كرمه يعجز القلم عن وصفها - وهو على فراش الموت-:

قالت عائشة رضي الله عنها: **اشتد** وجع رسول الله ﷺ وعنده سبعة دنانير أو تسعة، فقال: «**يا عائشةُ، ما فعلت تلك الذهبُ؟**» فقلتُ: هى عندى. قال: «**تصدقى بها**». قالت: فشُغلتُ به، ثم قال: «**يا عائشةُ، ما فعلت تلك الذهبُ؟**» فقلت: هى عندى. فقال: «**ائتنى بها**». **قالت: فجئتُ** بها، فوضعها فى كفه، ثم قال: «**ما ظن مُحمد أن لو لقى الله وهذه عندهُ؟**»[٢].

ثم ها هى أمُّ سلمة[٣] رضي الله عنها تدخل عليه فتجده ﷺ وهو ساهم الوجه، فقالت: فحسبت أن ذلك من وجعٍ، فقلت: يا رسول الله، ما لك ساهم الوجه؟ فقال: «**من أجل الدنانير السبعة التى أُتينا بها أمس، أمسينا وهى فى خُصْمِ**[٤] **الفراش**»[٥]. وفى رواية: «**أتتنا ولم نُنفقها**»[٦].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٢) كتاب الفضائل.

(٢) ابن حبان: كتاب الرقاق، وأحمد، ومصنف ابن أبى شيبة، والطبرى.

(٣) أم سلمة: هى هند بنت أبى أمية حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، القرشية، المخزومية، أم المؤمنين، انظر: ابن حجر العسقلانى: الإصابة ١٥٠ ترجمة (١١٨٤٥).

(٤) خصم الفراش: طرفه وجانبه، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة خصم (١٢/ ١٨٠).

(٥) أحمد، وابن حبان، وأبو يعلى.

(٦) أحمد، وقال شعيب الأرناوؤط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

النبى ﷺ يحمل البشرى لكل من حوله

إن الناس يحبون من يحمل لهم البشرى.

ولقد كان النبى ﷺ يحرص كل الحرص على أن يحمل البشرى للناس من حوله... فها هو يبشر خديجة رضي الله عنها ببيتٍ فى الجنة من اللؤلؤ المجوف.

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها - عز وجل - ومنِّى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب[1] لا صخب[2] فيه ولا نصب[3]»[4].

* وهو ها يبشر عائشة رضي الله عنها بالبراءة فى قصة الإفك.

* وها هو يبشر كعب بن مالك رضي الله عنه بالبراءة بعدما تخلف عن غزوة تبوك ثم نزلت توبة الله عليه بعد خمسين يومًا.

* وها هو يبشر بعض الصحابة بالجنة.

* وها هو يبشر أبا بكر رضي الله عنه بأنه يُدعَى يوم القيامة من أبواب الجنة الثمانية.

* وها هو يبشر أمته بأن من مات على التوحيد فإنه سيكون من أهل الجنة.. حتى وإن عُذِّب ببعض ذنوبه فإن مصيره فى النهاية بأن يكون فى الجنة.

* وها هو يبشر بعض أصحابه بأن الجنة تشتاق إليهم.

---

(١) من قصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف.

(٢) صخب: هو الصوت المختلط المرتفع.

(٣) نَصَب: المشقة والتعب.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

قال ﷺ: «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: عليّ وعمار وبلال»[(١)].

* بل ويبشر بلالاً بأنه سمع صوت نعليه أمامه فى الجنة.

* وهكذا كان النبى ﷺ يحرص كل الحرص على حمل البشرى لكل من حوله.

* **أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة:**

أين نحن من تلك الصفة؟..... ولماذا لا نحمل البشرى لكل من حولنا لنُدخل عليهم السعادة والسرور.

- فإن علم الواحد منا خبرًا يُدخل الفرحة والسرور على قلب أخيه فلماذا لا يبادر ويكون أول من يبشره... فهذا كله من كمال الإيمان.

- فلنحرص كل الحرص على أن نحمل البشريات الجميلة لإخواننا لتسعد قلوبهم ويكون ذلك كله فى ميزان حسناتنا.

بكاء النبى ﷺ

لقد كان النبى ﷺ كثير البكاء قريب الدمع وذلك لأنه كان رقيق القلب.

كان بكاء النبى ﷺ فى ثلاثة أحوال

ولقد كان بكاء النبى ﷺ فى ثلاثة أحوال:

(١) عند موت الأحباب.

(٢) عند هجر الأوطان.

(٣) بكاؤه من خشية الله (جل وعلا).

* * *

(١) حسن: رواه الترمذى، وأبو يعلى، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

أولا: بكاؤه عند فراق الأحباب

وُلد النبى ﷺ يتيمًا.. فقد مات أبوه وهو حَمْلٌ فى بطن أمه فإنه لما حملت به أمه خرج أبوه بعد فترة يسيرة من الحمل ليبحث عن لقمة العيش.

وذهب فى رحلة الصيف إلى الشام فمرض فى الطريق ووافته المنية فمات فى طريق العودة.

وكانت آمنة بنت وهب تنتظر زوجها عبد الله لتكتمل سعادتها ولكن سرعان ما وصل إليها خبر موته ففاضت دموعها على خديها ولم تكن تتخيل أن تفقد زوجها بهذه السرعة.

* لقد مات عبد الله بالمدينة المنورة وهو راجع وترك هذه النسمة نضرة، وكأن القدر يقول له: لقد انتهت مهمتك فى الحياة، وهذا الجنين الطاهر يتولى الله عز وجل بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

وتمر الأيام ويولد النبى ﷺ فى عام الفيل وتأخذه حليمة السعدية لتُرضعه ثم تعود بعد فترة لترده إلى أمه آمنة بنت وهب.

وفاة أمه عليه الصلاة والسلام

أخذت آمنة طفلها المبارك واحتضنته وأغدقت عليه حبًّا وحنانًا فهى تشعر أنه خير غلام أنجبته أرض العرب.

* وفى يوم من الأيام أخذته أمه لزيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار بعد أن استأذنت من جده عبد المطلب الذى كان لا يطيق فراق حفيده أبدًا.. وكان النبى ﷺ قد بلغ السادسة من عمره.

* فخرجت آمنة متجهة إلى يثرب (المدينة المنورة) ومعها ابنها المبارك ومعها أم أيمن (جارية عبد المطلب).

ولما وصلوا يثرب ورآه أخواله فرحوا به فرحًا شديدًا ولم يأذنوا لأمه بالعودة إلا بعد إلحاحٍ شديد.

* وفى طريق العودة من يثرب إلى مكة... وفى مكان بين مكة والمدينة اسمه الأبواء أحست آمنة بآلامٍ شديدة أوقفتها عن المسير... ونظر محمد ﷺ إلى أمه فإذا هى فى النزع الأخير فنزفت دموعه وهو يرى أمه تموت أمام عينيه.

وماتت أمه بالأبواء ودُفنت هناك... فنظر النبى ﷺ إلى أم أيمن وبكى وقال لها: «**يا أم أيمن أنت أمى بعد أمى**».

* وفى هذه اللحظة احتضنته أم أيمن ودموعها على خديها وعادت به إلى مكة وتوجهت به إلى بيت جده عبد المطلب الذى احتضن حفيده وبكى بعدما علم ما حدث له.

وكان عبد المطلب يخاف عليه خوفًا شديدًا فكان يوصى أم أيمن ويقول لها: لا تغفلى لحظة واحدة عن محمد ﷺ .

وفاة جده عبد المطلب

وبعد فترة يسيرة نام عبد المطلب على فراش الموت... وقد كان يتمنى أن يعيش طويلاً من أجل أن يرعى حفيده المبارك ﷺ .

ولكن جاءت اللحظة الحاسمة ومات عبد المطلب جد النبى ﷺ وكان النبى ﷺ يبلغ من العمر ثمان سنوات.

وكان عبد المطلب قد أوصى ابنه أبا طالب فى اللحظات الأخيرة أن يكفل محمدًا ﷺ ويرعاه... فلما مات عبد المطلب كفل أبو طالب النبى ﷺ وأخذه إلى بيته ليعيش مع أولاده..

* وكان عمه أبو طالب قد تكفَّل بحمايته من بطش قريش وأذاها فلطالما

دافع عنه ودفع عنه أذى المشركين.

* ولكن قريشًا أخذت تُضيق على النبى ﷺ وأصحابه حتى كتبوا تلك الصحيفة الظالمة وحبسوا النبى ﷺ وأصحابه فى شِعب أبى طالب ثلاث سنوات إلى أن سعى بعض الناس فى نقض هذه الصحيفة فرجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة.

عام الحزن

وما إن خرج النبى ﷺ وأصحابه من شِعب أبى طالب حتى تتابعت عليه المحن والأحزان... فقد مات عمه أبو طالب الذى كان يدافع عنه وينصره... ولم تكن المصيبة فى موته فحسب بل كانت المصيبة فى أنه مات كافرًا مع أن النبى ﷺ كان يتابعه بالدعوة حتى آخر لحظة فى عمره.

* وما كاد النبى ﷺ يخلع ثوب الحزن على عمه حتى فُجع بموت زوجته وشريكة عمره خديجة ﵂ التى آزرته ونصرته وبذلت نفسها ومالها لنُصرة هذا الدين... وكانت نعم الزوجة.

وكانت وفاتها فى شهر رمضان فى السنة العاشرة من النبوة، ولها خمس وستون سنة على أَشْهَرِ الأقوال، ورسول الله ﷺ إذ ذاك فى الخمسين من عمره.

وحزن النبى ﷺ لموتها حزنًا شديدًا فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التى آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نُصرة هذا الدين كل غالٍ ونفيس فلم يستطع النبى ﷺ أن ينساها أبدًا وكان يحمل لها وفاء يعجز القلم عن وصفه.

* * *

وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ

وبعد هجـرة النبى ﷺ وأصحـابه من مكة إلى المدينة تمر الأيام وتأتى غزوة بدر التى كتب الله فيها النصر للنبى ﷺ وأصحابه.

وعاد رسول الله ﷺ إلـى المدينة وهو فى غاية السعادة والسـرور لهذا النصر الذى أكرمه الله به. . . . وكان النبى ﷺ قد خلَّف عثمان بن عفان رضي الله عنه لأن زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ كانت مريضة جداًّ. . فلما عاد النبى ﷺ من غزوة بدر عَلِم أن رقية قد ماتت ودُفنت فـاحتسبها عند الله ورضى بقضاء الله (جل وعلا).

وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

فلما توفـيت رقية رضي الله عنها زوَّج النبى ﷺ عـثمان بن عفـان من ابنته أم كلثوم رضي الله عنها. . ولذلك كـان عثمان يُسـمى بذى النورين لأنه تزوج بنتين من بنات الرسول ﷺ.

وفى شهر شعبان سنة تسعٍ مـن الهجرة النبوية المباركة، شعرت أم كلثوم بقُرب لقاء الله عز وجل، وهبط عليها المرض، فأضحت طريحة الفراش.

وصعـدت روح أم كلثوم إلى ربها راضـية مرضيـة تشهد شـهادة الحق، وغسَّلتهـا أسماء بنت عُميس وصـفية بنت عبد المطـلب وأم عطية الأنصارية رضي الله عنهن وصلى عليـهـا النبى الكريم، ومن ثَم انطلقت الجنـازة إلى البقـيع، ووُضعت أم كلثوم فى قبرها [1].

ورسول الله ﷺ راضٍ بقضاء الله وقدره، صابرًا فى غير سخط، دامعًا بغير صوت، حزينًا بلا جزع، متألمًا بلا هلع، قدوة فى كل أمر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

وقد مات جميع أبناء النبى ﷺ كلهم فى حياته إلا فاطمة رضي الله عنها.

(١) نساء أهل البيت (٥٢٥، ٥٢٦) باختصار.

وفاة حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ

وفى غزوة أُحـد تجددت الأحزان فى قلب النبى ﷺ باستشهاد عـمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله ﷺ .

ويبكى النبى ﷺ لموت حمزة ويحزن عليه حزنًا شديدًا.

* بل ويحزن النبى ﷺ على كل أصحابه الذين قُتلوا يوم أُحد.

حزن النبى ﷺ على قواده الثلاثة فى سرية مؤتة

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبى ﷺ نعى زيدًا وجـعفرًا وابن رواحـة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «**أخذ الراية زيد فأُصيب ثم أخذ جعفر فأُصيب ثم أخذ ابن رواحة فـأُصيب** - وعيناه تذرفان - **حتى أخذ الراية سـيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**»[١].

حزن النبى ﷺ على جعفر رضي الله عنه

وهنا يذهب الحبـيب ﷺ إلى أسماء بنت عُمـيس رضي الله عنها ليبلغهـا خبر استـشهـاد زوجهـا.. ويا له من مـشهـد يجعل القلوب تبكى الدمـاء بدل الدموع.

عن أسماء ابنـة عُميس، قالت: لما أصـيب جعفر وأصـحابه دخل علىَّ رسـول الله ﷺ وقـد دبغت وعجنت عـجينى، وغسلت بَنـىَّ ودهنتهم ونظفتهم، قالت: فقال لى رسول الله ﷺ : «**ائتنى ببنى جعفر**».

قالت: فأتيته بهم، فشمَّهم وذرفت عيناه، فقلـت: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، ما يُبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء؟

قال: «**نعم، أُصيبوا هذا اليوم**».

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٤٢٦٢) كتاب المغازى.

قالت: فقمت أصبح، واجتمعت إليَّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله.

فقال: «**لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم**»(١).

حزن النبي ﷺ على زيد بن حارثة

وفي غزوة مؤتة كان (أسامة) يقاتل مع أبيه وتحت لوائه وكان عمره وقتها لم يبلغ الثامنة عشرة، وهناك على أرض الشرف رأى بعينيه مصرع أبيه، وقد شاط في رماح القوم فقُتل شهيدًا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما قُتل زيد بن حارثة أبطأ أسامة عن النبي ﷺ فلم يأته ثم جاءه بعد ذلك فقام بين يدي النبي ﷺ فدمعت عيناه فبكى رسول الله ﷺ فلما نزفت عبرته قال النبي ﷺ: «**لِمَ أبطأت عنا ثم جئت تُحزننا؟**» قال: فلما كان الغد جاءه فلما رآه النبي ﷺ مُقبلاً قال: «**إني للاقٍ منك اليوم ما لقيت منك أمس**» فلما دنا دمعت عينه فبكى رسول الله ﷺ(٢).

ثانيًا: بكاء النبي ﷺ عند هجر الأوطان

لما رفض أهل مكة أن يُسلموا لله (جل وعلا) أراد النبي ﷺ أن يبحث عن أرضٍ أخرى تقبل بذرة التوحيد... فخرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشيًا على قدميه من أجل أن يُبلِّغ هذه الرسالة.

فلما انتهى النبي ﷺ إلى الطائف ذهب إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم: عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٧٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (٦٦٩٨)، وقال الشيخ مصطفى العدوي: وإسناده صحيح.

يَمْرُط ثياب الكعبة (أى يمزقها) إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وَجَدَ الله أحدًا غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام! ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى أن أكلمك، فقام عنهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «**إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى**».

وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلَّمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به عبيدهم، فلما أراد الخروج تبعه عبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له صفين وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السَّفَه، ورجموا عَرَاقِيبهُ، حتى اختضب نعلاه بالدماء - فداه أبى وأمى ونفسى - وكان زيد ابن حارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى أصيب بجرح فى رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه ﷺ إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه.

وأتى رسول الله ﷺ إلى شجرة عنب فجلس تحت ظلها إلى جدار، ودعا ربه فقال: «**اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدوٍّ ملَّكته أمرى؟ إن لم يكن بك علىَّ غضبٌ فلا أبالى، ولكن عافيتك أوسعُ لى، أعوذُ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بى غضبك أو يحل علىَّ سخطك، لك العُتبى حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك**»(١).

* * *

(١) ضعيف: رواه الطبرانى فى المعجم الكبير، والضياء فى المختارة، وابن عدى، وعنه ابن عساكر، وضعفه الألبانى فى الضعيفة (٢٩٣٣).

خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة

وتمر الأيام ويشتد الإيذاء على النبى ﷺ وأصحابه فيأذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة بعد أن شعر أن أصحابه سيكونون فى أمان فى هذا المكان وذلك بعد أن بايعه أهلها بيعة العقبة الثانية.

فهاجر أصحاب الرسول ﷺ وتركوا الديار والأوطان ليفوزوا بنعمة الإسلام والتوحيد.

ثم هاجر بعدهم النبى ﷺ وهو ينظر إلى مكة ويبكى ويقول: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت».

ثالثًا: بكاء النبى ﷺ من خشية الله (جل وعلا)

لقد كان النبى ﷺ أخشى الناس لله - جل وعلا- وكان يقول عن نفسه ﷺ : **«والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتَّقى»**[١].

* **وعن أبى ذر** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«إنى أرى ما لا ترون أطَّت السماء وحُق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفُرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى»**[٢].

* **وعن عبد الله بن الشِّخِّير** رضي الله عنه **قال:** أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزير كأزيز المرجل من البكاء[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١١١٠) كتاب الصيام.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٢٢).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود، والنسائى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٠٠٠).

* **وعن عطاء قال:** دخلت أنا وعُبيد بن عُمير على عائشة ﵂ فقال عبيد ابن عمير: حدثنا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: قام ليلة من الليالى فقال: «**يا عائشة ذرينى أتعبد لربى**»، قالت: قلت: والله إنى لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلى، فلم يزل يبكى حتى بَلَّ حِجْرَه، ثم بكى فلم يزل يبكى حتى بلَّ الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة، فلما رآه يبكى، قال: يا رسول الله تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً لقد نزلت الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**»[1][2].

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال لى النبى ﷺ: «**اقرأ علىَّ**». قلت: يا رسول الله؛ أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «**نعم**». فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾**[3]. قال: «**حسبُك الآن**». فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان[4].

رفق النبى ﷺ

وإن كان حديثنا عن الحلم والرفق فلا نستطيع أن ننسى أبدًا صاحب القلب الرحيم الرفيق الذى علَّم الكون كله كيف يكون الحلم والرفق.

- وإذا أردت أن أسلط الأضواء على صور من حلم النبى ﷺ ورفقه فإننى سأحتاج إلى سرد سيرته العطرة من أولها لآخرها ولكن حسبنا أن نُلقى الضوء على بعض تلك المواقف العطرة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٩٠).

(٢) **صحيح:** رواه ابن حبان فى صحيحه (٢/ ٣٨٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٨).

(٣) سورة النساء: الآية: (٤١).

(٤) **صحيح:** رواه البخارى (٤٥٨٢) كتاب تفسير القرآن.

* **عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ** في نفر[(١)] من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلةً وكان رحيمًا رفيقًا فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: «**ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلُّوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم**» [(٢)].

* (عن عائشة رضي الله عنها أن يهود أتوا النبي ﷺ، فقالوا: السام[(٣)] عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: «**مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش**». قالت: أوَ لم تسمع ما قالوا؟! قال: «**أوَ لم تسمعي ما قُلت رددت عليهم فيُستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيَّ**»)[(٤)].

* (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًّا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله ﷺ: «**دَعُوه وأَهْرِيقوا** [(٥)] **على بوله ذَنوبًا من ماء أو سَجلاً** [(٦)] **من ماء فإنما بُعثتم مُيسرين ولم تُبعثوا مُعسرين**»)[(٧)].

* **(عن عائشةَ رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ**: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك**

---

(١) النَّفَر: جماعة من الرجال دون العشرة.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٢٨) كتاب الأذان، ومسلم (٦٧٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) السَّام: الموت.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٠٣٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام.

(٥) أهرق: أراق وأهدر.

(٦) السجل: الدلو المملوءة الكبيرة.

(٧) **صحيح:** رواه البخاري (٦١٢٨) كتاب الأدب.

الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين»[١] فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»)[٢].

* (عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلِّمنه ويستكثرنه عالية أصواتُهن فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب فأذن له رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يضحك فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب». قال عمر: فأنت يا رسول الله أحق أن يَهبن. ثم قال عمر: أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟! قلن: نعم. أنت أغلظ وأفظ[٣] من رسول الله ﷺ... قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قطُّ سالكًا فجًا[٤] إلا سلك فجًا غير فجك»)[٥].

* (عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز[٦] مما أعلم من شدة وجد[٧] أمه من بكائه»)[٨].

*(عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله - عز وجل - في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[٩].

---

(١) الأخشبين: جبلين بمكة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

(٣) الفظاظة: شدة الخلق وخشونة الجانب.

(٤) الفجّ: الطريق الواسع.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٦) التجوّز: التخفيف.

(٧) وَجْد أمه: حزنها.

(٨) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٩) كتاب الأذان، ومسلم (٤٧٠) كتاب الصلاة.

(٩) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١)، فرفع يديه وقال: «اللهم أمتى أمتى وبكى» فقال الله - عز وجل -: «يا جبريل! اذهب إلى محمد فسله ما يُبكيك؟» - وربك أعلم -. فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله: «يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل إنا سنُرضيك فى أمتك ولا نسوؤك»)(٢).

* (عن أبى هريرة ﷺ قال: قَدِمَ الطفيل بن عمرو الدوسى وأصحابه على النبى ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! إن دوسًا عصت وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس. قال: «اللهم اهد دوسًا وأت بهم»)(٣).

* (وعن عائشة ﷺ أنها قالت: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)(٤).

خوف النبى ﷺ من المظالم

إن الخوف من المظالم ملأ قلوبَ الأنبياء والصالحين رُعبًا وخوفًا من قصاص يوم القيامة.

* فها هو النبى ﷺ يطلب من أحد أصحابه أن يقتص منه خوفًا من أن يلقى الله (عز وجل) يوم القيامة بأى مظلمة.

* عن محمد بن على بن الحسين أبى جعفر الباقر: «أن النبى ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غُزية الأنصارى فقال: «يا رسول الله

---

(١) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٣٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٥٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٦٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل.

أوجعتنى، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى [١] »، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: «استقد» قال: فاعتنقه فقبَّل بطنه، فقال: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**».

قال يا رسول الله: «حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يحس جلدى جلدك... فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيرًا»[٢].

* **ولذا كان النبى ﷺ يقول: «اللهم إنى أتخذ عندك عهدًا لن تُخلفنيه؛ فإنما أنا بَشَرٌ، فأيما مؤمن آذيته، أو شتمته، أو جلدته، أو لعنته، فاجعلها له صلاةً وزكاة وقربة بها إليك يوم القيامة»**[٣].

صور من مزاح النبى ﷺ

* ولكى تكتمل الأسوة والقدوة فى النبى محمد ﷺ فلقد استوعبت أحواله كل أحوال البشر.

فلقد كانت سيرة المصطفى ﷺ أنموذجًا متكاملاً للشخصية المسلمة المثالية من جميع الجوانب والمكونات.

(فهو فى خلوته يصلى ويطيل الخشوع والبكاء؛ حتى تتورم قدماه، وهو فى الحق لا يبالى بأحد فى جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بَشَرٌ سَوِى، يحب الطيبات، ويبش ويبتسم، ويداعب، ويمزح، ولا يقول إلا حقًّا ﷺ)[٤].

* هكذا كان النبى ﷺ أكثر الناس تبسمًا وضَحكًا فى وجوه أصحابه

---

(١) أقدنى: خذ لى الحق من نفسك.

(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة (٢/ ٩٥)، وسنده حسن إلا أنه مرسل، وبسنده ما جاء عن عبد الله بن جبير الخزاعى فى مجمع الزوائد (٦/ ٢٨٩)، وقال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله ثقات على ما فى عبد الله بن جبير من ضعف كما جاء فى التهذيب (٥/ ١٦٨).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٣٦١) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٠١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) الحلال والحرام. د/ يوسف القرضاوى (ص: ٢٧٢).

وتَعَجُّبًا مما تحدثوا به وخلطًا لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نَواجذه[1].

بل وفى الصحيحين من حديث جرير من حديث عليّ: يضحك مما تضحكون منه، ويتعجب مما تعجبون منه، . . . ومسلم من حديث جابر بن سَمُرة: كانوا يتحدثون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم[2].

وتأمل معى ما قاله هذا الصحابى الجليل:

ففى الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجليّ رضي الله عنه أنه قال: ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآنى إلا تبسَّم فى وجهى ولقد شكوت إليه أني لا أثبُتُ على الخيل، فضرب بيده فى صدرى وقال: **«اللهم ثبِّته واجعلهُ هاديًا مهديًّا»**[3].

* **رُوى أن امرأة عجوزاً جاءته تقول:** يا رسول الله: ادع الله لى أن يُدخلنى الجنة، فقال لها: **«يا أم فلان! إن الجنة لا يدخلها عجوز»**[4].

وانزعجت المرأة وبكت، ظَنًّا منها أنها لن تدخل الجنة، فلما رأى ذلك منها بيَّن لها غرضه: أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزًا، بل يُنشئها الله خلقًا آخر، فتدخلها شابة بكرًا، . . . وتلا عليها قول الله تعالى: **﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾**[5].

* وعن أنس أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ - أى طلب منه دابة يحمله عليها- فقال: **«أنا حاملك على ولد ناقة»** فقال: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ : **«وهل تلد الإبل إلا النُّوق؟»**[6].

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى فى الشمائل، وصححه الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (ح ١٩٤).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٦٧٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٠٣٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) **صحيح:** أخرجه الترمذى فى الشمائل (ص: ١٩٧)، والبيهقى فى البعث (٣٨٢)، والبغوى فى الأنوار (١/ ٢٥٨/ ٢٢٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٩٨٧).

(٥) سورة الواقعة: الآيات: (٣٥-٣٧).

(٦) **صحيح:** رواه أبو داود، والترمذى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى التعليق على المشكاة (٤٨٨٦)، ومختصر الشمائل (٢٠٣).

* **وعن أبى هريرة قال:** قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا، قال: «**إنى لا أقول إلا حقًّا**»(١).

* **وعن أنس بن مالك قال:** كان ابن لأم سليم يقال له: أبو عمير، كان النبى ﷺ ربما مازحه إذا جاء، فدخل يومًا يمازحه، فوجده حزينًا، فقال: «**ما لى أرى أبا عمير حزينًا؟**» فقالوا: يا رسول الله، مات نغره الذى كان يلعب به، فجعل يناديه ﷺ: «**يا أبا عمير! ما فعل النغير؟**»(٢).

* **وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه:** زاهر بن حرام، قال: وكان النبى ﷺ يحبه وكان دميمًا، فأتاه النبى ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر، فقال: أرسلنى، من هذا؟ فالتفت فعرف النبى ﷺ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبى ﷺ حين عرفه، وجعل النبى ﷺ يقول: «**من يشترى العبد؟**»، فقال: يا رسول الله إذًا والله تجدنى كاسدًا(٣)، فقال النبى ﷺ: «**ولكن عند الله لست بكاسد- أو قال: لكن عند الله غال**»(٤).

وها هو موقف آخرٌ يوضح لنا كيف كان النبى ﷺ سهلاً لينًا، لا تفارقه البسمة لكنه كان يضعها فى موضعها.

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عاليةً أصواتُهن على صوت النبى ﷺ، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، فأذن له النبى ﷺ، فدخل والنبى ﷺ يضحك،

(١) حسن: رواه الترمذى، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٢٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٠٣) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٥٠) كتاب الأدب.

(٣) كاسدًا: من الكساد وهو العطل والبوار.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد، والتِّرمِذى فى الشَّمائل، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (٢٠٤).

فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله، بأبى أنت وأمى. فقال ﷺ: «**عجبتُ من هؤلاء اللاتى كُن عندى، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب**(١)».

فقال: أنت أحقُّ أن يهبن يا رسول الله. ثم أقبل عليهن فقال: يا عَدوَّات أنفسهن، أتهبننى ولم تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: إنك أفظُّ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «**إيه يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا**(٢) **إلا سلك فجًا غير فجك**»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت**: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر، وفى سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية السِّتر من بنات لعائشة لُعَب، فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**»، قالت: بناتى. ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع، فقال: «**ما هذا الذى أرى وسطهن؟**». قالت: فرس. قال: «**وما هذا الذى عليه؟**»، قالت: جناحان. قال: «**فرس له جناحان؟!**»، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه(٤).

بل وصل الأمر إلى درجة رفيعة من الحِلم والتواضع حتى إن النبى ﷺ كان يسابق أمَّنا عائشة رضي الله عنها لتعلم يقينًا أن النبى ﷺ لن يحرمها من اللطف والعطف والرعاية فهى صفات راسخة فى قلب الحبيب ﷺ الذى ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.

عن عائشة رضي الله عنها **قالت**: كنت مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وكنت جارية، لم أحمل اللحم ولم أبدن.

---

(١) تبادرن الحجاب: أى: اختبأن وراء الستارة.

(٢) فجًا: الفج: هو الطريق الواسع.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود، والنَّسائى فى الكبرى تحفة الأشراف (١٢/ ١٧٧٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله على المشكاة (٣٢٦٥).

فقال رسول الله ﷺ للناس: «تقدموا، تقدموا» فتقدموا، ثم قال: «يا عائشة تعالى حتى أسابقك» فسابقته فسبقته، فسكت، حتى إذا حملت اللحم ونسيت خرجت معه فى بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لى: «تعالى أسابقك»، فسابقته فسبقنى، فجعل يضحك ويقول: «هذه بتلك»(١).

النبى ﷺ ونعمة الرضا

كان رضا رسول الله ﷺ عن ربه فوق ما يصفه الواصفون، فهو راضٍ فى الغنى والفقر، راضٍ فى السلم والحرب، راض وقت القوة والضعف، راضٍ وقت الصحة والسقم، راض فى الشدة والرخاء.

عاش ﷺ مرارة اليُتم، وأسى اليُتم، ولوعة اليتم فكان راضيًا، وافتقر ﷺ حتى ما يجد دقل التمر، وكان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، ويقترض شعيرًا من يهودى ويرهن درعه عنده، وينام على الحصير فيؤثر فى جنبه، وتمر ثلاثة أيام لا يجد شيئًا يأكله، ومع ذلك كان راضيًا عن الله رب العالمين: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾(٢).

ورضى عن ربه وقت المجابهة الأولى، يوم وقف هو فى حزب الله، ووقفت الدنيا - كل الدنيا - تحاربه بخيلها ورجلها، بغناها وبزخرفها، بزهوها وبخيلائها، فكان راضيًا عن الله. رضى عن الله فى الفترة الحرجة، يوم مات عمه وزوجته خديجة، وأوذى أشد الأذى، وكُذِّب أشد التكذيب، وخُدشت كرامته، ورُمى فى صدقه، فقيل له: كذاب وساحر، وكاهن ومجنون وشاعر.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣١).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (١٠).

ورضى يوم طُرد من بلده ومسقط رأسه التى فيها مراتع صباه وملاعب طفولته وأفانين شبابه، فيلتفت إلى مكة وتسيل دموعه، ويقول: «**إنك أحب بلاد الله إلىّ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت**»(١).

ورضى عن الله وهو يذهب إلى الطائف ليعرض دعوته، فيواجَه بأقبح رد، وبأسوأ استقبال، ويُرمى بالحجارة، حتى تسيل قدماه، فيرضى عن مولاه.

ويرضى عن الله وهو يخرج من مكة مُرغمًا، فيسير إلى المدينة ويطارَد بالخيل، وتوضع العراقيل فى طريقه أينما ذهب.

يرضى عن ربه فى كل موطن، وفى كل مكان وفى كل زمان.

يحضر أُحدًا ﷺ فيُشج رأسه، وتكسر ثنيته، ويُقتل عمه ويُذبح أصحابه، ويُغلب جيشه، فيقول: «**صُفُّوا ورائى لأثنى على ربى**».

يرضى عن ربه وقد ظهر حلف كافر ضده من المنافقين واليهود والمشركين، فيقف صامدًا متوكلاً على الله، مفوضًا الأمر إليه.

وجزاء هذا الرضا منه ﷺ: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾(٢)(٣).

النبى ﷺ يعلم الأمة الرضا بقضاء الله (جل وعلا)

وها هو ﷺ يعلم الأمة الرضا بقضاء الله -جل وعلا- بل ويبدأ هو بنفسه ﷺ . . . فعند موت ابنه إبراهيم - عليه السلام- قال ﷺ: «**إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(٤).

* **وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٢٧٢٤).

(٢) سورة الضحى: الآية: (٥).

(٣) لا تحزن (ص: ٤٥١ - ٤٥٣).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٣٠٣) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٣١٥) كتاب الفضائل.

العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدى؟ فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدى؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسموه بيت الحمد»(١).

* وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»(٢).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»(٣).

صور من تواضع النبى ﷺ

هذا هو سيد المتواضعين الذى رسم على جبين الزمان صورة حية من التواضع ليتعلم منه الكون كله كيف يكون التواضع الحقيقى.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة لو شئت لسارت معى جبال الذهب، جاءنى ملك إن حُجزته لتساوى الكعبة، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت نبيًا عبداً، وإن شئت نبيًا مَلكًا. فنظرت إلى جبريل عليه السلام، فأشار إلىّ أن ضع نفسك، فقلت: نبيًا عبدًا»(٤).

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «آكُلُ كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»(٥).

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حدث: أن رسول الله ﷺ ذُكر له

(١) حسن: رواه الترمذى، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٠٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٢٤) كتاب الرقاق.

(٤) ذكره العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٢٠٤٥) وقال: والحديث صحيح دون جملة الحجزة وبلفظ: بل عبداً رسولاً، انظر الصحيحة (١٠٠٢).

(٥) صحيح: رواه أبو يعلى فى مسنده (١٠/ ٤١٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٤٤).

صومى، فدخل علىَّ، فألقيت له وسادة من أدم، حشوها ليف، فجلس على الأرض، وصارت الوسادة بينى وبينه.......»(١).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن جدته مُليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته فأكل منه ثم قال: «**قومى فأصلى لكم**» قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسودَّ من طول ما لُبس فنضحته بماء فقام عليه رسول الله ﷺ وصففت أنا واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف(٢).

* **وعن أبى رفاعة تميم بن أسيد** رضي الله عنه **قال:** انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقلت: يا سول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه؟ فأقبل علىَّ رسول الله وترك خطبته حتى انتهى إلىَّ، فأُتى بكرسى، فقعد عليه، وجعل يعلمنى مما علمه الله، ثم أتى خطبته، فأتم آخرها(٣).

* وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث وقال: «**إذا سقطت لقمة أحدكم، فليمط عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان**» وأمر أن تُسلت القصعة قال: «**فإنكم لا تدرون فى أى طعامكم البركة**»(٤).

* **وعن أبى هريرة** رضي الله عنه **عن النبى قال: «لو دُعيت إلى كُراعٍ أو ذراع لأجبت. ولو أُهدى إلىَّ ذراع أو كراع لقبلت»**(٥).

* **وعن أبى سعيد الخدرى** رضي الله عنه **قال:** أحبوا المساكين فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فى دعائه: «**اللهم أحينى مسكينًا، وأمتنى مسكينًا،**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٩٨٠) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٨٧٦) كتاب الجمعة.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٣٤) كتاب الأشربة.

(٥) **صحيح**: رواه البخارى (٥١٧٨) كتاب النكاح.

واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة»(١) .

* **عن أنس رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم وقال:** كان النبى ﷺ يفعله(٢) .

* وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ركب حمارًا على إكاف عليه قطيفة فدكية وأردف أسامة وراءه»(٣) .

* **وعن أبى بُردة رضي الله عنه قال:** أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساءً وإزارًا غليظًا، فقالت: قُبض روح النبى ﷺ فى هذين(٤) .

* **وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:** إن كان النبى ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لى صغير: «**يا أبا عمير ما فعل النُّغير؟**»(٥) .

* **وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه فى خطبة له قال:** إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويُواسينا بالقليل والكثير(٦) .

* **وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:** إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدية شديدة فجاءوا النبى ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت فى الخندق فقال: «**أنا نازلٌ**» ثم قام وبطنه معصوب بحجر - ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا- . . . »(٧) .

* **وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال:** سأل رجلٌ عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله

---

(١) **حسن:** رواه ابن ماجة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٠٨).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٦٢٤٧) كتاب الاستئذان.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٩٨٧) كتاب الجهاد والسير، ومواضع، ومسلم (١٧٩٨) كتاب الجهاد والسير.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٨١٨) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٨٠) كتاب اللباس والزينة.

(٥) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦١٢٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٥٠) كتاب الآداب، والنغير: طائر معروف يشبه العصفور.

(٦) رواه أحمد، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٧) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤١٠١) كتاب المغازى، ومسلم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة.

ﷺ يعمل فى بيته؟ قالت: نعم. كان رسول الله ﷺ يخصف نعله. ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته[١].

* وعن عائشة رضي الله عنها وقد سُئلت عما كان النبى ﷺ يصنع فى أهله؟ قالت: كان فى مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة[٢].

* **وعن عبد الله بن أبى أوفى رضي الله عنه قال:** كان رسول الله ﷺ يُكثرُ الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى له الحاجة[٣].

* **وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم»** فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: **«نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»**[٤].

* **وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:** كان النبى ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبرَّ بطنه يقول:

«والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلى قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا»

ويرفعُ بها صوته: «أبينا، أبينا»[٥].

---

(١) أخرجه البغوى فى شرح السنة (١٣/ ٢٤٢) وقال محققه: إسناده صحيح.
(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٦٠٣٩) كتاب الأدب.
(٣) **صحيح:** رواه النسائى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٥٨٣٣).
(٤) **صحيح:** رواه البخارى (٢٢٦٢) كتاب الإجارة.
(٥) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤١٠٤) كتاب المغازى، ومسلم (١٨٠٣) كتاب الجهاد والسير.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبى ﷺ يقول: «**لا تُطرونى، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله ورسوله**»(١).

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**ما ينبغى لعبد أن يقول إنى خيرٌ من يونس بن متَّى**»(٢).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك إبراهيم عليه السلام**»(٣).

* وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة كان فى عقلها شىء فقالت: يا رسول الله إن لى إليك حاجة. فقال: «**يا أم فلان انظرى أىَّ السكك شئت حتى أقضى لك حاجتك**» فخلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها(٤).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذُ بيدِ رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت(٥).

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مكثتُ سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية... الحديث فيه: «وإنه - أى رسول الله ﷺ - لعلى حصير ما بينه وبينه شىء، وتحت رأسه وسادة من أدم - جلد- حشوها ليفٌ؛ فرأيتُ أثر الحصير فى جنبه فبكيتُ، فقال: «**ما يبكيك؟**» فقلتُ(٦): يا رسول الله، إنَّ كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال: «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**»(٧).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٩٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومواضع، ومسلم (٢٣٧٧) كتاب الفضائل.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٩) كتاب الفضائل.
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٦) كتاب الفضائل.
(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٠٧٢) كتاب الأدب.
(٦) القائل هنا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٧) صحيح: رواه البخارى (٤٩١٣) كتاب تفسير القرآن.

النبى ﷺ ونعمة الوفاء

لقد كان النبى ﷺ سيد الأوفياء وكان يحض الأمة على الوفاء فى كل شىء فكان يعلم الأمة كيف يكون الوفاء مع الله - عز وجل- أولاً.

* **روى مسلم عن عائشة قالت:** كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه. قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا**»؟!![1].

- وكان يرتقى بأرواح المؤمنين إلى جنة رب العالمين - جل وعلا-.

فها هو ﷺ **يقول:** «**اضمنوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة** -وكان من بينها- **وأوفوا إذا وعدتم**»[2].

- وكان ﷺ يحذر من الغدر ونقض العهود والوعود فقال ﷺ - كما فى الصحيحين-: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**» زاد فى رواية لمسلم: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»[3].

- ولما سأل هرقل أبا سفيان عن النبى ﷺ وكان أبو سفيان وقتها على الشرك... فقال له هرقل: فماذا يأمركم؟ -يعنى: النبى ﷺ- فقال أبو سفيان: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة[4].

- وكان النبى ﷺ ينهى عن الغدر حتى فى الحروب...

روى مسلم أن النبى ﷺ كان إذا أمَّر أميرًا على سرية أمره فى نفسه

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (١١٣٠) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٨١٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) **حسن:** رواه أحمد (٢٢٢٥١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٧٠).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٩) كتاب الإيمان.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٧) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

بتقوى الله ثم قال: «**اغزوا باسم الله وفى سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا لا تغلُّوا ولا تغدروا. . .**»(١).

صور مضيئة من وفائه ﷺ

عن أبى رفع ﷺ قال: بعثتنى قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأيت رسول الله ﷺ أُلقى فى قلبى الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إنى والله لا أرجع إليهم أبدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**إنى لا أخيس(٢) بالعهد، ولا أحبس البُرد(٣)، ولكن ارجع، فإن كان فى نفسك الذى فى نفسك الآن، فارجع**» قال: فذهبت، ثم أتيت النبى ﷺ فأسلمت(٤).

* **وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال:** ما منعنى أن أشهد بدرًا إلا أنى خرجت أنا وأبى حُسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «**انصرفا... نفى لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم**»(٥).

* وها هو المغيرة بن شعبة الذى كان قد صحب قومًا فى الجاهلية فشربوا الخمر فقام عليهم فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم وأراد أن يعطى المال للنبى ﷺ فقال له النبى ﷺ -كما فى الصحيحين-: «**أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شىء**»(٦). وذلك لأنه أُخذ غدرًا.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٢) أخيس: أنقض.

(٣) البُرد: جمع بريد وهو الرسول.

(٤) **صحيح:** رواه أبو داود، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٠٢).

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (١٧٨٧) كتاب الجهاد والسير.

(٦) **صحيح:** رواه البخارى (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

* **وروى البخارى عن جبير بن مطعم بن عدى ﷺ أنه قال: إن النبى ﷺ** قال فى أسارى بدر: **«لو كان المطعم بن عدى حيًّا ثم كلمنى فى هؤلاء النَّتنى[١] لتركتهم له»[٢].**

* وإنما قال النبى ﷺ ذلك اعترافًا منه بالجميل لما أدخله فى جواره بعد أن ردَّه أهل الطائف.

وفاء النبى ﷺ لأصحابه ﷺ

وكان النبى ﷺ سيد الأوفياء لكل من حوله... وكان أقرب الناس إلى قلبه هم أصحابه ﷺ الذين كانوا عونًا له ﷺ على حمل أمانة هذا الدين فضحَّوا من أجله بالغالى والنفيس وبذلوا أموالهم ودماءهم لإعلاء كلمة: لا إله إلا الله..

ولم ينس لهم النبى ﷺ ذلك فأوصى الأمة المسلمة بأصحابه ليعرفوا قدرهم ومكانتهم.

* **عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال النبى ﷺ: «لا تسبوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ[٣] أحدهم، ولا نصيفه»[٤].**

وفاء النبى ﷺ لأبى بكر ﷺ

فمن المعلوم أن أبا بكر ﷺ هو أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ.. فهو الذى قدَّم الكثير والكثير لنصرة دين الله - جل وعلا- فلم يتأخر لحظة واحدة عن مساندة النبى ﷺ من أول لحظة من لحظات البعثة وحتى فارق الدنيا -رضى الله عنه وأرضاه-... فأراد النبى ﷺ أن يوضح للناس مكانة أبى بكر

(١) المراد بهم أسرى بدر من المشركين.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣١٣٩) كتاب فرض الخمس، و(٤٠٢٤) كتاب المغازى.

(٣) المد: قال فى لسان العرب: المد ضرب من المكاييل وهو ربع صاع وهو قدر مد النبى ﷺ.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٣) عن أبى سعيد الخدرى. قوله: «نصيفه» قال الترمذى: ومعنى قوله: «نصيفه» أى نصف المد.

ليعرفوا قدره ومكانته.. وهذا من باب وفاء النبى ﷺ لأبى بكر رضي الله عنه.

قال ﷺ: «**ما أحد أعظم عندى يداً من أبى بكر واسانى بنفسه وماله وأنكحنى ابنته**»[1].

* وروى مسلم والترمذى أن النبى ﷺ قال: «**ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله**»[2].

* وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أمنَّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقينَّ فى المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبى بكر**»[3].

وفاء النبى ﷺ لأمته

وها هو الحبيب ﷺ يضرب لنا المثل والأسوة والقدوة فى وفائه لأمته الذى يأتون يوم القيامة وهم فى ميزان حسناته ﷺ.

* فها هو يبكى خوفًا وشفقة على أمته.

ففى الحديث الذى رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبى ﷺ تلا قول الله - عز وجل- فى إبراهيم: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[4] وقال عليه السلام: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ**

---

(1) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وفى الأوسط، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٢١٤).

(2) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجة، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٦١).

(3) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

(4) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١) فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتي** - وبكى، فقال الله عز وجل-: **يا جبريل اذهب إلى محمد فسله: ما يبكيك -وربك أعلم-**. فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله تعالى: **يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنَّا سنُرضيك فى أمتك ولا نسوؤك**»(٢) .

* وها هو ﷺ يدَّخِر دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة لينقذهم من النار. . . ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «**لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا**»(٣) .

* بل ها هو ﷺ يخبر أن سبعين ألفًا من أمته سيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . . . ولا يكتفى النبى ﷺ بهولاء السبعين ألفًا بل يسأل الحق - جل وعلا- أن يزيد من عدد هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب -حبًّا لأمته ﷺ-.

* **قال ﷺ : «أُعطيت سبعين ألفًا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجلٍ واحد فاستزدت ربى -عز وجل- فزادنى مع كل واحد سبعين ألفًا»**(٤) .

وفى رواية قال ﷺ : «وعدنى ربى أن يُدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربى»(٥) .

---

(١) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٨٤).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذى، وابن ماجه ، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١١١).

وفاء النبى ﷺ لعمه أبى طالب

ولقد كان أبو طالب - عم النبى ﷺ - يدافـع عنه ويدفع عنه أذى المشركين فلم ينس النبى ﷺ له ذلك أبدًا وظل يتابعه بالدعوة- حتى آخر لحظة فى حياته لكن عمه مـات على الكفر وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.. فقـال العباس - عم النبى- للنبى ﷺ : ما أغنيت عن عـمك فإنه كان يحوطك ويغـضب لك؟ قال ﷺ : «**هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار**»[1].

وهكذا كان وفاء النبى ﷺ لعمه أبى طالب.

وفاء النبى ﷺ لخديجة رضي الله عنها

وكان من بين الصفحات المشرقة لوفاء النبى ﷺ تلك الصورة الغالية من وفائه **لأمنا خـديجة** رضي الله عنها فلقد كان النبى ﷺ يحـبها حبًّا جمًّا فلم يتزوج النبى ﷺ امرأة قبلها أبدًا بل ولم يتزوج عليهـا حتى ماتت فلما ماتت حزن عليها النبى ﷺ حزنًا شديدًا وظل يذكرها لآخر لحظة فى حياته ﷺ ... وهكذا يعلمنا النبى ﷺ كيف يكون الوفاء مع الزوجة الصالحة.

* **وروى مسلـم عن عائشـة قالت:** ما غـرت على نساء النبى ﷺ إلا على خديجـة وإنى لم أدركها... قالت: وكـان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**» قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ : «**إنى قد رُزقت حبها**»[2].

وفى رواية للبخارى... وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خـديجة فـربما قلت له: كأنه لم يكن فى الدنيـا امرأة إلا خـديجة؟ فيقول: «**إنها كانت وكانت وكان لى منها ولد**»[3].

(1) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٨٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٩) كتاب الإيمان.
(2) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة.
(3) **صحيح**: رواه البخارى (٣٨١٨) كتاب المناقب.

* وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين، قد أبدلك الله خيرًا منها؟ قال: **«أبدلني الله خيراً منها!! قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها، وحرمني أولاد الناس»**[١] .

يقين النبي ﷺ وتوكله

وها هي صفحة ناصعة من توكل سيد الأولين والآخرين ﷺ .

* ففي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه غزا مع النبي ﷺ قبل نجدٍ، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معهم، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلق بها سيفه، ونمنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: **«إن هذا اخترط[٢] عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صَلْتًا، قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله - ثلاثًا»** ولم يعاقبه وجلس[٣] .

وفي رواية: قال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ ، فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بالشجرة، فاخترطه فقال: تخافني؟ قال: **«لا»** قال: فمن يمنعك مني؟ قال: **«الله»**[٤].

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه: قال: من يمنعك مني؟ قال: **«الله»** فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال: **«من**

(١) رواه أحمد، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا سند حسن في المتابعات.

(٢) اختَرط: سلَّ السيف وأخرجه من غمده.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩١٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤١٣٧) كتاب المغازي، ومسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

يمنعك منى؟» فقال: كن خير آخذٍ، فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله؟» قال: لا، ولكنى أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلىَّ سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس[1].

* وفى الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللهم أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا تموت، والجن والإنس يموتون**»[2].

* وعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنى أعوذ بك أن أَضل أو أُضل، أو أزل أو أُزل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أَجهل أو يُجهل علىَّ**»[3].

* بل وفى حديث هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة كان معه أبوبكر الصديق رضي الله عنه فقال أبو بكر ـ كما فى الصحيحين ـ: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رءوسنا فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: «**ما ظنك يا أبا بكرٍ باثنين الله ثالثهما**»[4].

* ومع كل هذا اليقين والتوكل الذى امتلأ به قلب النبى ﷺ فقد كان يأخذ بالأسباب ويُعلم الأمة كلها أن تأخذ بالأسباب بشرط ألا تتعلق القلوب إلا بمسبب الأسباب - جل وعلا-.

ـ فها هو النبى ﷺ فى هجرته من مكة إلى المدينة يستأجر رجلاً

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٣١)، وأبو يعلى فى مسنده (٣/ ٣١٣)، وعبد بن حميد فى مسنده (١/ ٣٣٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٨٣) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧١٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، واللفظ له.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والنسائى، والترمذى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود، والمشكاة (٢٤٤٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٥٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

مشركًا ليدله على الطريق بل ويخرج مختفيًا عن أعين المشركين.

وفى يوم أُحد كان يقاتل ويُظاهر بين درعين... وكان يدخر القوت لأهله - صلوات ربى وسلامه عليه-.

* **بل كان من أسماء رسول الله ﷺ:** المتوكل. كما فى الحديث: «...**وسميتك المتوكل**»(١) وإنما قيل له ذلك ﷺ لقناعته باليسير والصبر على ما كان يكره(٢).

النبى ﷺ وخشيته من الله (جل وعلا)

لقد كان النبى ﷺ أخشى الناس لله - جل وعلا- وكان يقول عن نفسه ﷺ: «**والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتَّقى**»(٣).

ولما سأله جبريل - عليه السلام وقال له: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال ﷺ: «**أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك**»(٤).

وكان النبى ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «... **اللهم وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة**»(٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهوِّن به علينا مصيبات الدنيا**»(٦).

* **وعن أبى ذر رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إنى أرى ما لا ترون،**

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٢١٢٥) كتاب البيوع، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) انظر فتح البارى (٨/ ٤٥٠).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (١١١٠) كتاب الصيام.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩، ١٠) كتاب الإيمان، من حديث أبى هريرة، ورواه مسلم (٨) كتاب الإيمان، من حديث عمر بن الخطاب، وهو جزء من حديث جبريل المشهور.

(٥) **صحيح:** رواه النسائى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٣٠١).

(٦) **صحيح:** رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٦٨).

أطَّت السماء وحُق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى»(١) .

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ**» فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل**»(٢) .

* **وعن عبد الله بن الشخير** رضي الله عنه **قال:** أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء(٣) .

* **وفي الصحيحين عن أم العلاء الأنصارية قالت:** قال رسول الله ﷺ : «**والله لا أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي ولا بكم**»(٤) . وقال: «**لن ينجي أحدًا منكم عمله ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**»(٥) .

* **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال:** قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت؟ قال: «**شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت**»(٦) .

عائشة رضي الله عنها تحكي كيف كانت خشية النبي ﷺ

ففي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها **قالت:** ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا قط حتى أرى منه لهواته. إنما كان يتبسم... وقالت:

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٧٢٢).

(٢) **صحيح:** رواه الترمذي، وأحمد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي.

(٣) **صحيح:** رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٠٠٠).

(٤) **صحيح:** رواه البخاري (٧٠١٨) كتاب التعبير.

(٥) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٤٦٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٦) **صحيح:** رواه الترمذي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٧٢٣).

كان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُـرف ذلك فى وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فـيها المطر، وأراك إذا رأيته عُرف فى وجهك الكراهيـة؟ فقال: «**يا عـائشة مـا يؤمننى أن يكون فيـه عذاب! قـد عُذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارضٌ مُمطرنا**»(١).

* **وعن عطاء قال**: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عـائشة رضي الله عنها فقال عبيد ابن عمير: حدثينا بأعجب شىء رأيتيه من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: قام ليلة من الليـالى فقال: «**يا عائشة ذرينـى أتعبد لربى**»، قالت: قلت: والله إنى لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلى، فلم يزل يبكى حـتى بلَّ حِجـره، ثم بكى فلم يزل يبكى حتـى بلَّ الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة، فلمـا رآه يبكى، قال: يا رسول الله تبكى وقد غـفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً لقد نزلت الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾**»(٢)(٣).

* **وعن عـائشة** رضي الله عنها زوج النبى ﷺ قـالـت: سألت رسـول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾(٤). قالت عـائشة: أهم الذين يشـربون الخمـر ويسرقـون؟ قال: «**لا يا بنت الصـديق. ولكنهم الذين يصـومون، ويصلون، ويتـصدقـون وهم يخـافون أن لا تُقبـل منهم، أولئك الذى يسارعون فى الخيرات**»(٥).

* **وعن عائشـة** رضي الله عنها **أنها ذكرت النـار فبكت فقـال رسول الله** ﷺ: «**ما**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٢٩) كتاب تفسير القرآن، ومـسلم (٨٩٩) كتاب صلاة الاستسقاء.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٩٠).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان فى صحـيحه (٢/ ٣٨٦)، وصححه العلامة الألبـانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٨).

(٤) سورة المؤمنون: الآية: (٦٠).

(٥) صحيح: رواه الترمـذى، وابن ماجه، وأحمـد، وصححه العـلامة الألبانى رحـمه الله فى السلـسلة الصحيحة (١٦٢).

يبكيك؟» قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟. قال رسول الله ﷺ: **«أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقال: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وُضع بين ظهرى جهنم»**[١].

* وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش. فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: **«اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**[٢].

حياء النبى ﷺ

* ففى «الصحيحين» عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء فى خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه، عرفناه فى وجهه»[٣].

* وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت امرأةٌ النبىَ ﷺ كيف تغتسل من حيضتها؟ قالت: فذكرت أنه علَّمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فرصة من مسك فتطهر بها قالت: كيف أتطهر بها؟، قال: **«تطهرى بها، سبحان الله!»** واستتر بيده على وجهه، قالت عائشة: واجتذبتها إلىَّ وعرفت ما أراد النبى ﷺ فقلت: تتبعى أثر الدم[٤].

* ومن حياء رسول الله ﷺ ما رواه البخارى عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه من تردُّد النبى ﷺ بين ربه وبين موسى، وسؤاله ربه التخفيف -

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (١٢٤٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٨٦) كتاب الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٠٢) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٢٠) كتاب الفضائل.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٤) كتاب الحيض، ومسلم (٣٣٢) كتاب الحيض.

فى الصلاة - حتى جعلها خمسًا، فقال له موسى عليه السلام: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك»، قال: «سألت ربى حتى استحييت، ولكن أرضى وأُسلِّم»(١).

النبى ﷺ يحض الأمة على التحلى بخلق الحياء

وها هو الحبيب ﷺ يحض الأمة على التحلى بخلق الحياء.

* قال ﷺ: «الحياء كله خير»(٢).

وقال ﷺ: «الحياء لا يأتى إلا بخير»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ما كان الفُحش فى شىءٍ قط إلا شانه، ولا كان الحياء فى شىء قط إلا زانه»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء فى النار»(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء من الإيمان»(٦).

وقال ﷺ: «الحياء والعِيُّ(٧) شُعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان(٨) شُعبتان من النفاق»(٩).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٨٧) كتاب المناقب، ومسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٧) كتاب الإيمان.
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١١٧) كتاب الأدب، ومسلم (٣٧) كتاب الإيمان.
(٤) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٥٥).
(٥) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٩٩).
(٦) صحيح: رواه البخارى (٩) كتاب الإيمان.
(٧) العى: سكوت اللسان خشية الوقوع فيما لا يحل.
(٨) فصاحته وإن كان بغير حق.
(٩) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٢٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢١٨٠٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٠١).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الحياء والإيمان قُرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر»(١).

زهد النبى ﷺ

وها هو سيد الزاهدين محمد بن عبد الله ﷺ الذى عُرضت عليه جبال مكة أن تصير له ذهبًا فأبَى وقال: بل أجوع يومًا فأصبر وأشبع يومًا فأشكر.

وتأمل معى كيف كانت حياة سيد ولد آدم ﷺ.

- **ففى الحديث الذى رواه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال:** ذكر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدَّقَل(٢) ما يملأ به بطنه.

- **وفى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت:** ما شبع آل محمد ﷺ من خُبز شعير يومين متتابعين حتى قُبض(٣).

- **وفى الصحيحين عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول:** والله يا ابن أُختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثةُ أَهلة فى شهرين، وما أُوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نارٌ. قُلت: يا خالة فما كان يُعيِّشُكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يُرسلون إلى رسول الله ﷺ من أَلبانها فيسقينا(٤).

- **وعن عائشة رضي الله عنها قالت:** دخلت علىَّ امرأةٌ من الأنصار، فرأت فراش

(١) **صحيح:** رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٧٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٥٥).

(٢) الدَّقَل: ردىء التمر.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٤١٦) كتاب الأطعمة، و(٦٤٥٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٧٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٤٥٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرقائق.

رسول الله ﷺ عباءة مثنية، فرجعت إلى منزلها، فبعثت إلىّ بفراش حشوه الصوف، فدخل علىّ رسول الله ﷺ، فقال: «ما هذا؟» فقلت: فلانةٌ الأنصارية دخلت علىّ، فرأت فراشك، فبعثت إلىّ بهذا. فقال: «رُدّيه» فلم أردّه، وأعجبنى أن يكون فى بيتى، حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال: «يا عائشة، رُدِّيه، والله لو شئت، لأجرى اللهُ معى جبال الذهب والفضة»(١).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «ما لى وللدنيا؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»(٢).

* بل كان النبى ﷺ يُكثر من هذا الدعاء أنه ﷺ كان يقول: «اللهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتًا»(٣). . أى: ما يسد الرمق.

* بل تأمل معى هذا المشهد الجليل.

- ففى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبى بكر وعُمر رضي الله عنهما، فقال: «ما أَخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «وأنا، والذى نفسى بيده، لأخرجنى الذى أَخرجَكما.. قوما» فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس فى بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً. فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟»، قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصارى، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثُم قال: الحمد لله، ما أحدٌ اليوم أكرم أَضيافًا منى، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسرٌ وتمرٌ ورُطبٌ، فقال: كُلُوا، وأخذ المُدية، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب» فذبح لهم، فأكلوا من

---

(١) رواه أحمد بسندٍ صحيح.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩) كتاب الزهد، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٠) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٥٥) كتاب الزهد والرقائق.

الشاة ومن ذلك العذق وشربوا. فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر رضي الله عنهما: «**والذى نفسى بيده، لتُسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم**»[(١)(٢)] .

وهذا حاله ﷺ عند الموت

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن عمرو بن الحارث أخى جُويرية بنت الحارث أُم المؤمنين رضي الله عنها، قال: «ما ترك رسول الله ﷺ، عند موته ديناراً ولا درهما، ولا عبدًا، ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة»[(٣)] .

* **وكيف لا يكون هذا هو حال النبى ﷺ وهو الذى قال: «لو كان لى مثل أُحد ذهبًا، لسرنى ألا تمر علىَّ ثلاث ليالٍ وعندى منه شىءٌ إلا شىءٌ أُرصده لدين»**[(٤)] .

* بل وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعًا من شعير[(٥)] .

* وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوفى رسول الله ﷺ وما فى بيتى من شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رفٍّ لى، فأكلت منه حتى طال علىَّ، فكلتُهُ ففنى[(٦)] .

---

(١) قولها: «يَستَعذِب» أى: يطلب الماء العذب، وهو الطيب. و«العِذْق» بكسر العين وإسكان الذال المعجمة: وهو الكباسة، وهى الغُصن. و«المُدية» بضم الميم وكسرها: هى السكين. و«الحَلُوب» ذات اللبن. والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لا سؤال توبيخ وتعذيب والله أعلم. وهذا الأنصارى الذى أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه، كذا جاء مبينًا فى رواية الترمذى وغيره.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٣٨) كتاب الأشربة.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٢٧٣٩) كتاب الوصايا.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٣٨٩) كتاب فى الاستقراض وأداء الديون، ومسلم (٩٩١) كتاب الزكاة.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٩١٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٦٠٣) كتاب المساقاة.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٠٩٧) كتاب فرض الخمس، ومسلم (٢٩٧٣) كتاب الزهد والرقائق.

ولذا كان النبى ﷺ يحض الأمة على الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة حتى لا تتعلق قلوبهم بحطام الدنيا الزائل.

- فها هو ﷺ يخبر أصحابه والأمة من بعدهم بضآلة الدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

- **روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»**(١) .

- **وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم، فلينظر بم يرجع؟»**(٢).

وقال رسول الله ﷺ : «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء»(٣) .

* **وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه وعالمًا ومتعلمًا»**(٤) .

* ومع كل هذا فقد كان النبى ﷺ حريصًا على أن تكون نظرة المسلمين إلى الدنيا نظرة متوازنة..... فهم يزهدون فى الدنيا ولا يحرصون عليها ولكنهم فى نفس الوقت يحرصون كل الحرص على إعمار الدنيا من أجل أن ينتفع بها المسلمون لتكون عونًا لهم على طاعة الله ولتكون زادًا لهم إلى الآخرة.

لذلك يقول رسول الله ﷺ : «إن قامت الساعةُ وبيد أحدكُم فسيلةٌ، فإن استطاع أن لا يقُوم حتى يغرسها فليفعل»(٥) .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٨٦).

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٩٧).

(٥) أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

قوة النبى ﷺ وشجاعته

لقد ربَّى القرآن الكريم المؤمنين على الشجاعة، فكانت آياته المنبع الذى شربت منه الأُمة معنى وقيمة الشجاعة، فقال الله عز وجل مخاطبًا الأُمة ورسولها ﷺ: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(1).

وحياة النبى ﷺ القولية والعملية كانت نموذجًا عاليًا فى الشجاعة، فعند التأمُّل فى سيرته نجده ﷺ يتعامل مع كل المواقف والمصاعب بقلب ثابت، وإيمان راسخ، وشجاعة نادرة؛ لذلك خاطبه الله سبحانه وتعالى قائلاً: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(2).

وقد كانت هذه الشجاعة خُلقًا فطريًّا مزروعًا فى قلبه منذ نشأته الأولى ﷺ؛ فها هو ذا يشارك أعمامه فى حرب الفِجار وهو لم يبلغ الخامسة عشر من عمره(3)، كما أنه ﷺ كان يعتكف وحده فى غار حراء وسط الصحراء(4)؛ لذلك لم يكن غريبًا أن تظهر الشجاعة فى كل لمحةٍ من لمحات حياته بعد بعثته، ولم يكن هذا كلامًا نظريًّا دون تطبيق، بل مارس الرسول ﷺ الشجاعة دون تردُّد أو جُبن أو خَور؛ فنجده ﷺ فى أول أيام دعوته يُواجه المشركين بأمر تُنكره عقولهم ولا تدركه فى أول الأمر تصوُّراتهم، ولم يمنعه من الجهر بالدعوة الخوفُ من مواجهتهم، فضرب بذلك ﷺ لأُمته أروع الأمثلة فى الجهر بالحق أمام أهل الباطل، وإن

(1) سورة النساء: الآية: (74).

(2) سورة النساء: الآية: (84).

(3) الفجار: حرب وقعت بين قريش وحلفائها وبين هوازن قبل البعثة بعشرين سنة تقريبًا، وكانت فى الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيها قالوا: قد فجرنا فُسمِّيت فجارًا، انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (2/ 289-291)، وابن منظور: لسان العرب، مادة فجر (5/ 45).

(4) ابن كثير: السيرة النبوية (1/ 385).

تحزَّبوا ضد الحق، وجنَّدوا لحربه كل ما فى وسعهم.

وتتجلى شجاعته ﷺ فى مواقف عديدة من أهمها اعتراضه على الظلم، ووقوفه فى وجه الظالم دون تردُّد أو خوف،... فها هو رسول الله ﷺ يقف بجوار المظلوم ويأخذ حقه من الظالم.

كما تظهر شجاعته ﷺ واضحة جلية عندما يتعرض أهله وصحابته لخطر ما... فها هو أنس بن مالك رضي الله عنه يصف شجاعة النبى ﷺ بقوله: كان النبيُّ ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس. قال: وقد فزع أهلُ المدينة ليلة؛ سمعُوا صوتًا. قال: فتلقاهُمُ النبيُّ ﷺ على فرس لأبى طلحة رضي الله عنه عُرى[١]، وهُو مُتقلدٌ سيفهُ، فقال: «**لم تُراعُوا، لم تُراعُوا**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**وجدتُهُ بحرًا**»[٢]. يعنى الفرس[٣].

ويضرب النبى ﷺ المثل والقدوة فى ميدان القتال فكانت شجاعته النبراس الذى سار عليه الصحابة فيما بعدُ... فيُروى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه قال: «كُنا إذا احمرَّ البأسُ[٤]، ولقى القومُ القوم، اتقينا برسُول الله ﷺ، فما يكُونُ منا أحدٌ أدنى من القوم منهُ»[٥].

وفى أحلك لحظات المسلمين شدة وانهزامهم أمام عدوهم فى غزوة أُحُد نراه ﷺ متماسكًا شجاعًا، مقاتلاً لزعماء الشرك، فقد أدركه أُبيٌّ بن خلف وهو يقول: أى محمد، لا نجوتُ إن نجوت. فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله: «**دعُوهُ**». فلما دنا، تناول

---

(١) فرس عُرى: لا سرج عليه، انظر: ابن منظور: لسان العرب: مادة عرا (١٥/ ٤٤).

(٢) وجدته بحرًا: أى سريع الجرى؛ لأنه كان به أول الناس تحركًا فى مواجهة الخطر، انظر: ابن حجر العسقلانى: فتح البارى (٦/ ٣٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٨٢٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٣٠٧) كتاب الفضائل.

(٤) احمرَّ البأس: أى صار فى الشدة والهول مبلغًا كبيرًا، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة حمر (٢٠٨/٤).

(٥) أحمد، وأبو يعلى، والحاكم، وقال صحيح الإسناد ولم يُخرجاه.

رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصِّمة رضي الله عنه فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفـاضة تطايرنا عنه تطاير الشَّعْراء[1] عن ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقـبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ [2] منها عن فـرسه مرارًا، فمات وهُم راجـعون به إلى مكة[3]؛ ولذلك يقول المقـداد بن عمرو رضي الله عنه عن ثبات النبى ﷺ وشجاعته فى غزوة أُحُد، قوله: «لا والذى بعثه بالحق إن زال رسول الله ﷺ شـبرًا واحدًا، إنه لفى وجه العدو، وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرة، وتُصرف عنه مرة، فربما رأيته قائمًا يرمى على قوسيه، ويرمى بالحجر، حتى تحاجزوا، وثبت رسول الله ﷺ كما هو فى عصابة[4] صبروا معه»[5].

أما يوم حُـنين فقـد ضرب النبى ﷺ أروع مـثلٍ عرفـته البشـرية فى الشجاعة؛ وذلك حينما فـرَّ الجيش من ساحة القتال، فنزل النبى ﷺ من على بغلتـه ودعا واستـنصر، وهو يُردد: **«أنا النبىُّ لا كـذب... أنا ابنُ عبـد المُطلب، اللهُم نَزِّل نصرك»**[6].

فما رُئى أحد يومـئذ كان أثبت منه، ولا أقرب للعدو[7]، فقد وقف فى وجههم أجـمعين مُتـحديًا لهم، وأخذ كفًّا من حصى وضرب وجوههم، وقال ﷺ : **«شاهت الوُجُوهُ»**[8]. فما استطاع أحد أن يمسَّه بسوء[9].

---

(1) الشَّعْراء: نوع من الذباب يكون على ظهر الإبل والخيل، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة شعر (٤/ ٤١٠).

(2) تدأدأ: تدحرج وسقط، انظر ابن منظور: لسان العرب: مادة دأدأ (١/ ٦٩).

(3) ابن هشام: السيرة النبوية (٢/ ٨٣).

(4) العصابة: المجموعة والجماعة من الناس، انظر ابن منظور: لسان العرب مادة عصب (١/ ٦٠٢).

(5) البيهقى: دلائل النبوة (٣/ ٢٤٦).

(6) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٨٦٤) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٧٧٦) كتاب الجهاد والسير.

(7) ابن سيد الناس: عيون الأثر (٢/ ٤٢٢)، وابن قيم الجوزية: زاد المعاد (٣/ ٩٠).

(8) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٧٧) كتاب الجهاد والسير.

(9) ابن هشام: السيرة النبوية (١/ ٦٢٨)، والسهيلى: الروض الأنف (١/ ٢٢٨، ٢٢٩).

كما نجد النبى ﷺ يُعلِّم أُمته الاستعاذة من أى خَور وجُبن؛ لأن الآجال والأرزاق وكل الكون بيد الله سبحانه وتعالى يصرفها كيف يشاء، فقال ﷺ : «**اللهُم إنى أعُوذُ بك من الجُبن والبُخل...**»(١).

ويستمرُّ ﷺ فى تعليم أُمته الشجاعة فى كل الميادين، بدايةً من ميدان الكلمة وانتهاءً بميدان الجهاد فى سبيل الله، . . . ومن أعظم هذه الميادين التى يُؤكد عليها النبى ﷺ ميدان مواجهة الظلم، فيقول ﷺ : «**أفضلُ الجهاد كلمةُ عدل عند سُلطان جائر**»(٢). وهو ﷺ القائل - أيضًا - فى فضل الجهاد والإقدام بالنفسِ والمالِ: «**لغدوةٌ فى سبيل الله أو روحةٌ(٣) خيرٌ من الدُّنيا وما فيها**»(٤).

ومع هذه الشجاعة التى كان يتحلى بها رسول الله ﷺ إلا أنها لم تكن شجاعة تهوُّر، إنما كانت مضبوطة بالعقل؛ . . . فلننظر إلى حصاره ﷺ لحصن الطائف الذى استمر أكثر من أربعين يومًا، عَلِم - خلالها - ﷺ أن الطعام والشراب اللذين بداخل حصن الطائف يكفيانه سنة على الأقل أو عدة سنوات، وعندها وازن ﷺ القائدُ الشجاع بين مضار الحصار وفوائده، فوجد أن بقاءه فى هذه البقعة - أكثر من ذلك - سيوقع الدولة الإسلامية فى مشاكل ضخمة؛ لأن القوات الإسلامية ليست مجرد فرقة من الجيش الإسلامى؛ بل هى المجتمع المسلم بكامله، كما أن النبى ﷺ لم يترك فى المدينة إلا القليل من الرجال لحراسة الديار والنساء، فهى إذن

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٣٦٧)، ومسلم (٢٧٠٦) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، وقال الألبانى: صحيح انظر السلسلة الصحيحة (٤٩١).

(٣) الغدوة: المرة الواحدة من الغدو، وهو الخروج فى أى وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والروحة: المرة الواحدة من الرواح، وهو الخروج فى أى وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها. وسبيل الله: الجهاد - انظر ابن حجر العسقلانى: فتح البارى (٦/ ١٤) والنووى: المنهاج (١٣/ ٢٦).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٧٩٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨٨٠) كتاب الإمارة.

مُعرَّضة للمهاجمة من المشركين واليهود؛ لذلك أخذ ﷺ قراره الشجاع بفكِّ الحصار[1].

وهذه الشجاعة - أيضًا - كانت مضبوطة بالرحمة؛ فلذلك لم يستعملها إلا فى مواطن الجهاد؛ لإعلاء كلمة الله خفَّاقة، ومن ثَم لم ينتقم رسول الله ﷺ لنفسه، ولم يضرب بيده إلا فى سبيل الله، . . . ولذا قالت عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسُولُ الله ﷺ شيئًا قطُّ بيده، ولا امرأةً، ولا خادمًا، إلا أن يُجاهد فى سبيل الله، وما نيل منهُ شىءٌ قطُّ فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شىءٌ من محارم الله فينتقم لله عز وجل»[2].

هكذا كانت شجاعة النبى ﷺ . . . . شجاعة قائمة على يقين وثبات وأخلاق ومبادئ؛ لذلك كانت مضرب الأمثال للأجيال على مَرِّ العصور. . فما أروعها من شجاعة![3].

اصبر كما صبر النبى ﷺ

إذا تأملتَ سيرة النبى ﷺ مع قومه، وصبره فى الله، واحتماله ما لم يحتمله نبى قبله، وتلوُّن الأحوال عليه، من سلمٍ وخوفٍ، وغِنًى وفقر، وأمن وإقامة فى وطنه، وظعن عنه وتركه فى الله، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى، من القول والفعل، والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله، يدعو إلى الله.

فلم يُؤذَ نبى ما أُوذى، ولم يحتمل فى الله ما احتمله، ولم يُعطَ نبى ما أُعطيه. فرفع الله له ذكره، وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلّهم،

(1) السهيلى: الروض الأنف ص255-266 ، وابن كثير: السيرة النبوية (3/ 652-709).

(2) صحيح: رواه مسلم (2328) كتاب الفضائل.

(3) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين).

وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمعهم عنده شفاعة. وكانت تلك المحن والابتلاءات عين كرامته، وهى مما زاده الله بها شرفًا وفضلاً، وساقه بها إلى أعلى المقامات.

وهذا حال ورثته من بعده، الأمثل فالأمثل، كلٌّ له نصيب من الجنة، يسوقه الله به إلى كماله، بحسب متابعته له.

وما لا نصيب له من ذلك فحظُّهُ من الدنيا، حظٌ من خُلق لها وخُلِقَتْ له، وجعل خَلاقَهُ ونصيبه فيها. فهو يأكل منها رغداً، ويتمتع فيها حتى يناله نصيبه من الكتاب.

يُمتَحن أولياء الله وهو فى دعةٍ، وخفض عيش... ويخافون وهو آمن. ويحزنون وهو فى أهله مسرور.

له شأن ولهم شأن، وهو فى وادٍ وهم فى وادٍ... همّه ما يقيم به جاهه، ويسلم به ماله، وتُسمع به كلمته، لزم من ذلك ما لزم، ورضى مَنْ رضى، وسخط مَنْ سخط.

وهمُّهم إقامة دين الله، وإعلاء كلمته، وإعزاز أوليائه، وأن تكون الدعوة له وحده، فيكون هو وحده المعبود لا غير، ورسوله المطاع لا سواه.

فلله سبحانه مَنْ الحِكَم فى ابتلاء أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته.

وهل وصل مَنْ وصل إلى المقامات المحمودة، والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء.

كذا المعالى إذا ما رُمتَ تُدركها

فاعبر إليها على جسرٍ من التعب (١)

* * *

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٠١).

لا تستسلم للخوف

إن الهواجس والإخفاق والشقاء والأمراض تولد غالبًا من الخوف، وإذا أردت السلامة والنجاح والسعادة والصحة، فيجب عليك أن تكافح الخوف وتكون كمن حكى الله تعالى عنهم فى قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾(١)(٢).

صور مشرقة من عفو النبى ﷺ

وهذا نبينا محمد ﷺ نال من العفو الثريا فهذه قريش بالغت فى أذاه ﷺ وأحكمت قبضتها منه ثم أخرجته من بين أهله وعشيرته.... قتلوا من أصحابه فى يوم أُحد سبعين وجرحوا آخرين،... جُرح ﷺ وكُسرت رباعيته وشُج وجهه ﷺ وهو يقول: «**اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون**».

ثم أمكنه الله منهم فعاد فاتحًا مكة ومعه أكثر من عشرة آلاف معهم السيوف مُسلطة على رؤوس قريش، وهو يقول لهم: «**ما ترون أنى فاعل بكم؟**» فقالوا: خيرًا أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم.

* عجبًا!!

هل نسوا ما كانوا يفعلونه بهذا الأخ الكريم!!

أين سبُّكم فيه وقولكم أنه: مجنون.. ساحر.. كاهن؟!

ما دام أخًا كريمًا.. وأبوه أخ كريم!! فلماذا حاربتموه؟!

أين تعذيبكم للمسلمين الضعفاء..

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٧٣، ١٧٤).

(٢) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٣٧، ٣٨).

هذا بلال واقف.. وآثار التعذيب لا تزال فى ظهره..

وتلك نخلة قريبة قُتلت عندها سمية.. وزوجها ياسر..

وهذا ابنهما عمار مع المسلمين يشهد..

اليوم تقولون: أخ كريم؟!

أين حَبْسُكم لهذا النبى الكريم مع المسلمين الضعفاء.. ثلاث سنين فى شِعب بنى عامر.. حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع..؟!!

ما رحمتم بكاء الصغير.. ولا أنين الشيخ الكبير.. ولا حاملاً ولا مرضعًا!!

أين حربكم له فى بدر.. وأُحُد.. وتحزبكم عليه فى الخندق؟ واليوم.. هو أخ كريم!!

أين منعكم له من دخول مكة معتمرًا.. لما جاءكم قبل سنين.. وتركتموه محبوسًا فى الحديبية.. ممنوعًا من دخول مكة؟

أين صَدُّكم لعمه أبى طالب عن الإسلام وهو على فراش الموت؟

أين..؟

أين..؟

شريط طوييييل من الذكريات المؤلمة يمر أمام عينيه ﷺ.. وهو ينظر إلى وجوه كفار قريش بين يديه.. ويقلب طرفه فى فجاج الحرم.. وربما امتد بصره إلى جبال مكة حول الحرم.. أو إلى شوارعها وطرقاتها.. ليس هو فقط.. بل تمر هذه الذكريات أمام عينى أبى بكر وعمر..

وعثمان وعلى..

وبلال وعمار..

فكل واحد من هؤلاء.. له مع قريش قصة حزينة..

كان ﷺ يستطيع أن يُنزل بهم أقسى أنواع العقوبة.. فهم أعداء

محـاربون.. معتـدون.. خونة.. نعم خونـة.. خانوا صلح الحديبيـة.. واعتدوا..

كانوا مجرمين.. متحيرين.. لا يدرون ماذا سيفعل بهم..

فإذا به ﷺ يدوس على الأحقـاد.. ويحلق بهمته عـاااليًا.. ويقول كلمة يهتف بها التاريخ: «**اذهبوا.. فأنتم الطلقاء..**».

فينطلقون.. مستبشرين.. تكاد أرجلهم تطير من الفرح..

أحقًا عفا عنا؟!!

ثم يتلفت ﷺ ينظر حـول الكعبة.. فـإذا ثلاثمائة وستـون صنمًا.. تُعبد من دون الله.. عند بيته المعظم..!!

فجعل ﷺ يضربها بيده الكريمة.. فتهوى.. وهو يقول:

«**جاء الحق.. وزهق الباطل.. جاء الحق.. وما يبدئ الباطل وما يعيد..**»(١).

والذى يتتبع سيرة النبى ﷺ يرى سجلاً حافلاً من صور العفو.

* **عن عائشة** ﵂ **قالت**: ما ضرب رسول الله ﷺ شـيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شىء من محارم الله تعالى، فينتقم لله ـ عز وجل ـ(٢).

* ونحن نعلم أن النبى ﷺ عفا عن وحشىٍّ الذى قتل عمه حمزة بن عبد المطلب فى غزوة أُحد.

* وعفـا عن رأس المنافقـين عبد الله بن أُبى بن سلـول الذى كان يكره النبى ﷺ ويحاربه ويدبر له المؤامـرات الحقيرة لإيذائه وكـان منها أنه اتهم زوجة النبى ﷺ أم المؤمنين عائشة بأنها فـعلت الفاحشة ومع كل هذا عفا عنه النبى ﷺ وصلى عليه بعد موته.

---

(١) استمتع بحياتك / د. محمد العريفى (ص: ٣٠٠-٣٠١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل.

* بل عفا النبى ﷺ عن حاطب بن أبى بلتعة لما أراد أن يُفشى سرَّ فتح مكة للمشركين.. فعفا عنه النبى ﷺ لأنه شَهِد غزوة بدر ولذلك لما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق. قال: **«إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»** (١).

* وعفا النبى ﷺ عن عكرمة بن أبى جهل الذى ظل يحاربه أكثر من عشرين سنة... وكان النبى ﷺ قد أباح دمه فى يوم فتح مكة... ومع ذلك لما طلبت أم حكيم زوجة عكرمة من رسول الله ﷺ أن يعفو عن عكرمة عفا عنه النبى ﷺ وجاء عكرمة وأسلم بين يدى الرسول ﷺ وكان من خيرة الناس بعد ذلك حتى مات شهيداً فى معركة اليرموك.

* بل عفا النبى ﷺ عن رجل يهودى آذى النبى ﷺ وعمل له سحراً.. ومع ذلك عفا عنه النبى ﷺ.

* وعفا النبى ﷺ عن المرأة اليهودية التى دعته إلى الطعام بعد غزوة خيبر ووضعت له السم فى الشاة التى أكل منها... ومع ذلك عفا عنها النبى ﷺ.

* وعفا النبى ﷺ عن الرجل الأعرابى الذى بال فى المسجد فلما أراد الصحابة أن يضربوه نهاهم عن ذلك وقال: **«دعوه وهريقوا على بوله سَجلاً من ماء أو ذَنوبًا من ماء فإنما بُعثتم مُيسرين ولم تُبعثوا معسرين»** (٢).

* ولو استطردنا فى الأمثلة لوجدنا الكثير والكثير من عفو النبى ﷺ عن كل من أساء إليه حتى نتعلم منه العفو والصفح فهو أسوتنا وقدوتنا ﷺ.

❋ ❋ ❋

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠) كتاب الوضوء.

ذِكر النبى صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة

ذكر النبى ﷺ فى الكتب السابقة(1)

أكرم الله عز وجل البشرية برسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ ، فأرسله إلى جميع العالمين إنسهم وجِنِّهم، عربهم وعجمهم، بأوضح حُجة، وأظهر دلالة، وأبين برهان، وساق الله سبحانه وتعالى تلك الدلائل الظاهرة البيِّنة لتعلم البشرية صدق دعوته ونُبل رسالته، وأنه حلقة فى سلسلة الأنبياء الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى لوظيفة واحدة لا تتجزأ، وتتمثلُ فى دعوة التوحيد لله رب العالمين.

ومن سُنة الله تعالى أن كل نبى يُسلِّم جذوة دعوته إلى الذى يليه، وهكذا فقد بشَّرت به ﷺ الكتب السالفة، وأخبرت به الرسل السابقة، من عهد آدم أبى الأنبياء والبشر إلى عهد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كُلما قام رسولٌ أُخذ عليه الميثاق بالإيمان به والبشارة بنُبُوته ورسالته.

وهذه البشارات هى بمنزلة الإعلان والبلاغ المسبق من الله ومن الرسل إلى الأمم والشعوب بمقدم محمد ﷺ ، والحكمة منها أن لا يحدث انقطاع فى الهدى الإلهى؛ فإذا جاء نبىٌّ جديد فلا يُقابله أتباع النبى السابق بشىء من العداوة والبغضاء والتعصُّب المذموم، بل يشعرون أنه امتداد لما كان عليه النبى السابق؛ فتتواصل بذلك الهداية الإلهية، وتتعاضد وتتكامل الرسالات السماوية.

* * *

(1) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين)/ د . راغب السرجانى.

بشارات النبى ﷺ فى كتب الأولين

أخبر القرآن الكريم أن الله تعالى أرسل لكل أُمة رسولاً يدعوهم إلى التوحيد فينذرهم ويُبشرهم، ليُقيم عليهم الحُجة يوم القيامة، وأن كل هذه الأمم والشعوب قد عرفت وتيقنت - عن طريق أنبيائهم ورسُلهم - بمجىء خاتم الأنبياء والرُّسل محمد ﷺ وهو ما أخبر به القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾[1] ، أى: «إن ذكر محمدٍ عليه السلام فى كتب الأولين»[2] .

ورغم أنه لم يَعُد من كتب الأولين إلا بقايا قليلة جدًّا، لكنها لم تخلُ من ذكرٍ لمحمد ﷺ ورسالته: ففى كتاب (السامافيدا)، أحد الكُتب المقدسة لدى البراهمة، نجد النص التالى: «أحمد تلقَّى الشريعة من ربه، وهى مملوءة بالحكمة، وقد قُبست من النور كما يقبس من الشمس»[3] .

وجاء فى كتاب مُقدس آخر عند الهندوس وهو (أدهروهيدم) ما نصُّه: «أيها الناس، اسمعوا وعُوا؛ يُبعثُ المحمدُ بين أظهر الناس، وعظمتُه تُحمَدُ حتى فى الجنة، ويجعلها خاضعة له وهو المحامد»[4] . يعنى محمد.

وفى كتاب هندوسى ثالث هو (بفوشيا برانم) ما يلى: «فى ذلك الحين يُبعث أجنبى مع أصحابه باسم محامد الملقب بأستاذ العالم[5] ، والملِك يطهره

(١) سورة الشعراء: الآية: (١٩٦).

(٢) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٣٨).

(٣) السامافيدا الجزء الثانى من الفقرة ٦-٨ ، نقلاً عن صفى الرحمن المباركفورى: وإنك لعلى خلق عظيم ١/ ٣٥١ .

(٤) كتاب أدهر وهيدم، الجزء العشرون الفصل ١٢٧ الفقرة ٧٠ ، نقلاً عن صفى الرحمن المباركفورى: وإنك لعلى خلق عظيم ١/ ٣٥٢ .

(٥) وأيضًا فإن فى الإنجيل (إنجيل يوحنا) أن المسيح عليه السلام أخبر بهذه الصفة، بقول: «إن أركون العالم سيأتى». وأركون تعنى السيد والعظيم. انظر: ابن تيمية: الجواب الصحيح ٥/ ٣٠٤، ٣٠٥ .

بالخمس المطهرة»(١). ولا شك فى أنها الصلوات الخمس التى يمحو الله بهن الخطايا.

وقد جاء وصف أصحاب رسول الله ﷺ فى كتاب (بنوشيا برانم)، فقد ورد فيه: «هم الذين يختتنون، ولا يربون القزع(٢)، ويربون اللِّحَى، ويُنادون الناس للدُّعاء بصوت عالٍ(٣)، ويأكلون أكثر الحيوانات إلا الخنزير، ولا يستعملون الدرباء(٤) للتطهير، بل الشهداء هم المتطهرون، ويُسمون بمسلىّ(٥)؛ بسبب أنهم يُقاتلون من يُلبس الحق بالباطل، ودينهم هذا يخرج منى وأنا الخالق»(٦).

بشارة النبى ﷺ فى الكتب السابقة

لقد جاءت البشارات الكثيرة فى التوراة والإنجيل ببعثة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ.. ولكن اليهود أرادوا أن يطمسوا النور الذى بين أيديهم وأن يُخفوا الحقائق الدالة على بعثة النبى ﷺ فحرَّفوا وبدَّلوا فى التوراة وذلك لأنهم كانوا يرجون أن يكون نبى آخر الزمان من ولد إسحاق (عليه السلام).

فلما كان النبى ﷺ من ولد إسماعيل (عليه السلام) ازداد اليهود حقدًا فوق حقدهم فبذلوا وسعهم من أجل تشويه الحقائق وطمسها.

(١) الجزء ٢ الفصل ٣ العبارة الثالثة وما بعدها، نقلاً عن صفى الرحمن المباركفورى وإنك لعلى خلق عظيم (١/ ٣٥٢).

(٢) جمع قزعة وهى القطعة من السَّحاب، وسُمى شعر الرأس إذا حُلِق بعضه وتُرك بعضه قزعًا، تشبيهًا بالسحاب المتفرق. انظر: شمس الحق آبادى: عون المعبود شرح سنن أبى داود ١١/ ١٦٥ .

(٣) ينادون للدعاء: أى ينادون للصلاة؛ لأن الصلاة دعاء.

(٤) الدرباء: نبات يخرج به الهنود الدم من جسم الإنسان، ويعدون هذا العمل تطهيراً من الخطايا.

(٥) مسلى: أى يسمون بالمسلمين، دخل عليها شىء من التحريف.

(٦) الجزء الثالث الفصل الثالث عبارات ٢٧، ٢٨ ، نقلا عن صفى الرحمن المباركفورى: وإنك لعلى خلق عظيم ١/ ٣٥٢ .

* **وها هى بعض الأدلة على بشارة النبى ﷺ فى الكتب السابقة:**

جاء فى الفصل التاسع من السفر الأول من التوراة: «إن هاجر لما فارقت سارة وخاطبها الملك فقال: يا هاجر، من أين أقبلت؟ وإلى أين تريدين؟ فلما شرحت له الحال، قال: ارجعى، فإنى سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يُحصون، وها أنت تحبلين وتلدين ابنًا اسمه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع ذُلَّك وخضوعك، وولدك يكون وحش الناس، يده فوق يد الجميع، ويد الكل به، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته»(١).

يقول ابن القيم: «... ومعلوم أن يد بنى إسماعيل قبل مبعث محمد ﷺ لم تكن فوق أيدى بنى إسحاق؛ بل كان فى أيدى بنى إسحاق النبوة والكتاب، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب، فلم يكن لبنى إسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بُعث موسى، وكانوا مع موسى من أعز أهل الأرض، ولم يكن لأحد عليهم يد؛ ولذلك كانوا مع يوشع إلى زمن داود ومُلك سليمان، المُلك الذى لم يُؤت أحدٌ مثله فلم تكن بنى إسماعيل عليهم، ثم بعث الله المسيح فكفروا به وكذبوه، فدمَّر عليهم تكذيبُهم إياه، وزال مُلكهم، ولم تَقُم لهم بعده قائمة، وقطعهُم الله فى الأرض أُممًا، وكانوا تحت حُكم الروم والفرس، وغيرهم، ولم تكن يدُ ولد إسماعيل عليهم فى هذه الحال، ولا كانت فوق يد الجميع إلى أن بعث الله محمدًا ﷺ برسالته، وأكرمه الله بنُبُوته، فصارت بمبعثه يدُ بنى إسماعيل فوق الجميع، فلم يبقَ فى الأرض سلطانٌ أعز من سلطانهم؛ بحيث قهروا سلطان فارس والروم والترك والديلم، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وعُباد الأصنام؛ فظهر بذلك تأويل قوله فى التوراة: «ويكون يده فوق يد الجميع، ويد الكل». وهذا أمر مستمرٌّ إلى آخر الدهر.

(١) الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين، نقلاً عن ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى ص١٤٧ .

قالت اليهود: نحن لا نُنكر هذا؛ ولكن إن هذه بشارة بملكه وظهوره وقهره لا برسالته ونُبُوته. قال المسلمون: المُلك مُلكان؛ ملك ليس معه نُبُوة بل ملك جبار مُتسلط، وملك نفسه نبوة؛ والبشارة لم تقع بالملك الأول، ولا سيما إن ادَّعى صاحبه النُّبُوة والرسالة وهو كاذب مفترٍ على الله؛ فهو من شر الخلق وأفجرهم وأكفرهم، فهذا لا تقع البشارة بمُلكه، وإنما يقع التحذير من فتنته، كما وقع التحذير من فتنة الدجال، بل هذا شرٌ من سنحاريب وبُختُنصَّر[١]، والملوك الظلمة الفجرة الذين يكذبون على الله، فالأخبار لا تكون بشارة، ولا تفرح به هاجر وإبراهيم، ولا بشَّر أحدٌ بذلك، ولا يكون ذلك إثابة لها من خضوعها وذُلها، وأن الله قد سمع ذلك ويعظِّم هذا المولود ويجعله لأُمة عظيمة، وهذا عند الجاحدين بمنزلة أن يقال: إنكِ ستلدين جبارًا ظالمًا طاغيًا يقهر الناس بالباطل، ويقتل أولياء الله، ويسبى حريمهم، ويأخذ أموالهم بالباطل، ويُبدل أديان الأنبياء، ويكذب على الله، ونحو ذلك، فمن حمل هذه البشارة على هذا، فهو من أعظم الخلق بهتانًا وفرية على الله؛ وليس هذا بمُستنكر لأُمة الغضب، وقتلة الأنبياء، وقوم البُهت»[٢].

ورغم هذه التشويهات المتعاقبة عبر العصور المتلاحقة فى التوراة، فقد بقيت هناك بعض النصوص التى تُدلل بوضوح على وجود النبى الخاتم الذى بشَّر به موسى عليه السلام، بل وأراد أن يكون من أُمته!

يقول ابن تيمية: «قد رأيتُ أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنُبُوة محمد ﷺ باسمه، ورأيتُ نسخة أخرى بالزبور فلم أرَ ذلك فيها، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون فى بعض النسخ من صفات النبى ﷺ ما ليس فى أخرى»[٣].

---

(١) بُختنصر: هو الذى كان خرب بيت المقدس، وقيل: إنما هو بُوختَنصر، فأعرب؛ وبُوخت ابن، ونصرُ صنم، وكان وُجد عند الصنم، ولم يُعرف له أب، فقيل: هو ابن الصنم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة نصر ٥/ ٢١٠.

(٢) ابن قيم الجوزية / هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ص١٤٨، ١٤٩.

(٣) ابن تيمية: الجواب الصحيح ٣/ ٥٠، ٥١.

ومن البشارات أيضًا التى جاءت فى التوراة، ما جاء فى سفر (أشعيا) فى الإصحاح الثانى والأربعين ما نصُّه: «لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التى سكنها قيدار[١]؛ لتترنم سكان سالع، من رءوس الجبال ليهتفوا؛ ليعطوا الرب مجدًا، ويُخبروا بتسبيحه فى الجزائر»[٢].

وهذا النصُّ واضح فى التبشير بمحمد ﷺ؛ فقد أشار إلى بلاد العرب وهى الديار التى سكنها قيدار بن إسماعيل، وطلب منها أن تبتهج. والغريب أن النص لم يكتفِ بالإشارة إلى قيدار بن إسماعيل الذى هو جدُّ النبى محمد ﷺ[٣]؛ بل إن النص جاء بذكر دار هجرة رسول الله ﷺ وهى المدينة المنورة، فقال: «لتترنم سكان سالع». وسالع هو (سَلْع) وهو جبل فى باب المدينة، كما هو اسمه إلى الآن، وهو سالع بالعبرانية[٤].

والنَّصُّ السابق يُلمح لنا عن طريق التأمُّل والاستقصاء لماذا استقر اليهود فى المدينة المنورة وما حولها؟ لقد كانوا على يقين بأن خاتم الأنبياء سيقطن المدينة، التى من أماراتها جبل (سالع) المذكور عندهم فى التوراة كالبشارة السابقة، فتمنوا أن يكون منهم وفيهم، ومن المعلوم أنهم طالما خوَّفُوا الأوس والخزرج من النبى الخاتم الذى سيخرج من بين ظهرانيهم فيتخلص منهم، ومَن على شاكلتهم!

لقد كان اليهود فى المدينة وما حولها يعلمون صفة النبى ﷺ، وقُرب ظهوره، وهو ما يُؤكدُه ابن سعد فى طبقاته بسند مُتصلٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما ما نصُّه: «قال: كانت يهود قريظة والنضير وفَدَك وخيبر يجدون صفة النبى ﷺ قبل أن يُبعث، وأن دار هجرته المدينة»[٥].

---

(١) قيدار هو ابن نبى الله إسماعيل عليه السلام.

(٢) (أشعيا ٤٢/ ١١).

(٣) انظر: ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى ص١٥٨ .

(٤) فاضل صالح السامرائى: نبوة محمد من الشك إلى اليقين ص ٢٥٣ .

(٥) محمد بن سعد: الطبقات الكبرى ١/ ١٠٤ .

بشارات النبى ﷺ فى الإنجيل

كَثُرت البشارات بقدوم النبى الخاتم محمد ﷺ فى الإنجيل تارة بوصفه أستاذ العالم، وأخرى بتسميته الفارقليط، بل كان ثمة جزء كبير من رسالة عيسى عليه السلام إلى قومه قائمًا على التبشير بمجيء محمد ﷺ، لكن اليهود خاصتهم وعامتهم، ورهبانهم وأحبارهم قد انساقوا خلف الشهوات، وحادُّوا الله سبحانه وتعالى، بل ووقفوا ضد رسالة عيسى عليه السلام، وقاموا بقتل يحيى عليه السلام، وغيره من أنبياء الله الذين جاءوا لهدايتهم، ورغم ذلك فإن الإنجيل لا يزال يشهد فى مواضع عديدة بالحق الذى يأتى من بعد عيسى، والمتمثل فى محمد ﷺ ورسالته الخاتمة الخالدة.

إن الرسالة المحددة التى بُعث بها المسيح كانت هدايةُ اليهود وإعادتهم عن ضلالهم وانحرافهم، وتصحيحُ اعتقادهم الخاطئ عن المسيح المنحدر من سلالة داود، ولإقناعهم بأن ملكوت الله على الأرض - الذى كانوا ينتظرون تحقيقه - لم يكن ليتحقق بواسطة مخلص منحدر من سلالة داود، ولكن من نسل إسماعيل اسمه أحمد، وهو الاسم الصحيح المطابق للاسم الذى نصَّت عليه الأناجيل اليونانية بصيغة (بركليتوس PERIQLYTOS)، وليس (باراكليت[١] PARACLETE) كما شوهته الكنائس[٢].

وهذه الحقيقة يُؤكدُها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[٣].

(١) باراكليت: هو الفارقليط أى الذى يُفرق بين الحق والباطل، وهو روح الحق الذى يرسله أى: هو الذى يعلمكم كل شىء، والفارقليط عندهم الحمَّاد، وقيل: الحامد. وجمهورهم أنه المُخلِّص. انظر: الزبيدى: تاج العروس من جواهر القاموس باب القاف فصل الفاء (فرقن) ٢٦/ ٣٠٠، وابن تيمية: الجواب الصحيح ٥/ ٢٨٧، ٢٨٨ .

(٢) عبد الأحد داود : محمد ﷺ كما ورد فى كتاب اليهود والنصارى ص١٤٢ .

(٣) سورة الصف: الآية: (٦).

ولقد جاءت البشارات بمجيء خاتم الأنبياء محمد ﷺ في مواضع عديدة من الأناجيل، من ذلك ما ورد في إنجيل يوحنا ونَصُّه: «الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، وإذا جاء وبَّخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكنه مما يسمع به، ويكلمكم ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب»[١].

وقد اختلفت تفاسير كلمة الفارقليط اليونانية (**PERIQLYTOS**)؛ فمنهم من فسَّرها بمعنى المعزِّى، أو المحامى والكثير الحمد، وقيل: هى كلمة آرامية الأصل، تعنى المخلِّص من اللعنة. وقد كانت هذه الكلمة دارجة بين المؤمنين - آنذاك - وكانت تتعلق بخاتم الأنبياء. وقيل: هى كلمة يونانية تعنى بالترجمة الحرفية لها (أحمد) أو (محمد) بالعربية. والنصوص الأصلية للإنجيل باللغة الآرمية القديمة قد جاءت بكلمة مَحمده وحمده، وهى كلمات موازية تمامًا لكلمة محمد وأحمد فى اللغة العربية، ولعل هذا التفسير الأخير لكلمة الفارقليط - وهى لفظة يونانية كما أسلفنا - يُعتبرُ الأقرب للصواب؛ لأن الله تعالى ذكرهُ صراحةً على لسان عيسى عليه السلام فى كتابه الكريم: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[٢]، وهذا من أقوى البراهين على نُبُوة محمد ﷺ، وعلى أن القرآن تنزيل إلهى فعلاً؛ إذ لم يكن فى وُسع محمد ﷺ أن يعرف أن كلمة البرقليطوس كانت تعنى (أحمد) إلا من خلال الوحى، وهذه حُجة جازمة ونهائية؛ لأن المدلول الحرفى للاسم اليونانى يُعادل بدقة كلمتى (أحمد ومحمد)، ومن المدهش أن الوحى قد ميَّز صيغة أفعل التفضيل من غيرها أى (أحمد) من (محمد)، ومن المدهش أيضًا أن هذا الاسم الفريد لم يُعطَ لأحدٍ من قبلُ؛ إذ حُجز

---

(١) (يوحنا ١٦-٢٥).

(٢) سورة الصف: الآية: (٦).

بصورة معجزة لخاتم الأنبياء والرسل وأجدرهم بالحمد والثناء؛ وذلك أن اسم برقليطوس لم يُطلق على أى يونانى قطُّ، كما أن اسم أحمد لم يُطلَق على أى عربى قبل النبى محمد، صحيح أنه كان هُنالك يونانى مشهور من أثينا اسمه بركليس (PERIQLYTOS) بمعنى الشهير، ولكن ليس بمعنى الأشهر[(١)].

وقال تعالى مبينًا أن النبى ﷺ وأصحابه ليسوا فقط مذكورين فى التوراة والإنجيل بأسمائهم، بل بصفتهم كذلك: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[(٢)].

بل بلغ من وصف الله تعالى لنبيه ﷺ فى الكتب السابقة أنهم صاروا يعرفونه كما يعرف أحدهم ابنه؛ . . . قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[(٣)].

وقد أخفى النصارى إنجيل برنابا الذى يصرح فيه باسم النبى ﷺ محمد وأنه النبى المُبشَّر به من قِبل المسيح وأنه آخر الرسل[(٤)].

وصدق الله إذ يقول: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ

---

(١) انظر: عبد الأحد داود: محمد ﷺ كما ورد فى كتاب اليهود والنصارى ص١٩٢، ١٩٨ .

(٢) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٤٦).

(٤) انظر: كتاب الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة، لمحمد عبد الرحمن عوض، دار البشير، القاهرة. (ذكر النقل عن برنابا. . .).

وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

(وعن عطاء بن يسارٍ قال: لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قُلتُ: أخبرنى عن صفة رسُول الله ﷺ فى التوراة، قال: أجل والله إنهُ لموصُوفٌ فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٢)وحرزًا للأميين أنت عبدى ورسُولى سمَّيتُك المتوكل ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سخَّابٍ فى الأسواق ولا يدفعُ بالسيئة السيئة ولكن يعفُو ويغفرُ، ولن يقبضهُ اللهُ حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقُولُوا لا إله إلا اللهُ ويفتحُ بها أعيُنا عُميًا وآذانًا صُمًّا وقُلُوبًا غُلفًا» (٣). وزاد الإمام أحمد: (قال عطاءٌ لقيت كعبًا (٤)فسألته فما اختلفا فى حرف إلا أن كعبًا يقول بلغته: أعيُنًا عُمومَى وآذانًا صُمُومَى وقلوبًا غُلُوفَى) (٥).

وعن أبى صخرٍ العُقيلى، حدثنى رجُلٌ من الأعراب قال: جلبتُ جَلُوبةً (٦) إلى المدينة فى حياة رسُول الله ﷺ، فلما فرغتُ من بيعتى قُلتُ: لألقين هذا الرجُل فلأسمعن منهُ. قال: فتلقانى بين أبى بكر وعُمر يمشُون، فتبعتُهُم فى أقفائهم حتى أتوا على رجُل من اليهُود ناشرًا التوراة يقرؤها، يُعزى بها نفسهُ على ابن لهُ فى الموت، كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسُولُ الله ﷺ: «**أنشُدُك بالذى أنزل التوراة هل تجدُ فى كتابك ذا صفتى ومَخرجى**». فقال برأسه هكذا أى لا قال ابنهُ: إنى والذى أنزل التوراة إنَّا لنجدُ فى كتابنا صفتك ومخرجك، أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وأنك رسُولُ

(١)سورة الأعراف: الآية: (١٥٧).

(٢)سورة الأحزاب: الآية: (٤٥).

(٣) صحيح:رواه البخارى (٢٠١٨) كتاب البيوع.

(٤)يعنى: كعب الأحبار الذى كان يهوديًا من علماء اليهود ثم أسلم.

(٥)أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٦٥٨٥).

(٦)يعنى: بضاعة، اسم مصدر من جلب (انظر: لسان العرب: ١/ ٢٦٨).

الله. قال: «أقيموا اليهود عن أخيكم، ثم ولى كفنه وحنَّطه وصلى عليه»(١).

ومن أعجب ما قرأت فى هذا الباب قصة الإمام أبى محمد عبد الله الميورقى الترجمان (المتوفى سنة ٨٣٢هـ)، الذى كان من أكبر قساوسة النصارى فى وقته، بل كان مُهيأً لأن يصبح البابا الأكبر، ثم أسلم عندما وقع على آية فى الإنجيل تبشر بقدوم النبى ﷺ، ثم ألَّف كتاب «تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب»، وقسَّمه قسمين؛ القسم الأول: فى ذكر قصة إسلامه، والثانى: فى الردود المفصلة على النصارى(٢)، وذكر قصة انتقاله إلى الإسلام فى سبع عشرة صفحة هذا مختصرها:

قال: اعلموا رحمكم الله أن أصْلى من مدينة ميورقة(٣)، وكان والدى محسوبًا من أهل حاضرة ميورقة، ولم يكن له ولد غيرى، ولما بلغت ست سنين من عمرى أسلمنى إلى معلم من القسيسين، قرأت عليه الإنجيل حتى حفظت أكثره فى مدة سنتين على غير عادة قومى، ثم أخذت فى تعلُّم لغة الإنجيل وعلم المنطق فى ست سنوات، ثم ارتحلت من بلدى إلى مدينة لاردة من أرض القسطلان(٤)، وهى مدينة العلم عند النصارى فى ذلك القطر، ويجتمع فيها طلبة العلم من النصارى، وينتهون إلى ألف وخمسمائة ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذى يقرؤون عليه، فقرأت فيها علم الطبيعيات والنجامة مدة ست سنين، ثم تصدَّرت فيها أقرأ الإنجيل ولغته ملازمًا ذلك مدة أربع سنين، ثم ارتحلت إلى مدينة بلونية من أرض الأنبردية، وهى مدينة كبيرة جدًّا، وهى مدينة علم ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد من ألفى

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٢٢٩٨١) وإسناده صحيح (صححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة، المجلد السابع، ٣٢٦٩).

(٢) ومن أبواب هذا القسم: باب فى شهادة التوراة والإنجيل والزبور وجميع الكتب على نبوة نبينا محمد ﷺ.

(٣) جزيرة فى البحر الأبيض المتوسط جنوب إسبانيا وتابعة لها (انظر: تحفة الأريب، ص٦١).

(٤) وهى مدينة فى الأندلس (انظر: تحفة الأريب، ص٦٣).

رجل يطلبون العلوم، ولا يلبسون إلا الملف الذى هو صباغ الله، فسكنت فى كنيسة لقسيس كبير السن عندهم كبير القدر اسمه: (نقلاو مرتيل)، وكانت منزلته فيهم فى العلم والدين والزهد رفيعة جدًّا، انفرد بها فى زمنه عن جميع أهل دين النصرانية، فكانت الأسئلة فى دينهم تَرِد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم، ويصحب الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية فى بابه، ويرغبون فى التبرك به، وفى قبوله لهداياهم، ويتشرفون بذلك.

فقرأت على هذا القسيس علم أصول النصرانية وأحكامها، ولم أزل أتقرب إليه بخدمته والقيام بكثير من وظائفه حتى صيَّرنى من أخص خواصه، وانتهيت فى خدمتى له وتقربى إليه إلى أن دفع إلىَّ مفاتيح مسكنه وخزائن مأكله ومشربه، وصيَّر جميع ذلك على يدى، ولم يستثنِ من ذلك سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه كان يخلو فيه بنفسه، والظاهر أنه بيت خزانة أمواله التى كانت تُهدَى إليه، والله أعلم.

فلازمته على ما ذكرت من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين، ثم أصابه مرض يومًا من الدهر، فتخلف عن حضور مجلس إقرائه، وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلوم، إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله - عز وجل - على لسان نبيه عيسى - عليه السلام - فى الإنجيل: إنه يأتى من بعده نبى اسمه (البارقليط)[1]، فبحثوا فى تعيين هذا النبى من هو من الأنبياء، وقال كل واحد منهم بحسب علمه... وعَظُم مقالهم وكَثُر جدالهم، ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة، فأتيت مسكن القسيس، فقال: ما الذى كان عندكم اليوم من البحث فى غيبتى عنكم؟ فأخبرته باختلاف القوم فى اسم (البارقليط) وسردت له أجوبتهم، فقال لى: وبماذا أجبت أنت؟ فقلت: بجواب القاضى فلان فى تفسيره الإنجيل. فقال

(١) انظر: إنجيل يوحنا (١٥: ١٤ - ١٧)، والكلمة فيه (باركليتكس) وترجمتها فى النسخة العربية (المعزى)، وهو تحريف، والصحيح أن معناها (كثير الحمد) انظر: تحفة الأريب (ص٢٦٦-٢٦٧).

لى: ما قصَّرت وقربت، وفلان أخطأ، وكاد فلان أن يقارب، ولكن الحق خلاف هذا كله؛ لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون فى العلم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل، فبادرت قدميه أقبلهما وقلت له: يا سيدى! قد علمت أنى ارتحلت إليك من بلد بعيد، ولى فى خدمتك عشر سنين، حصَّلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعل من جميل إحسانكم أن تمنوا علىّ بمعرفة هذا الاسم.

فبكى القسيس وقال لى: يا ولدى! والله أنت لتعز علىَّ كثيرًا من أجل خدمتك لى وانقطاعك إلىَّ، فى معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة، لكنى أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك، فتقتلك عامة النصارى فى الحين. فقلت له: يا سيدى! والله العظيم، وحق الإنجيل ومن جاء به، لا أتكلم بشىء مما تُسره إلىَّ إلا عن أمرك.

فقال لى: إذن فاعلم يا ولدى أن البارقليط هو اسم من أسماء نبى المسلمين محمد ﷺ، وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال - عليه السلام - وأخبر أنه نزل هذا الكتاب عليه، وأن دينه هو دين الحق، وملته هى الملة البيضاء المذكورة فى الإنجيل.

فقلت: وما تقول فى دين هؤلاء النصارى؟ فقال لى: يا ولدى! لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول، لكانوا على دين الله؛ لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله، ولكن بدلوا وكفروا.

فقلت: يا سيدى! وكيف الخلاص من هذا الأمر؟ فقال: يا ولدى! بالدخول فى دين الإسلام. فقلت: وهل ينجو الداخل فيه؟ قال: نعم ينجو فى الدنيا والآخرة. فقلت: يا سيدى! إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم؛ فإذا علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك منه؟ فقال: يا ولدى! إن الله لم يطلعنى على حقيقة ما أخبرتك به إلا بعد كبر سنى، ووهن

جسمى، ولو هدانى الله لذلك وأنا فى سنك لتركت كل شىء ودخلت فى دين الحق، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى، من رفعة الجاه والعز، والترف، وكثرة عرض الدنيا، ولو أنى ظهر علىَّ شىء من الميل إلى دين الإسلام، لقتلتنى العامة فى أسرع وقت، وهَبْ أنى نجوت منهم وخلصت إلى المسلمين، فأقول لهم: إنى جئتكم مسلمًا. فيقولون لى: قد نفعت نفسك بنفسك بالدخول فى دين الحق، فلا تَمُنَّ علينا بدخولك فى دين خلصت فيه نفسك من عذاب الله. فأبقى فيهم شيخًا كبيراً فقيراً ابن تسعين، لا أفقه لسانهم، ولا يعرفون حقى[1]. فقلت: يا سيدى! أفتدلنى أن أمشى إلى بلاد المسلمين وأدخل دينهم؟ فقال: إن كنت عاقلاً، طالبًا للنجاة، فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة، ولكن يا ولدى هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن، فاكتمه بغاية جهدك، وإن ظهر عليك شىء منه قتلتك العامة لحينك، ولا أقدر على نفعك، ولا ينفعك أن تنقله عنى، فإنى أجحده وقولى مُصدَّقٌ عليك، وقولك غير مُصدَّق علىَّ، وأنا برىء من ذلك إن فُهْتَ بشىء. فعاهدته بما يرضيه.

ثم أخذت فى أسباب الرحلة وودعته، فدعا لى عند الوداع بخير، فانصرفت إلى بلدى ميورقة، ثم سافرت إلى جزيرة صقلية، وأقمت فيها خمسة أشهر وأنا أنتظر مركبًا يتوجه لأرض المسلمين، فحضر مركب يسافر إلى مدينة تونس، فسافرت فيه من صقلية وأقلعنا عنها قرب مغيب الشفق، فوردنا مرسى تونس قبل الزوال، فلما نزلت بديوان تونس، وسمع بى الذين بها من أحبار النصارى أتوا بمركب وحملونى معهم إلى ديارهم، وصحبهم أيضًا بعض التجار الساكنين أيضًا بتونس، فأقمت عندهم فى ضيافتهم على

(١) وهذا سوء ظن بالمسلمين ولكنه كما قال هو: (حب الدنيا رأس كل خطيئة)، وحدثنا أحد المتخصصين فى كتب النصارى وتاريخهم من أساتذة الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة أن هذا الرجل أسلم أيضًا وقتلته النصارى.

أرغد عيش أربعة أشهر، وبعد ذلك سألتهم هل بدار السلطان أحد يحفظ لسان النصارى، وكان السلطان آنذاك مولانا أبا العباس أحمد - رحمه الله - فذكر لى النصارى أن بدار السلطان المذكور رجلاً فاضلاً من أبرِّ خُدَّامه اسمه يوسف الطبيب وكان طبيبه، ومن خواصه، ففرحت بذلك فرحًا شديدًا، وسألت عن مسكن هذا الرجل الطبيب، فدُلِلت عليه واجتمعت به، وذكرت له شرح حالى، وسبب قدومى للدخول فى الإسلام، فسُرَّ الرجل بذلك سروراً عظيمًا بأن يكون تمام هذا الخير على يديه، ثم ركب فرسه وحملنى معه إلى دار السلطان، ودخل عليه فأخبره بحديثى، فاستأذنه لى فأذن لى، فمثلت بين يديه، فأول ما سألنى السلطان عن عمرى، فقلت له: خمسة وثلاثون عامًا. ثم سألنى عما قرأت من العلوم فأخبرته، فقال لى: قدمت قدوم خير، فأسلم على بركة الله. فقلت للترجمان - وهو الطبيب المذكور -: قل لمولانا السلطان إنه لا يخرج أحد من دين إلا ويكثر أهله القول فيه والطعن فيه، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم، وتسألوهم عنى وتسمعوا ما يقولون فى جنابى، وحينئذ أُسلم إن شاء الله تعالى، فقال لى بواسطة الترجمان: أنت طلبت ما طلب «عبد الله بن سلام» من النبى ﷺ.

ثم أرسل إلى أحبار النصارى وبعض تجارهم وأدخلنى فى بيت قريب من مجلسه، فلما دخل النصارى عليه قال لهم: ما تقولون فى هذا القسيس الجديد الذى قَدِم فى هذا المركب؟ قالوا له: يا مولانا! هذا عالم كبير فى ديننا، وقالت القساوسة: إنهم ما رأوا أعلى من درجته فى العلم والدين فى ديننا، فقال لهم: وما تقولون فيه إذا أسلم؟ قالوا: نعوذ بالله من ذلك هو ما يفعل ذلك أبدًا. فلما سمع ما عند النصارى بعث إلىَّ، فحضرت بين يديه وشهدت شهادتى الحق بمحضر النصارى، فصلَّبوا على وجوههم،

وقالوا: ما حمله على هذا إلا حب التزويج، فإن القسيس عندنا لا يتزوج. وخرجوا مكروبين محزونين، فرتب لى السلطان - رحمه الله - ربع دينار كل يوم فى دار المختص، وزوّجنى ابنة الحاج محمد الصفار، فلما عزمت على البناء بها، أعطانى مائة دينار ذهبًا وكسوة جيدة كاملة، فبنيت بها، وولد لى منها ولد سميته محمدًا على وجه التبرك باسم نبينا ﷺ [(١)(٢)].

وفى نهاية هذا الفصل الذى استعرضنا فيه بعضًا من بشارات الكتب السابقة بما فيها التوراة والإنجيل بالنبى ﷺ، نختم بقصة واقعية تؤكد صحة هذه البشارات، التى استطاع أحد الرهبان - ويُدعى فرامرينو، وهو راهب لاتينى - اكتشف النسخة المحررة باللغة الإيطالية من الإنجيل، ويقول فى ذلك: إنه لدى مطالعته عدة رسائل لأيرينايوس وجد إحداها تندد بالقديس بولس الرسول استنادًا إلى إنجيل القديس برنابا، ومن هنا اهتم الراهب فرامرينو بالبحث عن هذا الإنجيل، وقد ساعدته ظروف عمله فى مقر البابوية، إذ صار بعد فترة مُقربًا من البابا سكتس الخامس، وبذلك تمكن من دخول المكتبة البابوية، وببحثه عثر على نسخة إنجيل برنابا [(٣)] التى كان يرنو إليها، وبعد الاطلاع عليها تأكد من صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وانتهى به الأمر باعتناق الإسلام [(٤)(٥)].

❊ ❊ ❊

(١)كتاب تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب لأبى محمد عبد الله الميورقى الترجمان (ص٦١-٧٦)، طبعته دار البشائر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ (بتصرف).

(٢)بتصرف من كتاب (الأدلة الجلية على صدق خير البرية ﷺ)/د. عبد المحسن المطيرى.

(٣)لمزيد من البشارات عن الرسول محمد ﷺ انظر: إنجيل برنابا دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليه السلام، تحقيق سيف الله أحمد فاضل.

(٤)محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ص٥٦ .

(٥)أسوة للعالمين (ص٢٢٠ - ٢٢١).

شهادات على صدق نبوة النبي ﷺ

شهادات على صدق نبوة النبى ﷺ

(١) شهادة الله (جل وعلا):

فهناك شهادات كثيرة على صدق نبوة النبى ﷺ .

ولكن أعظم شهادة هى شهادة الحق (جل وعلا) فلقد شهد الحقُّ تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، . . . . فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(١) .

وكفى بشهادة رب العالمين دليلاً على صدقه ﷺ .

فإن الله (جل وعلا) لن يوفِّق إنسانًا كذابًا مُدعيًا عليه (سبحانه وتعالى) فإن الله تعالى أخبر أن محمدًا لو تقوَّل على ربه شيئًا من الأقاويل لأهلكه ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾(٢) ، وقال سبحانه: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾(٣) ، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾(٤) ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾(٥) ، ولكن النبى ﷺ ما خاب بل هُدى وأفلح فى كل المجالات، ودينه أعظم الأديان فى الأرض وأكثرها انتشاراً.

* هذا بالإضافة إلى أن القرآن هو أصدق وثيقة ظلَّت حتى الآن بلا

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الحاقة: الآيات: (٤٤-٤٧).

(٣) سورة طه: الآية: (٦١).

(٤) سورة يونس: الآية: (٦٩).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٣).

تحريف ولا تبديل فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

فلقد جاء فى القرآن الكريم فى أكثر من سورة شهادة رب العالمين لنبيه بالرسالة.

فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾(٢). وننظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾(٣). ويقول الطبرى مُعلقًا على هذه الآية: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾، إنما جعلناك - يا محمد - رسولاً بيننا وبين الخلق، تُبلغُهم ما أرسلناك به من رسالة إليهم، وليس عليك غيرُ البلاغ وأداءُ الرسالة إلى من أُرسلت إليه، فإن قبلُوا ما أُرسلت به فلأنفسهم، وإن ردُّوا فعليها. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ عليك وعليهم، ﴿شَهِيدًا﴾ يقول: حسبُك اللهُ - تعالى ذكرُه - شاهدًا عليك فى بلاغك ما أُمرت ببلاغه من رسالته ووحيه، وعلى من أُرسلت إليه فى قبولهم منك ما أُرسلت به إليهم، فإنه لا يخفى عليه أمرُك وأمرُهم، وهو مُجازيك ببلاغك ما وعدك، ومجازيهم ما عملُوا من خيرٍ وشرٍّ، جزاء المُحسن بإحسانه، والمُسيئ بإساءته(٤).

وفى تحدٍّ عجيب يقول الحقُّ تبارك وتعالى للذين لا يؤمنون برسالة محمد ﷺ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾(٥). يقول ابن عاشور تعليقًا على شهادة رب العالمين على صدق نبيه ﷺ «**إن الله لا يُصدق من كذب عليه، فلا يَتمُّ له أمرٌ، وهو معنى قول أئمة أصول الدين: إن دلالة المعجزة على الصدق أن تغيير الله العادة لأجل تحدى الرسول ﷺ قائمٌ مقام قوله: صدق عبدى فيما أخبر به عنى**»(٦).

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

(٣) سورة النساء: الآية: (٧٩).

(٤) الطبرى: جامع البيان فى تأويل القرآن (٨/ ٥٦١).

(٥) سورة الرعد: الآية: (٤٣).

(٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٢٥/ ٢١).

ويقول الحقُّ تبارك وتعالى فى آيات أخرى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[1] .

ويُعلقُ الأستاذ سيد قطب على هذه الآيات قائلاً: «فإذا أنكر أهل الكتاب هذه الرسالة الأخيرة، وهى جارية على سُنة الله فى إرسال الرسل لعباده ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾؛ فأهل الكتاب يعترفون بالرسل قبل محمد ﷺ . . . اليهود يعترفون بمن قبل عيسى عليه السلام، والنصارى يعترفون بهم وبعيسى. . . فإذا أنكروا رسالتك - يا محمد - فلا عليك منهم، فليُنكروا ﴿لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وفى هذه الشهادة من الله، ثم من ملائكته ومنهم من حملها إلى رسوله، إسقاطٌ لكل ما يقوله أهل الكتاب، فمن هُم والله يشهد؟! والملائكة تشهد؟! وشهادة الله وحدها فيها الكفاية! وفى هذه الشهادة تسرية عن الرسول ﷺ وما يلقاهُ من كيد اليهود وعنتهم»[2] .

وآيات القرآن التى تشهد بصدق النبى ﷺ كثيرة، ولا نكون مبالغين إن قُلنا: إن كل القرآن يشهد بذلك تصريحًا أو تضمينًا. وما أجمل أن نختم هذا المبحث بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[3] ، «أىُّ» شاهد فى هذا الوجود كله هو أكبر شهادة؟ أىُّ شاهد تعلو شهادته كل شهادةٍ؟ أىُّ شاهد تحسم شهادته فى القضية فلا يبقى بعد

---

(١) سورة النساء: الآيات: (١٦٤-١٦٦).

(٢) سيد قطب/ فى ظلال القرآن (٢/ ٢٩١).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٩).

شهادته شهادة... وكما يُؤمر رسول الله ﷺ بالسؤال، فهو يُؤمر كذلك بالجواب؛ ذلك أنه لا جواب غيره باعتراف المخاطبين أنفسهم، ولا جواب غيره فى حقيقة الأمر والواقع.

«قُل اللهُ» نعم! فالله سبحانه وتعالى هو أكبر شهادة، هو الذى يقُصُّ الحق، وهو خير الفاصلين، هو الذى لا شهادة بعد شهادته، ولا قول بعد قوله؛ فإذا قال فقد انتهى القول، وقد قُضى الأمر(١).

وقد قرر الإمام ابن القيم - رحمه الله - هذا الدليل أوضح تقرير، فقال - رحمه الله -: (وقد جرت لى مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة، فقلت له فى أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمدًا ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة. فعجب من ذلك وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟ فقلت له: اسمع الآن تقريره؛ إذا قلتم: إن محمدًا ملك ظالم، قهر الناس بسيفه، وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثًا وعشرين سنة يدَّعى أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرنى الله بكذا ونهانى عن كذا، وأُوحى إلىَّ كذا؛ ولم يكن من ذلك شىء، ويقول: إنه أباح لى سبى ذرارى مَن كذبنى وخالفنى ونساءهم، وغنيمة أموالهم، وقَتْل رجالهم ولم يكن من ذلك شىء، وهو يدأب فى تغيير دين الأنبياء، ومعاداة أممهم، ونسخ شرائعهم؛ فلا يخلو إما أن تقولوا: إن الله - سبحانه - كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه. أو تقولوا: إنه خفى عنه ولم يعلم به. فإن قلتم: لم يعلم به: نسبتموه إلى أقبح الجهل، وكان مَن عَلِمَ ذلك أعلم منه، وإن قلتم: بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه. فلا يخلو إما أن يكون قادرًا على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أو لا، فإن لم يكن قادرًا فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافى للربوبية، وإن كان قادرًا وهو مع

(١) سيد قطب / فى ظلال القرآن (٢/ ٤٩٣).

ذلك يعزه وينصره، ويؤيده ويُعليه ويُعلى كلمته، ويجيب دعاءه، ويُمكنه من أعدائه، ويُظهـر على يديه من أنواع المعـجـزات والكرامـات مـا يزيد على الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له، فهـذا من أعظم الظلم والسَّفـه الذى لا يليق نسبـته إلى آحاد العـقلاء، فضلاً عن رب الأرض والـسماء، فكيف وهو يشهد لـه بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه، وهذه عندكم شهادة زور وكذب؟! فـلما سمع ذلك قال: معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مُـفترٍ بل هو نبى صادق، من اتَّبعه أفلح وسَعِد. قلت: فما لك لا تدخل فى دينه؟ قال: إنما بُعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتـاب نتبعه. قلت له: غُلبت كل الغلب؛ فإنه قـد علم الخاص والعام أنه أخـبر إنه رسول الله إلى جـميع الخلق، وأن من لم يتبعه فهـو كافر من أهل الجحيم، وقاتَل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، وإذا صحَّت رسالته وجب تصديقه فى كل ما أخبر به، فأمسك ولم يحر جوابًا»[١].

ومثال هذا (لو أن حاجب الأمير قـال للناس: إن الأمير قد أمركم بفعل كذا وكذا. فإن الناس يعلمون أنه لا يتعمد الكذب فى مثل هذا وإن لم يكن بحضرته، فكيف إذا كان بحضرته)[٢] وبعلمه.

(٢) الآيات التى يُجريها الله على يديه ﷺ :

وهذه الآيات والمعجـزات لا شك أنها حُجـة قاطعة على صدق رسـالته ونبوته ﷺ ؛ لأن خرق العادة ومخالفة قانون الطبـيعة وتغير ناموس الحياة لا يمكن أن يفعله مخلوق، بل لا يكون إلا من الخالق للعادة - سـبحانه،

(١) هداية الحيارى فى أجوبة اليـهود والنصارى، لابن قيم الجوزية (ص٨٧)، نشر الجامعـة الإسلامية فى المدينة النبوية.

(٢) الجواب الصـحيح لمن بدل دين المسيـح، لشيخ الإسلام ابن تيـمية (٦/ ٤٨٣)، تحـقيق: د. على بن ناصر وآخرين.

والله تعالى لا يخرق العادة لكاذب، بل إنما يؤيد بها رسله للتدليل على صدقهم فى دعوتهم، كما حصل من قلب النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، وقلب عصى موسى إلى أفعى، وإحياء الموتى لعيسى، وغير ذلك من الآيات؛ لذلك كان القوم إذا أُرسل إليهم أحد، أو ادَّعى النبوة قالوا: ﴿ ...لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ... ﴾[1]، ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ... ﴾[2]، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا... ﴾[3]، ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ... ﴾[4][5].

* وسنُفرد فصلاً كاملاً للحديث عن بعض معجزات النبى ﷺ.

(٣) شهادة زوجاته رضي الله عنهن:

من لطيف الاستدلال - فى هذا المقام - استدلال بعضهم لصدقه بزواجه من أكثر من تسع نسوة؛ ووجه ذلك إن الإنسان الكاذب قد يستطيع أن يتحرز من الناس فى حياته الخارجية، بحيث لا يستطيع أحد أن يجد عليه كذبًا، لكن هذا لا يحصل للإنسان مع زوجته؛ فإن العادة جرت بسقوط الكُلفة وانبساط الرجل مع أهله، وزوجته أعلم الناس بحاله، لكن لما كان احتمال أن هذه الزوجة تتواطأ مع زوجها فى إخفاء كذبه؛ أُذن للنبى ﷺ أن يكثر من الأزواج، فالنبى ﷺ مع كثرة أزواجه لم تنقل إحداهن عن حياته الخاصة إلا كل كمال يمكن أن يوصف به إنسان، فلو أمكن أن تتواطأ واحدة، فإنه لا يمكن أن يتواطأن كلهن على ستر كذبه - وحاشاه - وإخفاء عيبه فهذا فى غاية من البعد، لا سيما أن بعضهن كصفية بنت حُيى بن

(١) سورة البقرة: الآية: (١١٨).
(٢) سورة الأنعام: الآية: (٣٧).
(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٠٩).
(٤) سورة يونس: الآية: (٢٠).
(٥) (الأدلة الجلية على صدق خير البرية) (ص: ٣٨-٣٩) بتصرف.

أخطب، التى تزوجها بعد أن حارب قومها، وقتل منهم الكثير بل قتل زوجها وأباها وعمها، ثم سباها ثم أعتقها وتزوجها، وأم حبيبة كان متزوجًا بها وهو يحارب أباها أبا سفيان، وجويرية بنت الحارث كانت من سبايا بنى المصطلق، ثم أعانها على مكاتبتها وتزوجها[١]، ألم يكن لهؤلاء النسوة أكبر دافع للثأر منه، ولو بتشويه صورته بعد موته؟ بلى، ولكن كل هذا لم يحصل فدلَّ على صدقه[٢].

* ونحن نعلم أن الرجل إذا كان متزوجًا بأكثر من زوجة فإنه قد تحبه إحداهن وقد تكرهه الأُخريات بسبب عدم العدل أو سوء المعاملة أو غير ذلك... لكن النبى ﷺ الذى أحسن إلى كل أزواجه وكان يعدل بينهن غاية العدل... كانت كل زوجة من أزواجه تحبه حبًّا جمًّا وتسعى للفوز بحبه ورضاه.

* فها هى خديجة رضي الله عنها تلك الزوجة الوفية التى عاش معها النبى ﷺ خمسة وعشرين عامًا فما رأت منه إلا الخير والصلاح وحُسن عشرة... فلما نزل عليه الوحى وخاف خوفًا شديدًا ما كان منها إلا أن أخذت تهدئ من روعه وتقول له: «فوالله ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصلُ الرحم، وتحملُ الكَلَّ [٣]، وتكسبُ المعدُوم، وتقرى الضيف، وتُعينُ على نوائب الحق...»[٤].

* وها هى عائشة رضي الله عنها وهى أصغر زوجاته تشهد بصدقه وحُسن خلقه وعشرته الطيبة... فإنه لما جاء أحد الصحابة يسألها عن خُلق الرسول ﷺ قالت له: «كان خُلقه القرآن»[٥].

---

(١) انظر فى ترجمة أمهات المؤمنين: صحابيات حول الرسول ﷺ / للمصنف.

(٢) الأدلة الجلية (ص٧٦).

(٣) الكل: الثِّقل من كل ما يُتكلف. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة كلل (١١/ ٥٩٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١١٠) كتاب الإيمان.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين.

ومن أعظم الشهادات علـى صدقه ﷺ شهادة أم المؤمنين صـفية بنت حُيى بن أخطب ﵂ زعيم يـهود بنى قريظة، الذى أمر النبى ﷺ بقتله لغدره وخـيانته للعـهد الذى تم بينه وبين المسلمين؛ . . . فـها هى ذى ﵂ تُحدثُنا عن خُلُقـه فتقول: مـا رأيتُ أحدًا قط أحسن خُلُقًـا من رسول الله، لقد رأيته ركب بى فى خـيبر، وأنا على عجز ناقـته ليلاً، فجعلتُ أنعس فتضرب رأسى مؤخرة الرحل، فيمسنى بيده ويقول: **«يا هذه، مهلاً»**[(١)].

ثم ها هى ذى تتمنى أن تُضحى بنفسها فداءً له ﷺ، وأن تتألم عِوضًا عنه؛ . . . فعن زيد بن أسلم ﵁ أنه قال: اجتـمع نساؤه ﷺ فى مرضه الذى توفى فيه، فقالت صـفية ﵂: إنى والله يا نبى الله لوددتُ أن الذى بك بى. . . فقال النبى ﷺ معلقًا على كلامها: **«والله! إنها لصادقة»**[(٢)].

(٤) شهادة الصحابة ﵃:

إن صحابة رسول الله ﷺ هم الذين صدقوا دعوته، وآمنوا برسالته، وصحبوه فى سِلمه وحربه، لفترة زمنية طويلة، فعلموا فيها حـقيقة محمد ﷺ وخبيئته، فلو كان محمد ﷺ فظًّا فى تعامله، سيئًا فى سريرته، لكانوا أول الناس ابتعادًا عنه، وكُرهًا له، لكن الأمر كان على النقيض تمامًا؛ إذ كانوا يزدادون يومًا بعد يوم، فبلغ عدد مَن شَهِـد حجة الوداع منهم مائة ألف صحابى أو يزيد.

وقد شهد القريب والبعيد منهم بحُسن خُلق النبى ﷺ.

فهذا أنس بن مالك ﵁ أحد الصحـابة الذين عاشوا مع محمد ﷺ بصورة شبـه كاملة؛ فى البيت، وفى المسجد، وفى الطريق، وفى السوق، وفى الحرب، يقول: «خدمتُ النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى أُفٍّ، ولا

---

(١) أبو يعلى: المسند (١٣/ ٢٩-٣١)، والطبرانى: المعجم الأوسط (٦/ ٣٤٤، ٣٤٥).

(٢) عبد الرزاق: المصنف (١١/ ٤٣١).

لِمَ صنعت، ولا ألا صنعت»[(١)] . وهذا مثال فى غـاية الروعة، ووصفٌ فى غاية الجمال؛ فعشر سنين فترة زمنية ليست بالهينة ولا القصيرة، ورغم ذلك لم يخرج من فم رسول الله ﷺ أقل عُتب أو لوم لأنس رضي الله عنه، ولو خرج فى هذه المدة من رسول اللـه ﷺ ما يُغضب أنسًـا لقاله، ولأخبـر به بعد وفاة النبى ﷺ، لكن ذلك لم يحدث.

لقد أقـر كُلُّ الصحابة - بلا استـثناء - بحب رسول الله ﷺ، وكان هذا الحب والإنصاف نابعًا من تصديقهم برسالته، ومعايشتهم لواقعه.

ومما يُدلل على هذا الحب والإنـصاف مـوقف الصـحـابى زيد بن الدثنة رضي الله عنه، الذى أسره بعضُ الهُـذليين، وباعوه لصـفوان بن أميـة القرشى الذى كان والده أمية قُتل فى غزوة بدر الكبرى، فأراد أن يثأر لوالده بقتله لزيد بن الدثنة، فأخذوه إلى الحـرم ليقتلوه، فرأى أبو سفيـان رباطة جأشه، وإقباله على الشهادة بحُبٍّ منقطع النظير، فقال له: أتحب أن محمدًا عندنا الآن فى مكانك نضرب عُنقـه وأنك فى أهلك؟ قال: والله ما أُحبُّ أن مـحمدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تُصيبه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالسٌ فى أهلى[(٢)] .

وممن شهد بصدق رسول الله ﷺ، سلمان الفارسى الذى ظل يبحث عن النبى الحق الذى عرف صفاته ومناقبه من أحد الرهبان فى عَمُّورية، بعدما طلب منه سلمان أن يدله على راهب من الرهبان يعيش فى كنفه عابدًا لربه.

وترجع أهميـة قصة إسلام سلمان رضي الله عنه إلـى كونها دليلاً يشـهد بصدق نُبُوة محمد ﷺ، بل إن بقاء سلمان رضي الله عنه على إسلامه، وجهاده ودفاعه عن الدين، ونشره له حتـى مماته فى عام خمسة وثلاثيـن من الهجرة، دليلٌ على كون محمد ﷺ صادقًـا فيما أُرسل إليه، ولم يكن مُدعيًا للنُبُوة، أو

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٩١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل.

(٢) انظر: ابن هشـام: السيـرة النبوية (٢/ ١٧٢)، وابن كـثيـر: السيـرة النبوية (٣/ ١٢٨)، والصـالحى الشامى: سبل الهدى والرشاد (٦/ ٤٢، ١١/ ٤٣١).

كاذبًا فيما جاء به، ولو رأى سلمان ﷺ خلاف ذلك لرجع إلى بحثه عن النبى الخاتم، الذى خرج من أجله منذ أعوام عديدة؛ إذ كان ذلك هو شُغله الشاغل، لكن ذلك لم يحدث؛ لأن سلمان ﷺ وجد أن محمدًا ﷺ نبىٌّ حقًّا، بل هو خاتم الأنبياء أجمعين.

وقد تكرر الأمر نفسه عند إسلام الحبر اليهودى (عبد الله بن سلام)[١].

ولم تكن هذه الشهادات فى حياته ﷺ فقط ولكنها كانت - أيضًا - بعد مماته ﷺ، . . . فها هو عمرو بن العاص ﷺ يقول عن رسول الله ﷺ بعد وفاته وهو يصفه: «ما كان أحدٌ أحب إلىَّ من رسُول الله ﷺ، ولا أجلَّ فى عينى منهُ، وما كُنتُ أُطيقُ أن أملأ عينى منهُ؛ إجلالاً لهُ، ولو سُئلتُ أن أصفهُ ما أطقتُ، لأنى لم أكُن أملأُ عينى منهُ»[٢].

هذه بعض شهادات الصحابة على حُبهم له ﷺ، وإيمانهم بدعوته، وتصديقهم برسالته، والتى لا تدع مجالاً للشك أن محمدًا ﷺ نبىٌّ مُرسَلٌ لهداية الناس إلى الحق، ولإخراجهم من الظلمات إلى النور[٣].

(٥) عشارية هرقل:

ملك الأوربيين الأسبق هرقل عظيم الروم - وكان من علماء النصارى - سأل أحد أكبر أعداء النبى ﷺ فى وقتها عشرة أسئلة تحقق منها صدق النبى ﷺ ونبوته، وإليك هذا الحديث العجب كما فى الصحيحين:

عن عبد الله بن عباس ﷺ أن أبا سُفيان بن حرب أخبرهُ أن هرقل أرسل إليه فى ركْبٍ من قُريش، وكانُوا تجارًا بالشام فى المُدة التى كان رسُولُ الله

---

(١) عبد الله بن سلام: هو أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلى، أسلم عند قدوم النبى ﷺ المدينة، وكان اسمه «الحصين» فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، توفى بالمدينة سنة (٤٣هـ/ ٦٦٣م). انظر ابن عبد البر: الاستيعاب (٣/ ٩٢١).

(٢) أبو الفضل السيد أبو المعاطى النورى: المسند الجامع (٣٢/ ٤٩٨).

(٣) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين).

ﷺ مادَّ فيها أبا سُفيان وكُفار قُريش، فأتوهُ وهُم بإيلياء فدعاهُم فى مجلسه وحولهُ عظماءُ الرُّوم، ثُم دعاهُم ودعا بترجُمانه فـقال: أيكُم أقربُ نسبًا بهذا الرجُل الذى يزعُمُ أنهُ نبىٌّ؟ فقال أبو سُفيان: فـقلت: أنا أقربهُم نسبًا. فقال: أدنُوهُ منى وقربُوا أصحابهُ، فاجعلُوهُم عند ظهره. ثُم قال لترجُمانه: قُل لهُم إنى سائلٌ هذا عن هذا الرجُل فـإن كذبنى فكذِّبوه. فوالله لولا الحـياءُ من أن يأثروا علىَّ كذبًا لكذبتُ عنه، ثم كان أول ما سألنى عنهُ أن قال:

١- كيف نسبهُ فيكُم؟ قُلتُ: هُو فينا ذُو نسب.

٢- قال: فهل قال هذا القول منكُم أحدٌ قطُّ قبلهُ؟ قُلتُ: لا.

٣- قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قُلتُ: لا.

٤- قال: فأشرافُ الناس يتبعُونهُ أم ضُعفاؤُهُم؟ فقُلتُ: بل ضُعفاؤُهُم.

٥- قال: أيزيدُون أم ينقُصُون؟ قُلتُ: بل يزيدُون.

٦- قال: فهل يرتدُّ أحدٌ منهُم سَخطةً لدينه بعد أن يدخُل فيه؟ قُلتُ: لا.

٧- قال: فهل كُنتُم تتهمُونهُ بالكذب قبل أن يقُول ما قال؟ قُلتُ: لا.

٨- قـال: فهل يغـدرُ؟ قُلتُ: لا، ونحنُ منهُ فى مُـدة لا ندرى ما هُو فاعلٌ فيها. قال: ولم تُمكنى كلمةٌ أُدخلُ فيها شيئًا غير هذه الكلمة.

٩- قال: فـهل قاتلتُمُـوهُ؟ قُلتُ: نعم. قال: فكيف كان قـتالُكُم إياهُ؟ قُلتُ: الحربُ بيننا وبينهُ سجالٌ، ينالُ منا وننالُ منهُ.

١٠- قال: ماذا يأمُـرُكم؟ قُلتُ: يقُولُ: اعبُدُوا الله وحـدهُ ولا تُشركُوا به شيئًا، واتركُوا ما يقُولُ آباؤُكُم، ويأمُرُنا بالصلاة، والزكاة، والصدق، والعفاف، والصلة.

فقال للتـرجمان: قُل لهُ: سألتُك عن نسبه، فذكرت أنهُ فيكُم ذُو نسب، فكذلك الرُّسُلُ تُبـعثُ فى نسب قومـها، وسـألتُك هل قال أحـد منكُمُ هذا القوُل، فذكرت أن لا، فقُلتُ: لو كـان أحدٌ قال هذا القـول قبلهُ، لقُلتُ:

رجلٌ يأتسى بقولٍ قيل قبلهُ. وسألتُك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قُلتُ: فلو كان من آبائه من ملك قُلتُ: رجلٌ يطلُبُ مُلك أبيه، وسألتُك هل كنتم تتهمُونهُ بالكذب قبل أن يقُول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرفُ أنهُ لم يكُن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتُك أشرافُ الناس اتبعُوهُ أم ضُعفاؤُهُم، فذكرت أن ضُعفاءهُم اتبعُوهُ، وهُم أتباعُ الرُّسُل، وسألتُك أيزيدُون أم ينقُصُون، فذكرت أنهُم يزيدُون، وكذلك أمرُ الإيمان حتى يتم، وسألتُك أيرتدُّ أحدٌ سخطةً لدينه بعد أن يدخُل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمانُ حين تُخالطُ بشاشتُهُ القُلُوب، وسألتُك هل يغدرُ، فذكرت أن لا، وكذلك الرُّسُلُ لا تغدرُ، وسألتُك بما يأمُرُكُم، فذكرت أنهُ يأمُرُكُم أن تعبُدُوا الله ولا تُشركُوا به شيئًا، وينهاكُم عن عبادة الأوثان، ويأمُرُكُم بالصلاة والصدق والعفاف؛ فإن كان ما تقُولُ حقًّا، فسيملكُ موضع قدميَّ هاتين، وقد كُنتُ أعلمُ أنهُ خارجٌ، ولم أكُن أظُنُّ أنهُ منكُم، فلو أنى أعلمُ أنى أخلُصُ إليه لتجشمتُ لقاءهُ ولو كُنتُ عندهُ لغسلتُ عن قدمه[1].

* ولم تكن شهادة أبى سفيان هى الشهادة الوحيدة للنبى ﷺ من أعدائه الذين عاصروه.

بل لقد اعترفت قريش كلها بصدق النبى ﷺ فقد كانوا يُسمونه بالصادق الأمين... وفى يوم من الأيام «خرج رسول الله حتى أتى الصفا، فصعد عليه فهتف: «**يا صباحاهُ**»... فلما اجتمعوا إليه قال: «**أرأيتُم لو أخبرتكُم أن خيلاً تخرُجُ من سفح هذا الجبل أكُنتُم مُصدقيَّ**»؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا.

قال: «**فإنى نذيرٌ لكُم بين يدى عذابٍ شديد**». فقال أبو لهب: تبًّا لك! ما جمعتنا إلا لهذا؟...»[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٧٠) (٤٨٠١) كتاب التفسير، ومسلم (٢٠٨) كتاب الإيمان.

* بل لقد اعترف نصارى نجران بنبوته ﷺ وذلك عندما رفضوا مباهلة[1] رسول الله ﷺ الذى امتثل لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2]؛ فخرج إليهم ﷺ ومعه عليٌّ والحسن والحسين وفاطمة، ودعاهم للمباهلة فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر فى أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، فانصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدًا لنبىٌّ مُرسَل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم[3]، ولقد علمتم أنه ما لاعن قومٌ نبيًّا قط فبقى كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنه لَلاِستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم، فوادعُوا الرجل ثم انصرفُوا إلى بلادكم[4].

* بل لقد اعترف بصدقه أكبر أعدائه... وهو أبو جهل الذى حارب النبى ﷺ وأشعل نار العداوة إلى درجة لا تخطر على البال.

فقد سأل المسورُ بن مخرمة خاله أبا جهل عن حقيقة محمد ﷺ، إذ قال: «يا خالى، هل كنتم تتهمُون محمدًا بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختى، والله! لقد كان محمد ﷺ فينا وهو شابٌّ يُدعى الأمين، فما جربنا عليه كذبًا قطُّ. قال: يا خال، فما لكم لا تتبعُونه؟ قال: يا ابن أختى، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعمُوا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا

(١) المباهلة: الملاعنة، يقال: باهلت فلانًا أى لاعنته: ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة بهل (١١/ ٧١).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٦١).

(٣) يقصد عيسى عليه السلام.

(٤) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية (١/ ٥٨٤).

وأجرنا، حتى إذا تجاثينا[١] على الرُّكَب كُنا كفرسى رهان[٢]، قالوا: منا نبى. فمتى نُدركُ مثل هذه؟!... وقال: الأخنسُ بن شُريق يومٍ بدر لأبى جهل: يا أبا الحكم، أخبرنى عن محمد؛ أصادقٌ هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا من قريش أحدٌ غيرى وغيرك يسمع كلامنا. فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمدًا لصادقٌ، وما كذب محمدٌ قطٌّ، ولكن إذا ذهبت بنو قُصى باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟»[٣].

* كما اعترف زعماء اليهود بصدق نبوته ﷺ، وهذا ما تقصه أم المؤمنين صفية بنت حُيى بن أخطب ﵂ زعيم يهود بنى قريظة فتقول: «كنت أحب ولد أبى إليه وإلى عمى أبى ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذانى دونه. قالت: فلما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قُباءً فى بنى عمرو ابن عوف، غدا عليه أبى، حيى بن أخطب، وعمى أبو ياسر بن أخطب، مُغلسين[٤]. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششتُ إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلىَّ واحدٌ منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لأبى حيى بن أخطب: أهو هو[٥]؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفُهُ وتُثبتُهُ؟ قال: نعم. قال: فما فى نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيتُ»[٦][٧].

---

(١) تجاثينا: أى جلسنا على الرُّكَب للخصومة. وفى الروض الأنف: تجاذينا على الركب: وقع فى الجمهرة الجاذى: المقعى على قدميه. قال: وربما جعلوا الجاذى والجاثى سواء. انظر: السهيلى: الروض الأنف (٣/ ١١٠)، وانظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة جثا (١٤/ ١٣١)، ومادة جذا (١٤/ ١٣٦).

(٢) كَفَرَسَى رهان: يُضرب للمتساويين فى الفضل، وقيل: للمتناصيين. انظر: الضبى: الأمثال (١/ ١١).

(٣) ابن القيم: هداية الحيارى (ص٥٠، ٥١).

(٤) الغلس: ظلام آخر الليل. انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة غلس (٦/ ١٥٦).

(٥) يقصد بذلك رسول الله ﷺ.

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية (١/ ٥١٧).

(٧) أسوة للعالمين (٢٣٨-٢٤٠) بتصرف.

(٦) الداخلون فى الإسلام:

كل من دخل فى الإسلام فإن له قصةً، أو حصل له موقف، أو عنده علم من الكتب السابقة، أو رأى شيئًا من محاسن الإسلام، أو تنبَّه لأمر، أو لاحظ ملحظًا، أو قرأ شيئًا، أو سمع عن شىء من جمال هذا الدين، أو ذُهل من عظمة القرآن، أو أخذت سيرة النبى ﷺ بمجامع قلبه.

فهذه المواقف من أعظم الأدلة على صدق النبى ﷺ وصدق القرآن.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١].

قال القرطبى: (قال ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد: هو عبد الله بن سلام، شهد على اليهود أن رسول الله ﷺ مذكور فى التوراة، وأنه نبى من عند الله.

ولما جاء ابن سلام مسلمًا من قبل أن تعلم اليهود بإسلامه قال: يا رسول الله! اجعلنى حكمًا بينك وبين اليهود، فسألهم عنه: «**أى رجل هو فيكم؟**». قالوا: سيدنا وعالمنا. فقال: «**إنه قد آمن بى**»، فأساؤوا القول فيه»[٢][٣].

(٧) شهادة المنصفين من الغربيين:

الكثير من المخالفين لديننا - سواء كانوا أهل كتاب أو ملاحدة - شهدوا لنبينا ﷺ بالصدق وأنه نبى من الله حقًّا، وبعضهم أسلم، وبعضهم لم يُسلم ولكنه أنصف، وإذا كان المخالف المتربص المتصيد للأخطاء أقر بصحة مذهب خصمه، فإن هذا من أقوى الأدلة على صدق النبى ﷺ، وقد قيل سابقًا:

---

(١) سورة الأحقاف: الآية: (١٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٢٥) بتصرف.

(٣) الأدلة الجلية (ص: ٢٢).

وشمائلُ شَهِد العدُوُّ بفضلها
والفضلُ ما شهدتْ به الأعداءُ

* يقول الجلندى ملك غسان - لما بلغه رسول رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام -: (والله لقد دلنى على هذا النبى الأمى؛ أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذٍ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تاركٍ له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفى بالعهد، وينجز الوعد، وأشهد أنه نبى) (١).

* وقد شهد له هرقل عظيم الروم - وكان من علماء النصارى - بأنه نبى صادق.

* وإليك بعض هذه النصوص من المعاصرين:

- (كان محمد ﷺ خاتم النبيين، وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعو الناس إلى عبادة الله..) [واشنجتون ايرقنج(٢)] (٣).

-(إن أشد ما نتطلع إليه بالنظر إلى الديانة الإسلامية، ما اختص منها بشخص النبى محمد ﷺ، وبذلك قصدت أن يكون بحثى أولاً فى تحقيق شخصيته، وتقرير حقيقته الأدبية؛ علّنى أجد فى هذا البحث دليلاً جديدًا على صدقه وأمانته، المتفق تقريبًا عليها بين جميع مؤرخى الديانات، وأكبر المتشيعين للدين المسيحى..) [هنرى دى فاسترى(٤)].

---

(١) الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام (٤/ ٢٥٠).

(٢) مستشرق أمريكى، أولى اهتمامًا كبيرًا بتاريخ المسلمين فى الأندلس، من آثاره: (سيرة النبى العربى) مذيلة بخاتمة لقواعد الإسلام ومصادرها الدينية، و(فتح غرناطة) ألفه فى تاريخ (١٨٥٩). انظر: قالوا عن الإسلام، ص٥٠ الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٢ .

(٣) انظر: حياة محمد، لإميل درمنغم، (ص٧٢)، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩١١ .

(٤) مقدم فى الجيش الفرنسى، ولد سنة ١٨٥٠ وتوفى ١٩٢٧ ، قضى فى الشمال الإفريقى ردحًا من الزمن، من آثاره: مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب، والأشراف السعديون، ورحلة هولندى إلى المغرب، وغيرها. انظر: قالوا عن الإسلام ، ص٦١ .

- ويقول كارلايل أيضًا: (لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر، أن يصغي إلى القول بأن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا خَدَّاع مزور، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل، ومازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنًا لمئات الملايين من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا.

أكان أحدهم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والعد أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا، فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول، فما الناس إذًا إلا بُلْه ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث؛ كان الأولى ألا تُخلق)[1][2].

* وتحدث الأديب الإنجليزي جورج برناردشو قائلاً:

«لقد درست محمدًا باعتباره رجلاً مدهشًا، فرأيته بعيدًا عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يُدعَى منقذ الإنسانية، وأوربا في العصر الراهن بدأت تعشق عقيدة التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك؛ فتعرف بقدرة هذه العقيدة على حلِّ مشكلاتها، فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي»[3].

* وممن أنصف رسول الله ﷺ الشاعر الفرنسي لامارتين[4]؛ حيث يقول: «أترون أن محمدًا كان صاحب خداع وتدليس، وصاحب باطل وكذب؟! كلا، بعدما وعينا تاريخه، ودرسنا حياته، فإن الخداع والتدليس والباطل والإفك.. كل تلك الصفات هي ألصق بمن وصف محمدًا بها»[5].

---

(١) انظر: القرآن والمستشرقون. د. التهامي نقرة (ص: ٢٥).

(٢) الأدلة الجلية (ص٣٥ - ٣٧).

(٣) الحسيني الحسيني معدي: الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة ص٧٠.

(٤) ألفونس دو لامارتين Aliphonse de Lamartine (١٧٩٠-١٨٦٩م): كاتب وشاعر وسياسي فرنسي، كان كثير السفر، أقام مدة في أزمير بتركيا - من كتبه: رحلة إلى الشرق، وتأملات شعرية.

(٥) لامارتين: السفر إلى الشرق ص٨٤.

* **ويقول المفكر البريطانى لين بول:**

«إن محمدًا ﷺ كان يتصفُ بكثيـر من الصفات؛ كاللطف والشجاعة وكرم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تطبعُـه هذه الصفات فى نفسه، ودون أن يكون هذا الحكم صادرًا عن غـير ميل أو هوى، كيف لا؟! وقـد احتمل محـمد ﷺ عداء أهله وعشـيرته سنوات بصـبر وجَلَـد عظيمـين، ومع ذلك فـقد بلغ مـن نُبله أنه لم يكن يسحب يده من يد مُصافِحه حتى لو كان يصافح طفلاً! وأنه لم يمر بجماعة يومًـا من الأيام - رجـالاً كانوا أم أطفـالاً - دون أن يُسلمٍّ عليـهم، وعلى شفتيه ابتسامة حُلوة، وبنغمة جميلة كانت تكفى وحدها لتـسحر سامعيها، وتجذب القلوب إلى صاحبها جذبًا!»[١] .

(٨) عدم استغلاله الفرص للتعالى:

فى بعض المواقف تحصل للنبى ﷺ فرصة عظيـمة للتعالى والتكبر والفـخر، ولكنه يأبى أن يفعل ذلك، ولو كـان كاذبًا لاستغلهـا أعظم استغلال:

يقول إميل درمنغم[٢]: (وُلد لمحمدٍ ابنه إبراهيم فمات طفلاً، فحزن عليه كثـيرًا ولحـده بيده، ووافق موتُـه كسوف الشـمس، فقـال المسلمون: إنـها انكسفت لموت إبراهـيم. ولكن محمـدًا كان من سمـو النفس ما رأى به رد ذلك، فقال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته..**»[٣]؛ فقـول مثل هذا لا يصدر عن كـاذب دجال..)[٤] وهذا كلام

---

(١) لين بول: رسالة فى تاريخ العرب، نقلاً عن: عفيف عبد الفتاح طبارة روح الدين الإسلام ص٤٣٨ .

(٢) مستشرق فرنسى، عمل مديرًا لمكتبة الجزائر، من آثاره: (حياة محمد) طبع فى باريس عام (١٩٢٩)، و(محمد والسنة الإسلامية) ألفه فى باريس (١٩٥٥) انظر: قالوا عن الإسلام، ص٦٠ .

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٠١٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٩٠١) كتاب الكسوف.

(٤) حياة محمد له (ص٣١٨)، نقله عنه كتاب «قالوا عن الإسلام» ص٦٠ .

حق، فلو كان غير النبى ﷺ من مُدَّعى النبوة، لاهتبل هذه الفرصة وقال: انظروا إلى الشمس حزنت لحزنى وانكسفت.

ومن هذا الباب **حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:** كان أهل بيتٍ من الأنصار لهُم جملٌ يسنُون[1] عليه، وإن الجمل استُصعب عليهم فمنعهم ظهرهُ، وإن الأنصار جاءُوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه كان لنا جمل نُسنى عليه وإنه استُصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل. فقال رسُولُ الله ﷺ لأصحابه: «**قُومُوا**». فقامُوا فدخل الحائط والجمل فى ناحيةٍ، فمشى النبىُّ ﷺ نحوهُ، فقالت الأنصار: يا نبى الله إنه قد صار مثل الكلَب الكَلِب[2] وإنا نخافُ عليك صولتهُ. فقال: «**ليس علىَّ منهُ بأسٌ**»[3]. **فلما نظر الجمل** إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوهُ حتى خرَّ **ساجدًا بين يديه، فأخذ** رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قطُّ حتى أدخلهُ فى العمل، فقال له أصحابه: يا رسُول الله هذه بهيمةٌ لا تعقلُ تسجدُ **لك!** ونحنُ نعقلُ، فنحنُ أحقُّ أن نسجُد لك. فقال: «**لا يصلُحُ لبشرٍ أن يسجُد لبشرٍ، ولو صلح لبشرٍ أن يسجُد لبشرٍ، لأمرتُ المرأة أن تسجُد لزوجها من عظم حقه عليها، والذى نفسى بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قُرحةً تنبجسُ بالقيح والصديد، ثُم استقبلتهُ فلحستهُ ما أدَّت حقهُ**»[4].

فلم يستغل النبى ﷺ سجود الجمل له ليعظم نفسه أو يرفعها، بل

---

(١) يسنون عليه: أى: يستقون عليه، لسان العرب (س ن ى)، وسنى الدابة: استقى عليها الماء المعجم الوسيط (س ن ى).

(٢) أى: المسعور. يقال: كَلِبَ الكَلِبَ يكلَبُ كَلَبًا: أصابة داءُ الكَلِبَ. انظر: الوسيط (ك ل ب)، ولسان العرب (١/ ٧٢٢).

(٣) فالذى عصمه من كل أذى الناس ألا يقدر أن يعصمه من الحيوان؟

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٢٢٠٣) وإسناده حسن. (صححه الألبانى فى صحيح الترغيب، ١٩٣٦).

قال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر[١].

(٩) انتفاء الغرض الشخصي:

من أدلة صدق النبى ﷺ عدم إرادة المصلحة الشخصية لنفسه من هذه الدعوة؛ وقد نبَّـه الله تعالى إلى هذا الدليل بقوله: ﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ** ﴾[٢].

وهذا على خـلاف أصـحـاب المذاهب والأفكار البـاطلـة والدجـالين والكذابين؛ فإنهم يسعون لتحقيق مصـالح شخصية ومآرب ذاتية من جاه أو مال أو نساء أو أتباع أو منصب أو شـهرة أو غير ذلك، بينما لا تجد هذا فى النبى ﷺ ، فهـو أزهد الناس فى الدنيـا؛ حيث كـانت تمر ثلاثة أهلّة ولا يوقد فى بيت رسول الله ﷺ نار، وإنما كان طعامه التمر والماء[٣]، وتأتى الفقيـرة إلى بيت رسول الله، فلا تجد عـائشة رضي الله عنها إلا تمرة واحدة فتـعطيها إياها[٤]، وأحيـانًا يأتى الضيف فيـرسل النبى ﷺ إلى بيوته التسـعة، فلا يجد فيها شيئًا حتى التمرة، ليس فى بيوته التسعة إلا الماء[٥].

ولقد خيَّره ربه بين أن يكـون عبدًا رسولاً أو ملكًا رسـولاً، فاختـار أن يكون عبدًا رسولاً. . . عن أبى هُريرة قـال: جلس جبريلُ إلى النبى ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملكٌ ينزلُ فقال جبريلُ: إن هذا الملك ما نزل مُنذُ يوم خُلق قبل الساعة. فلما نزل قال: يا مُحمدُ أرسلنى إليك ربُّك، قال: أفملكًا نبيًّا يجعلُك أو عبـدًا رسُولاً؟ قال جبريلُ: تواضع لربك يا مُحـمدُ. قال: «**بل عبدًا رسُولاً**»[٦].

---

(١) الأدلة الجلية (ص ٨٢-٨٤) بتصرف.

(٢) سورة ص: الآية: (٨٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٥٦٧) كتاب الهبة، ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٤١٨) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٦٢٩) كتاب البر والصلة.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٧٩٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٥٤) كتاب الأشربة.

(٦) رواه الإمام أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣/٣) رقم (١٠٠٢).

* وكان لا يحب أن يرفعه الناس فوق قدره:

عن ابن عباس أنه سمع عُمر رضي الله عنه يقُولُ على المنبر: سمعتُ النبى ﷺ يقُولُ: «لا تُطرُونى كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدُهُ فقُولُوا عبدُ الله ورسُولُهُ»(١)(٢).

إن عدم رغبة النبى ﷺ فى متاع الدنيا دليل أنه إنما فعل هذا طاعة لله، بوحى منه - سبحانه.

وقد وُفق بعض المستشرقين المنصفين لفهم هذا المعنى وإدراكه؛ يقول (كارليل): (ومما يبطل دعوى القائلين إن محمداً ﷺ لم يكن صادقًا فى رسالته؛ أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه فى تلك العيشة الهادئة المطمئنة، ولم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوىٍّ، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطان، ولم يكُ إلا بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب)(٣).

وقد استدل بهذا الدليل حبيب النجار(٤) الذى فى سورة يس.

كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٥).

وهذا الدليل حق، وكان كل نبى يأتى إلى قومه يقول لهم هذا الأمر، ففى سورة الشعراء قال نوح وهود وصالح ولوط وشعيب - عليهم السلام -: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٦)(٧).

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٢) الأدلة الجلية (ص٩٧-٩٨) بتصرف.

(٣) الأبطال، لكارليل، (ص٥١) عن كتاب الوحى القرآنى فى المنظور الاستشراقى ونقده، د. محمود ماضى، (ص١٢٧).

(٤) انظر: تفسير البيضاوى (٤/٤٢٩)، وتفسير القرطبى (١٥/١٥)، وتفسير ابن كثير (٣/٥٦٩) وغيره من كتب التفسير.

(٥) سورة يس: الآيتان: (٢٠-٢١).

(٦) سورة الشعراء: الآيات: (١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠).

(٧) الأدلة الجلية (ص١٠٤).

(١٠) الإعجاز العلمي:

وأقصد به إخبار النبي ﷺ بحقائق علمية في عدة مجالات في وقت لم يكن أحد يعرف معناها، ولم تُعرف إلا بعد ذلك، . . . فوجه الدليل إخباره ﷺ بها قبل أن يُعرف عنها أحد وظهور الأمر كما أخبر ﷺ .

وقد أُلِّفت في هذا مؤلفات كثيرة، تبين مدى الإعجازات العلمية الدقيقة التي تكلم عنها النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا، ولم نعرف معناها إلا الآن في هذا القرآن، فمن ذلك ما ألَّفه الدكتور مختار سالم بعنوان (الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية)[١]، ذكر فيها أنواعًا كثيرة من العلاجات النبوية لأمراض بعضها لم يُعرف له دواء إلى الآن، وكيف أن النبي ﷺ أخبر بخروج طاعون العصر (الإيدز)؛ كما في حديث عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسولُ الله ﷺ فقال: **«يا معشر المُهاجرين خمسٌ إذا ابتُليتُم بهن وأعُوذُ بالله أن تُدركُوهُن؛ لم تظهر الفاحشةُ في قوم قطُّ حتى يُعلنُوا بها إلا فشا فيهم الطاعُونُ والأوجاعُ التي لم تكُن مضت في أسلافهم الذين مضوا..»**[٢].

وفي الصحيحين[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعًا إحداهن بالتراب» فقد ثبت طبيًّا أن لسان الكلب يحمل فطريات ضارة جداً بالإنسان، وهذه الفطريات لا تزول ولا تُقتل إلا بالتراب مع الماء[٤].

وفي صحيح البخاري[٥] أيضًا أن النبي ﷺ قال: «إذا سقط الذباب في إناء أحدكم فليغمسه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء».

---

(١) طبعته مؤسسة المعارف في بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥ .

(٢) رواه ابن ماجه، وهو حديث حسن (انظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢/ ٣٧٠) رقم ٣٢٤٦ والسلسة الصحيحة (١/ ٢١٦)، رقم (١٠٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٦٧) كتاب الوضوء، ومسلم (٤٢١) كتاب الطهارة.

(٤) انظر: القرآن والسنة في العلوم الحديثة، ص٦٩ .

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٥٧٨٢) كتاب الطب.

وأثبتت التجارب الطبية أن الذبابة تحمل فى أحد جناحيها جراثيم مضرة، وفى الآخر فطريات تقتل هذه الجراثيم(١).

وغير ذلك من أنواع الإعجاز وألوانه التى يطول المجال فى ذكرها، وهذا يدل على أن النبى ﷺ لا يقول هذا من عند نفسه بل من الوحى(٢).

(١١) تأليف قلوب العرب:

لقد كان العرب قبل الإسلام قبائل متنازعة متناحرة، لا هَمَّ لها إلا المفاخرة والتعالى على بعض، تشتعل الحرب بينهم لأتفه أمر، وقد تستمر الحرب بينهم لعشرات السنوات لأجل ناقة - على سبيل المثال - كما حصل فى حرب البسوس التى استمرت أربعين سنة بين قبيلتى تَغْلُب وبكر ابنى وائل؛ لأن كليب بن ربيعة التغلبى قتل ناقة البسوس خالة جساس بن مرة الكلبى(٣).

وحرب داحس والغبراء التى كانت بين قبيلتى عبس وذبيان، لخلاف على سباق بين فرسين - وهما داحس والغبراء - واستمرت هذه الحرب أربعين سنةً أيضًا، وشارك فى بعض حروبها عنتر، وذكرها زهير بن أبى سلمى فى معلقته(٤)، . . . والحرب بين الأوس والخزرج مع أنهم أبناء عم استمرت أكثر من مائة سنة.

فهذه النفوس كان فيها من الأَنَفة، وعدم الرضا بالضيم والحمية القبلية والقتال على أتفه الأسباب، والتى كانت تجعل النهب والقتل من أعظم سبل كسب الرزق والمفاخرة بالظلم، مما يجعلها أصعب ما يكون للاتحاد وجمع الكلمة. فالقدرة على جمع كلمة العرب قاطبة بقبائلها المتنافرة، وإسقاط ما

(١) [illegible] معجزات فى الطب للنبى العربى محمد ﷺ، تأليف الطبيب محمد سعيد السيوطى، ص٦٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦).

(٢) [illegible] جنية (ص١١٦-١١٧).

(٣) [illegible] فى الأدب، د . محمد التونجى (١/ ١٨٧)، ودار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة [illegible].

(٤) [illegible] ٤٣).

فى نفوس بعضهم لبعض من البغض والثأر من رجل واحد؛ أمرٌ معجز حقًّا، . . قال تعالى ممتنًّا على هذه الأمة بهذه النعمة ومبينًا أنه من فعله وليس من فعل أحد من البشر: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١).

وقال - سبحانه - مبينًا صعوبة تأليف القلوب: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)، فكانوا بعد هذا التأليف قوة ضاربة أسقطت فارس والروم، وقد تلمَّح بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

هل تطلبون من المختار معجزة
يكفيه شعب من الأجداث أحياه

فكانوا يدًا فى الحرب واحدة
من خاضها باع دنياه بأُخراه (٣)

(١٢) أُمىٌّ يُعلِّم العالم:

فمن أعظم الأدلة على صدق النبى ﷺ كونه أُميًّا لا يقرأ ولا يكتب طيلة حياته وإلى وفاته، كما شهد بذلك التاريخ والمخالف والموافق، وكما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٤).

وقد ردَّ هذا الأمر على كثير من الشُّبَه التى تُثار، فهو ليس بكاتب محترف ولا قارئ نهم فكيف أتى بهذا العلم إلا أن يكون وحيًا من السماء.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٣).

(٢) سورة الأنفال: الآيتان: (٦٢-٦٣).

(٣) الأدلة الجلية (ص١٢٤ - ١٢٥).

(٤) سورة العنكبوت: الآية: (٤٨).

لم يقرأ كتابًا ولم يدرس علمًا ومع هذا خرَّج علماء وأئمة وعلَّم العالم أجمع.

كيف لرجل أُمى يأتى بهذا الكَم الهائل من المعلومات ولا تجد بينها تناقضًا ولا تعارضًا وتباينًا ولا أدنى اختلاف بل كلها تناسب فى سياق واحد وتجرى فى فَلَك واحد، وهذا لا يكون من بشر متعلم فكيف يكون من أُمى؟! ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[1].

كيف لرجل أُمى يُسأل فى أى مسألة فيجيب، ويناظر فيغلب ويجادل فيحُج ولا يحفظ عنه قول تراجع عنه أو مسألة أخطأ فيها.

أثبت هذا الأمر أنه نبى صادق حيث أخبر عن أخبار المرسلين وقصص الأولين وهو أُمى لا يقرأ ولا يكتب.

ورد هذا الأمر أيضًا على أكذوبة: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[2].

وردَّ أيضًا على دعوى (نقله من التوراة والإنجيل).

وغير ذلك من الشبه التى تكفل هذا الدليل بنسفها[3].

(١٣) إخباره بالغيب:

من أدلة صدق النبى ﷺ إخباره بالغيب سواء كان غيبًا لاحقًا أو سابقًا أو حاضرًا؛ وأخبر بما يكون بعد موته من الرِّدة فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه، والفتنة فى زمن على رضي الله عنه، وأخبر بأن الخلفاء الثلاثة عمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم يُقتلون شهداء، وأخبر بفتح القسطنطينية والحيرة ومصر وفارس والروم وبيت المقدس، وبأويس القرنى، وأخبر بخروج كثير من الفرق كالخوارج والقدرية، وبشَّر كثيرًا من الصحابة بالجنة فماتوا على الإيمان،

(١) سورة النساء: الآية: (٨٢).
(٢) سورة الفرقان: الآية: (٥).
(٣) الأدلة الجلية (ص١٢٨-١٢٩).

وأخبر الكثير بدخولهم النار فماتوا على الكفر، وأخبر بكثير من أشراط الساعة الصغرى[١] وقد تحققت.

ولم تتحقق هذه الأمور إلا بعد موته، ومثل هذا لا يمكن أن يكون إلا بوحى.

ومثل هذا أيضًا إخباره بالغيب الماضى، كقصص السابقين والأنبياء وبنى إسرائيل، فقد تحدَّث عن أخبار الأنبياء قبله بأدق التفاصيل التى لم تكن موجودة فى كتاب، وحدَّث بالكثير من أخبار بنى إسرائيل وصدقته التوراة والإنجيل على ذلك، فهذه الغيبيات الماضية ليس لها مقدمات يستدل بها عليها، ومع هذا أخبر بها النبى ﷺ موافقة للواقع.

قد يقول قائل: إنه قرأ التاريخ. قلنا: إنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولو سلمنا بهذا، فإنه كان يخبر بالغيب الحاضر أيضًا، كإخباره الصحابة بغزوة مؤتة وهو فى المدينة، وهى قريب من الشام.

فعن أنس ﷺ أن النبى ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرُهُم، فقال: «**أخذ الراية زيدٌ فأُصيب، ثم أخذ جعفرٌ فأُصيب، ثُم أخذ ابنُ رواحة فأُصيب** - وعيناهُ تذرفان - **حتى أخذ سيفٌ من سيُوف الله حتى فتح اللهُ عليهم**»[٢][٣].

* * *

(١) انظر: كتاب (رحلة إلى الدار الآخرة) / للمصنف.

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٣٧٥٧) كتاب المناقب.

(٣) الأدلة الجلية (ص١٠٥-١٠٦).

قطوف وشذرات

من حياة النبى ﷺ

قطوف وشذرات من حياة النبى ﷺ [(١)]

* وها هى بعض القطوف والشذرات من حياة النبى ﷺ :

* **النسب الشريف للنبى ﷺ :**

* قال الإمام البخارى رحمه الله: «هو أبو القاسم، محمد بن عبد الله، ابن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قُصى، بن كلاب، بن مُرة، ابن كعب، بن لؤى، بن غالب، بن فهر، بن مالك بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان»[(٢)].

* قال ابن حزم: وعدنان بلا شك من ولد إسماعيل الذبيح رسول الله ابن إبراهيم خليل الله ورسوله صلى الله على سيدنا محمد وعليهما وعلى جميع رسله وأنبيائه[(٣)].

* وقال ابن القيم: بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضًا: «إلى ها هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النَّسابين، ولا خلاف ألبته، وما فوق عدنان مُختلَفٌ فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام»[(٤)].

* وقال الذهبى ـ رحمه الله ـ فى كتابه السيرة النبوية: «وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء»[(٥)].

---

(١) بتصرف من كتاب (زاد المعاد) للإمام ابن القيم - رحمه الله - / كتاب (سيرة الرسول ﷺ) للمصنف.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٨٥١) كتاب مناقب الأنصار.

(٣) جوامع السيرة / لابن حزم (٢) ط. فيصل أباد باكستان. بتحقيق أحمد شاكر.

(٤) زاد المعاد (١/ ٧١) ط. مؤسسة الرسالة.

(٥) الذهبى فى السيرة النبوية (ص: ١).

* **وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ**: وذلك أنه (أى إبراهيم عليه السلام) وُلد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان: إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة ووُلد له يعقوب أى من إسحاق كما قال تعالى: ﴿**وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾(١) ـ وهو إسرائيل ـ الذى ينتسب إليه سائر أسباطهم، فكانت فيهم النبوة وكثروا جداً، بحيث لا يعلم عددهم إلا الذى بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة، حتى خُتموا بعيسى بن مريم من بنى إسرائيل.

وأما إسماعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها، كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى ولم يوجد من سلالته من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق وسيدهم وفخر بنى آدم فى الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى المكى ثم المدنى ﷺ.

فلم يوجد من هذا الفرع الشريف، والغصن المنيف، سوى هذه الجوهرة الباهرة، والدرة الزاهرة، وواسطة العقد الفاخرة، وهو السيد الذى يفتخر به أهل الجمع، ويغبطه الأولون والآخرون يوم القيامة»(٢).

مكانة النبى ﷺ بين قومه

لقد كان النبى ﷺ فى خير قبيلة وأشرف نسب .. وهكذا الأنبياء يكونون أشرف الناس نسبًا وأكمل الناس خَلقًا وخُلقًا.

لذا سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن نسب النبى ﷺ فقال: كيف نَسبُه فيكم» فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب. ثم قال: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث فى نسب قومها»(٣).

* **وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال**: قال رسول الله ﷺ: (بُعثتُ من خير

(١) سورة هود: الآية: (٧١).

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير (ص: ١٧٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٧) بدء الوحى، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

قرون بنى آدم قرنًا فقرنًا، حتى بُعثت من القرن[١] الذى كنت فيه)[٢].

* **وعن واثلة بن الأسقع ﷺ أن النبى ﷺ قال:** (إن الله - عزَّ وجلَّ - اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بنى إسماعيل كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم)[٣].

* وفى فضل قريش عن أم هانئ مرفوعًا «فضَّل الله قريشًا بسبع خصال: فضَّلهم بأن عبدوا الله عشر سنين لا يعبده إلا قرشى، وفضَّلهم بأن نصرهم يوم الفيل وهم مشركون، وفضلهم بأن نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها غيرهم ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[٤]، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية»[٥].

* **وعن الأشعث بن قيس ﷺ قال:** (أتيت رسول الله ﷺ فى وفد، ولا يرونى إلا أفضلهم، فقلت: يا رسول الله! ألستم منا؟ فقال: (نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا[٦]، ولا ننتفى من أبينا) فكان الأشعث يقول: «لا أوتى برجل نفى قريشًا من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد»[٧].

* **وعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال:** أتى أُناس من الأنصار إلى النبى ﷺ فقالوا: إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل

---

(١) القرن: كلُّ طبقةٍ مقترنين فى وقت، وقيل قرن: لأنه يقرن أمةً بأمة وعالمًا بعالم، وقيل القرن: ثمانون سنة، وقيل أربعون، وقيل مائة سنة.

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٣٥٥٧) كتاب المناقب.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٧٧٦) كتاب الفضائل.

(٤) سورة قريش: الآية: (١).

(٥) **حسن:** رواه البخارى فى التاريخ الكبير (١/١/٣٤١)، وابن عدى فى الكامل (١/ ٢٦٢)، والحاكم (٢/ ٥٣٦)، (٤/ ٥٤) وحسنه الألبانى لشواهده فى الصحيحة رقم (١٩٤٤).

(٦) نقفو أمنا: أى لا نتهمها، ولا نقذفها.

(٧) **حسن:** رواه ابن ماجه فى الحدود، والبخارى فى التاريخ الكبير، وحسنه الألبانى فى الإرواء (٢٣٦٨).

منهم إنما مثل محمد مثل نخلة نبتت فى كباء[(١)]، فقال رسول الله ﷺ : (أيها الناس مَن أنا؟ قالوا أنت رسول الله ﷺ . قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ـ قال فما سمعناه، قط ينتمى قبلها ـ إلا أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خلق خلقه، فجعلنى من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين، فجعلنى من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل، فجعلنى من خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا، فجعلنى من خيرهم بيتًا، وأنا خيركم بيتًا، وخيركم نفسًا)[(٢)].

* **وعن كليب بن وائل قال:** حدثتنى ربيبة النبى ﷺ زينب بنت أبى سلمة قال: «قلتُ لها: أرأيتِ النبى ﷺ أكان من مُضر؟ قالت: فممن كان إلا مِن مُضر، من بنى النضر بن كنانة»[(٣)].

* بل لقد كان الحجر يعرف قدر النبى ﷺ فكان يُسلِّم عليه قبل البعثة.

فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يُسلم علىَّ قبل أن أُبعث إنى لأعرفه الآن**»[(٤)].

خاتم النبيين ﷺ

عن أبى هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله. إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين**»[(٥)].

---

(١) الكباء: الكناسة.

(٢) رواه الترمذى وأحمد وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢١٥ ـ ٢١٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ـ والحديث صحيح، وصححه الألبانى فى صحيح السيرة ص١١ .

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٣٤٩١، ٣٤٩٢) كتاب المناقب .

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل.

أسماء النبى ﷺ وكُناه

عن محـمد بن جُبير بن مطعم، عن أبيه، أن رسـول الله ﷺ قال: «**إن لى أسماء. أنا محمد. وأنا أحمد. وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر. وأنا الحاشر الذى يُحشر الناس على قدمى. وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد**». وقد سمَّاه الله رءوفًا رحيمًا(١).

* **قال الإمـام النووى**: قوله ﷺ: «**وأنا الماحى الذى يُمحى بى الكفر**» قال العلماء: المراد محو الكفر من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب، وما زُوى له ﷺ من الأرض، ووعد أن يبلغه مُلك أمتـه. قالوا: ويُحتمل أن المراد محو العام بمعنى الظهور بالحجة، والغلبة كما قال تعالى: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾(٢). وجاء فى حديث آخر تفسير الماحى بأنه الذى مُحيت به سيئات من اتبعه فقد يكون المراد بمحو الكفر هذا، ويكون كقوله تعالى: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**﴾(٣)، وفى الحديث الصحيح «**الإسلام يهدم ما كان قبله**»(٤).

* **قوله**: «**وأنا الحاشر الذى يُحشر الناس على عقبى**» أى على أثرى، أى أنه يُحشر قبل الناس، وهو موافق لقوله فى الرواية الأخرى «**يحشر الناس على قدمى**» ويحتمل أن يكون المراد بالقدم الزمان أى وقت قيامى على قدمى بظهور علامات الحشر، إشارة إلى أنه ليس بعده نبى ولا شريعة.

* وأما العاقب ففسره فى الحديث بأنه ليس بعده نبى أى جاء عقبهم.

قال الحافظ: والذى يظهر أنه أراد أن لى خمسة أسماء أختص بها لم

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢٥) (٢٣٥٤) كتاب الفضائل.
(٢) سورة الفتح: الآية: (٢٨).
(٣) سورة الأنفال: الآية: (٣٨).
(٤) مسلم بشرح النووى (١٥/ ١٥٣).

يُسَمَّ بهـا أحد قبـلى، أو معظمـه أو مشهـوره فى الأمم السابـقة لا أنه أراد الحصر فيها.

قال عـياض: حمى الله هذه الأسـماء أن يُسمَّى بها أحد قـبله، وإنما تسمى بعض العرب محمداً قرب ميلاده، لما سمعوا من الكهان والأحبار أن نبيًّا سيُبعث فى هذا الزمان يسمى محمدًا، فرجوا أن يكونوا هم فسَمُّوا أبناءهم بذلك[1].

* **وقال ابن مسعود:** حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق.

وفى التوراة: أنه حرز للأُميين، وأن اسمه المتوكل.

ومن أسمائه الأمين، وكانت قريش تدعوه به قبل نبوته.

ومن أسمائه الفاتح وقثم[2].

وقال على بن زيد بن جدعان: تذاكروا أحسن بيت قالتـه العرب، فقالوا قول أبى طالب فى النبى ﷺ :

وشـق له مـن اسمـه ليُجلـه

فذو العرش محمـود وهذا محمد[3]

* **ومن أسمائه كذلك:** المقفى ونبى التوبة ونبى المرحمة.

عن أبى موسى الأشعرى قال: كان رسول الله ﷺ يسمى لنا نفسه أسماء. فقال: «**أنا محمد، وأحمد والمقفى، والحاشر، ونبى التوبة، ونبى الرحمة**»[4].

قال النووى: وأمـا (نبى التوبة ونبى الرحـمـة ونبى المرحمـة) فمـعناها متـقارب ومـقصـودها أنه ﷺ جـاء بالتوبة وبالتـراحم قال الله تعـالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[5]، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[6]، والله أعلم.

---

(١) فتح البارى (٦/ ٦٤٢).

(٢) القثم: المجتمع الخلق وقيل الجامع الكامل وقيل الجموع للخير كما فى النهاية.

(٣) السيرة للذهبى (٢/ ١٠).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٢٦) (٢٣٥٥) كتاب الفضائل.

(٥) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٦) سورة البلد: الآية: (١٧).

وفى حديث آخر (نبى الملاحم)، لأنه ﷺ بُعث بالقتال... قال العلماء: وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع أن له ﷺ أسماء غيرها كما سبق، لأنها موجودة فى الكتب المتقدمة وموجودة للأمم السالفة[١].

ومما وقع من أسمائه فى القرآن بالاتفاق «الشاهد، والمبشر، النذير المبين، الداعى إلى الله، السراج المنير». وفيه أيضًا: «المذكر، والرحمة، والنعمة، والهادى، والشهيد، والأمين، والمزمل، والمدثر». وتقدم فى حديث عمرو ابن العاص «المتوكل» ومن أسمائه المشهورة «المختار، المصطفى، والشفيع، والمشفع، والصادق والمصدوق».

وغير ذلك. قال ابن دحية فى تصنيف له مفرد فى الأسماء النبوية: قال بعضهم: أسماء النبى ﷺ عدد أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون اسمًا[٢].

أما كُنيته ﷺ فكان ﷺ يُكنَّى أبا القاسم بولده القاسم، وكان أكبر أولاده واختُلف هل مات قبل البعثة أو بعدها... عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ فى السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت النبى ﷺ. فقال: سَمُّوا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى»[٣].

قال الحافظ: وقد اختلف فى جواز التكنِّى بكُنيته ﷺ: فالمشهور عن الشافعى المنع على ظاهر هذه الأحاديث، وقيل: يختص ذلك بزمانه، وقيل بمن تسمى باسمه[٤].

* **قال الإمام ابن القيم:** وأسماؤه ﷺ نوعان:

أحدهما: خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل، كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمقفى، ونبى الملحمة.

---

(١) مسلم بشرح النووى (١٥/ ١٥٤: ١٥٥).

(٢) فتح البارى (٦/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤).

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٣٥٣٧) كتاب المناقب.

(٤) فتح البارى (٦/ ٦٤٨).

والثانى: ما يشاركه فى معناه غيره من الرسل، ولكن له منه كماله، فهو مختص بكماله دون أصله، كرسول الله، ونبيه، وعبده، والشاهد، والمبشر، والنذير، ونبى الرحمة، ونبى التوبة.

وأما إن جعل له من كل وصف من أوصافه اسم، تجاوزت أسماؤه المائتين، كالصادق، والمصدوق، والرؤوف الرحيم، إلى أمثال ذلك[١].

أزواج النبى ﷺ (أمهات المؤمنين)

أُولاهن خديجة بنت خُويلد القرشية الأسدية، تزوجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم، وهى التى آزرته على النبوة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله إليها السلام مع جبريل، وهذه خاصة لا تُعرف لامرأة سواها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.

ثم تزوج بعد موتها بأيام: سودة بنت زمعة القرشية، وهى التى وهبت يومها لعائشة.

ثم تزوج بعدها أمَّ عبد الله عائشة الصدِّيقة بنت الصدِّيق، المبرأة من فوق سبع سماوات، حبيبة رسول الله ﷺ عائشة بنت أبى بكر الصديق، وعرضها عليه الملَك قبل نكاحها فى سرقة من حرير وقال: «هذه زوجتك»[٢] تزوج بها فى شوال وعمرها ست سنين، وبنى بها فى شوال فى السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وما

---

(١) زاد المعاد (١/ ٨٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٨٩٥) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٨) كتاب فضائل الصحابة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «أريتك فى المنام مرتين إذا رجل يحملك فى سرقة (شقة من حرير أبيض) من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشفها، فإذا هى أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يُمضه» وخبر تزوجها وهى بنتُ ست وبناؤه بها وهى بنت تسع أخرجه البخارى (٩/ ١٦٣) فى النكاح: باب إنكاح الرجل ولده الصغار، ومسلم (١٤٢٢) فى النكاح: باب تزويج الأب البكر الصغيرة.

نزل عليه الوحى فى لحاف امرأة غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، ونزل عذرها من السماء، واتفقت الأمة على كفر قاذفها، وهى أفقه نسائه وأعلمهن، بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق، وكان الأكابر من أصحاب النبى ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها.

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه. . . وذكر أبو داود أنه طلقها، ثم راجعها[١].

ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية، من بنى هلال بن عامر، وتوفيت عنده بعد ضمِّه لها بشهرين.

ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبى أمية القرشية المخزومية، واسم أبى أمية حذيفة بن المغيرة، وهى آخر نسائه موتًا.

ثم تزوج زينب بنت جحش من بنى أسد بن خزيمة وهى ابنة عمته أميمة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[٢] وبذلك كانت تفتخر على نساء النبى ﷺ، وتقول: زوَّجكن أهاليكن، وزوَّجنى الله من فوق سبع سماوات[٣].

ومن خواصها أن الله سبحانه وتعالى كان هو وليها الذى زوَّجها لرسوله من فوق سماواته، وتوفيت فى أول خلافة عمر بن الخطاب. وكانت أولاً عند زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ تبناه، فلما طلقها زيد، زوَّجه الله تعالى إياها لتتأسى به أمته فى نكاح أزواج من تبنوه ـ وبخاصة وأن الإسلام أبطل التبنى بعد ذلك ـ.

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والدارمى بإسنادٍ صحيح.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٤٢٠) كتاب التوحيد عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبى ﷺ يقول: «اتق الله، وامسك عليك زوجك» قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا، لكتم هذه قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ تقول: «زوَّجكن أهاليكن، وزوَّجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات» وأخرجه الترمذى (٣٢١٠).

وتزوج ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، وكانت من سبايا بني المصطلق، فجاءته تستعين به على كتابتها، فأدَّى عنها كتابتها وتزوجها.

ثم تزوج أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية. وقيل: اسمها هند، تزوجها وهى ببلاد الحبشة مهاجرة، وأصدقها عنه النجاشى أربعمائة دينار، وسيقت إليه من هناك، وماتت فى أيام أخيها معاوية. هذا هو المعروف المتواتر عند أهل السير والتواريخ.

وتزوج ﷺ صفية بنت حُيى بن أخطب سيد بنى النضير من ولد هارون ابن عمران أخى موسى ، فهى ابنة نبى، وزوجة نبى، وكانت من أجمل نساء العالمين، وكانت قد صارت له من السبى أَمة فأعتقها، وجعل عتقها صداقها، ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، وهى آخر من تزوج بها، تزوجها بمكة فى عمرة القضاء بعد أن حَلَّ منها على الصحيح.

فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتى دخل بهن، وأما من خطبها ولم يتزوجها، ومن وهبت نفسها، ولم يتزوجها، فنحو أربع أو خمس، وقال بعضهم: هن ثلاثون امرأة، وأهل العلم بسيرته وأحواله ﷺ لا يعرفون هذا، بل ينكرونه، والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها، فدخل عليها ليخطبها، فاستعاذت منه، فأعاذها ولم يتزوجها، وكذلك الكلبية، وكذلك التى رأى بكشحها بياضًا، فلم يدخل بها، والتى وهبت نفسها له فزوَّجها غيره على سور من القرآن ، هذا هو المحفوظ، والله أعلم(١).

ولا خلاف أنه ﷺ تُوفى عن تسعٍ، وكان يقسم منهن لثمان: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وسودة، وجويرية.

---

(١) زاد المعاد (١/ ١٠٥ : ١١٤) بتصرف.

وأول نسائه لحوقًا به بعد وفاته ﷺ زينب بنت جحش سنة عشرين، وآخرهن موتًا أم سلمة، سنة اثنتين وستين فى خلافة يزيد، والله أعلم.

وقال النووى رحمه الله: أولهن خديجة، ثم سودة ، ثم عائشة، ثم حفصة وأم حبيبة وأم سلمة وزينب بنت جحش وميمونة وجويرية وصفية، فهؤلاء التسع بعد خديجة توفى عنهن ولم يتزوج فى حياة خديجة غيرها، ولا تزوج بكرًا غير عائشة، وأما اللاتى فارقهن فى حياته فتركناهن لكثرة الاختلاف فيهن.

وكان له سريتان: مارية وريحانة بنت زيد، وقيل بنت شمعون ثم أعتقها.

روينا عن قتادة قال: «تزوج النبى ﷺ خمس عشرة امرأة ، فدخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة وتوفى عن تسع»[١].

أولاد النبى ﷺ

قال النووى رحمه الله:

كان له ﷺ ثلاثة بنين: القاسم وبه كان يُكنَّى، . . . وُلد قبل النبوة، وتوفى وهو ابن سنتين، وعبد الله وسُمِّى الطيب والطاهر، لأنه ولد بعد النبوة وقيل الطيب والطاهر غير عبد الله والصحيح الأول[٢]. والثالث: إبراهيم وُلد بالمدينة سنة ثمان، ومات بها سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهرًا أو ثمانية عشر.

وكان له أربع بنات:

زينت تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد الشمس وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٧).

(٢) ورجحه ابن حزم فى جوامع السيرة (٤٠).

وفاطمة تزوجها على بن أبى طالب رضي الله عنه.

ورقيــة وأم كلثوم تزوجهــما عثــمان بن عــفان، تزوج رقيــة، ثم أم كلثوم، وتوفيــتا عنده، ولهــذا سُمى ذا النورين، توفيت رقــية يوم بدر فى رمــضان سنة اثنتين من الهــجرة، وتوفيت أم كلثوم فى شــعبان سنة تسع من الهجــرة فالبنات أربع بلا خــلاف، والبنون ثلاثة على الصــحــيح. وأول من وُلد له القــاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وجاء أن فاطمة أسن من أم كلثوم[(١)].

وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من ماريــة القبطية، وكلهم توفوا قبله إلا فاطمة، فإنها عاشت بعده ستة أشهر على الأصح الأشهر.

أعمامه وعماته ﷺ

فمنهم أســدُ الله وأسدُ رســوله سيــدُ الشهداء حــمزةُ بن عــبد المطلب، والعباسُ، وأبو طالب واسمــه عبدُ مناف، وأبو لهب واسمه عــبد العُزى، والزبير، وعبد الكــعبة، والمقوم، وضرار، وقُثم، والمغيــرة ولقبــه حَجل، والغيداق واسمــه مصعب، وقيل: نوفل، وزاد بعضهــم: العوَّام، ولم يُسلم منهم إلا حمزة والعباس رضي الله عنهما.

وأما عــماته، فصــفيــة أم الزبير بن الــعوام، وعاتكة، وبَرَّة، وأروى، وأميمة، وأم حكيم البيضاء. أســلم منهن صفية رضي الله عنها، واختلف فى إسلام عاتكة وأروى، وصحح بعضهم إسلام أروى.

وأسن أعمامه: الحارث، وأصغرهم سنًّا: العباس[(٢)].

* * *

---

(١) باختصار من تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦).

(٢) زاد المعاد / للإمام ابن القيم (١/ ١٠٤-١٠٥) بتصرف.

سراريه ﷺ

قال أبو عبيدة: كان له أربع: مارية وهى أم ولده إبراهيم، وريحانة وجارية أخرى جميلة أصابها فى بعض السبى، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش.

موالى الحبيب ﷺ

إن المراد من الموالى أولئك الأرقاء الذين عتقهم رسول الله ﷺ وشُرفوا بخدمته يومًا من الدهر، وهذه قائمة بأسمائهم:

* زيد بن حارثة الكلبى وولده أسامة بن زيد وهما الحِب وابن الحِب رضي الله عنهما.

* ثوبان: ويُكنى بأبى عبد الله أصابه من السراة، سكن حِمص بعد وفاة رسول الله ﷺ ومات بها.

* شقران: واسمه صالح قيل إنه من الحبشة وقيل من الفرس، وغالب الظن أنه من الفرس الذين كانوا يسكنون اليمن من بقايا الجيوش التى دخلت اليمن من الفرس فى الجاهلية قبل الإسلام.

* أبو رافع: واسمه إبراهيم القبطى كان لآل العباس فأسلم ووهبه العباس لرسول الله ﷺ فأعتقه وزوجه فأنجب أولادًا وكان ينحت القداح، وكان كاتبًا، واستكتبه على رضي الله عنه.

* سلمان الفارسى: الأصبهانى كان مملوكًا فى آخر أيامه قبل الإسلام ليهودى فكاتب اليهودى وأعانه رسول الله ﷺ حتى عُتق.

* سفينة[1]: وكان لأم سلمة فأعتقته واشترطت عليه خدمة رسول الله ﷺ مدة حياته، فقبل بالشرط ونفذه، فخدم رسول الله ﷺ وشرف

---

(١) يُسمى سفينة لأنه كان فى سفر فكان الرجل إذا أعيا يرمى عليه درعه أو سيفه فيحمل ذلك. فقال له رسول الله ﷺ: «أنت سفينة» فلُقِّب بسفينة.

بذلك ويا ليتنى كنت أنا وأمى وأولادى خدمًا لرسول الله ﷺ مدة حياته.

* أَنَسة: ويُكنى أبا مسروح وهو من مولدى السراة، وكان يأذن[1] على رسول الله ﷺ إذا جلس، توفى فى حياة أبى بكر رضي الله عنه.

* أبو كبشة: واسمه سُليم اشتراه الرسول ﷺ وأعتقه وشهد بدرًا والمشاهد كلها وتوفى يوم استخلف عمر رضي الله عنه.

* رُويفع: ويُكنى أبو مويهبة كان من مولدى مزينة اشتراه النبى ﷺ وأعتقه.

* رباح الأسود: وكان يأذن على رسول الله ﷺ فى المجلس وهو الذى أخذ الإذن لعمر حتى دخل على رسول الله أيام آل من نسائه.

* فضالة اليمانى: نزل الشام.

* مدعم: قُتل بوادى القرى بسهم عاثر أى بسهم لا يُعرف من رماه به.

* أبو ضُميرة: قيل كان من الفرس أصابه رسول الله ﷺ فى بعض الوقائع وأعتقه.

* يسار: وكان نوبيًا أصابه رسول الله ﷺ فى بعض غزواته فأعتقه وهو الذى قتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح النبى ﷺ.

* مهران: مولاه حدَّث عن النبى ﷺ.

* حُنين: مولى رسول الله ﷺ وهو جد إبراهيم بن عبد الله بن حنين كان يخدم رسول الله ﷺ ويوضئه ثم وهبه رسول الله ﷺ لعمه العباس فأعتقه.

* زيد أبو يسار: راوى حديث[2]: **«من قال: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غُفر له، وإن كان فَرَّ من الزحف»**.

---

(١) بمعنى يستأذن فى الدخول لمن أراد أن يدخل على رسول الله ﷺ، وفى الكلام لمن أراد أن يكلمه ﷺ.

(٢) رواه أبو داود والترمذى ووصفه بالقرابة.

* كركرة: كان على ثقل النبى ﷺ فى بعض غزواته ومات وهو غالٌّ عباءة فقال النبى ﷺ هو فى النار.

* كيسان: راوى حديث: «**إنَّا أهل بيت نُهينا أن نأكل الصدقة**» رواه البغوى.

* أبو بكرة نويفع الثقفى: تولى ببكرة من حصن الطائف فـأعتقه رسول الله ﷺ مع أَعْبُد كانوا معه، وطلب أهل الطائف بهم بعد إسلامهم فلم يردهم رسول الله إليهم وقال: هم عتقاء الله.

إماء رسول الله ﷺ

وكان للحبيب ﷺ إماء كثيرات منهن:

* بركة أم أيمـن وأم أسامة بن زيد فـازت بحضـانة النبى ﷺ مع والدته آمنة كان قد زارها أبو بكر وعمر بعد وفاة رسول الله ﷺ فبكت أمامهما فقالا لها: أمـا تعلمين أن مـا عند الله خيـر لرسول الله ﷺ فقـالت: بلى ولكنى أبكى لأن الوحى قد انقطع من السماء فجعلا يبكيان رضى الله عنهم أجمعين.

* خولة خادمة(١) رسول الله ﷺ.

* رضوى بنت كعب.

* ريحانة بنت شمعون القرظية أو النضرية.

* سانية مولاة رسول الله ﷺ.

* سلمى أم رافع امرأة أبى رافع.

* ميمونة بنت سعد روى عنها أصحاب الكتب الستة.

* عنقودة أم مليح الحبشية جارية عائشة كـان اسمها عِنَبة فسماها رسول الله ﷺ عنقودة.

* أم عايش بعثها رسول الله ﷺ مع ابنته تخدمها حين زوجها عثمان رضي الله عنه.

(١) ويقال خادم وهو أفصح، وخادمة أقرب إلى فهم الناس اليوم.

* ميمونة بنت أبى عسيب راوية حديث: «**ضعى يدك اليمنى على فؤادك فامسحيه وقولى: بسم الله، اللهم داونى بدوائك، واشفنى بشفائك وأغننى بفضلك عمن سواك**» حيث طلبت دعوة من رسول الله ﷺ يسكن بها قلبها وتطمئن بها نفسها، فقال لها رسول الله ﷺ : «قولى» الحديث. . .

هؤلاء مواليه وهم خدمه أما مواليه وخدمه من الأحرار(١) فأفضل الصحابة كأبى بكر الصديق فقد خدمه واعتز بخدمته، فلذا من خدمه من أصحابه لا يقلون عن عدد الموالى من خدمه بل هم أكثر(٢). فصلِّ اللهم على نبيك وصفيك وخيرتك من خلقك محمد وعلى آله وصحبه ومواليه ومن آمن به واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

كُتَّابه ﷺ

إن من صفات الكمال المحمدى الأُمية إذ بها نُعت فى الكتب الأولى. ومعناها:

أنه لا يقرأ فى كتاب ولا يكتبه، إذ لو كان كذلك لارتاب المبطلون فكانت الأمية صفة كمال له دون غيره من سائر الناس.

ومن هنا كان لابد من كُتَّاب يكتبون له ﷺ الوحى النازل إليه من ربه تعالى وغير الوحى مما لا بد من كتابته كالوثائق والعهود السياسية وكمراسلة الملوك والرؤساء، لإبلاغ دعوة الله عز وجل. . . وللحبيب ﷺ كُتاب كثيرون هذا طرف منهم:

* أبو بكر الصديق.

---

(١) من أشهر من خدم رسول الله ﷺ من الأحرار أنس بن مالك الأنصارى قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنوات ما قال لى فى شىء فعلته لِمَ فعلته ولافى شىء تركته لِمَ تركته؟ وذلك لكمال خُلقه ﷺ.

(٢) اختلف فى عدد الصحابة وهم ما بين الستين ألفا إلى ١٢٠ ألفًا.

* عمر بن الخطاب.
* عثمان بن عفان.
* على بن أبى طالب.
* خالد بن سعيد.
* أبان بن سعيد.
* العلاء بن الحضرمى.
* أُبى بن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة.

زيد بن ثابت، وقد أمره أن يتعلم العبرانية[1] فتعلمها كتابة وقراءة فى نصف شهر لا غير.

* عبد الله بن سعد بن أبى السرح، ثم ارتد وعاد إلى الإسلام يوم الفتح وحسن إسلامه.
* حنظلة الأسيدى.
* الزبير بن العوام حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته.
* خالد بن الوليد المخزومى صاحب المواقف البطولية فى الجهاد.
* ثابت بن قيس بن شماس.
* عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق رضي الله عنهما.
* عبد الله بن أرقم بن أبى الأرقم المخزومى.
* عبد الله بن زيد بن عبد ربه صاحب رؤيا الأذان.
* محمد بن سلمة الأنصارى.
* معاوية بن أبى سفيان، وكان يكتب بين يدى رسول الله ﷺ.
* المغيرة بن شعبة الثقفى راوى حديث المسح على الخفين[2].

---

(١) لغة اليهود الدينية والسياسية.

(٢) زاد المعاد للإمام ابن القيم - نقلاً من «هذا الحبيب ﷺ يا محب» للشيخ أبو بكر الجزائرى (ص٤٨٧ : ٤٩٢) بتصرف.

فصل فى مؤذنيه ﷺ

وكانوا أربعة: اثنان بالمدينة: بلالُ بنُ رباح، وهو أول من أذَّن لرسول الله ﷺ، وعمرُو بن أم مكتوم القرشى العامرى الأعمى، وبقباء سعد القرظ مولى عمار بن ياسر، وبمكة أبو محذورة واسمه أوس بن مغيرة الجمحى، وكان أبو محذورة منهم يُرجِّع الأذان، ويُثنِّى الإقامة، وبلال لا يرجع، ويفرد الإقامة، فأخذ الشافعى رحمه الله وأهلُ مكة بأذان أبى محذورة، وإقامة بلال، وأخذ أبو حنيفة رحمه الله وأهلُ العراق بأذان بلال، وإقامة أبى محذورة، وأخذ الإمام أحمد رحمه الله وأهل الحديث وأهلُ المدينة بأذان بلال وإقامته، وخالف مالك رحمه الله فى الموضعين: إعادة التكبير، وتثنية لفظ الإقامة، فإنه لا يكررها.

حرسه ﷺ

فمنهم سعدُ بن معاذ، حرسه يوم بدر حين نام فى العريش، ومحمد ابن مسلمة حرسه يوم أُحد، والزبير بن العوام حرسه يوم الخندق.

ومنهم عبَّاد بن بشر، وهو الذى كان على حرسه.

وحرسه جماعة آخرون غير هؤلاء، فلما نزل قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[1] خرج على الناس فأخبرهم بها، وصرف الحرس[2].

* * *

(١) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

(٢) رواه الترمذى، عن عائشة قالت: كان النبى ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: «**أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله**» وأخرجه الطبرى، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى، وحسنه الحافظ فى «الفتح» ٦/ ٦٠، وقال: اختلف فى وصله وإرساله.

فصل: فيمن كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ

على بن أبى طالب، والزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، ومحمد ابن مسلمة، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، والضحاك بن سفيان الكلابى. وكان قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى منه ﷺ بمنزلة صاحب الشُّرطة من الأمير[١] ووقف المغيرةُ بن شعبة على رأسه بالسيف يوم الحُديبية.

فصل: فيمن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ومن كان يأذن عليه

كان بلال على نفقاته، ومعيقيب ابن أبى فاطمة الدوسى على خاتمه، وابنُ مسعود على سواكه ونعله، وأذن عليه رباح الأسود وأَنَسة مولياه، وأنس بن مالك، وأبو موسى الأشعرى.

فصل: فى شعرائه وخطبائه ﷺ

كان من شعرائه الذين يذبُّون عن الإسلام: كعبُ بن مالك، وعبدُ الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وكان أشدهم على الكفار حسانُ بن ثابت وكعبُ ابن مالك يُعيرهم بالكفر والشرك، وكان خطيبه ثابت بن قيس ابن شماس[٢].

فصل: فى حُداته الذين كانوا يحدون بين يديه ﷺ فى السفر

منهم عبدُ الله بن رواحة، وأنجشة، وعامر بن الأكوع وعمه سلمة بن

(١) صحيح: رواه البخارى (٧١٥٥) كتاب الأحكام.

(٢) ابن زهير بن مالك الأنصارى الخزرجى خطيب الأنصار، شَهِد أُحدًا وما بعدها من المشاهد، وقُتل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر شهيدًا. «أسد الغابة» (١/ ٢٧٥).

الأكوع. . . وفى «صحيح مسلم»: كان لرسول الله ﷺ حادٍ حسنُ الصوت، فقال لهُ رسولُ الله ﷺ: «رُويداً يا أنجشةُ، لا تكسر القوارير»[١].
وفى رواية: «رفقًا بالقوارير» يعنى ضعفة النساء[٢].

أسماء خيله ﷺ

إن تسمية الدواب من إنسان وحيوان وغيرهما أمر مُقرر فى الشرع والعقل إذ لا نعرف الذات إلا بسمة أى علامة تدل عليها، ومن ذلك كان تسمية الأشياء.

وللحبيب ﷺ خيل يركبها للجهاد عليها لا للفخر والمباهاة؛ إذ ذلك شأن أبناء الدنيا. وأما الحبيب ﷺ فقد كان أرقى البشر فكرًا وأرجحهم عقلا وأصفاهم ذهنًا وأطهرهم روحًا وأزكاهم[٣] نفسا، فكيف يكون للدنيا ابنًا وهى بئست الأم. ومن خيول النبى ﷺ التى عُرفت بأسمائها ما يلى:

* السكبُ: وهو أول فرس ملكه، وغزا غزوة أُحد عليه، وسُمى بالسكب لأنه كثير الجرى.
* مُلاح.
* المُرتجز.
* اللحيف: أهداه إليه ربيع بن أبى البراء.
* الظرب: أهداه إليه فروة بن عمرو الجذامى.
* الورد: أهداه إليه تميم الدارى فوهبه ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.
* اللزاز: أهداه إليه المقوقس كما أهدى إليه مارية والبغلة «الدلدل».

❋ ❋ ❋

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢١١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٢٣) كتاب الفضائل.
(٢) زاد المعاد (١/ ١٢٤ - ١٢٩) بتصرف.
(٣) لا فرق بين الروح والنفس إلا تلوين العبارة للبيان.

أسماء بغال الحبيب ﷺ

لقد كان للنبى ﷺ بغلتان الأولى الدلدل وهى بغلة بيضاء أهداها إليه المقوقس ملك القبط، وهى أول بغلة رُؤيت فى الإسلام والثانية «فضه» أهداها إليه فهروة بن عمرو فوهبها ﷺ إلى أبى بكر الصديق وكان له حمار واحد يقال له يعفور أو عفير أهداه إليه المقوقس ملك القبط.

أسماء إبله ولقاحه ومنائحه ﷺ

أما الركائب من الإبل فلم يكن له ﷺ سوى القصوى ويقال لها العضباء والجذعى أيضًا أخذها من أبى بكر بأربعمائة درهم. وهاجر عليها من مكة إلى المدينة، وبقيت معه مدة طويلة. وأما اللقاح فكان له عشرون لقحة ترعى بالغابة وهى التى أغار عليها العرنيون ومنهن الحسناء والسمراء والعريس والسعدية والبغوم[1]، واليسيرة والريا، ومهرة، والشقراء كان يأتى لبنها أهله كل ليلة.

وأما المنائح[2] فقد كان له ﷺ سبع منائح من الغنم وهى. عجوة، وزمزم، وسقيا، وبركة، وورسة، وأطلال، وأطراف. كما له سبع أعنز كان يرعاهن أيمن ابن أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ.

أسماء سلاح الحبيب ﷺ

من أشهر سلاحه ﷺ سيفه «ذو الفقار» الذى غنمه يوم بدر، وكان لمنبه بن الحجاج، وغَنِم من بنى قينقاع ثلاثة أسياف، هى القلى، والبتار، والخيف، وكان له سيف يُدعى المخذم وآخر يسمى رسوب، وكان له بمكة

(١) البغام: صوت الإبل.

(٢) جمع منيحة: الشاة تعطى لأجل لبنها.

سيفان قَدِم بهما المدينة وحمل أحدهما معه إلى بدر وهو القضب.

وأما الرماح والقسى فقد كان له ﷺ ثلاثة رماح، وثلاث قسى إحداها تسمى الروحاء والثانية البيضاء والثالثة الصفراء.

وأما الدروع فقد كان له ثلاثة دروع الأولى تسمى الفضة غنمها من بنى قينقاع والثانية تسمى ذات الفضول، كانت عليه يوم أُحد مع الفضة والثالثة الصعدية. وكان له تُرسٌ واحد فيه تمثال رأس كبش فكرهه لذلك فأصبح وقد أذهبه الله تعالى عنه، وكان له قضيب يُسمى الممشوق.

هذا ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى نظرًا إلى ما صح من قول على وخبر الصحابة أن النبى ﷺ مات ولم يترك دينارًا ولا درهمًا، وأن درعه مرهونة فى ثلاثين صاعًا من شعير أن جميع ما ذكر من العبيد والإماء والحيوان والسلاح قد أنجز التصدُّق به قبل موته، وهو كذلك، وكيف لا وقد قال: «**إنا معاشر الأنبياء لا نُورث ما تركناه صدقة**»[1][2].

❊ ❊ ❊

(١) (هذا الحبيب ﷺ يا محب) (ص٤٩٢-٤٩٤) بتصرف.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٥٧) كتاب الجهاد والسير.

الصفات الخلقية للحبيب ﷺ

الصفات الخلقية للحبيب ﷺ

كان رسول الله ﷺ أزهر اللون (أبيض مستنير مائل إلى الحمرة) واسع الجبين، أدعج العينين (الدعج شدة سواد العينين مع سعتهما)، وقيل: أكحل، أهدب الأشفار (طويل الأشفار) مفلج الأسنان كَث اللحية تملأ صدره، عظيم المنكبين، رحب الكفين والقدمين، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، رجِل الشعر (فى شعره حجونة أى تثنٍّ قليل) يضرب شعره إلى منكبيه، إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من ثناياه.

ضخم الرأس والكراديس فى وجهه تدوير، ذا مشربة (وهى الشعر الدقيق من الصدر إلى السرة كالقضيب) إذا مشى تقلَّع كأنما ينحط فى صبب (أى يمشى بقوة، والصبب الحدور)، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الصوت، سهل الخدين، ضليع الفم، سواء البطن والصدر، أشهر المنكبين والذراعين وأعالى الصدر طويل الزندين، رحب الراحة، منهوس العقبين (أى قليل لحم العقب) بين كتفيه خاتم النبوة كزر الحجلة، وكبيضة الحمامة، وكان إذا مشى كأنما تُطوى له الأرض ويجدّون فى لحاقه وهو غير مكترث، وكان يسدل شعر رأسه ثم فرقه، وكان يرجله ويسرح لحيته، ويكتحل بالإثمد كل ليلة فى كل عين ثلاثة أطراف عند النوم»[1].

* فهذا وصفٌ مجمل للنبى ﷺ يحتاج إلى تفصيل . . وسنتعايش بقلوبنا من خلال تلك السطور مع تفاصيل وصف النبى ﷺ كأننا نراه بأعيننا - بأبى هو وأمى ﷺ -.

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووى (١/ ٢٥، ٢٦).

وصف أم معبد الخزاعية للنبى ﷺ

* عن هشام بن حبيش، عن أبيه حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ : «أن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة، وأبو بكر رضي الله عنه ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة، ودليلهما الليثى عبد الله بن أريقط. . مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة برزة [١] جلدة [٢]، تحتبى[٣] بفناء الخيمة، ثم تسقى وتطعم مَن مرَّ بها.

فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مرملين مستتين[٤]، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة، فقال: «**ما هذه الشاة يا أم معبد؟**» قالت: شاة خلَّفها الجهد عن الغنم. قال: «**هل بها من لبن**» قالت: هى أجهد من ذلك، قال: «**أتأذنين لى أن أحلبها؟**» قالت: بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلبًا فاحلبها.

فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها، وسمى الله تعالى ودعا لها فى شاتها فتفاجت[٥] عليه ودرت، فاجترت فدعا بإناء يربض[٦] الرهط، فحلب فيه ثجًا[٧] حتى علاه البهاء[٨]، ثم سقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب آخرهم حتى أراضوا[٩]، ثم حلب فيه الثانية على بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها - يعنى: على

---

(١) برزة: المرأة الطاعنة فى السن التى تبرز للرجال ولا تحتجب عنهم.
(٢) جلدة: قوية.
(٣) تحتبى: الاحتباء هو تشبيك أصابع اليدين ووضعهما على الركبتين.
(٤) مرملين مستتين: أى أنهم دخلوا سنة الجدب والقحط.
(٥) تفاجت: فرجت رجليها للحلب.
(٦) يربض الرهط: يبالغ فى ريهم ويقلهم حتى يلصقهم بالأرض.
(٧) الثج: السائل.
(٨) البهاء: رغوة الحليب.
(٩) أراضوا: كرروا الشرب حتى بالغوا فى الرى.

الإسلام- ثم ارتحلوا عنها، فقلما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا، يتساوكن هزالاً مخهن قليل.

فلما رأى أبو معبد اللبن أعجبه قال: من أين لك هذا يا أم معبد، والشاء عازب حائل[1] ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا... قال: صفيه لي يا أم معبد؟.

قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة[2] أبلج الوجه[3]، حسن الخلق لم تعبه ثُجلة[4]، ولم تزر به صُعلة[5]، وسيم[6] قسيم، في عينيه دعج[7]، وفي أشفاره وطف[8] وفي صوته صهل[9]، وفي عنقه سطع[10]، وفي لحيته كثاثة[11]، أزج أقرن[12]، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء[13]، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب. حلو المنطق، **فصلاً لا نزر ولا هذر**[14]، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا تشنأه من طول[15]، ولا تقحمه عين من قصر[16] غصن بين غصنين، فهو

---

(١) عازب: بعيدة عن المرعى، وحائل لم تحمل.
(٢) ظاهر الوضاءة: حسن الوجه.
(٣) أبلج الوجه: مشرق الوجه.
(٤) ثجلة: عظم البطن.
(٥) الصعلة: صغر الرأس.
(٦) الوسيم: الجميل الخلقة.
(٧) الدعج: شدة سواد العين.
(٨) الوطف: طول أشفار العيون.
(٩) صهل: ليس بحاد الصوت.
(١٠) سطع: إشراق وطول.
(١١) كثاثة: دقة نبات شعر اللحية مع استدارة فيها.
(١٢) أزج أقرن: دقة شعر الحاجبين مع طول فيهما واتصال ما بينهما من شعر.
(١٣) البهاء: حسن المظهر.
(١٤) فصلاً لا نزر ولا هذر: كلامه بيِّن وواضح ليس كثيرًا، وليس قليلاً.
(١٥) لا تشناه من طول: ليس طويلاً طولاً مفرطًا.
(١٦) لا تقحمه عين من قصر: لا يحتقر لقصره الشديد.

أنضر الثلاثـة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقـاء يحفون[١] به، إن قال سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود[٢] محشود[٣]، لا عابس ولا معتد».

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذى ذُكـر لنا من أمره ما ذُكر، ولقد هممت أن أصاحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً[٤].

* أرأيتم كيف استطاعت تلكم المرأة أن تصف النبى ﷺ هذا الوصف العجيب الدقيق مع أنها ما رأته إلا مرة واحدة.

كان وجهه ﷺ أجمل من القمر

عن البراء قال: مـا رأيت من ذى لمة أحسن فى حلة حمراء من رسول الله ﷺ، شعره يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير[٥].

* وعن البراء قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنه خلقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير»[٦].

* وعن أبى إسحاق قال: سُئل البراء: أكان وجه النبى ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر»[٧].

* وعن سماك أنه سمع جابر بن سَمُرَة قال له رجل: أكان رسول الله ﷺ وجهه مثل السيف؟ قال جابر: لا، بل مثل الشمس والقمر، مستديرًا[٨].

* وعن جابر بن سمرة، قال: رأيت النبى ﷺ فى ليلة إضحيان

---

(١) يحفون به: يحيطون به.

(٢) محفود: مخدوم.

(٣) محشود: محفوف به ومحاط به.

(٤) أخرجه الحاكم (٣/٩، ١٠)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبى.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٣٧) كتاب الفضائل.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٥٤٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٣٧) كتاب الفضائل.

(٧) **صحيح**: رواه البخارى (٣٥٥٢) كتاب المناقب.

(٨) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٤٤) كتاب الفضائل.

(يعنى مقمرة) وعليـه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القـمر فلهو كان فى عينى أحسن من القمر [١].

* وكان وجـهه ﷺ مستـديراً . . . ففى صحيح مـسلم عن جابر بن سمرة أنه قال: كان وجهه مثل الشمس والقمر وكان مستديراً [٢].

* وكان الحزن أو السرور يظهران على وجه النبى ﷺ .

فعن أنس أنه قال: كان إذا كره شيئًا رؤى ذلك على وجهه [٣].

لون النبى ﷺ

عن على رضي الله عنه أنه وصف لون النبى ﷺ فقال: كان أبيض مُشـرَبًا بياضه بحُمرة، وكان أسود الحدقة أهدب الأشفار[٤].

* وروى مـسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قـال فـى وصف لون النبى ﷺ : كان أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ [٥].

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤٤) كتاب الفضائل.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٠) كتاب الفضائل، بنحوه، من حديث أبى سعيد الخدرى.

(٤) صحيح: أخرجه ابن عساكر (٣/ ٢٥٠)، والبيهقى فى دلائل النبوة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦٢١).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣٠) كتاب الفضائل.

صفة فم النبى ﷺ وعينيه وعقبيه

* **عن سماك بن حرب قال:** سمعت جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم[١]. أشكل العين[٢]. منهوس العقبين[٣]. قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم. قال: قلت: ما أشكل العين؟ قال: طويل شق العين. قال: قلت: ما منهوس العقب؟ قال: قليل لحم العقب[٤].

صفة شعر رسول الله ﷺ

* عن قتادة. قال: قلت لأنس بن مالك: كيف كان شعر رسول الله ﷺ؟ قال: كان شعرًا رَجِلاً[٥]. ليس بالجعد ولا السبط. بين أذنيه وعاتقه[٦].

* وعن أنس، أن رسول الله ﷺ كان يضرب شعره منكبيه[٧].

* **وعن أنس قال:** كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه[٨].

* **وعن ابن عباس قال:** كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رءوسهم. وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به. فسدل رسول الله ﷺ ناصيته. ثم فرق بعد[٩].

---

(١) ضليع الفم: عظيم الفم، كذا قاله الأكثرون وهو الأظهر، قالوا: والعرب تمدح بذلك، وتذم بصغر الفم، وهو معنى قول ثعلب فى «ضليع الفم»: واسع الفم، وقال شمر: عظيم الأسنان.

(٢) جاء تتمة الحديث قال شعبة: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم، قال: قلت: ما أشكل العين؟ قال: طويل شق العين. قال: قلت: ما منهوس العقب؟ قال: «قليل لحم العقب».
قال القاضى: «هذا وهم من سماك باتفاق العلماء، وغلط ظاهر، وصوابه ما اتفق عليه العلماء، ونقله أبو عبيد وجميع أصحاب الغريب: أن الشكلة حمرة فى بياض العينين وهو محمود».

(٣) معناه قليل لحم العقب. كما قال.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٣٩) كتاب الفضائل.

(٥) رجل الشعر: لا شديد الجعودة، ولا شديد السبوطة، بل بينهما.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٣٨) كتاب الفضائل.

(٧) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٩٠٣) كتاب اللباس، ومسلم (٢٣٣٨) كتاب الفضائل.

(٨) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٣٨) كتاب الفضائل.

(٩) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٩١٧) كتاب اللباس، ومسلم (٢٣٣٦) كتاب الفضائل.

قال القاضى: سدل الشعر إرساله، قال: والمراد به هنا عند العلماء إرساله على الجبين واتخاذه كالقُصة.

* والمراد هنا أن النبى ﷺ كان فى أول البعثة يرى المشركين يفرقون رؤوسهم فكان النبى ﷺ يسدل شعره ليخالف المشركين . . ولأن أهل الكتاب كانوا يسدلون . . وكان النبى ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فى بعض الأشياء التى لم يأته فيها أمر من الله بمخالفتهم. فلما قضى النبى ﷺ على الشرك ودخل الناس فى دين الله أفواجًا أراد النبى ﷺ أن يخالف أهل الكتاب ففرق رأسه.

شيب النبى ﷺ وما جاء فى خضابه

* عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن، أنه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: **توفى رسول الله ﷺ** وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. قال ربيعة: فرأيت شعرًا من شعر رسول الله ﷺ فإذا هو أحمر، فسألت فقيل: من الطيب[1] - أى من العطر -.

* **وعن ابن سيرين قال:** سألت أنس بن مالك: هل كان رسول الله ﷺ خَضَبَ؟ فقال: لم يبلغ الخضاب. كان فى لحيته شعرات بيض. قال: قلت له: أكان أبو بكر يخضب؟ قال: فقال: نعم. بالحناء والكتم[2].

صفة لحيته ﷺ

* **روى مسلم عن جابر بن سمرة أنه وصف لحية النبى ﷺ فقال:** كان كثير شعر اللحية[3].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٥٤٧) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٣٨) كتاب الفضائل.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٣٤١) كتاب الفضائل.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٣٤٤) كتاب الفضائل.

* وروى الترمذى عن على أنه قال: كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس واللحية[١].

* فكان النبى ﷺ صاحب لحية ضخمة حتى إن الذى يرى النبى ﷺ من ظهره كان يعرف كلامه من اضطراب لحيته.. وذلك لضخامتها.

صفة كفيه ﷺ وقدميه وذراعيه وساقيه وصدره

* روى البخارى عن أنس أنه قال فى وصف الرسول ﷺ: كان ضخم الرأس واليدين والقدمين[٢].

* وعن على أنه قال: كان ضخم الهامة عظيم اللحية[٣].

* وروى أحمد أن أبا هريرة قال فى وصف النبى ﷺ: كان شبح الذراعين[٤] بعيد ما بين المنكبين، أهدب أشفار العينين[٥].

طيب رائحة النبى ﷺ ... ولين كفه ﷺ

* روى مسلم عن أنس أنه قال: ما شممت شيئًا قط: مسكًا ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ، ولا مسست شيئًا قط حريراً ولا ديباجًا ألين مسًّا من كف رسول الله ﷺ[٦].

* وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون. كأن عرقه اللؤلؤ. إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٨١٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٩٠٧) كتاب اللباس.

(٣) حسن: رواه أبو يعلى (١/ ٣٠٣)، وابن عساكر (٣/ ٢٥٤)، والبيهقى، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٨٢٠).

(٤) شبح الذراعين: عريض الذراعين.

(٥) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٩٥).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٦١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٣٨) كتاب الفضائل.

ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ(١).

* وعن جابر بن سمرة. قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى. ثم خرج إلى أهله وخرجت معه. فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدى أحدهم واحدًا واحدًا قال: وأما أنا فمسح خدى. قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جُؤنة عطار(٢).

كانوا يعطرون العطر بعرق النبى ﷺ

* وعن أنس بن مالك. قال: دخل علينا النبى ﷺ فقال عندنا، فعرق وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبى ﷺ فقال: «**يا أم سليم! ما هذا الذى تصنعين؟**» قالت: هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب -الطيب: العطر-(٣).

* **وفى رواية أنه قال:** ففزع النبى ﷺ فقال: «**ما تصنعين؟ يا أم سليم!**» فقالت: يا رسول الله! نرجو بركته لصبياننا. قال: «**أصبت**»(٤).

صفة خاتم النبوة

* **عن أبى سعيد ﷺ قال:** كان خاتم النبوة فى ظهره بَضعة ناشزة (٥).

* **وروى مسلم عن جابر بن سمرة قال:** رأيت الخاتم الذى فى ظهر رسول الله ﷺ مثل بيضة الحمام(٦).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣٠) كتاب الفضائل.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٩) كتاب الفضائل.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣١) كتاب الفضائل.
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣١) كتاب الفضائل.
(٥) صحيح: رواه الترمذى فى الشمائل (ص٤٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٩٣).
(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤٤) كتاب الفضائل.

النبى ﷺ يشتاق إليكم

قال ﷺ: «وددت أنى لقيت إخوانى الذين آمنوا ولم يرونى»[١].

وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى».

وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة، وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات»[٢].

فيا ليتنا نعلم قدر النبى ﷺ ونشتاق إليه كما يشتاق هو إلينا ونحبه كما يحبنا.

* بل إن النبى ﷺ ينتظرنا على الحوض يوم القيامة ليرى الذين اتبعوه وعاشوا على سنته وشرعه ومحبته ليسقيهم من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا يظمأون بعدها أبدًا.

* بل وحتى عند دخول الجنة يعلم النبى ﷺ أن الله (عز وجل) جعل له من أمته سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإذا بالحبيب ﷺ يستزيد ربنا (عز وجل) ويطلب منه المزيد ممن يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٨٨).

(٢) حسن: رواه أحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٤١).

مختصر سيرة الرسول ﷺ

مختصر سيرة الرسول ﷺ [(١)]

* وسأذكر فى هـذا الفصل سردًا مختـصرًا جدًّا لسيرة الرسول ﷺ وقبل أن أبدأ فى سرد سيرته ﷺ باختصار فسوف أذكر لكم نبذة مختصرة عن صفة النبى ﷺ فى التوراة وتبشير اليهود به.

صفة النبى ﷺ فى التوراة وتبشير اليهود به

* **عن عطاء بن يسار قال:** لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقلت: (أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة، فقال: أجل، والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن: «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين[(٢)]، أنت عبدى ورسولى، سمَّيتك المتوكل، ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا سخَّاب فى الأسواق[(٣)]، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء[(٤)] بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا) [(٥)].

* **وعن كعب الأحبار قال:** «إنى أجد فى التوراة مكتوبًا: محمد رسول الله، لا فظّ ولا غليظ، لا سخَّاب فى الأسواق، ولا يجزى السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، أُمته الحمَّادون، يحمدون الله فى كل منزلة، ويكبرونه

(١) بتصرف من كتاب (سيرة الرسول ﷺ) للمصنف - فمن أراد الوقوف على سيرة الرسول ﷺ كاملة فليرجع إلى هذا المرجع المذكور.

(٢) حرزًا للأميين: حافظًا لهم.

(٣) السَّخاب: رفع الصوت بالخصام.

(٤) حتى يقيم به الملة العوجاء: ملة إبراهيم التى غيرتها العرب عن استقامتها.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٢٥) كتاب البيوع فى الأسواق، وفى التفسير حديث: ٤٨٣٨.

على كل نجد يأتزرون إلى أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، صفهم فى الصلاة، وصفهم فى القتال سواء منـاديهم ينادى فى جو السماء، لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل، مولده بمكة، ومهاجره بطابة، ومُلكه بالشام»[١] .

إخبار الكُهَّان عن بعثة النبى ﷺ

* **عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:** «ما سمعت عمر بشىء قط يقول: إنى لأظنه كذا، إلا كان كما يظن.

بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال عمر: «لقد أخطأ ظنى أو إن هذا على دينه فى الجاهلية، أو لقـد كان كاهنهم - على الرجل - فدُعى له، فقال له ذلك.

فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجـلاً مسلمًا. قال: فإنى أعزم عليك إلا ما أخبرتنى. قال: كنت كاهنهم فى الجاهليـة. قال: فما أعجب ما جاءتك به جِنِّيتك؟ قال: بينما أنا يومًا فى السوق، جاءتنى أعرف منها الفزع، فقالت:

ألـم تر الجـن وإبلاسـهـا

ويأسـهـا من بعـد إنكاسـهـا[٢]

ولحـوقـهـا بالقـلاص[٣] وأحـلاسـهـا

قال: صـدق بينمـا أنا نائم عند آلهتـهم، إذ جـاء رجل بعجلٍ فذبحـه، فصرخ به صـارخ لم أسمع صارخًا قط أشد صـوتًا منه يقول: يا جليح[٤]، أمرٌ نجيح، رجل فصـيح يقول: لا إله إلا الله. . فوثـب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح،

---

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة: (١/ ٤ ـ ٥) .

(٢) يأسها من بعـد إنكاسها: بأسهـا من الاستماع أو استـراق السمع بعد أن كانت ألفتـه، فانقلبت عن الاستراق وقد يئست من السماع.

(٣) القلاص: جمع قلوص: وهى الفتية من النياق.

(٤) جليح: الوقح المكافح بالعداوة.

يقول: لا إله إلا الله. فقمت، فما نشبنا أن قيل: هذا نبى»[١].

* وعن جابر رضي الله عنه قال: «إن أول خبر قَدِم علينا عن رسول الله ﷺ أن امرأة كان لها تابع[٢] قال: فأتاها فى صورة طير، فوقع على جذع لهم، قال فقالت: ألا تنزل فنُخبرك وتخبـرنا، قال: إنه قد خرج رجل بمكة حرم علينا الزنا، ومنع منا القرار[٣]»[٤].

حالة المجتمع الجاهلى قبل بعثة الحبيب ﷺ

لقد اجتمعت كلمة المؤرخين عامة على أن العالم الإنسانى قاطبة، والعالم العربى بصورة خاصة كان يعيش فى دياجير ظلام الظلم والجهل، وظلمات الطغيان والاستبداد، تتنازعه الإمبراطوريتان الفارسية شرقًا، والرومانية غربًا. ويؤكد هذه الحقيقة قول الحبيب محمد ﷺ : «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربَهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**»[٥]. فالأحوال متردية ساقطة هابطة فى العالم الإنسانى بأسره، لا سيما فى العالم العربى حيث الفساد فى كل جوانب الحياة السياسية منها كالاقتصادية، والاجتماعية كالدينية.. الكل سواء[٦].

* وقد كانت مكة على عهد البعثة تموج بحركة عاصفة من الشهوات والمآثم، وكان الرجال يحيون فيها أمثلة قوية لنضج الأهواء وشلل الأفكار، أو نمائها فى ظل الهوى الجامح ولخدمته وحده.

كُفْرٌ بالله واليوم الآخر، إقبال على نعيم الدنيا فى التشبع منه، رغبة

(١) **صحيح**: رواه البخارى فى (٣٦٥٣) كتاب فضائل الصحابة، و (٣٨٦٦) كتاب مناقب الأنصار.

(٢) التابع: الصاحب من الجن.

(٣) القرار: الاستقرار.

(٤) أخرجه أحمد فى المسند: (٣/٣٥٦).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٦) هذا الحبيب ﷺ يا محب (ص: ٢٣).

عميقة فى السيادة والعلو ونفاذ الكلمة... عصبيات طائشة تسالم وتحارب من أجل ذلك، تقاليد متوارثة توجه نشاط الفرد المادى والأدبى... من الخطأ أن تحسب مكة يومئذ قرية منقطعة عن العمران فى صحراء موحشة، لا تحس من الدنيا إلا الضرورات التى تمسك عليها الرمق، كلا. إنما شبعت حتى بطرت، وتنازعت الكبرياء حتى تطاحنت عليها، وكثر فيها من تغلغل الإلحاد فى أغوار نفسه حتى عزَّ إخراجه منه. فهم من بين عَمٍ عن الصواب أو جاحدٍ له، وفى هذا المجتمع الذى لم ينل حظًا يُذكر من الحضارة العقلية، بلَغ غرور الفرد مداه، ووُجد من يسابق فرعون عُتوه وطغواه.

قال عمرو بن هشام معللاً كفره برسالة محمد عليه الصلاة والسلام: زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف، حتى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا: منا نبى يُوحَى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدًا إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه، وزعموا أن الوليد بن المغيرة قال لرسول الله ﷺ: «**لو كانت النبوة حقًا لكنت أولى بها منك، لأنى أكبر منك سنًا وأكثر منك مالاً**»[1].

* وفى حديث أم سلمة رضي الله عنها فى قصة الهجرة إلى الحبشة ومحاورة جعفر رضي الله عنه للنجاشى وقوله:

«أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوى منا الضعيف، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منَّا نعرف نَسَبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنُوحده ونعبده، ونخلع[2] ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا

---

(١) فقه السيرة (ص: ٢٥ ـ ٢٦).

(٢) نخلع: نترك.

عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة»[١].

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة في سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[٢][٣].

فلما اكتظت الأرض بالمفاسد والضلالات زاد التطلع إلى مقدم هذا المصلح المرتقب، وكان هناك رجال ممن ينكرون الجهالة السائدة يستشرفون للمنصب الجليل، ويتمنون لو اختيروا له، منهم أمية بن أبي الصلت الذى جعل شعره بالتحدث عن الله وما يجب له من محامد، حتى قال رسول الله ﷺ فيه: «كاد أمية أن يُسلم»[٤].

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: رَدِفت رسول الله ﷺ يومًا فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت»: قلت: نعم. قال: «هيه، فأنشدته بيتًا» فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت[٥].

العادات السيئة فى المجتمع الجاهلى

من جملة العادات السيئة التى هبطت بالمجتمع العربى قبل الإسلام هى:

(١) **القمار والمعروف بالميسر**، وهذه عادة سكان المدن فى الجزيرة كمكة والطائف وصنعاء وهجر ويثرب ودومة الجندل وغيرها وقد حرمه الإسلام

---

(١) قال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٢٤ ـ ٢٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع ـ فالحديث بهذا صحيح.

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٤٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٥٢٤) كتاب المناقب.

(٤) جزء من حديث رواه البخارى (٦١٤٧) كتاب الأدب، ومسلم (٢٢٥٦) كتاب الشعر. وأوله: «أصدق كلمة قالها شاعر»، واقتصر الترمذى على الجزء الأول منه (١٠/ ٢٩١) الأدب.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٥/ ١١) الشعر وقال النووى: ومقصود الحديث أن النبى ﷺ استحسن شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث ففيه جواز إنشاد الشعر الذى لا فُحش فيه سواء شعر الجاهلية وغيره، وأن المذموم من الشعر الذى لا فحش فيه إنما هو الإكثار منه وكونه غالبًا على الإنسان فأما يسيرُه فلا بأس بإنشاده وسماعه وحفظه ـ شرح النووى على صحيح مسلم هامش (١٥/ ١٢).

بآية سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١).

(٢) شرب الخمر والاجتماع عليها والمباهاة بتعتيقها وغلاء ثمنها، وكان هذا عادة أهل المدن من أغنياء، وكبراء وأدباء وشعراء، ولما كانت هذه العادة متأصلة فيهم متمكنة من نفوسهم حرمها الله تعالى عليهم بالتدريج شيئًا فشيئًا، وذلك من رحمة الله تعالى بعباده فله الحمد وله المنة.

(٣) نكاح الاستبضاع وهو أن تحيض امرأة الرجل منهم فتطهر فيطلب لها أشراف الرجال وخيارهم نسبًا وأدبًا ليطؤها من أجل أن تُنجب ولدًا يرث صفات الكمال التى حملها أولئك الواطئون لها.

(٤) وأد البنات وهى أن يدفن الرجل ابنته بعد ولادتها حيّة فى التراب خوف العار. وجاء فى القرآن الكريم التنديد بهذا العمل وتقبيحه وذلك بذكر توبيخ فاعله يوم القيامة... قال تعالى فى سورة التكوير: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾(٢)؟.

(٥) قتل الأولاد مطلقًا ذكورًا كانوا أو إناثًا، وذلك عند وجود فقر وحالة مجاعة، أو لمجرد توقع فقر شديد عندما تلوح فى الأفق آثاره لوجود مَحْل وقحط بانقطاع المطر أو قلَّته. فحرم الإسلام هذه العادة السيئة القبيحة بقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ﴾(٣)، ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾(٤). والإملاق شدة الفقر.

(٦) تبرّج النساء بخروج المرأة كاشفة عن محاسنها مارّة بالرجال الأجانب متغنجة(٥) فى مشيتها متكسِّرة كأنها تعرض نفسها وتُغرى بها غيرها.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٩٠).

(٢) سورة التكوير: الآيتان: (٨، ٩).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٥١).

(٤) سورة الإسراء: الآية: (٣١).

(٥) تغنجت المرأة: تدللت على زوجها بملاحة، كأنها تخالفه وليس بها خلاف.

(٧) **اتخاذ الحرائر من النساء الأخدان من الرجال** وذلك بالاتصال بهم وتبادل الحب معهم فى السر وهم أجانب عنهن، فحرم الإسلام هذه العادة بقوله تعالى: ﴿وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾(١)، وحرم على الرجال ذلك بقوله: ﴿وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾(٢).

(٨) **إعلان الإماء عن البغى بهن** وذلك بأن تجعل إحداهن راية حمراء على باب منزلها لتُعرف أنها بغى ويغشاها الرجال وتأخذ على ذلك أجرًا أى مالاً مقابل الاستبضاع.

(٩) **العصبية القبلية** وهى مبدأ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» فجاء الإسلام فأمر بنصرة الأخ المسلم قريبًا كان أو بعيدًا، إذ الأخوة المعتبرة هنا هى أخوة الإسلام. ونصرته إذا كان مظلومًا بدفع الظلم عنه، ونصرته إذا كان ظالمًا بمنعه من الظلم وحجزه عنه، قال رسول الله ﷺ فى رواية البخارى: «**انصُر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، فقيل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا: فكيف أنصره إذا كان ظالمًا؟ قال: «**تحجزه عن الظلم**».

(١٠) **شن الغارات والحروب على بعضهم البعض للسلب والنهب...** فالقبيلة القوية تغير على الضعيفة لتسلُبَها مالَها؛ إذ لم يكن لهم حكم ولا شرع يرجعون إليه فى أغلب الأوقات وفى أكثر البلاد.

ومن أشهر حروبهم حربُ داحس والغبراء التى وقعت بين عَبْس من جهة وذبيان وفزارة من جهة أخرى. وحرب البَسوس حتى قيل: أشأم من حرب البسوس التى دامت كذا سنة وكانت بين بكر وتَغْلُب. وحرب بُعاث التى وقعت بين الأوس والخزرج بالمدينة النبويّة قُبيل الإسلام. وحرب الفِجار التى دارت بين قيس عيلان من جهة وبين كنانة وقريش من جهة

---

(١) سورة النساء: الآية: (٢٥).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٥).

مقابلة، وسُميت حرب الفِجار لأنها وقعت فى الأشهر الحرم.

(١١) **عدم الامتهان تكبُرًا وأنفةً**؛ إذ كانوا لا يمتهنون الحدادة والحياكة والحجامة ولا الفلاحة، وإنما يسندون هذه المهن لإمائهم وعبيدهم.

أما الأحرار فحسبُهم التجارة وركوب الخيل وشنّ الغارات وإنشاد الشعر والمفاخرات بالأحساب والأنساب.

هذه معظم العادات السيئة التى كانت فى المجتمع العربى قبل الإسلام وهى كما مرّت تحيل المجتمع إلى مجتمع ساقط هابط لا سعادة فيه ولا هناء[١].

النكاح فى الجاهلية

* **عن عائشة** رضي الله عنها **قالت**: «إن النكاح فى الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدِقها ثم ينكحها.

ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها[٢]: أرسلى إلى فلان فاستبضعى[٣] منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدًا، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر: يجتمع الرهط[٤] ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها[٥]، فإذا حملت، ووضعت، ومرَّ ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم:

(١) هذا الحبيب يا محب (ص: ٣٠: ٣٢) / أبو بكر الجزائرى.

(٢) الطمث: الحيض.

(٣) استبضعى: طلب الجماع حتى تحمل منه.

(٤) الرهط: الجماعة دون العشرة.

(٥) يصيبها: يجامعها.

قد عرفتم الذى كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحبَّت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها[1]، وهنَّ البغايا كُن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا، فمن أرادهنَّ دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودَعَوا لهم القافة[2]، ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون، فالتاطه[3] به، ودُعى ابنه، لا يمتنع من ذلك. فلما بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم»[4].

العادات الحسنة فى المجتمع الجاهلى

ومع تلك الجاهلية التى كان يعيش فيها المشركون إلا أنه كانت هناك باقة عطرة من العادات الحسنة نُجملها فيما يلى:

(١) الصدق: والمراد به صدق الحديث وهو خُلق كريم عُرف به العرب فى الجاهلية قبل الإسلام فزاده الإسلام تقريرًا وتمتينًا.

(٢) قِرىَ الضيف وهو إطعامه، وهو من الكرم الذى يُحمَد صاحبه عليه، ويُحمد: له ويثنى به عليه فجاء الإسلام بتقريره وتأكيده إذ قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**».

(٣) الوفاء بالعهود وعدم نكثها مهما كلَّفت من ثمن وهو خُلقٍ سامٍ شريف وجاء الإسلام بتقريره وتأكيده... قال تعالى: ﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا**﴾ فى بيان صفات المؤمنين من سورة البقرة [١٧٧].

---

(١) جاءها: دخل عليها.

(٢) القافة: جمع القائف وهو الذى يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية.

(٣) التاطه: استلحقه بنسبه.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥١٢٧) كتاب النكاح.

(٤) احترام الجوار وتقرير مبدأ الحماية لمن طلبها، وعدم خفره مهما كانت الأحوال، وفى الحديث: «**قد أجرنا مَن أجرتِ يا أم هانئ**».

وأجار المسلمون أبا العاص بن الربيع وهو مشرك حتى دخل المدينة واستردَّ ودائعه وأمواله وعاد إلى مكة ثم أسلم بعد.

(٥) الصبر والتحمل. حتى قالوا: «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها» وجاء الإسلام فزاد هذا الخلق قوة ومتانة. وفى القرآن: ﴿**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا**﴾(١)، وفى الحديث: «**من صبر ظفر**».

(٦) الشجاعة والنجدة والأنفة وعدم قبول الذل والمهانة وهى خلال امتاز بها العرب نساءً ورجالاً، وفى أشعارهم وأقاصيصهم شواهد ذلك.

(٧) احترام الحرم والأشهر الحرم، بعدم القتال فيها إلا من ضرورة، وتأمين الوافدين إلى الحرم، ولو كانوا ذوى سوابق فى الشر.

(٨) تحريمهم نكاح الأمهات والبنات.

(٩) اغتسالهم من الجنابة.

(١٠) المداومة على المضمضة والاستنشاق.

(١١) السواك والاستنجاء، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط.

(١٢) الختان للأطفال. والخفاض للبنات.

(١٣) قطعهم يد السارق اليمنى.

(١٤) الحج والعمرة.

فهذه جملة من العادات الحسنة الحميدة التى عُرف بها العرب فى الجاهلية قبل الإسلام. وإنها وإن لم تكن عامة فى كل فرد فإنها الطابع العام على غالبيتهم... ولولا إرادة الاختصار، وثقة القارئ فيما أقدمه له لذكرت شواهد ذلك من كلامهم ووقائعهم نظمًا ونثرًا،... وحسبُنا من ذلك أن أبا

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٢٠٠).

سفيان بن حرب لما حضر عند هرقل ملك الروم بالشام وسأله عن النبى ﷺ لم يكتمه شيئًا مما سأله عنه، مع العلم بأنه ما زال مشركًا وفى حرب مع الإسلام والمسلمين[١].

قصة حفر زمزم

* **عن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال:** «قال عبد المطلب: إنى لنائم فى الحِجْر إذ أتانى آتٍ فقال لى: احفر طَيبة[٢]. قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عنى.

قال: فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى، فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر برَّة[٣]، قال: قلت وما بَرَّة؟ قال: ثم ذهب عنى.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى، فنمت فيه: فجاءنى فقال: احفر المضنونة[٤]. قال: قلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عنى.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى، فنمت فيه: فجاءنى فقال: احفر زمزم[٥]. قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف[٦] أبدًا ولا تذم، تسقى الحجيج الأعظم، وهى بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم[٧]، عند قرية النمل[٨].

قال: فلما بيَّن شأنها، ودلَّ على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا

---

(١) هذا الحبيب ﷺ يا محب (ص: ٣٢: ٣٤).

(٢) طيبة: مشتقة من الطيب، وبه سُميت المدينة المنورة.

(٣) برَّة: مشتقة من البر، والبر: هو الخير والطهارة.

(٤) المضنونة: الغالية النفيسة التى يُضن بمثلها، أى يُبخل بمثلها.

(٥) زمزم: أصل الزمزمة كلام بصوت لا يُفهم، فشبَّه صوت الماء منها بالزمزمة.

(٦) لا تنزف: أى لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها.

(٧) الغراب الأعصم: الذى فى ساقيه بياض.

(٨) قرية النمل: المكان الذى يجتمع فيه النمل.

بمعوله[١] ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، وليس معه يومئذ ولدٌ غيره، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطي[٢] كبَّرَ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقًا، فأشركنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصصتُ به دونكم، وأُعطيته من بينكم. قالوا له: فأنصِفنا، فإنَّا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه. قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم، قال: نعم، وكانت بأشراف الشام.

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أمية، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز، حتى إذا كانوا ببعضها نفد ماء عبد المطلب وأصحابه، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من كانوا معهم فأبوا عليهم، وقالوا: إنَّا بمفازة[٣] وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم. فقال عبد المطلب: إني أرى أن يحفر كلُّ رجل منكم حفرته لنفسه بما لكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه، حتى يكون آخرهم رجلاً واحدًا، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة الرَّكب جميعه. فقالوا: نِعم ما أمرتِ به.

فحفر كل رجل لنفسه حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشًا.

ثمَّ إنَّ عبد المطلب قال لأصحابه: والله إنَّ إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا ضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا.. لَعجزٌ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحِلوا. فارتَحلوا حتى إذا بعث[٤] عبد المطلب راحلته

(١) المعول: الفأس.

(٢) الطي: حافة البئر.

(٣) المفازة: جمعها مفاوز: القفار، وسُميت مفازة على جهة التفاؤل وقيل هي مشتقة من فوز الرجل إذا هلك.

(٤) بعث راحلته: أقامها من بروكها.

انفجرت من تحت خُفها عين ماء عـذب، فكبَّر عبد المطلب، وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشـرب أصحابه، واستسقـوا حتى ملأوا أسقيـتهم، ثم دعا قبائل قريش ـ وهم ينظرون إليهم في جميع هذه الأحوال ـ فقال: هَلُمُّوا إلى الماء فقد سـقانا الله، فجاءوا فـشربوا، واستقوا كلهم، ثـم قالوا: قد والله قضى لك علينا، والله ما نخاصمك فى زمزم أبدًا، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدًا.

فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلّوا بينه وبين زمزم».

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنى عن على بن أبى طالب فى زمزم[١].

قصة نذر عبد المطلب بأن يذبح أحد أبنائه

قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب بن هاشم ـ فيما يزعمون والله أعلم ـ قد نذر ـ حـين لقى من قريش ما لقى عند حـفر زمزم ـ لئن وُلد له عـشرة نفر، ثم بلغـوا معه حـتى يمنعوه، لينحرنَّ أحـدهم لله عند الكعبـة. فلما توافى بنوه عـشرة، وعرف أنهم سـيمنعـونه، جمـعهم ثم أخبـرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلـك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قـال: ليأخذ كل رجل منكم قـدحًا ثم يكتب فيـه اسمـه، ثم ائتونى، ففـعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على هُبَل فى جوف الكعـبة، وكان هُبل ـ اسم الصنم ـ على بئر فى جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هى التى يُجمع فيها ما يُهدَى للكعبة.

فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بنىّ هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبَره بنذره الذى نذر، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه.

قال ابن إسـحاق: وكان عـبد الله أحب ولد عبـد المطلب إليه، وهو أبو رسول الله ﷺ ، فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها، قام عبد

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ١٤٢ ـ ١٥٥).

المطلب عند هُبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة[1]، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه؛ فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبدًا حتى تُعذر فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه. فما بقاء الناس على هذا؟

وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل، وانطلِق به إلى الحجاز، فإن به عرّافة لها تابع، فسلها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه فرج قَبِلته.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخيبر، فركبوا حتى جاءوها فسألوها، وقصَّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله، فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها، فقالت لهم: قد جاءنى الخبر، كم الدِّية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، وكانت كذلك.. قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قرِّبوا صاحبكم وقربوا عشرًا من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح: فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قَدِموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله؛ ثم قربوا عبد الله وعشرًا من الإبل، وعبد المطلب قائم عند هُبل يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل؛ فبلغت الإبل عشرين.

---

(١) الشفرة: السكين.

- **إلى أن قال -:** وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل مائة، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل؛ فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب، فزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات؛ فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبد المطلب قائم يدعو، فضربوا فخرج القدح على الإبل؛ ثم عادوا الثالثة، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القدح على الإبل، فنُحرت ثم تُركت لا يُصد عنها إنسان ولا يُمنع(١).

قال الطبري في تاريخه: حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال أخبرنا ابن وهب، قال أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أنه أخبره أن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمرٍ إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستفتي عن نذرها فجاءت عبد الله بن عمر فقال لها عبد الله بن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم... فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك. فجاءت عبد الله بن عباس فاستفتته فقال: أمر الله بوفاء النذر، والنذر دَين ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم. وقد كان عبد المطلب ابن هاشم نذر إن توافق له عشرة رهط أن ينحر أحدهم. فلما توافى له عشرة أقرع بينهم أيهم ينحر، فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحبّ الناس إلى عبد المطلب: فقال: عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت القرعة على المائة من الإبل.

فقال ابن عباس للمرأة فأرى أن تنحرى مائة من الإبل مكان ابنك. فبلغ الحديث مروان وهو أمير المدينة، فقال: ما أرى ابن عمر ولا ابن عباس

(١) السيرة النبوية/ لابن هشام (١/ ١٣٦: ١٣٩) بتصرف.

أصابا الفتيا إنّه لا نذر فى معصية الله، استغفرى الله وتوبى إلى الله وتصدَّقى واعملى ما استطعتِ من الخير، فأما أن تنحرى ابنك فقد نهاك الله عن ذلك، فسُرّ الناس بذلك وأعجبهم قول مروان، ورأوا أنه قد أصاب الفُتيا، فلم يزالوا يفتون بلا نذر فى معصية الله(١).

حادثة الفيل إرهاصة لبعثة النبى ﷺ

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: هذه من النعم التى امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله وأرغم أنافهم، وخيَّب سعيهم، وأضلَّ عملهم، وردَّهم بشرٍّ خيبة، وكانوا قومًا نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه فى ذلك العام وُلد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدرة يقول: لم ينصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق، الذى سنُشرفه ونُوقره ببعثة النبى الأمى محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء(٣).

* * *

(١) تاريخ الطبرى (٢/ ٢٣٩، ٢٤٠). قال عادل عبد الغفور فى دراسة مرويات العهد المكى: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات ـ صفحة ٩٤ من طبعة الآلة الكاتبة.

(٢) سورة الفيل.

(٣) تفسير القرآن لابن كثير (٤/ ٥٤٨-٥٤٩).

زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب و رؤيا آمنة أم النبى ﷺ

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه إليه، ولما نجا من الذبح وفداه عبد المطلب بمائة من الإبل، زوَّجه أبوه من أشرف نساء مكة نسبًا، وهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

ولم يلبث أبوه أن تُوفى بعد أن حملت به آمنة ودُفن بالمدينة عند أخواله بنى عدى بن النجار، فإنه كان ذهب بتجارة إلى الشام فأدركته منيته بالمدينة وهو راجع، وترك هذه النسمة الطاهرة، وكأن القدر يقول له: قد انتهت مهمتك فى الحياة، وهذا الجنين الطاهر يتولى الله عز وجل بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

ولم يكن زواج عبد الله من آمنة هو بداية أمر النبى.... قيل للنبى ﷺ ما أول بدء أمرك؟: فقال رسول الله ﷺ: **«أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام»**(١).

ميلاد المصطفى ﷺ ونشأته

فى يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول، وقيل: ثمانية، وقيل: عشرة، وقيل: ثنتى عشرة وعليه الأكثر، وذلك عام الفيل ظهرت تباشير الصباح ووُلد المصطفى ﷺ.

وكانت ولادته فى دار أبى طالب بشِعب بنى هاشم، وهى التى سُميت بعد ذلك بدار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف، وهى الآن مكتبة عامة.

---

(١) صحيح: رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبى، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٥٤٦).

وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أَمَةُ أبيه، وأول من أرضعته ثويبة أَمة عمه أبى لهب.

ثم استرضع ﷺ فى بنى سعد بن بكر وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم فى البوادى ليكون أنجب للولد، وكانوا يقولون إن المُربَّى فى المدينة يكون كليل الذهن فاتر العزيمة، فجاءت نسوة من بنى سعد ابن بكر يطلبن أطفالاً يرضعنهم، فكان الرضيع المحمود من نصيب حليمة السعدية.

وحصل له ﷺ وهو فى بادية بنى سعد بن بكر حادثة شق الصدر(١)، روى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشقَّ عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: «**هذا حظ الشيطان منك**»، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعنى ظئره (أى المرضعة). - فقالوا: «إن محمدًا قد قُتل» فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

- **قال أنس**: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره(٢). ثم أشفقت عليه مرضعته فأعادته إلى أمه، وتوجهت به أمه إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار، وبينما هى عائدة أدركتها منيتها فى الطريق، فماتت بالأبواء، ودُفنت هناك. فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب.

وتوفى عبد المطلب وكان عُمْر النبى ﷺ ثمانى سنوات، فكفله شقيق أبيه (أبو طالب)، وكان به رحيمًا، وكان مُقلاً فى الرزق، فعمل النبى ﷺ برعى الغنم مساعدة منه لعمه.

---

(١) رواه أحمد، والحاكم، بسند حسن.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٢) كتاب الإيمان، ولقد تكرر حادثة شق الصدر فى قصة الإسراء.

فلما استوى وبلغ أَشُدَّه وليس له كثير مال استأجرته خديجة ابنة خويلد إلى سوق حباشة - وهو سوق بتهامة - واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش، فقال رسول الله ﷺ وهو يحدث عنها: **«ما رأيت من صاحبة أجير خيرًا من خديجة»**.

ولقد حفظ الله تعالى نبيه ﷺ من أدناس الجاهلية.. فمن ذلك أنه ﷺ كان لا يأكل ما ذُبح على النُّصُب (الذبائح التى تُذبح للأصنام)، بل لقد صانه الله عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام، بل ولقد حفظه الله تعالى من أن تبدو عورته أو أن يظهر عريانًا أو أن يوافق المشركين فى وقوفهم بغير عرفة (يوم عرفة)، بل كان النبى ﷺ يقف بعرفة فى ذلك اليوم.

زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها

قال ابن إسحاق: كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشىء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تُجارًا فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعِظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج فى مالها إلى الشام تاجرًا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار فقبله رسول الله ﷺ وخرج فى مالها ذلك وخرج معه غلامها (ميسرة) حتى قَدِم الشام[1].

ولما رجع إلى مكة ورأت خديجة فى مالها من البركة ما لم ترَ قبل هذا وأُخبرت بشمائله الكريمة وجدت ضالتها المنشودة فتحدثت بما فى نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت مُنْيِة.. وهذه ذهبت إليه تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضى بذلك، وكلَّم أعمامه فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوها إليه، وعلى إثر ذلك تم الزواج.

(١) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (١/ ٢١٢).

بناء الكعبة وقضية التحكيم

لما أوشكت الكعبة على الانهيار، وذلك بسبب حريق أصابها أو سيل جارف، وكان ذلك قبل بعثة النبى ﷺ بخمس سنوات - على الراجح - فلم تجد قريش بُدًّا من إعادة بنائها مرة أخرى وبدؤوا فى جمع الأموال.

وقصَّرت بقريش النفقة الطيبة؛ لأنهم شرطوا على أنفسهم أن لا يدخل فى بنائها إلا نفقة طيبة، ولا يدخلها مهر بَغى، ولا بيع ربا، ولا مظلمة لأحد.

ولقد شارك النبى ﷺ فى بناء الكعبة، فكان ينقل الحجارة مع عمه العباس. وبينما كان الناس يتعاونون فى البناء حتى وصلوا إلى الحجر الأسود، واختلفت القبائل فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود... فقال بطن من قريش: نحن نضعه، وقال الآخرون نحن نضعه، فقالوا: اجعلوا بينكم حكمًا، قالوا: أول رجل يطلع من الفجِّ، فجاء النبى ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له، فوضعه فى ثوب ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواحيه معه فوضعه هو ﷺ (١).

شمس النبوة تشرق على دنيا الناس

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أولُ ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبُّد - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملكُ فقال: اقرأ. قال: **«ما أنا بقارئ»**. قال: **«فأخذنى فغطَّنى حتى بلغ منى الجهد،**

(١) رواه أحمد، وحسنه الألبانى.

ثم أرسلنى فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ فأخذنى فغطَّنى الثانية، حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطَّنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «زمِّلونى، زمِّلونى»، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى - ابن عم خديجة - وكان امرءًا تنصَّر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخى، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزَّل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعًا، ليتنى أكون حيًّا إذ يُخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أوَ مُخرجىَّ هُم؟» قال: نعم؛ لم يأتِ رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصُرُك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن تُوفى، وفتر الوحى[1].

مرحلة الإسرار بالدعوة المباركة

ابتدأت هذه الفترة المباركة من نزول قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[2]. وقوله عز وجل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.
(٢) سورة المدثر: الآيات: (١-٣).

عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾(١). وقوله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

وأكَّد العلماء على أن مدة هذه الفترة كانت ثلاث سنوات، فقد اجتهد النبى ﷺ فى هذه الفترة فى دعوة من يغلب على ظنه أنه سيدخل فى هذا الدين، وسوف يكتم أمره، وهذا من باب السياسة الشرعية والنظر المصلحى للدعوة، فيجب الإسرار بالدعوة إذا كان الجهر يضر بها.

*** ولقد مرت الدعوة المباركة بأربعة مراحل:**

١- الدعوة سرًّا واستمرت ثلاث سنوات.

٢- الدعوة جهرًا وباللسان فقط دون قتال واستمرت إلى الهجرة.

٣- الدعوة جهرًا مع قتال المعتدين والبادئين بالقتال، واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية.

٤- الدعوة جهرًا مع قتال كل من وقف فى سبيل الدعوة أو امتنع عن الدخول فى الإسلام... وتلك هى التى استقر عليها أمر الشريعة الإسلامية.

مرحلة الجهر بالدعوة المباركة

عن أبى هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ قال: «**يا معشر قريش** - أو كلمة نحوها - **اشتروا أنفسكم لا أُغنى عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغنى عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغنى عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سلينى ما شئتِ من مالى لا أُغنى عنك من الله شيئًا**»(٣).

(١) سورة الحجر: الآية: (٩٤).

(٢) سورة الشعراء: الآيات: (٢١٤-٢١٦).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٧٧١) كتاب التفسير، ومسلم (٢٠٤) كتاب الإيمان.

وكان عدد من آمن بالدعوة المباركة نيفًا وأربعين بين رجل وامرأة، وأسلم فى هذه الفترة المباركة أسد الله وأسد رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، وكذلك الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى حفظه الله: وبإسلام عمر وحمزة رضي الله عنهما دخلت الدعوة فى طور جديد، فجاهر الرسول ﷺ وصدع بما يأمره به ربه، فأقضَّ هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين وأفزعهم وزادهم هولاً وفزعًا تزايُد عدد المسلمين وإعلانهم عن إسلامهم وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم، الأمر الذى جعل رجالات قريش يساومون رسول الله ﷺ [1].

وظل النبى ﷺ خلال الفترة المكية يُربِّى أصحابه على التوحيد الخالص وعلى الصبر على الإيذاء، ومجاهدة النفس بكثرة الصيام والقيام وتلاوة القرآن.. وهى بنفسها التى يحتاج إليها شباب الصحوة فى تلك الأيام، فالكل يحتاج أن يتربى على العقيدة الصحيحة، وعلى أن يُحول إيمانه إلى واقعٍ عملى منظور يراه الناس فيرون الإسلام من خلاله... فالإسلام فى أشد الحاجة لأن نشهد له شهادة عملية كما شهدنا له من قبل شهادة قولية... وبذلك يتحقق النصر والتمكين للإسلام عندما يتحول كل فردٍ فى الأمة إلى قرآنٍ يمشى بين الناس.

إسلام حمزة بن عبد المطلب

رُوى فى سبب إسلامه رضي الله عنه أن جارية عيَّرته بإيذاء أبى جهل لابن أخيه ﷺ، فتوجَّه إليه وغاضبه وسبَّه، وقال: كيف تسب محمدًا وأنا على دينه، فشجَّه شَجة مُنكرة، فكان إسلامه فى بداية الأمر أَنفَة، ثم شرح الله

(١) هذا الحبيب ﷺ يا محب (ص٩٨).

صدره بنور اليقين، حتى صار من أفاضل المؤمنين(١).

وهكذا فالدين دين الله، وهو الذى يتولى حفظه ونُصرته.

الهجرة الأولى إلى الحبشة

ولما اشتد أذى المشركين على أصحاب النبى ﷺ أذِن لهم الحبيب ﷺ بالهجرة إلى الحبشة لكى تغسل شلالات الحبشة جراحات المسلمين التى كانت تنزف من سياط المشركين.. وكانت الهجرة فى شهر رجب سنة خمسٍ من البعثة وكانوا اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة وكان رئيسهم عثمان بن عفان ﷺ ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ.

إسلام عمر بن الخطاب

عن ابن مسعود ﷺ قال: ما زلنا أعِزَّة منذ أسلم عمر(٢).

وكان إسلام عمر ﷺ بعد هجرة الحبشة الأولى، ورجَّح بعض العلماء أن هذا كان من أسباب عودة المهاجرين الهجرة الأولى إلى مكة.

ومن أسباب إسلامه (دعوة النبى ﷺ)... عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم أعِزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك؛ بأبى جهل، أو بعمر بن الخطاب**»، قال: وكانَ أحبهما إليه عمر(٣).

هجرة الحبشة الثانية

كانت الأخبار التى وصلت إلى المهاجرين الكرام ﷺ تفيد أن الاضطهاد الواقع على المسلمين بمكة قد خفَّت وطأته، (واشتدت عليهم الغُربة) فعادوا

(١) رواها ابن إسحاق (١/ ٣٠٤) ونقلها ابن كثير فى البداية والنهاية (٣/ ٣٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٨٦٣) كتاب مناقب الأنصار.

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣٢٢٥).

فلم يجدوا الأخبار التـى وصلتهم صادقة، وكان الأمر أشد على المسلمين، فلم يجد النبى ﷺ بُدًا من أن يشير عليهم بالهجرة مرة ثانية.

ونزلوا فى رحاب (النجاشى) ملك الحبشة فأكرمهم أيما إكرام. وأبى أن يسلمهم لقريش عندما ذهب عبد الله بن أبى ربيـعة وعمرو بن العاص يطلبا من النجاشى أن يسلمهم إليهم.

المقاطعة العامة وميثاق الظلم والعدوان

روى ابن إسحاق: أن قريشًا لما رأت أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا فـيه أمنًا وقراراً، وأن النجاشى قد منع مـن لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم وكان رجلاً ذا شكيمـة لا يُرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ ، وبحمزة حـتى عازوا قريشًا فكان هو وحـمزة مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشـو فى القبائل، فأجمـعوا رأيهم واتفق رأيهم على قـتل رسول الله ﷺ ، وقالوا: قـد أفسـد علينا أبناءنا ونساءنا، فقالوا لقومه: خذوا منا ديةً مضاعـفة وليقتله رجل من غير قريش وتريحون أنفسكم، فأبى قومه بنو هاشم من ذلك، وظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف.

فلما عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد منعه قومه، فأجمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشِّعب، وأجمعوا وائتمروا أن يكتـبوا كـتابًا يتـعـاقدون فـيه على بنى هـاشم وبنى المطلب على أن لا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يُسـلِّموا رسول الله ﷺ للقتل، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة ثم تعاهدوا وتعاقدوا على ذلك، ثم علقوا الصحيـفة فى جوف الكعبة توكيـدًا على أنفسهم، وقطعوا عنهم الأسواق،

ولم يتركوا طعامًا ولا إدامًا ولا بيعًا إلا بادروا إليه واشتروه دونهم.

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب، فدخلوا معه فى شِعبه «مؤمنهم وكافرهم». فالمؤمن دينًا والكافر حميةً. وخرج من بنى هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهرهم.

قال ابن إسحاق وغيره: فأقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى جَهِدوا، لا يصل إليهم شىء إلا سرًّا مستخفيًا به من أراد صلتهم من قريش.

قال ابن كثير رحمه الله: ثم سعى فى نقض تلك الصحيفة أقوام من قريش، فكان القائم فى أمر ذلك هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث... مشى فى ذلك إلى مطعم بن عدى وجماعة من قريش فأجابوه إلى ذلك، وأخبر رسول الله ﷺ قومه أن الله قد أرسل على تلك الصحيفة (الأَرضَة) فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله عز وجل، فكان كذلك، ثم رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة، وحصل الصلح برغم من أبى جهل عمرو بن هشام[1].

عام الحزن

ثم مات أبو طالب عم الرسول ﷺ فى السنة العاشرة من البعثة، وكان فى حياته شديد الدفاع عن ابن أخيه رسول الله ﷺ، وكانت قريش لا تستطيع أن تنال النبى بأذى فى نفسه طيلة حياة أبى طالب احترامًا له وهيبة، فلما مات أبو طالب، جرؤت قريش على تشديد الأذى للنبى ﷺ، ولذلك كانت وفاته مبعث حزن عميق للنبى ﷺ، وقد حرص النبى ﷺ أن يقول أبو طالب كلمة الإسلام وهو على فراش الموت، فأبى خشية أن يلحقه العار من قومه.

(١) الفصول فى اختصار سيرة الرسول ﷺ للحافظ ابن كثير (٩٠-٩١) نقلاً من وقفات تربوية مع السيرة النبوية للدكتور أحمد فريد.

وماتت خديجة رضي الله عنها فى تلك السنة نفسها، وقد كانت خديجة تخفف عن الرسول همومه وأحزانه لما يلقاه من عداء قريش، فلما ماتت حَزِن عليها حزنًا شديدًا، وسمَّى ذلك العام الذى مات فيه عمه أبو طالب وزوجه خديجة: «عام الحزن»(١).

خروج النبى ﷺ لدعوة أهل الطائف

وخرج الحبيب ﷺ لدعوة أهل الطائف، ولكى يلتمس النُّصرة بعد أن اشتد أذى قريش له بعد وفاة عمه أبى طالب.. لكنهم ردُّوه ردًّا غير جميل.

فعن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبى ﷺ حدثته أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: **«لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يُجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلَّم علىَّ ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت: إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين؟»** - جبلين بين مكة والطائف - فقال النبى ﷺ: **«بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»**(٢).

* * *

(١) السيرة النبوية (دروس وعبر) د. مصطفى السباعى.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد.

الإسراء والمعراج

كان مكافأة ربانية على مـا لاقاه الحبيب ﷺ من أتراح وآلامْ وأحزان، إذ كان بعـد حصار دام ثلاث سنوات فـى شِعب أبى طالب، وما لاقاه فى أثنائه من جوع وحرمانٍ، إنه كان بعد فقـد النَّاصر الحميم، وفقد خديجة أم المؤمنين، إنه كان بعد خيبة الأمل فى ثقيف، وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها.

بعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبـيبه فرفعه إليه، وقربه وأدناه، وخلع عليه من حُلل الرضا ما أنساه كل ما كان قد لاقاه من حزن وألم ونَصَب وتعب، وما قد يلاقيه فى سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ذكر اللهَ الذاكرون وما غفل عن ذكره الغافلون[١].

ولقد كان الإسراء بالجسد والروح معًا (خلافًا لما يظنه البعض أن الإسراء كان بالروح فقط).

بيعة العقبة الأولى

قال الإمـام ابن القيم رحـمه الله: ثم إن رسول الله لقى عند العـقبة فى الموسم ستة نفـر من الأنصار كلهم من الخزرج، وهـم: أبو أمامـة أسعد بن زُرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عـامر، وعقـبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رئاب، فدعاهـم رسول الله ﷺ فأسلموا.

ثم رجعوا إلى المدينة فدعوهم إلى الإسلام، ففشا الإسلام فيها حتى لم يبقَ دار إلا وقد دخلها، فلما كان الـعام المقبل جاء منهم اثنا عـشر رجلاً، الستة الأول خلا جابر بن عبد الله[٢].. ومعهم ستة آخرون.

---

(١) هذا الحبيب ﷺ يا محب / لأبى بكر الجزائرى (ص١٣٥).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤٥) - خلا : أى فيما عدا.

بيعة العقبة الثانية

روى ابن إسحاق وعنه أحمد وغيره من حديث كعب بن مالك فى قصة العقبة الثانية قال: «فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا فى الشِّعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب، (أم عمارة) إحدى نساء بنى مازن ابن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدى إحدى نساء بنى سلمة، وهى أم منيع، قال: فاجتمعنا فى الشِّعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذٍ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج: إن محمدًا منا، حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عِزٍّ من قومه ومَنَعة فى بلده، وإنه قد أبَى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم مُسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه فى عزٍّ ومنعة من قومه وبلده. قال فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغَّب فى الإسلام قال: **«أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»**، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزرنا فبايِعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرًا عن كابر. قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ (أبو الهيثم بن التيهان) فقال: يا رسول الله، إن بيننا

وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «**بل الدم الدم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم منى، أحارب مَن حاربتم وأسالم مَن سالمتم**»(١).

هجرة النبى ﷺ

علمت قريش بإسلام فريق من أهل يثرب، فاشتد أذاها للمؤمنين بمكة، فأمرهم النبى ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فهاجروا مُستخفين، إلا عمر رضي الله عنه، فإنه أعلم مشركى قريش بهجرته، وقال لهم: من أراد أن تثكله أمه فليلحق بى غداً ببطن هذا الوادى، فلم يخرج له أحد.

قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذَن له فى الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبس أو فُتن إلا على بن أبى طالب، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما. وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة فيقول له رسول الله ﷺ: «**لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً**».... فيطمع أبو بكر أن يكونه.

قال الشيخ الغزالى: واجتمع طواغيت مكة فى دار الندوة ليتخذوا قراراً حاسماً فى هذا الأمر، فرأى بعضهم أن توضع القيود فى يد محمد ﷺ ويُشدُّ وثاقه ويُرمى به فى السجن لا يصله منهم إلا الطعام ويُترك على ذلك حتى يموت، ورأى آخر أن يُنفَى من مكة فلا يدخلها وتنفض قريش يديها من أمره، وقد استُبعد هذان الاقتراحان لعدم جدواهما، واستقر الرأى على الاقتراح الذى أبداه أبو جهل. قال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل بطن

(١) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (٣/ ١٨٩).

من قريش شابًّا نسيبًا وسطًا فتيًّا، ثم نعطى كل فتى سيفًا صارمًا، ثم يضربونه جميعًا ضربة واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها، ولا أظن أن بنى هاشم يقوون على حرب قريش كافة، فإذا لم يبقَ أمامهم إلا الدية أديناها[١].

وهكذا اجتمع الفتيان الموكلون بقتل الرسول ﷺ على بابه ليلة الهجرة ينتظرون خروجه ليقتلوه.

فلم ينم الرسول ﷺ تلك الليلة فى فراشه، وإنما طلب من على رضي الله عنه أن ينام مكانه، وأمره إذا أصبح أن يردَّ الودائع التى كان أودعها كفار قريش عنده إلى أصحابها، وغادر الرسول ﷺ بيته دون أن يشاهده الموكلون بقتله، وذهب إلى بيت أبى بكر، وكان قد هيأ من قبلُ راحلتين له وللرسول ﷺ، فعزما على الخروج، واستأجر أبو بكر عبد الله بن أُريقط الديلى، وكان مشركًا ليدلهما على طريق المدينة، على أن يتجنب الطريق المعروفة إلى طريق أخرى لا يهتدى إليها كفار قريش.

وخرج رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر يوم الخميس أول يوم من ربيع الأول لسنة ثلاثٍ وخمسين من مولده عليه الصلاة والسلام، ولم يعلم بأمر هجرته إلا على رضي الله عنه، وآل أبى بكر رضي الله عنه.. وعملت عائشة وأسماء بنتا أبى بكر فى تهيئة الزاد لهما، وقطعت أسماء قطعة من نطاقها - وهو ما يُشد به الوسط - فربطت به على فم الجراب - وعاء الطعام - فسُمِّيت لذلك: ذات النطاقين، واتجها مع دليلهما عن طريق اليمن حتى وصلا إلى «غار ثور» فكمنا فيه ثلاث ليالٍ يبيت عندهما عبد الله ابن أبى بكر وهو غلام شاب ثَقِف «حاذق» لَقِن «سريع الفهم»، فيخرج من عندهما بالسَّحَر، ويصبح مع قريش بمكة كأنه كان نائمًا فيها، فلا يسمع من قريش أمرًا يبيتونه

---

(١) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (٢/ ٢٢١).

من المكروه لهما إلا وعاه حتى يأتيهما فى المساء بخبره.

قامت قيامة قريش لنجاة الرسول ﷺ من القتل، وخرجوا يطلبونه فى طريق مكة المعتاد، فلم يجدوه، واتجهـوا إلى طريق اليمن، ووقفوا عند فم «غار ثور»، وأبو بكر ﷺ يرى أقدامهم وهم واقفون على فم الغار، فيرتعد خوفًا على حـياة الرسـول ﷺ ويقول له: والله يا رسـول الله، لو نظر أحدهم إلى موطئ قدمه لرآنا، فيطمئنه الرسول ﷺ بقوله: **«يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»**؟.

أرسلت قـريش فى القـبائل تُطـمع كل من عثـر على الرسـول ﷺ وصاحبـه، أو قتله، أو أَسَره، فى دفع مائة من الإبل. . . . فانتدب لذلك سراقة بن مـالك بن جعشم، وأخذ على نفسـه أن يتفقدهمـا ليظفر وحده بالجائزة.

بعد أن انقطع طـلب رسول الله ﷺ وصاحـبه، خرجـا من الغار مع دليلهما وأخذا طريق السواحل - ساحل البحر الأحمر - وقطعا مسافة بعيدة أدركهما من بعدها سراقة، فلما اقترب منهما، ساخت قوائم فرسه فى الرمل فلم تقدر على السـير، وحاول ثلاث مـرات أن يحملهـا على السير جـهة الرسول ﷺ فتأبى، عندئذ أيقن أنه أمام رسول كريم، فطلب من الرسول ﷺ أن يعدهُ إن نصره، فوعده بسـوارى كسرى يلبسـهما، ثم عاد سراقة إلى مكة، فتظاهر بأنه لم يعثر على أحد.

وصل الرسـول ﷺ وصاحبـه المدينة فى اليوم الـثانى عشـر من ربيع الأول، وبعـد أن طال انتظار أصحـابه له، . . . يخـرجون كل صبـاح إلى مشارف المدينة، فلا يرجعـون إلا حين تحمى الشمس وقت الـظهيرة، فلما رأوه فرحوا به فرحًا عظيمًا.

كان الرسول ﷺ وهو فى طريقه إلى المدينة قد وصل إلى «قباء» وهى

قرية جنوب المدينة على بعد ميلين منها، فأسس فيها أول مسجد بُنى فى الإسلام، وأقام فيها أربعة أيام، ثم سار صباح الجمعة إلى المدينة، فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف، فبنى مسجداً هناك، وأقام أول جمعة فى الإسلام، وأول خطبة خطبها فى الإسلام، ثم سار إلى المدينة(١).

وكان أول ما بدأ به رسول الله ﷺ فى بناء دولته الإسلامية المجيدة، بناء مسجده النبوى، الذى لا تُشد الرحال إلا إليه، أو المسجد الحرام، أو المسجد الأقصى، وهذا يبين لنا أهمية المسجد فى الإسلام.

وكان المسجد النبوى هو الجامعة التى تخرَّج منها الأبطال الذين فتحوا قلوب العباد والبلاد بدعوة الإسلام، فلم تكن وظيفة المسجد مجرد مكان للصلوات الخمس، ولكنه كان مدرسة النبوة، ومنارة العلم، كان المسجد هو البوتقة التى انصهرت فيها قلوب الصحابة وذاب فيها ما كان فيها من عصبيات وتكبُّر وتمرُّد، وكان المسجد كير القلوب الذى أخرج ما فيها من شرك وحقد وحسد، حتى صار الصحابة أبرَّ الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا.

واكتملت رسالة المسجد بمشروعية الأذان والصلوات الخمس فى السنة الأولى من الهجرة، وكانت الصلاة ركعتين فى الصباح وركعتين فى المساء قبل الإسراء والمعراج، ثم صارت ركعتين فى كل صلاة من الصلوات الخمس، ثم زادت الظهر والعصر والعشاء ركعتين أُخريين بعد الهجرة، وزيدت المغرب ركعة؛ لأنها وتر النهار.

ثم بنى النبى ﷺ حُجرات الطاهرات العفيفات أمهات المؤمنين على يسار المسجد النبوى، وبنى النبى ﷺ فى آخر السنة الأولى من الهجرة على أحب نسائه إليه الصدِّيقة بنت الصدِّيق عائشة رضي الله عنها، وكان سنها تسع

---

(١) السيرة النبوية - دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعى (ص٣٧: ٣٩) بتصرف.

سنوات، وبعد أن بنى النبى ﷺ مسجده آخى بين المهاجرين والأنصار، وذلك لتقوية الجبهة الداخلية وزيادة ترابطها، وحتى يواسى الأنصار إخوانهم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم لنصرة دين الله وإعزاز شرعه. . . ومدح الله عز وجل الأنصار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

* **قال صفى الرحمن المباركفورى:** بعد أن هاجر النبى ﷺ إلى المدينة، ووثق من رسوخ قواعد المجتمع الإسلامى الجديد بإقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية بين المسلمين، رأى أن يقوم بتنظيم علاقاته بغير المسلمين، وكان همُّه فى ذلك هو توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء، مع تنظيم المنطقة فى وفاق واحد، فسنَّ فى ذلك قوانين السماح والتجاوز التى لم تُعهَد فى عالم ملىء بالتعصب والتغالى(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: ووادع رسول الله ﷺ مَن بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وبادر حَبرهم وعالمهم (عبد الله بن سلام) فدخل فى الإسلام وأَبَى عامتهم إلا الكفر.

وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وحاربه الثلاثة فمنَّ على بنى قينقاع، وأجلى بنى النضير، وقتل بنى قريظة وسبى ذريتهم، ونزلت سورة الحشر فى بنى النضير، وسورة الأحزاب فى بنى قريظة(٣).

ومن أهم أحداث هذه السنة الأولى من هجرة النبى ﷺ وبعد أن صارت للإسلام شوكة ودولة، أن الله تعالى أَذِن لنبيه ﷺ وللمؤمنين بالقتال.

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

(٢) الرحيق المختوم (٢٢٥-٢٢٦) باختصار.

(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٥) نقلاً من وقفات تربوية للدكتور أحمد فريد.

إشارة لطيفة فى تحويل القبلة

وفى شعبان ٢هـ/ فبراير ٦٢٤م - أمر الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، وأفاد ذلك أن الضعفاء والمنافقين من اليهود الذين كانوا قد دخلوا فى صفوف المسلمين لإثارة البلبلة انكشفوا عن المسلمين ورجعوا إلى ما كانوا عليه، وهكذا تطهرت صفوف المسلمين من الكثير من أهل الغدر والخيانة.

وفى تحويل القبلة إشارة لطيفة إلى بداية دور جديد لا ينتهى إلا بعد احتلال المسلمين هذه القبلة، . أوَ ليس من العجب أن تكون قبلة قوم بيد أعدائهم، وإن كانت بأيديهم فلابد من تخليصها يومًا[١].

غزوة بدر الكبرى

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فلما كان فى رمضان من هذه السنة (أى الثانية من الهجرة) بلغ رسول الله ﷺ خبر العير المقبلة من الشام لقريش صحبة أبى سفيان، وهى العير التى خرجوا فى طلبها لما خرجت من مكة، وكانوا نحو أربعين رجلاً، وفيها أموال عظيمة لقريش، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر من كان ظهره حاضرًا بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالاً بليغًا؛ لأنه خرج مسرعًا فى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، ولم يكن معهم من الخيل إلا فَرَسان: فرس للزبير بن العوم، وفرس للمقداد ابن الأسود الكِنْدى، وكان معهم سبعون بعيراً يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، فكان رسول الله ﷺ وعلىّ ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيراً.

(١) الرحيق المختوم/ لصفى الرحمن المباركفورى (٢٣٨).

وأما أبو سفيان فإنه بلغه مَخرج رسول الله ﷺ وقصده إياه فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخًا لقريش بالنفير إلى غيرهم ليمنعوه من محمد ﷺ وأصحابه، وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج فلم يتخلف من أشرافهم سوى أبي لهب فإنه عوَّض عنه رجلاً كان له عليه دَينٌ، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، فلم يخرج معهم منهم أحد، وخرجوا من ديارهم، كما قال تعالى: ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١)(٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فأنزل الله في تلك الليلة مطرًا واحدًا، فكان على المشركين وبالاً شديدًا منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلاً طهَّرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض وصلب به الرمل، وثبت به الأقدام، ومهَّد به المنزل، وربط به على قلوبهم، فسبق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الماء فنزلوا عليه شطر الليل، وصنعوا الحياض، ثم غوَّروا ما عداها من المياه، ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه على الحياض، وبُني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيها على تلٍّ يُشرف على المعركة في موضع المعركة، وجعل يشير بيده: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان إن شاء الله، فما تعدَّى أحدٌ منهم موضع إشارته» (٣).

وقد بدأ القتال بمبارزات فردية، حيث تقدم عتبة بن ربيعة وتبعه ابنه الوليد وأخوه شيبة طالبين المبارزة، فانتدب لهم شباب من الأنصار فرفضوا مبارزتهم طالبين مبارزة بني قومهم، فأمر الرسول ﷺ حمزة وعليًا

(١) سورة الأنفال: الآية: (٤٧).

(٢) زاد المعاد (٣/ ١٧٤) بتصرف.

(٣) زاد المعاد (٣/ ١٧٥-١٧٦).

وعبيدة بن الحارث بمبارزتهم، وقد تمكن حمزة من قتل عتبة، ثم قتل (عليٌّ) شيبة، وأما عبيدة فقد تصدَّى للوليد وجرح كل منهما صاحبه، فعاونه عليٌّ وحمزة، فقتلوا الوليد، واحتملا عُبيدة إلى معسكر المسلمين[١].

وقد أثَّرت نتيجة المبارزة فى معسكر قريش وبدؤوا الهجوم، فأمر النبى ﷺ أصحابه بنضح المشركين بالنبل إذا اقتربوا منهم، حرصًا على الإفادة من النبال بأقصى ما يُستطاع فقال: **«إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نَبلكم»**[٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ثم حمى الوطيس واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ فى الدعاء والابتهال ومناشدة ربه عز وجل حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فردَّه عليه الصدِّيق وقال: بعض مناشدتك ربك، فإنه مُنجزٌ لك ما وعدك.

وجاء النصر وأنزل الله جنده وأيَّد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسرًا وقتلاً فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين[٣].

وقد دلَّت أدلة الكتاب والسنة على نزول الملائكة يوم بدر وقتالهم مع المسلمين... قال تعالى: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[٤].

وجاءت بعد غزوة بدر عدة غزوات كغزوة بنى سليم والسويق وذى أمر وبحران وإجلاء يهود بنى قينقاع.. ثم جاءت غزوة أُحد.

* * *

(١) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود (٢٣٢١).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٩٨٤) كتاب المغازى.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير.

(٤) سورة الأنفال: الآيتان: (٩-١٠).

غزوة أُحد

فبعد أن أُصيبت قريش فى عُظمائها، وأئمة الكفر فيها يوم بدر وقلوبهم تغلى حقدًا وحنقًا وغيظًا على المسلمين، فعبَّأت قوتها، واستعانت بحلفائها، وخرجت فى ثلاثة آلاف مقاتل، ووافت مشارف المدينة بعد سنة وشهر تقريبًا من غزوة بدر - فى منتصف شوال من السنة الثالثة من الهجرة على الراجح.

ولما علم النبى ﷺ بمسيرهم، استشار أصحابه، فلما شاور النبى ﷺ أصحابه أشار عليه الشباب ومن حُرم من شهود بدر وغَلَبَه الشوق إلى الجهاد وملاقاة العدو بالخروج إليهم، وكان من رأيه ﷺ ورأى الشيوخ وكذلك عبد الله بن أُبى ابن سلول المُكوث فى المدينة ومقاتلتهم إذا دخلوها فى الأزِقَّة ومن أسطح البيوت.

فخرج النبى ﷺ لملاقاة قريش، وبينما هو فى الطريق انسحب من الجيش عبد الله بن أُبى رأس النفاق بثلث الجيش - ثلاثمائة مقاتل - وكانت هذه أول فائدة من فوائد هذه الغزوة، وهى تمييز المنافقين، والفصل بينهم وبين المؤمنين الصادقين، وكان عدد جيش المسلمين بعد رجوع عبد الله بن أُبى بثلث الجيش سبعمائة مقاتل. . . وأوقف النبى ﷺ عبد الله بن جُبير فى خمسين من الرُّماة يحمون ظهورهم وأمرهم أن لا يفارقوا أماكنهم.

ثم ابتدأ القتال، ونصر الله المسلمين على أعدائهم، فقتلوا منهم عددًا، ثم ولَّوا الأدبار، فانغمس المسلمون فى أخذ الغنائم التى وجدوها فى معكسر المشركين، ورأى ذلك مَن وراءهم من الرماة فقالوا: ماذا نفعل وقد نصر الله رسوله؟ ثم فكروا فى ترك أماكنهم لينالهم نصيب من الغنائم، فذكَّرهم رئيسهم عبد الله بن جُبير بوصية الرسول، فأجابوا بأن الحرب قد انتهت، ولا

حاجـة للبقـاء حيث هم، فأبى عـبد الله ومـعه عـشرة آخـرون أن يغادروا أماكنهم، ورأى خالد بن الـوليد، (وكان قـائد ميـمنة المشركين) خُـلو ظهر المسلمين من الرماة، فكرَّ عليهم من خلفهم، فما شعر المسلمون إلا والسيوف تناوشهم من هنا وهناك، فاضطرب حبلهم، وأُشيع أن الرسول قد قُتل، ففرَّ بعضهم عائدًا إلى المدينة، واستطاع المشركون أن يصلوا إلى الرسول، فأصابته حجارتهم حـتى وقع وأُغمى عليه، فشُجَّ وجهه وخُـدشت ركبتاه، وجُرحت شفتـه السفلى، وكُسرت الخـوذة على رأسه، ودخلت حلقتـان من حلقات المِغفر فى وجنته، وتكاثر المشركون على الرسول يريدون قتله، فثبت ﷺ، وثبت معه نفر من المؤمنين، منهم: أبو دجانة، تترَّس على الرسول ليـحميه من نبال المشركين، فكان النبل يقع على ظهره، ومنهم سعد بن أبى وقاص، رمى يومئذ نـحو ألف سهم، ومنهم طلحة بن عُبـيد الله الذى كان من أشد الناس دفاعًا عن النبى ﷺ، ومنهم: نسيـبة أم عمـارة الأنصارية، تركت سقاء الجرحى، وأخذت تقاتل بالسيف، وترمى بالنبل، دفاعًا عن رسول الله حتى أصابها فى عُنقها، فجُرحت جرحًا عميقًا، وكان معها زوجها وابناها، فقال لهم الرسول ﷺ: «**بارك الله عليكم أهل بيت**»، فقالت له نسيبة: ادعُ الله أن نرافقك فى الجنة، فقال: «**اللهم اجـعلهم رُفقـائى فى الجنة**»، فقالت رضي الله عنها بعـد ذلك: ما أبالى مـا أصابنـى من أمر الدنيـا. وقد قـال ﷺ فى حقها: «**ما التفتُّ يمينًا وشمالاً يوم أُحد، إلا ورأيتها تقاتل دونى**»، وقد جُرحت يومئذ اثنى عشر جرحًا، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف.

وقد حاول فى ساعة الشدة أن يصل (أُبى بن خلف) إلى الرسول ﷺ ليقتله، وأقسم أن لا يرجع عن ذلك، فأخـذ عليه السلام حـربة ممن كانوا معه، فسددها فى نحره، فكانت سبب هلاكه، وهو الوحيد الذى قتله ﷺ فى جميع معاركه الحربية.

وبعد أن اشـتد الكرب والغم بالمؤمنين ومـحَّص الله قلوبهم، وابتلى ما فى صدورهم، واتخذ ما شاء من الشهداء، أنزل عليهم أمنًا ونُعاسًا أصاب الصادقين منهم، فخفف عنهم مصابهم وربط به على قلوبهم، وأما أصحاب الريب والشكوك والظنون السيـئة، فقـد أهمتـهم أنفسـهم، وتلاعبت بهم الشياطين.

ولما تركت قريش ساحـة القتال اشتغل النبى ﷺ بدفن الشـهداء وأمر بدفنهم فى دمـائهم وثيابهم ولم يُغـسَّلوا ولم يُصلَّ عليهم وأمـر بدفنهم فى أماكن استشـهادهم... عن جابر بن عبد الله قـال: لما كان يوم أُحد جاءت عمتى بأبى لتدفنه فى مقابرنا، فنادى منادى رسول الله ﷺ: ردُّوا القتلى إلى مضاجـعهم[1]. وكان رسول الله ﷺ يجـمع بين الرجلين من قتلى أُحد فى ثوب واحـد، ثم يقـول: «**أيُّهم أكـثر أخذًا للـقرآن**» فإن أُشـير إلى أحـدهمـا قدَّمـه فى اللحد، وقال: «**أنا شـهيـد على هؤلاء**»، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يُصلِّ عليهم ولم يُغسلهم[2].

وقد حنَّ إليهم رسول الله ﷺ فصلى عليهم قبل وفاته، فكان كالمودع لهم... عن عقبة أن النبى ﷺ خرج يـومًا فصلى على أهل أُحد صلاته على الميت، ثم انصـرف إلى المنبـر فـقـال: «**إنى فَـرَطٌ لكم، وأنا شـهـيـدٌ عليكم**»[3].

وكـان من بين شهـداء غزوة أُحـد: حمـزة (أسد الله وأسـد رسول الله ﷺ) وأنس بن النضر، وعبد الله بن حرام، واليمان والد حذيفة، وعمرو ابن الجموح، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير.. رضى الله عنهم جميعًا.

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجة، وصححه الألبانى.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٠٨٠) كتاب المغازى.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٠٨٥) كتاب المغازى - فَرَطٌ لكم: أى سابِقكم.

خروج النبى ﷺ إلى حمراء الأسد

أشفق النبى ﷺ من أن يعود جيش أبى سفيان إلى المدينة، ونما إلى علمه أنه يفكر فى ذلك، فدعا الصحابة ﷺ إلى الخروج فلم يستسلموا للأحزان على الشهداء، ولا للجراح التى بهم، وخرجوا مع رسول الله ﷺ ، واشترط رسول الله ﷺ أن لا يخرج معه إلا من خرج معه بالأمس، فخرجوا حتى بلغوا حمراء الأسد - وهى على بُعد ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(1).

* ثم جاءت بعد ذلك حادثة يوم الرجيع التى قُتل فيها جماعة من أصحاب النبى ﷺ وكان من بينهم خُبيب بن عدى، وعاصم بن ثابت ﷺ جميعًا.

* وكانت على إثرها حادثة بئر معونة التى قُتل فيها سبعون صحابيًّا من خيرة الأصحاب نتيجة الغدر والخيانة.

* ثم أجلى النبى ﷺ يهود بنى النضير بعد أن حاولوا قتله بإلقاء صخرة عليه، ولكن الخبر جاء من السماء إلى النبى ﷺ فقام ورجع إلى المدينة وخرج إليهم حتى أجلاهم.. فمنهم من خرج إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.

ثم جاءت بعد ذلك غزوة بدر الآخرة وغزوة دومة الجندل.

* * *

(1) سورة آل عمران: الآية: (١٧٢).

غزوة الأحزاب (الخندق)

قال ابن القيم رحمه الله: وكان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أُحد، وعلموا بميعاد أبى سفيان لغزو المسلمين، فخرج لذلك ثم رجع للعام المقبل، خرج أشرافهم كسلام بن أبى الحُقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع وغيرهم إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ ويؤلبونهم، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم، فاستجابوا لهم، ثم طافوا فى قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك، فاستجاب لهم من استجاب، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان فى أربعة آلاف، ووافتهم بنو سليم بمرِّ الظهران، وخرجت بنو أسد وفزارة، وأشجع وبنو مرة، وجاءت غطفان وقائدهم عُيينة ابن حصن، وكان مَن وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف[1].

ولما استشار النبى ﷺ الصحابة الكرام أشاروا عليه بعمل خندق فى الجهة الشمالية بين حَرّة الواقم وحَرّة الوبرة، ولم تكن العرب تعرف ذلك فاستحسن النبى ﷺ هذه الفكرة، وشرع أصحابه الكرام فى حفر الخندق، وكان النبى ﷺ يشاركهم فى ذلك، ويخفف عنهم مشقة الحفر، وكانوا فى غاية الجهد والجوع والبرد.

قال ابن عبد البر: فلما فرغ رسول الله ﷺ أقبلت قريش فى نحو عشرة آلاف بمن معهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان بمن معها من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أُحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى نزلوا بظهر سلع (اسم جبل) فى ثلاثة آلاف، وضربوا عسكرهم والخندق بينهم وبين المشركين، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم[2].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٧٠-٢٧١).

(٢) الدرر فى اختصار المغازى والسير (١٧١).

واشتد الخَطْب على المؤمنين حينما غدرت يهود بنى قريظة ونكثوا عهدهم كعادة اليهود فى كل زمان ومكان، وكان موقعهم يُمكنهم من إيقاع ضربة بالمسلمين من الخلف.

وقد فوجئت قريش برؤية الخندق، واحتاروا فى كيفية اقتحامه، إذ كلما هَمُّوا بذلك أمطرهم المسلمون بالسهام، واشتد الحصار، وطال أربعة وعشرين ليلة، لم يكن بينهم حرب إلا الرمى بالنبال. وقال قتادة: إن الحصار دام شهرًا، وقال موسى بن عقبة: دام عشرين ليلة.

ثم جاء نعيم بن مسعود بن عامر إلى الرسول، فأخبره أنه قد أسلم، وأن قومه لا يعلمون بإسلامه، وأنه صديق لبنى قريظة يأتمنونه ويثقون به، وقال للرسول: مُرنى بما شئت، فقال له الرسول: «**إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنَّا إن استطعت، فإن الحرب خدعة**» فاستعمل نعيم دهاءه حتى فرَّق بين قريش وحلفائها، وبين بنى قريظة، وأوقع فى نفوس كل من الفريقين الشك فى الآخر، وأرسل الله على الأحزاب ريحًا شديدة فى ليلة شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفئ قدورهم وتمزق خيامهم، فامتلأت نفوس الأحزاب بالرعب ورحلوا فى تلك الليلة، فلما أصبح الصباح نظر المسلمون فلم يروا أحدًا.

وقد أشارت الآيات إلى أن الله عز وجل أرسل عليهم ﴿**رِيحًا وَجُنُودًا**﴾[1] أى ملائكة، وقال النبى ﷺ: «**نُصرت بالصبا، وهلكت عاد بالدبور...**» فالله عز وجل هو الذى أعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده... وصفوة الكلام أن يقال فى سبب هزيمة الأحزاب أن الله عز وجل استجاب لدعاء رسوله ﷺ وهو ما رواه البخارى عن عبد الله بن أبى أوفى رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «**اللهم**

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٩).

مُنزل الكتاب سريع الحساب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»(١).

وكانت هذه الغزوة نهاية غزو الكفار لـلمدينة. . . فعن سليمان بن صرد قال: سمعت النبى ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب عنه: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم**»(٢).

غزوة بنى قريظة

ولا شك أن سبب هـذه الغزوة هو ما تقـدم فى قصـة الخندق من نقض عهدهم مع رسول الله ﷺ، ومعاونتهم الأحزاب على حربه.

رأى رسول الله ﷺ أن يؤدب هؤلاء الخـائنين الغادرين، ويطهر منهم المدينة مقـر جهاده ودعـوته حتى لا تواتيهم الظروف مـرة أخرى، فينقضُّوا على جيرانهم المسلمين، ويبيدوهم كما فى طبيعة الغدر اليهودى اللئيم.

ثم أخذ المسلمون فى حـصارهم خمسًـا وعشرين ليلة، فلما ضاق بهم الأمر، نزلوا على حُكم الرسول ﷺ، فحكم فيـهم سعد بن معـاذ سيد الأوس، وكان بنو قريظة حلفاء الأوس، فحكم سـعد بأن تُقتل مقـاتلتهم، وأن تُسبى ذراريهم، وأن تُقسم أموالهم، فنفذ الرسول حُكمه، وبذلك قضى على مؤامـرات اليهود ودسـائسهم وتآمرهم على رسـول الله ﷺ ودعوته قضاءً مبرمًا فى المدينة وما حولها.

* ثم أعقب ذلك أحداث: مثل قتل أبى رافع بن أبى الحقيق الذى كان ممن ألَّب الأحزاب على رسـول الله ﷺ . . . وجاءت غزوة بنى لحيـان وسرية نجد وفيـها قصة (ثمـامة) الذى أسلم بعد ما رأى من رحـمة النبى ﷺ ما رأى. . وجاءت غزوة المريسـيع (بنى المصطلق) ثم حادثة الإفك التى برأ الله فيها أمنا عائشة ﵂ من فوق سبع سماوات وسطر براءتها فى كتابه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤١١٥) كتاب المغازى، ومسلم (١٧٤٢) كتاب الجهاد.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤١١٠) كتاب المغازى.

صلح الحديبية

وقعت فى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة، وكان من أمرها أن رسول الله ﷺ رأى فى منامه أنه دخل البيت هو وصحابته آمنين مُحلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون شيئًا، فأمر الناس أن يتجهزوا للخروج إلى مكة معتمرين، لا يريد حربًا لقريش ولا قتالاً، وعلى الرغم من ذلك أبت قريش أن يدخل النبى ﷺ وأصحابه، ثم بعثوا عروة بن مسعود الثقفى ليتحدث إلى الرسول بهذا الشأن، وبعد حديث وأخذ وردٍّ بين عروة وبعض الصحابة عاد إلى قريش وحدَّثهم عما رأى من حب الصحابة لرسول الله ﷺ، وهيبتهم له، ورغبتهم فى الصلح معه، فأبوا ذلك، ثم بعث الرسول ﷺ عثمان بن عفان إلى أهل مكة ليؤكد لهم الغرض من مجىء الرسول وصحابته، وأبطأ عثمان، فأُشيع بين المسلمين أنه قد قُتل، فقال الرسول عندئذ: «لا نبرح حتى نناجز القوم» - نقاتلهم - ودعا المسلمين إلى البيعة على الجهاد، والشهادة فى سبيل الله، فبايعوه تحت الشجرة هناك من أشجار الطلح على عدم الفرار، وأنه إما الصلح، وإما الشهادة، ولما علمت قريش بأمر البيعة، خافوا ورأوا الصلح معه على أن يرجع فى هذا العام ويعود من قابل فيقيم ثلاثًا معه سلاح الراكب: الرماح والسيوف فى أغمادها، وأرسلت قريش لذلك سُهيل بن عمرو ليتم هذا الصلح، . . . وأخيرًا تم الصلح، على ما رغبت قريش، وعلى وضع الحرب بين الفريقين عشر سنين، وأن من أتى من عند محمد إلى مكة لم يردُّوه، وأن من أتى محمدًا من مكة رَدُّوه إليهم.

وقد ظهرت فيما بعد فوائد هذه الشروط التى صعبت على المسلمين، ورضى بها الرسول، لبُعد نظره ورُجحان عقله، وإمداد الوحى له بالسداد فى الرأى والعمل.

هذا وقد سمى الله هذه الغزوة فتحًا مبينًا، حيث قال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[(١)(٢)].

ولعل هذه إشارة إلى فتح مكة الذى كان ثمرة من ثمرات صلح الحديبية... وجاءت بعد ذلك غزوة ذى القرد، ثم فتح خيبر.

غزوة خيبر

وسببها: أن النبى ﷺ بعد أن أَمِن جانب قريش بالصلح الذى تم فى الحديبية، قرر تصفية مشكلة التجمعات اليهودية فيما حول المدينة بعد أن صفَّى اليهود من المدينة نفسها، وقد كان لليهود فى خيبر حصون منيعة.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأُعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يُعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: **«أين على بن أبى طالب؟»** فقيل: هو يا رسول الله يشتكى عينيه. قال: **«فأرسلوا إليه»**. فأُتى به، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علىٌّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا.

فقال: «انفُذ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعُهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمْرُ النعم»[(٣)].

وابتدأت المعارك... يفتح المسلمون منها حصنًا بعد حصن، إلا الحصنين

(١) سورة الفتح: الآيات: (١-٣).

(٢) السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفى السباعى.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٢١٠) كتاب المغازى، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

الأخيرين، فقد رغب أهلهما فى الصلح على حقن دماء المقاتلة، وترك الذرية، والخروج من أرض خيبر بذراريهم، وأن لا يصحب أحد منهم إلا ثوبًا واحدًا، فصالحهم على ذلك.

ولما فتح الله عز وجل على المسلمين الحصن ذُكر لرسول الله ﷺ صفية بنت حُيى بن أخطب، وقد قُتل زوجها فاصطفاها لنفسه، وعرض عليها الإسلام فأسلمت فوهبها نفسها.. أى جعل مهرها عتقها، وتزوجها بين خيبر والمدينة، حيث خلت من زوجها. وفى تلك الغزوة أُهديت إلى رسول الله ﷺ الشاة المسمومة.

غزوة مؤتة

قال ابن القيم رحمه الله: وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام، وكانت فى جمادى الأولى سنة ثمان، وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عُمير الأزدى بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم أو بُصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغسَّانى فأوثقه رباطًا ثم قدَّمه فضُرب عنقه، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر، فبعث البعوث واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: «**إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة**»(١).

وكان عدد أصحاب النبى ﷺ ثلاثة آلاف وعدد الكفار مائتى ألف (مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة).

فلما بلغ ذلك المسلمين قاموا (بمعان) ليلتين ينظرون فى أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له، فشجَّع (عبد الله بن رواحة) الناس وقال: يا قوم

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٨١) والحديث رواه البخارى (٤٢٦١) كتاب المغازى.

والله إن الذى تكرهون للذى خرجتم له تطلبون (الشهادة)، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة.

ثم التقى النـاس واقتتلوا فـقاتل زيد بن حارثـة براية رسول الله ﷺ حتى شاط فى رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرسٍ له شقراء فعـقرها فقاتل القوم حتى قُتل، وكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام[١]. فلما قُتل جعفـر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل، فأخذ الراية ثابت بن أرقم أخو ابن عجلان، وقال: يا أيها الناس اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف»[٢].

عن أنس ؓ: «أن النبى ﷺ نعى زيدًا وجـعفرًا وابن رواحـة للناس قبـل أن يأتيهم خـبرهم: فـقال ﷺ: «**أخذ الراية زيد، فأُصـيب، ثم أخذ جعفر، فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب** - وعيناه تذرفان - **حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**»[٣].

وعاد خـالد بن الوليد ؓ بالجـيش بعد أن أوقع الخـسائر الفـادحة فى جيش الروم، ولا شك أن النجاة بهذا الجيـش الذى لا يتجاوز الثلاثة آلاف من جيش الكفار الذى بلغ مائتى ألف نجاح عظيم، ولذلك سمَّى النبى ذلك فتحًا، ووصف خالدًا بأنه سيف من سيوف الله[٤].

* * *

(١) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله ثقات: مجمع الزوائد (٦/ ١٠٧-١٠٩).
(٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله ثقات. مجمع الزوائد (٦/ ١٥٩- ١٦٠).
(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦٢) كتاب المغازى.
(٤) نقلاً من وقفات تربوية للدكتور أحمد فريد.

فتح مكة

وكانت فى رمضان للسنة الثامنة من الهجرة، وسببها أن صلح الحديبية أباح لكل قبيلة عربية أن تدخل فى عقد رسول الله ﷺ إن شاءت، أو تدخل فى عقد قريش، فارتضت بنو بكر أن تدخل فى عقد قريش، وارتضت خزاعة أن تدخل فى عقد رسول الله ﷺ . وفى تلك السنة (الثامنة) اعتدت بنو بكر على خزاعة، فقتلت منها نحو عشرين رجلاً، وأمدت قريش بنى بكر بالمال والسلاح، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب غضبًا شديدًا، وتجهز لقتال قريش، إلا أنه لم يُرد أن يخبر الناس عن وجهته لئلا تستعد قريش، فتُستباح حُرمة البلد الحرام، وتمتلئ أرجاؤه بأشلاء القتلى، ولكن حاطب بن أبى بلتعة البدرى أرسل كتابًا سريًّا إلى مكة يخبرهم فيه بتوجيه الرسول إليهم، فأطلع الله رسوله ﷺ على أمر الكتاب، فأرسل إلى المرأة التى تحمله بعض أصحابه ليفتشوها، فعثروا على الكتاب، فدعا الرسول ﷺ حاطبًا، فقال له: «**ما حملك على هذا؟**» فقال: يا رسول الله، أما والله، إنى لمؤمن بالله ورسوله، ما غيَّرت، ولا بدَّلت، ولكنى كنت امرءًا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة. وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم، فقال عمر: يا رسول الله دعنى أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال له رسول الله ﷺ : «**إنه شَهِد بدراً، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

ثم سار الرسول ﷺ من المدينة لعشرٍ مضين من رمضان، وفى الطريق أفطر، وأفطر الناس معه لما لقوا من الجهد والمشقة فى سفرهم، وكان عددهم حين خروجهم من المدينة عشرة آلاف، ثم انضم إليهم فى الطريق عدد من

قبائل العرب، وفى «مَرِّ الظهران» عثر حرس رسول الله ﷺ على أبى سفيان واثنين معه، فأسروهم وجاؤوا بهم إلى النبى ﷺ، فأسلم أبو سفيان، وجاء العباس عم النبى ﷺ فأسلم فى الطريق، ثم وصل الجيش مكة، فأعلن منادى الرسول ﷺ: «**من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد، فهو آمن، ومن دخل دار أبى سفيان، فهو آمن**»، واستثنى من ذلك خمسة عشر رجلاً عظمت جريرتهم فى حق الإسلام ورسوله، ثم دخل رسول الله ﷺ مكة وهو راكب راحلته، ثم طاف الرسول بالبيت، وأزال ما حولها من أصنامٍ بلغت ثلاثمائة وستين[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يصعد فيؤذن على الكعبة، ثم دخل رسول الله ﷺ دار أم هانئ بنت أبى طالب فاغتسل وصلى ثمان ركعات فى بيتها، وكانت ضُحى فظنَّها مَن ظنها صلاة الضحى، وإنما هذه صلاة الفتح. وأجارت أم هانئ حموين لها فقال رسول الله ﷺ: «**قد أجرنا مَن أجرتِ يا أُم هانئ**»[2].

ولما استقر الفتح، أمَّن رسول الله ﷺ الناس كلهم إلا تسعة نفر، فإنه أمر بقتلهم، وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة[3].

ثم اجتمع الناس حول الصفا ليبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، فجلس إليهم الرسول ﷺ على الصفا، وأخذ بيعتهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا... بايع الرجال أولاً، ثم النساء، ولم يصافح واحدة منهن.

وتحقق بذلك موعود الله عز وجل لرسوله الكريم، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، وسقطت الجاهلية والوثنية، وفرح

---

(١) السيرة النبوية دروس وعبر. د. مصطفى السباعى (ص: ٦١-٦٢).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٥٧) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٣٦) كتاب صلاة المسافرين.

(٣) زاد المعاد (٣/ ٤١١).

المؤمنون بنصر الله، وأعزَّ الله دينه ورسوله وعباده المؤمنين.

ولما فتح الله تعالى على رسوله مكة بعث رسول الله ﷺ السرايا حول مكة يدعون الناس إلى الإسلام.

غزوة حُنين

وكانت فى العاشر من شوال للسنة الثامنة من الهجرة بعد فتح مكة بعد. وسببها أن الله لما فتح مكة لرسوله ظن زعماء هوازن وثقيف أن رسول الله ﷺ سيتوجه إليهم بعد الانتهاء من أمر مكة، فعزموا على أن يبدؤوه بالقتال، فأمَّروا عليهم مالك بن عوف، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة، فأمرهم أن يسوقوا معهم إلى المعركة أموالهم ونساءهم وأبناءهم ومواشيهم ليكون ذلك أدعى إلى ثباتهم فى القتال، وقد بلغت عدة المقاتلين منهم فى هذه المعركة المرتقبة ما بين عشرين ألفًا إلى ثلاثين، فأعلن رسول الله ﷺ عزمه على الخروج لقتالهم، فخرج كل من كان بمكة... أصحابه الذين قدموا معه فى المعركة، ومن انضم إليهم بعد ذلك ممن أسلم حديثًا، وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان فى وادى حنين خرجت عليهم هوازن وحلفاؤها فى غبش الصبح، فحمل عليهم المسلمون، فانكمشوا وانهزموا، فانشغل المسلمون بجمع الغنائم فاستقبلهم المشركون بالسهام فانفرط عقدهم، وفرَّ أهل مكة والمسلمون الجدد، وبقى رسول الله ﷺ ثابتًا على بغلته يقول: «**أنا النبى لا كَذِبْ أنا ابن عبد المطلب**»، وكان قد أُشيع بين المسلمين أن النبى ﷺ قد قُتل، فألقى كثير منهم سلاحه يائسًا، ولكن نفرًا من المهاجرين والأنصار ثبتوا حوله، وأخذ العباس، وكان جهورى الصوت - ينادى فى المسلمين: إن رسول الله ﷺ لا يزال حيًّا، فعاد إليه من كان مدبرًا، وتكاثر المؤمنون حتى استطاعوا أن ينتصروا كرة أخرى، وتبعهم

المسلمون يقتلون ويأسرون، وبلغت غنائم العدو مبلغًا كبيرًا، فرقه أولاً على المؤلفة قلوبهم من حديثى الإسلام، ولم يُعطِ منها الأنصار شيئًا اعتمادًا على إيمانهم وصدق إسلامهم.

وقد نزل من القرآن فى هذه المعركة: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[(١)].

وكانت هذه الغزوة آخر معركة ذات شأن بين الإسلام والمشركين، لم يلبث العرب من بعدها أن كسروا الأصنام، ودخلوا فى دين الإسلام.

غزوة تبوك

وتسمى غزوة العُسرة، وكانت فى رجب سنة تسع من الهجرة، وسببها أن الروم قد جمعت جُموعًا كثيرة بالشام.. وكان قصد هرقل من ذلك الهجوم على المدينة والقضاء على الدولة الناشئة فى جزيرة العرب التى أخذت أخبارها وأخبار انتصاراتها تثير جزع هرقل وخوفه، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج، وكان الوقت وقت عُسرٍ شديد وحَرٍّ شديد، فانتُدب المؤمنون الصادقون عن طيب نفس، وتخلف ثلاثة منهم وهم من صادقى الإيمان، وندب الرسول ﷺ الأغنياء لتجهيز جيش العسرة، فجاؤوا بأموالٍ كثيرة.

وسار رسول الله ﷺ بالناس ومعه ثلاثون ألف مقاتل، ومن الخيل عشرة آلاف، وكان هذا أعظم ما رأته العرب حتى ذاك، ثم واصل سيره حتى بلغ تبوك، فأقام فيها نحواً من عشرين ليلة، ولم يلقَ فيها كيدًا، ولم يدخل حربًا.

وكانت هذه آخر غزواته ﷺ[(٢)].

---

(١) سورة التوبة: الآيتان: (٢٥-٢٦).

(٢) السيرة النبوية للدكتور مصطفى السباعى (ص: ٦٣: ٦٤) بتصرف.

عام الوفود

عَقِب الهزيمة التى مُنيت بها الروم فى شمال جزيرة العرب، حيث فرُّوا أمام جحافل الإسلام، وقد مرَّ النبى ﷺ بهذا الجيش العظيم الذى رجَّح بعضهم أن تعداده كان ثلاثين ألفًا. . . ولا طاقة للعرب فى قتال جيش بمثل هذا العدد، وقد ظهر من شجاعتهم وجهادهم وجلادهم ما ظهر، وكانت الفئة القليلة منهم تهزم جيوش الكفر المتكاثرة، فأقبلت الوفود تَتْرى فى العام التاسع من الهجرة إلى مدينة النبى ﷺ، حتى سُمِّى هذا العام عام الوفود(١).

حجة الوداع

كانت حجة الوداع هى الحجة الوحيدة التى أدَّاها رسول الله ﷺ بعد البعثة، ولما تسامع الناس أن رسول الله ﷺ سيحج فى تلك السنة، توافدوا إلى الحج من مختلف أنحاء الجزيرة العربية. . . . وقد خطب رسول الله ﷺ خطبته الشهيرة التى ينبغى أن يحفظها كل طالب علم، لما تضمنته من إعلان المبادئ العامة للإسلام، وهى آخر خُطَبه ﷺ(٢).

وإن أول ما يُلفت النظر فى حجة الوداع هذا الجمهور الضخم الذين حضروا مع الرسول ﷺ من مختلف أنحاء الجزيرة العربية، مؤمنين به، مصدقين برسالته، مطيعين لأمره، وقد كانوا جميعًا قبل ثلاثٍ وعشرين سنة فحسب على الوثنية والشرك، ينكرون مبادئ رسالته، ويعجبون من دعوته إلى التوحيد، وينفرون من تنديده بآبائهم الوثنيين، وتسفيهه لأحلامهم، بل كان كثير منهم قد ناصبوه العداء، وتربصوا به الشر، وبيَّتوا على قتله، وألَّبوا

(١) وقفات تربوية للدكتور أحمد فريد (ص: ٣٨٧).
(٢) الخطبة رواها مسلم عن جابر (١٢١٨) كتاب الحج.

عليه الجموع، وجالدوه بالسيوف والرماح، فكيف تم هذا الانقلاب العجيب في مثل هذه المدة القصيرة، وكيف استطاع ﷺ أن يُحوِّل هذه الجموع من وثنيتها وجاهليتها وتردِّيها وتفرقها إلى توحيد الله وعلم ذاته وصفاته، واجتماع الكلمة، ووحدة الهدف والغاية؟

إن هو إلا صدق الرسالة، وتأييد السماء، ونصرة الله، ومعجزة الدين الشامل الكامل الذى أتم الله به نعمته على عباده، وختم به رسالاته للناس وأراد أن ينهى به شقاء أمة كانت تائهة فى دروب الحياة مُستذَلّة للأهواء والعصبيات، وأن يدلها على طريق الهداية، ويفتح أعينها لأشعة الشمس، ويقلدها قيادة الأمم، ويُحول بها مجرى التاريخ، ويُمحى بها مهانة الإنسان، ويورثها الحكمة والكتاب هُدى وذكرى لأولى الألباب[١].

وفاة الرسول ﷺ

إن الأحداث العظيمة يسبقها من الإرهاصات والعلامات التى تشير إلى قرب وقوعها، وقد تم للمسلمين فتح مكة أم القرى فى السنة الثامنة من الهجرة المباركة، وفى السنة التاسعة أقبلت الوفود تُقرُّ بالإسلام أو تعطى الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، وأرهب جيش العُسرة الذى خرج به النبى ﷺ جحافلَ الروم حتى فرُّوا من مواجهته، ودانت جزيرة العرب بالإسلام، وكان ذلك بعد عشر سنين من جهاد النبى ﷺ المتواصل وصحابته الكرام ﷺ، فكل العلامات تشير إلى انتهاء مهمة رسول الله ﷺ، فقد بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وكشف الغمة، وأصبح الناس على محجةٍ بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فكان النبى ﷺ يُعرِّض بقربٍ أجله:

---

(١) السيرة النبوية للدكتور مصطفى السباعى (ص: ١٠١ - ١٠٢) بتصرف.

* **فمن ذلك ما رواه أحمد عن معاذ قال:** لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «**يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري**»، فبكى معاذ جشعًا لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «**إن أَولَى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا**»(١).

* **ومن ذلك أنه** ﷺ كان يعتكف كل سنة عشرًا في رمضان، **فاعتكف** في السنة الأخيرة عشرين ليلة، وكان جبريل يعارضه القرآن مرة في رمضان فعارضه في السنة الأخيرة مرتين.

* وخرج النبي ﷺ للحج في السنة العاشرة، وقال: «**خذوا عني مناسككم لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس**»(٢).

ونزل عليه بعرفة: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾(٣).

ومن هذه الإشارات القوية ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه **قال:** خطب النبي ﷺ وقال: «**إن الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله**» قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر فكان رسول الله ﷺ هو المُخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا . . .»(٤).

* وتروى لنا أمنا عائشة رضي الله عنها كيف بدأت شكوى رسول الله ﷺ قالت: رجع النبي ﷺ ذات يوم من جنازة من البقيع فوجدني، وأنا أجد

(١) **صحيح:** رواه أحمد عن معاذ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٢).
(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٢٩٧) كتاب الحج.
(٣) سورة المائدة: الآية: (٣).
(٤) رواه أحمد، وابن أبي شيبة، وهو في الصحيحين من طرق أخرى.

صُداعًا وأنا أقول: وارأساه، قال: **«بل أنا يا عائشة وارأساه»** قال: **«وما ضرك لو مُتِّ قبلى فغسَّلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك»** فقلت: كأنى بك والله لو فعلت ذلك لرجعت إلى بيتى فعرَّست فيه ببعض نسائك. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ ثم بُدئ فى وجعه الذى مات فيه»(١).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: كان ابتداء مرضه فى أواخر شهر صفر، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا فى المشهور.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وذكر الخطَّابى أنه ابتدأ يوم الاثنين، وقيل يوم السبت. وكانت وفاته يوم الاثنين بلا خلاف من ربيع الأول، وكاد يكون إجماعًا وكان له ﷺ ثلاثة وستون عامًا.

فلما كان الخميس قبل خمسة أيام من الوفاة النبوية اشتد الوجع برسول الله ﷺ فأمرهم بأن يُحضروا أدوات الكتابة حتى يكتب لهم كتابًا لا يختلفوا بعده، فأشفق بعضهم على النبى ﷺ وقال: كتاب الله حسبُنا، فتنازعوا فأمرهم بالخروج عنه(٢).

ولقد أوصى النبى ﷺ بإخراج المشركين من جزيرة العرب، وأوصى بإجازة الوفد، كما كان يجيزهم ﷺ، وأوصى بثالثة فنسيها الراوى.

وقال العلماء: لعله أوصى بإنفاذ جيش أسامة.

وأوصى بأن تُغلق الأبواب المفتوحة على المسجد إلا باب أبى بكر.

فقال ﷺ: **«لا تبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر»**(٣). وهذه من الإشارات لاستخلافه رضي الله عنه.

ومن هذه الإشارات حرصه ﷺ وتأكيده بأن يصلى أبو بكر رضي الله عنه بالناس.

---

(١) حسن: رواه ابن ماجة (١٤٦٥) كتاب الجنائز، وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجة (١١٩٧).

(٢) فتح البارى (٧/ ٧٣٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

وأوصى النبى ﷺ بالأنصار خيراً.

وأوصى ﷺ بتعظيم الرب عز وجل فى الركوع والاجتهاد فى الدعاء فى السجود، كما أوصى ﷺ بالصلاة.

ومن ذلك أنه ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور. . . فعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يُلقى على وجهه طرف خميصة، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه وهو يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». تقول عائشة: يحذر مثل الذى صنعوا[١].

قال الحافظ: وكأنه ﷺ عَلِم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يُعظَّم قبره، كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم[٢].

اللحظات الأخيرة من حياة النبى ﷺ

وخرج النبى ﷺ فى صبح اليوم الذى لحق فيه بالرفيق الأعلى ينظر إلى ثمرة جهاده وصبره، فألقى على أصحابه الذين أحبوه وأحبهم نظرة وداع، فكادوا يُفتنون من الفرحة به ﷺ ظنًّا منهم أنه ﷺ قد عوفى من مرضه، ولم يظنوا أنه ينظر إليهم نظرة الوداع حتى يلتقى بهم على حوضه، وفى جنة الله عز وجل، ولو علموا ذلك لتفطرت قلوبهم.

عن عائشة رضي الله عنها **قالت:** دخل علىَّ عبد الرحمن وبيده سواك، وأنا مُسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك. فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: «**أن نعم**» فتناولته، فاشتد عليه، قلت: أُلينه لك؟ فأشار برأسه: «**أن نعم**» فليَّنته، فأمرَّه وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يُدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه يقول: «**فى الرفيق**

(١) فتح البارى (١/ ٦٣٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٣١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

الأعلى» حتى قُبض ﷺ ومالت يده»[١].

وكان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ : «اللهم الرفيق الأعلى».

وعن أنس قال: لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء، وما نفضنا عن النبى ﷺ الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا»[٣].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: لما تُوفى ﷺ اضطرب المسلمون فمنهم من دُهش فخولط، ومنهم من أُقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتُقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال: إنما بُعث إليه[٤].

موقف الصدِّيق رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ مات، وأبو بكر بالسُّنح - قال إسماعيل: تعنى بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك، وليبعثنه الله فيقطعن أيدى رجال وأرجلهم فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبَّله فقال: بأبى أنت طبت حيًّا وميتًا والذى نفسى بيده لا يذيقك الله

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٤٤٤٩) كتاب المغازى.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٤٤٦٢) كتاب المغازى.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى مختصر الشمائل.

(٤) لطائف المعارف (١١٣-١١٤) باختصار.

الموتتين أبدًا، ثم خرج، فقال: أيها الحالف على رِسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(١)، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(٢) قال: فنشج الناس يبكون.

تجهيز جسد النبى ﷺ

عن عائشة ﵂ قالت: لما أرادوا غسل النبى ﷺ قالوا: والله لا ندرى أنُجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله تبارك وتعالى عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه فى صدره، ثم كلَّمهم مُكلم من ناحية البيت - لا يُدرى من هو: أن اغسلوا النبى ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص، ويدلكون بالقميص دون أيديهم، وكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسَّله إلا نساؤه»(٣).

وكُفن ﷺ فى ثلاثة أثواب سحولية بيضاء.

وقد أجمع أهل العلم أنه ﷺ توفى عن ثلاثة وستين عامًا قضى منها أربعين قبل البعثة وثلاثة عشر عامًا بعد البعثة بمكة وعشر سنين فى المدينة بعد الهجرة، وكانت وفاته فى ربيع من السنة الحادية عشرة من الهجرة وما ترك دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أَمة إلا بغلته التى كان يركبها وسلاحه وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة فصلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا.

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٣٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

(٣) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، وقال محقق الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان: إسناده قوى وحسنه الألبانى فى الأحكام (٤٩).

من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم

من معجزات النبى ﷺ

* لابد أن نعلم أولاً أن هناك فرقًا بين المعجزة والإرهاصة والكرامة والمعونة والإهانة والاستدراج.

(١) المعجزة:

فالمعجزة هى أمرٌ خارقٌ للعادة يُجريه الله على أيدى الأنبياء والمرسلين وهى تقترن برسالتهم... كانشقاق القمر لرسول الله ﷺ.. وقلب العصا إلى حية لموسى - عليه السلام - وغير ذلك.

ولقد أيَّد الله أنبياءه ورسله بالمعجزات التى لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها ليعلموا أن هذا لا يكون إلا بتأييدٍ من الحق جل جلاله الذى إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كُن فيكون.

وكانت كل معجزة تتناسب مع أحوال الناس.

فإنه لما كان السحر متفشيًا فى قوم فرعون أكرم الله نبيه موسى - عليه السلام - بمعجزة تفوق هذا السحر فإذا بعصاه تلقف ما يأفكون.

ولما كان الناس فى عهد عيسى - عليه السلام - على درجة عالية من الطب أكرم الله نبيه عيسى - عليه السلام - بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله.

ولما كان العرب فى أرض الجزيرة على درجة عالية من البلاغة والفصاحة أكرم الله نبيه محمدًا ﷺ بمعجزة القرآن الذى تحدَّى الله به الجن والإنس على أن يأتوا بسورة من مثله.

ونحن إذا تكلمنا عن تلك المعجزات فإن ذلك يجعل الإيمان يزداد فى

قلوبنا.. وإن كنا - ولله الحمد - نؤمن بنبينا ﷺ وإن لم يكن له معجزة واحدة فنحن نعلم أنه رسول الله ﷺ وأنه سيد الأولين والآخرين وأنه أكرم الناس على الله (جل وعلا).

(٢) الإرهاص:

ومن الأمور الخارقة للعادة وإن لم يكن معجزة لفقد شروط المعجزة: الإرهاص... وهو ما يظهر للنبى قبل بعثته من أمور عجيبة لا تظهر لسائر البشر كقصة ولادته ﷺ وما وقع من الله فى إهلاك الفيل وأهله.

(٣) الكرامة:

ثم نأتى لأمر آخر خارق للعادة وإن لم يكن من المعجزات لافتقاد شروطها... وهى الكرامة.

الكرامة: أمر خارق للعادة تظهر على يد مؤمن ملتزم لمتابعة نبى مُكلَّف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح عَلِمَ بها أو لم يعلم فما يجرى على يد الأولياء من خوارق وعجائب تُسمَّى كرامات وقد تُسمى الكرامة آية لأنها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولى، لأن كل كرامة أولى هى معجزة لنبيه.

والولى: هو العارف بالله تعالى وبصفاته.. المواظب على طاعته لله، المجتنب معصيته... وسُمِّى الولى بهذا لأن الله تولى أمره فلم يكِلِه إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة، والله تعالى يتولى عباده دائمًا.

*** وهناك بعض المواقف تدل على الكرامة:**

روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى الأعداء من مسافة شهر فقال: «يا سارية الجبل»[1] فسمع سارية قائد جيش المسلمين صوته فانحاز بالناس إلى الجبل وقاتلوا العدو فنصرهم الله تعالى... فتلك كرامة لعمر أن رأى من

---

(١) سارية: قائد جيش المسلمين.

تلك المسافة. . . كذلك لسارية أن سمع من المسافة نفسها.

روى أن عبد الله بن شقيق كان إذا مرت عليه سحابة يقول لها: أقسمت عليك بالله إلا أمطرتِ فتمطر فى الحال.

هذا قليل القليل من كثير من كرامات الصحابة والأولياء.

(٤) المعونة:

ومن الأمور الخارقة للعادة أيضًا: المعونة.

فهناك أمر قد لا يظن الإنسان الصالح وجوده أو حدوثه ثم يقع له حسب رغبته أو حسب ما ينجيه كمن كان فى صحراء وظهر له الأسد فوجد شجرة فى مكان لا توجد فى مثله الأشجار فتسلقها ونجى من الأسد.

(٥) الإهانة:

ومن الأمور الخارقة للعادة: الإهانة - أعاذنا الله من كل سوء - وهى أمر خارق للعادة يُظهره الله على يد كاذب يدَّعى النبوة على عكس مراده كما وقع لمسيلمة الكذاب عندما تفل فى عين رجل - عوراء - لتصح فعميت الاثنتان أخزاه الله ولعنه.

(٦) الاستدراج:

ثم نأتى إلى آخر الأمور الخارقة للعادة: الاستدراج وهو أمر خارق للعادة يُظهره الله على يد مُدَّعى الألوهية كما يقع للمسيح الدجال عندما يقتل شخصًا ثم يُحييه ولكن بعد ذلك يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر[1].

* * *

(١) صحيح معجزات النبى ﷺ / للحافظ ابن كثير (ص١٨-١٩).



بعض الإرهاصات قبل بعثة النبى ﷺ

* هناك بعض الإرهاصات التى حدثت للنبى ﷺ قبل بعثته.

فمن بين تلك الإرهاصات ما حدث يوم مولده ﷺ .

فلقد رأت أمه يوم مولده نورًا يخرج منها أضاءت منه قصور الشام.

قال رسول الله ﷺ : «أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام»(١).

ودعوة إبراهيم - عليه السلام - هى قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢).

وبشرى عيسى. كما أشار إليه قوله عز وجل حاكيًا عن المسيح - عليه السلام -: **﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾**(٣).

وقوله: «ورأت أمى كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام».

قال ابن رجب: «وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجىء به من النور الذى اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها، . . . كما قال تعالى: **﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**(٤).

* **وكان من بين الإرهاصات التى حدثت قبل بعثة النبى ﷺ :** قصة أصحاب الفيل. . فقد جاء أبرهة وجنوده لهدم الكعبة وذلك فى نفس العام الذى وُلد فيه النبى ﷺ فصدَّهم الله عن البيت وأرسل الله عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف. . . مع كل طائر منهم ثلاثة حجارة يحملها. . .

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٥٤٥).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٢٩).

(٣) سورة الصف: الآية: (٦).

(٤) سورة المائدة: الآيتان: (١٥-١٦).

حجرٌ فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا أهلكته.

فخرجوا هاربين مرعوبين يبحثون عن الطريق ويسألون عن نُفيل بن حبيب؛ ليدلهم على الطريق إلى اليمن.

* وأُصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به تسقط أناملُهُ أُنملة أُنملة.. كلما سقطت أنملة، اتبعتها منه مِدّة تسيل قيحًا ودمًا حتى وصلوا به إلى صنعاء، فانصدع صدره عن قلبه حتى مات.

* وهذا كله جزاء من تعرض لهدم بيت الله الحرام.

فلقد حمى الله بيته الحرام؛ لأنه سيكون قِبلة لسيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ الذى وُلد فى نفس العام (عام الفيل).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾(١).

حادثة شق الصدر

ومن بين الإرهاصات التى حدثت قبل بعثة النبى ﷺ (حادثة شق الصدر).

ففى يوم من الأيام خرج النبى ﷺ ومعه أخوه من الرضاعة - ابن حليمة السعدية - وذهبا ليلعبا سويًّا ونسيا أن يأخذا طعامًا فقال النبى ﷺ لأخيه: اذهب وائتنا بالزاد.

فذهب وأتى بالزاد... وبينما هما يلعبان إذ أقبل رجلان عليهما ثياب بيض فأخذا النبى ﷺ فأضجعاه وشقَّا بطنه يقول النبى ﷺ: «**فشقَّا**

(١) سورة الفيل.

بطنى، ثم استخرجا قلبى، فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتنى بماء ثلج، فغسلا به جوفى، ثم قال: ائتنى بماء بَرَد، فغسلا به قلبى، ثم قال: ائتنى بالسَّكينة[1]، فذرَّاها فى قلبى، ثم قال أحدهما لصاحبه: خِطه، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة.

فقال أحدهما لصاحبه: اجعله فى كفة، واجعل ألفًا من أمته فى كفة،..» قال النبى ﷺ : «فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقى، أُشفق أن يخرَّ علىَّ [2] بعضهم، فقال المَلَك: لو أن أمته وُزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتركانى»[3].

* فلما رأى ذلك أخوه فزع وخاف خوفًا شديدًا وعاد إلى أمه حليمة مسرعًا وقد تغير لونه.

فقالت له أمه: مالك يا بُنى.

فحكى لها كل ما رآه... فخرجت حليمة هى وزوجها وهما فى غاية الخوف على محمد ﷺ فوجداه قائمًا قد تغير لونه فلما رآهما أجهش بالبكاء.. فأخذته حليمة فى حضنها وسألته: ما الذى حدث لك؟ فحكى لها كل ما حدث.

فقال زوجها: والله إنى أخشى أن يكون قد أُصيب بمكروهٍ فهيا لنرده إلى أهله قبل أن يحدث له شىء فيظن الناس أننا قد أهملنا رعايته.

فذهبا به إلى أمه آمنة... فلما رأتهم آمنة تعجبت وقالت: ما الذى أتى بكما قبل أن أطلبه منكما وقد كنتما حريصين كل الحرص على بقائه عندكما.

فقالت حليمة: لا شىء سوى أنه قد أتم فترة الرضاعة منذ زمن فأحببنا أن نرده إليكم قبل أن يُصاب بمكروه.

---

(١) السكينة: الطمأنينة والوقار.

(٢) يخر: يسقط.

(٣) حسن: رواه الدارمى، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٧٣).

فقالت: إنه قد حدث شىء ولابد أن تخبرينى يا حليمة.

فأخبرتها حليمة بما حدث... فتبسمت أم النبى ﷺ وقالت: كلا والله، لا يصنع الله ذلك له، إن لابنى شانًا، أفلا أخبركما خبره، إنى حملت به، فوالله ما حملت حملاً قط كان أخف علىّ منه، ولا أيسر منه، ثم رأيت حين حملته خرج منى نور أضاء منه أعناق الإبل ببُصرى ثم وضعته حين وضعته، فوالله ما وقع كما يقع الصبيان، لقد وقع معتمدًا بيديه على الأرض رافعًا رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فقبضته وانطلقنا.

قصة السحابة التى أظلته ﷺ

ومن بين الإرهاصات التى حدثت قبل بعثة النبى ﷺ (السحابة التى أظلته)... وها هى قصة السحابة:

لقد كان أبو طالب يحب النبى ﷺ أكثر من حبه لأولاده وكان لا يُطيق فراقه لحظة واحدة.

وفى يوم من الأيام أراد أبو طالب أن يخرج إلى الشام فى تجارة له فلم يستطع أن يسافر وحده ويترك محمدًا ﷺ... فأخذه معه فى رحلته إلى الشام.

وكان فى الطريق تنتشر صوامع الرهبان الذين كانوا يعرفون صفة نبى آخر الزمان فقد قرءوا صفته فى التوراة والإنجيل.

وكان من بين هؤلاء الرهبان رجل اسمه (بحيرا) وكان رجلاً صالحًا يعرف صفةَ النبى ﷺ.

ونظر بَحيرا إلى القافلة التى قدم فيها أبو طالب ومحمد ﷺ فإذا به يرى غَمامة[1] فى السماء تُظلل محمدًا ﷺ وتَسير معه أينما سار، وهذه

(١) سحابة.

عَلامـةُ من عَلامات نبى آخـر الزَّمان، وأراد «بَحِيرا» التـأكد من هذا النبى، والنظر فى وجهه، فصنع طَعامًا، ودعا القافلة جميعًا للأكل، فقالوا:

- يا بحيرا كنا نمر عليك فلم تصنع لنا طعامًا، فلماذا هذه المرة؟!

- **قال**: بل أنتم ضُيوفى، فلتأتوا جَميعًا ولا يتخلف منكم أحد.

وجاءوا جميعًـا إلا رسول الله ﷺ فنظر بحيرا فلم يجده، فقال: هل جئتم جَميعًا؟

قالوا: نعم، إلا غُلامًا صَغيرًا، اسمه مُحمد جعلناه فى رِحَالِنا.

فقال: إذن، ليذهب أحدكم وَليأتِنى به.

وحضـر محـمد ﷺ، وجلس للطعام مع قَـوْمه فلما فَـرَغ القومُ من الطَّعام، وبقى بحيرا ومحمد ﷺ وحدهما.

قال بحيرا: يا غلامُ أستَحْلفُك باللاتِ والعُـزَّى، أن تُجيبنى عمَّا أسألك عنه قال: لا تَسألنى باللات والعزى شَيئًا، فوالله إنى لأَكْرَهُهُمَا.

فقال: إذن أسألك بالله.

قال: اسأل عَمَّا بَدَا لَك.

فراح بحيرا يسأله عن أُمور نومه، وطَعامه، حتى كشف عنه كَتفَه؛ فرأى خاتم النُّبوة على كَتِفه، وهو بعض شَعَراتٍ بين كتفيه، ثم انصرف رسول الله ﷺ.

فقال بحيرا لأبى طالب: مَن هذا الغُلام؟ فقال: ابنى.

قال بحيرا: لا، ما هو بابنك، ولكن ينبغى أن يكون أبواه قد ماتا.

قال أبو طالب: نعم، مات أبوه وأمه حُبْلى[1]، وماتت أمه.

فقال بحيرا: صَدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلدك، واحذر عليه اليهود، فلو عَرفُوه ليقتلونه.

---

(١) حُبْلَى: أى حامل.

وعاد أبو طالب إلى مكة.

وقد تأكد أن لابن أخيه شأنًا بين الناس جَميعًا، وما زالت كلمات بَحِيرا فى أُذنه: «احذر عليه اليهود»[١].

الحجر يُسلم على النبى ﷺ

وكان من بين الإرهاصات التى حدثت قبل بعثة النبى ﷺ (تسليم حجرٍ عليه) فقد كان النبى ﷺ يمر فى مكانٍ بمكة فيسمع صوت الحجر وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله.

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنى لأعرفُ حجرًا بمكة كان يُسلمُ علىَّ قبل أن أُبعث إنى لأعرفهُ الآن»**[٢].

معجزة القرآن الكريم أعظم المعجزات

إن من فضائل رسولنا محمد ﷺ أن الله تعالى قد أيَّده بالمعجزات الباهرة، تأييدًا منه سبحانه لعبده ورسوله محمد ﷺ، وبرهانًا على صدقه، ودليلاً على علو شأنه ورفعة مكانته عند ربه، وأعظم آية أعطاها الله -جل وعلا- لرسوله ﷺ هى القرآن الكريم، ولهذا يقول ﷺ: **«ما من الأنبياء نبى إلا قد أُعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أُوتيته وحيًا أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا يوم القيامة»**[٣].

* **قال الإمام ابن حجر:**

قوله: **«وإنما كان الذى أُوتيته وحيًا أوحاه الله إلىّ»** أى أن معجزتى التى تحديت بها هى الوحى الذى أُنزل علىَّ وهو القرآن لما اشتمل عليه من

---

(١) حياة محمد ﷺ للأطفال / أ. حامد أحمد (ص:٣٨-٤٠).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٩٨١) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (١٥٢) كتاب الإيمان.

الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه ولا أنه لم يُؤتَ من المعجزات ما أُوتى مَن تَقدَّمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التى اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبى أُعطى معجزة خاصة به لم يُعطَها بعينها غيره تحدَّى بها قومه، وكانت معجزة كل نبى تقع مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشيًا عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره، وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا فى ذلك الزمان فى غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه، ولهذا لما كان العرب الذين بُعث فيهم النبى ﷺ فى الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذى تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك.

وقيل: المراد أن القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة، بخلاف غيره من المعجزات فإنها لا تخلو عن مِثل.

وقيل المراد أن كل نبى أُعطى من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله صورة أو حقيقة، والقرآن لم يؤت أحد قبله مثله، فلهذا أردفه بقوله: «**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا**».

وقيل: المراد أن الذى أوتيته لا يتطرق إليه تخييل، وإنما هو كلام مُعجز لا يقدر أحد أن يأتى بما يتخيل منه التشبيه به، بخلاف غيره فإنه قد يقع فى معجزاتهم ما يقدر الساحر أن يخيل شبهه فيحتاج من يميز بينهما إلى نظر، والنظر عُرضة للخطأ، فقد يخطئ الناظر فيظن تساويهما.

وقيل: المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة فى أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شىء مما أخبر به أنه سيكون دليلاً على صحة دعواه، وهذا أقوى

المحتملات، وتكميله فى الذى بعده.

وقيل: المعنى أن المعجـزات الماضية كانت حـسية تُشاهَد بالأبصـار كناقة صالح وعصا موسى، . . . ومعجزة القرآن تُشاهَد بالبـصيرة فيكون من يتبعه لأجلهـا أكثـر؛ لأن الذى يشاهد بعـين الرأس ينقرض بانقـراض مشـاهده، والذى يشاهد بعين العقل باقٍ يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرًّا.

قلت: ويمكن نَظْم هذه الأقوال كلهـا فى كلام واحد؛ فإن مُـحصِّلها لا ينافى بعضه بعضًا [(١)].

إعجاز القرآن فى أربعة أشياء

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -:

وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن فى أربعة أشياء:

أحدها: حسن تأليفه والتئام كَلِمِه مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها: صورة سيـاقه وأسلوبه المخالف لأساليب كـلام أهل البلاغة من العرب نَظْمًا ونثرًا حتى حارت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الإتيان بشىء مثله مع توفُّر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها: ما اشتمل علـيه من الإخبار عما مضى من أحـوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها: الإخبار بما سيأتى من الكوائن التى وقع بعضها فى العصر النبوى وبعضها بعده فهذا القرآن فـيه من الخير والهدى ما يكفى لهداية الكون كله، بل وأكثر من هذا.

* ففيه الهدى الذى يوصل إلى كل خير فى الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [(٢)].

---

(١) فتح الباري (٨/ ٦٢٣).

(٢) سورة البقرة الآيتان: (١-٢).

* أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور ودلّنا على كل طريق يوصل إلى الجنة وحذرنا من كل طريق يورد النار.

* جعل الله فيه الموعظة الداعية إلى اكتساب كل فضيلة والزاجرة عن كل رذيلة.. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (١).

* تعلّمنا من خلال آياته نعمة التوحيد ومغبة الإشراك.

* جعل الله فيه الشفاء لكل الأمراض القلبية والنفسية والعقلية... ففيه الشفاء من الكفر والشرك والكبر والحسد والبخل والظلم والخوف والقلق... فقال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾ (٢).

* وعظنا الله بآيات القرآن فجعل القلوب رقيقة وجعلها تستقبل الحق والهدى وتبتعد عن الضلال والباطل بكل ما فيه.

* جعل الله فيه الروح التى تتوقف عليها حياة الإنسان، فالقرآن هو الروح اللازمة للحياة الفاضلة الكريمة.

إن الناس بدون أن تسرى فيهم الروح القرآنية أموات حقًّا، لا ينتفعون بوجودهم، ولا بحياتهم المادية.

قال تعالى فى هذا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣).

* وهو النور الكاشف لجميع الظلمات القلبية، والمبدد لسائر الجهالات النفسية، والمبين لسائر الحقائق والأسرار الكونية... قال تعالى فى تقرير

---

(١) سورة يونس: الآية: (٥٧).

(٢) سورة الإسراء :الآية: (٨٢).

(٣) سورة الشورى: الآية: (٥٢).

ونبيته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [١].

* وفيه البشرى بخير الدنيا والآخرة وسعادتهما.

قال تعالى فى ذلك: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

* الحق الإلهى الثابت فى نفسه، المحقق المثبت لغيره من كل ما هو حق، فكل حق القرآن يؤيده، والقرآن يقرره، قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [٣].

وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [٤].

أى مُتلبسًا به مشتملاً عليه، مؤيدًا له، ومقررًا.

* الذكر الإلهى الذى تحيا عليه القلوب، وتطيب بتلاوته الأرواح، وتزكو بالعمل به النفوس. الذكر المكسب للشرف، والموصل لحضرة القدس، والرافع إلى ملأ الأخيار. قال تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[٥].

وقال فى الحديث عنه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[٦].

* الخير العام لكل إنسان، وجان، وحيوان، فما من كائن فى هذه الحياة إلا وناله من خيرية القرآن [٧].

*** الإعجاز العلمى الذى احتوى عليه القرآن:**

القرآن لا تنقضى عجائبه، فكلما مرَّ الزمن اكتشفت البشرية وجهًا جديدًا من إعجازه، فما إن دخل الناس فى عصر العلوم الكونية حتى وجدوا فى

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٧٤).

(٢) سورة النحل: الآية: (٨٩).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (١٠٥).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٤٨).

(٥) سورة ص: الآية: (١).

(٦) سورة الزخرف: الآية: (٤٤).

(٧) عقيدة المؤمن / الشيخ أبو بكر الجزائرى (ص: ٢٥٣-٢٥٤) بتصرف.

كتاب الله نبأ صدق ما وعدهم فى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (١).

وإذا بالوعد يتحقق.

* **حفظه من التغيير والتبديل:**

ومن العلامات الإلهية فى القرآن كونه محفوظًا من التغيير والتبديل، مع مرور الأزمنة المتطاولة على نزوله، وكثرة المعادين والحاقدين والخصوم المتربصين به وبأهله، ومع ذلك لم تنله يد التغيير والتبديل، وما حصل من محاولات التحريف باءت جميعها بالفشل.

فهو محفوظ على مستوى الحرف الواحد بل على مستوى حركة الحرف الواحد، وإنك لتسمع القرآن اليوم يذاع من إذاعات العالم المختلفة ومن الدول المعادية للإسلام(٢)، فإذا هو القرآن المعروف الذى أُنزل على محمد ﷺ.

وهذا كله تصديق لوعد الله سبحانه الذى تكفل بحفظه فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٣).

* **علومه الواسعة:**

اشتمل القرآن على علوم ومعارف تهدى البشر إلى طريق الحق والصواب والسعادة فى جميع شؤونهم فى حياتهم الدنيا والآخرة، وتجنبهم الشر بحذافيره، فى كل زمان ومكان، وقد بلغت هذه العلوم من دقة المعلومات، وصحة الأخبار، ونبالة القصد، ونصاعة الحجة، وحسن الأثر، وعموم النفع مبلغًا يستحيل على محمد ﷺ - وهو رجل أُمِّى نشأ بين أُمِّيين - أن يأتى بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعًا من علماء

---

(١) سورة فصلت الآية: (٥٣).

(٢) تذيع هذه الدول القرآن تأليفًا لقلوب عامة المسلمين.

(٣) سورة الحجر: الآية: (٩).

وأُدباء وفلاسفة وأخلاقيين أن يأتوا بمثلها من تلقاء أنفسهم ولو تظاهروا على ذلك(١)، فالعلـوم التى فى القرآن تدل كل عـاقل ومنصف على أنه من عند الله، ولا يمكن أن تكون من عند غيره، ونضرب لك ثلاثة أمثلة مما احتوى عليه من العلوم:

*** إخباره بالغيب الماضى والحاضر والمستقبل:**

فمن إخباره بالغيب الماضى: إخباره بقصص الأمم السابقة التى لم يشهدها محمد صلى الله عـليه وآله وسلم أو قومه، مثل قصة نبى الله نوح - عليه السلام - مع أمته التى كانت من أقدم الأمم على الأرض.

وأخبر الله سبحانه نبيه فى الـقرآن بعد أن ذكر قصة نوح - عليه السلام - مع قومـه فى سورة هود أن هذه الـقصة من أخـبار الغـيب التى لم يكن محمد ﷺ يعلمها ولا قومه، وإنما ساقها الله للعبرة ولتـسلية نبيه محمد ﷺ . قال تعالى: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (٢).

ولو أن الكفار فى عهد النبى ﷺ كانوا يـعلمون شيئًا من ذلك لكانت فرصة لتكذيب النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم لاذوا بالصمت.

وكمـا أخبر القـرآن بالغيب الماضى فقـد أخبر ببـعض الحوادث التى لم يشهدها رسول الله ﷺ - وهى فى زمنه فكانت غيبًا بالنسبة له - فأطلعه الله عليها، ومن ذلك:

أن النبى صلى الله عليـه وعلى آله وسلم أَسَرَّ إلى بعض أزواجـه أنه قد حرم على نفسه شـرب العسل الذى عند بعض نسائه، لما ظن أن فيه رائحة غير مستحسنة، وأمرها ألا تخبر بذلك أحدًا، فأخبرت بعض نسائه بذلك،

---

(١) انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى (٢/ ٣٦٦).

(٢) سورة هود: الآية: (٤٩).

فأطلعه الله سبحانه على ذلك وأخبرها به، فسألته عمَّن أخبره بذلك الغيب فأخبرها أنه الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ[١] عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ[٢] فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٣].

وهناك نوع آخر من الغيب كشفه الوحى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الغيب المكنون فى المستقبل الذى لا سبيل لأحد من البشر أن يعرفه. ومن أمثلته ما وعد الله به المؤمنين من الاستخلاف فى الأرض مع أنهم كانوا قلة مستضعفة، . . . . قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[٤].

وقد تحقق ذلك الوعد فخلال قرن من الزمان انتصر المؤمنون على الدولتين العظيمتين فى ذلك الوقت وفتحوا الأرض شرقًا وغربًا ودانت لهم شعوبها بالإسلام ودخلوا فى دين الله أفواجًا.

ومن أمثلة الإخبار بغيب المستقبل أن يقرر القرآن أن أشخاصًا مُعينين بأسمائهم لن يُسلموا وأنهم سيموتون على الكفر، وكان بإمكانهم أن يكذبوا القرآن ولو تظاهروا بالإسلام تظاهرًا، ولكنهم لم يخرجوا عما قرره القرآن فى حقهم، بالرغم من إسلام الأعداد الكثيرة ممن كانوا أشد الناس عداوةً له. ومن ذلك ما ذكره سبحانه عن أبى لهب أنه من أهل النار.

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢

---

(١) أطلعه الله عليه.

(٢) يعنى: ذكر لها بعض ما أخبرت به، وسكت عن البعض الآخر تكرمًا.

(٣) سورة التحريم: الآية: (٣).

(٤) سورة النور: الآية: (٥٥).

سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[(١)] وكذلك إخباره عن الوليد بن المغيرة أنه سيَصْلَى النار. . . قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[(٢)] وكان الأمر كذلك فمات أبو لهب كافرًا، ومات الوليد كافرًا، إلى غير ذلك من الأمثلة[(٣)].

* تحدِّى الكافرين أن يأتوا بمثله:

قال تعالى مبينًا عجز الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثل القرآن الكريم: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[(٤)].

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فقال سبحانه:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[(٥)].

ثم تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله فلم يقدروا، وأخبرهم أنهم لن يفعلوا، . . . قال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[(٦)].

ولو كان القرآن من كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما جزم بعدم استطاعة أحد أن يأتى بمثله.

وتحقُّق هذا الجزم بعد ذلك دليلٌ على أن القرآن كلام الله المعجز[(٧)].

---

(١) سورة المسد: الآيات: (١: ٤).

(٢) سورة المدثر: الآية: (٢٦).

(٣) انظر مزيدًا من الأمثلة على إخبار القرآن بالغيب فى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٧٠-٧٩).

(٤) سورة الإسراء الآية: (٨٨).

(٥) سورة هود الآية: (١٣).

(٦) سورة البقرة الآيتان: (٢٣: ٢٤).

(٧) بتصرف من كتاب (بينات الرسول ومعجزاته) / للشيخ عبد المجيد الزندانى (حفظه الله).

انشقاق القمر

لقد كان كفار قريش يرفضون دعوة النبى ﷺ ويتعنتون فى طلب المعجزات ظنًّا منهم أن النبى ﷺ سيعجز عن ذلك فيكون ذلك سببًا فى عدم إسلامهم.

* وفى يومٍ من الأيام عرض عليهم النبى ﷺ الإسلام فطلبوا منه أن يُريهم معجزة تدل على صدقه فى أنه نبى حتى يؤمنوا.. فسألهم النبى ﷺ عما يريدون فقالوا: لئن شققت لنا القمر نصفين لنؤمنن معك.

* فقام النبى ﷺ يسأل ربه -جل وعلا- أن يشق لهم القمر نصفين.

فانشقَّ القمر نصفين فقاموا وقالوا: سَحَرنا محمد..

* **عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:** أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين[1].

حراسة النبى ﷺ بالملائكة

ولقد كانت الملائكة تحرس النبى ﷺ .... حتى أنه لما جاء أبو جهل وأراد أن يؤذى النبى ﷺ رجع مفزوعًا مما رآه.

فقال النبى ﷺ : «لو دنا منِّى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

* **وها هو أبو هريرة رضي الله عنه يحكى لنا هذه القصة:**

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال أبُو جهلٍ هل يُعفرُ مُحمد وجهه بين أظهُركُم؟ قال: فقيل: نعم فقال: واللات والعُزَّى لئن رأيتُهُ يفعلُ ذلك لأطأن على رقبته أو لأُعفرن وجهه فى التراب! قال: فأتى رسُول الله ﷺ وهو يصلى زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهُم منهُ إلا وهُو ينكص[2] على عقبيه ويتقى

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٨٦٧) كتاب التفسير، ومسلم (٢٨٠٢) كتاب صفات المنافقين.

(٢) النكوص: الرجوع إلى الخلف.

يديه! قال فقيل له ما لك؟ فقال إن بينى وبينهُ لخندقًا من نارٍ وهولاً وأجنحةً!! فقال رسول الله ﷺ : «لو دنا منى لاختطفتهُ الملائكةُ عُضواً عضواً!!»[1].

معجزة الإسراء والمعراج

وهذه المعجزة كانت أيضًا من أعظم معجزات النبى ﷺ .

فهل يستطيع أحدنا يا أحبابى أن يتصور كيف أن أحدًا من البشر يقطع المسافة من المسجد الحرام (فى مكة) إلى المسجد الأقصى (فى فلسطين) ثم يصعد إلى السماوات السبع ويصل إلى سدرة المُنتهى ويعود مرة أخرى فى جزءٍ يسير من الليل؟!!!.

إنه أمر يفوق خيال البشر.

ولكن إذا علمنا أن كل هذا كان بأمر الله وقدرته فإنه يزول العجب وتزول الحيرة لأننا نعلم أن الله على كل شىء قدير.

ولذلك بدأ الله سورة الإسراء بكلمة (سبحان) التى تهيئ الإنسان إلى أن الذى سيأتى بعد هذه الكلمة أمر عجيب يفوق خيال البشر... قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[2].

فالذى أسرى بالنبى ﷺ هو الله الذى لا يُعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

* فتعالوا بنا لنرى كيف كانت معجزة الإسراء والمعراج.

عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ : **«أُتيت بالبُراق»**، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه-، قال: **«فركبته حتى أتيت بيت المقدس»**، قال: **«فربطته بالحلقة التى**

---

[1] صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

[2] سورة الإسراء: الآية: (١).

يربط بها الأنبياء»، قال: « ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل (عليه السلام): اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحَّب بى، ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، صلوات الله عليهما، فرحَّبا ودعوا لى بخير، ثم عُرج بى إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، فإذا هو قائم قد أُعطى شطر الحسن، فرحَّب ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا فإذا أنا بإدريس، فرحَّب ودعا لى بخير، قال الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1]، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون ﷺ، فرحَّب، ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى ﷺ، فرحَّب ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد

---

(١) سورة مريم: الآية: (٥٧).

ﷺ ، قيل: وقد بُعث إليـه؟ قال: قد بُعث إليه، ففـتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مُسندا ظهره إلى البـيت المعمـور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعـون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقـها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال »، قال: « فلما غشيـها من أمر الله ما غشى تغيـرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعـتها - أى: يصفها - من حسنها، فـأوحى الله إلىَّ ما أوحى، ففرض علىَّ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ ، فقال: ما فـرض ربك على أمتك؟ قلـت: خمـسين صـلاة، قـال: ارجع إلى ربك فاسـأله التخفـيف، فإن أمتك لا يطيقـون ذلك، فإنى قد بلوت بنى إسرائيـل وخبرتهم »، قال: « فرجعت إلى ربى، فـقلت: يا رب، خفِّف على أمتى، فحطَّ عنى خـمسًا، فرجـعت إلى موسى، فقلت: حـطَّ عنى خمسًـا، قال: إن أمتك لا يطيـقون ذلك، فـارجع إلى ربك فـاسألـه التخـفـيف »، قال: « فلم أزل أرجع بين ربى تبـارك وتعالى، وبيْن موسى عليه السلام حتـى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشـر، فذلك خمسون صلاة، ومَن هَمَّ بحـسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فـإن عملها كُتبت له عشراً، ومن هَمَّ بسيـئة فلم يعملها لم تُكتب شيئًا، فـإن عملها كُتبت سـيئة واحدة »، قال: « فنزلت حتى انتـهيت إلى موسى ﷺ ، فأخبرته، فقال: ارجع فاسأله التخفيف »، فقال رسول الله ﷺ : « قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه»[1][2].

قريش تكذب النبى ﷺ

ولما عاد النبى ﷺ إلـى مكة وحكى لبعض أصحـابه عن تلك الرحلة وصل الخبـر لكفار قريش فـسخروا من النبـى ﷺ وقالوا له: أتزعم أنك أُسرِىَ بك من المسجـد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُـرج بك إلى السماء

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٩) كتاب الصلاة، رواه مسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.

(٢) سيرة محمد ﷺ) الشيخ جمال عبد الرحمن (ص١٣٩، ١٤٠) بتصرف.

السابعة ثم عُدت مرة أخرى فى جزء يسير من الليل.

فقال النبى ﷺ : «نعم».

فقال أحدهم: فهل تستطيع أن تصف لنا المسجد الأقصى؟

فوافق النبى ﷺ على ذلك.. وبدأ يصف لهم المسجد لكنه لم يستطع أن يُكمل الوصف لأنه رأى المسجد ليلاً ولم يكن قد رأى كل شيء بوضوح... فأمر الله الملائكة فجاءت بالمسجد الأقصى حتى وضعته أمام النبى ﷺ فأخذ النبى ﷺ ينظر إليه ويصفه لكفار قريش وهم يتعجبون من دقة الوصف رغم أنهم يعلمون أن النبى ﷺ لم يذهب إلى هناك.

الله يُعمى أبصار المشركين عن رؤية النبى ﷺ ليلة الهجرة

وفى ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يراقبُونه حتى إذا نام انقضُّوا عليه وقتلوه جميعًا.

فلما رأى النبى ﷺ مكانهم أمر على بن أبى طالب أن ينام مكانه وأخبره بأنه لن يحدث له مكروه ولن يصيبه أذى.

ثم أمر عليًّا بأن يرد كل الودائع والأمانات التى عنده لأصحابها.

* ويا له من أمرٍ عجيب فقد كانت قريش تحارب النبى ﷺ ، وتحارب دعوته، وتريد أن تقتله... لكن الواحد منهم إذا كان عنده شيء ثمين يريد أن يحفظه فإنه كان يتركه وديعة عند رسول الله ﷺ .

* وهنا ألقى الله النوم على هؤلاء المتآمرين فناموا.. ثم خرج النبى ﷺ أمامهم بعد أن أخذ حفنة من التراب ووضعها فوق رءُوسهم، وهو يَتْلُو قول الله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ** ﴾(١).

---

(١) سورة يس: الآية: (٩).

ثم ذَهَب رسول الله ﷺ إلى دار أبى بكر الذى جَهَّزَ نَفْسَه للهجرة مع رسول الله ﷺ .

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً.

قال: خيَّبكم الله، قد والله، خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟

قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون عليًّا على الفراش.

فظنوا أن النبى ﷺ ما زال نائمًا مكانه... فدخلوا وكشفوا الغطاء فوجدوا على بن أبى طالب فسألوه عن مكان النبى ﷺ فقال: لا أدرى قد تركنى هنا لأرد إليكم أماناتكم.

فقالوا: لقد صدقنا هذا الرجل الذى أخبرنا بخروج محمد ﷺ .

تأييد الله لرسوله ﷺ أثناء هجرته

خرج النبى ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق مهاجرين إلى المدينة النبوية، واختفيا فى غار ثور ثلاثة أيام، وصعد المشركون إلى الغار بحثًا عن النبى ﷺ وأبى بكر، فحمى الله نبيه وأبا بكر منهما.

قال أبو بكر: قلت للنبى ﷺ ونحن فى الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال النبى ﷺ : **«يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»** (١).

قصته ﷺ مع سُراقة وفرسه

* كانت قريش قد أعلنت عن جائزة كبيرة مقدارها مائة ناقة لمن يأتى برسول الله ﷺ وأبى بكر أو يدل عليهما... وكانت هذه الجائزة كبيرة

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٥٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

جدًّا ولذلك طمع كثير من المشركـين فى أن يعرفوا مكان النبى ﷺ حتى يفوزوا بهذه الجائزة.

وكان من بين هؤلاء الناس الذين كانوا يسعـون للفوز بهذه الجائزة رجل اسمه (سراقة بن مالك) الذى ما إن سمع بتلك الجائزة حتى أخذ يبحث عن النبى ﷺ فى كـل مكان حـتى لحق برسـول الله ﷺ وأبـى بكر فلمـا اقترب منهما غـاصت أقدام فرسه فى الأرض فنادى على رسول الله ﷺ وطلب منه الأمان فأعطاه النبـى ﷺ الأمان... لكنه أراد أن يغدر بالنبى ﷺ فغـاصت أقدام فرسـه مرة أخرى فى الأرض فنـادى على رسول الله ﷺ وطلب منه الأمان فأعطاه النبى ﷺ الأمان.

فلما أراد الغدر للمرة الثالثة غاصت أقدام فرسه فى الأرض فعلم أن هذا الرجل هو رسول الله ﷺ وأن الله -جل وعلا- هو الذى يحـميه ويدافع عنه.. فـأقبل عـلى النبى ﷺ وأسلم فـبشـره النبى ﷺ بأنه سـيلبس (سِوارَى كِسرى).

وقد حدث هذا بالفعل فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قصته ﷺ مع شاة أم معبد

وفى الطريق عطش النبى ﷺ هو وأبو بكر فنزلا على امرأة تُسمى (أم معبد الخزاعية) وكانت تعيش فى خيمة على الطريق من مكة إلى المدينة... فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يجدوا عندها شيئًا من ذلك.

وكـان أهل هذا المكان يعانون فـى هذا الوقت من القحط والجـدب... فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة قد جفَّ ضرعها وأوشكت على الموت فقال لها النبى ﷺ: «**ما هذه الشاة يا أم معبد؟**».

قالت: إنها شاة ضعيفة.

فقال لها: «هل بها من لبن؟».

فقالت: ليس بها لبن.

فقال لها: «هل تأذنين لي أن أحلبها؟».

فقالت له: بأبي أنت وأمي إن رأيت بها لبنًا فاحلبها[١].

معجزات في غزوة بدر[٢]

بعد أن أخرج الكفار المسلمين من ديارهم وأموالهم، كانت وقعة بدر أول لقاء مسلح كبير بين الكفر والإيمان.

ولما كان الجيشان غير متكافئين، واللقاء حتمي بينهما، أيَّد الله جيش الإسلام والنبوة بآيات خارقة للسُنن المعروفة، ومن ذلك:

[أ] إنزال المطر عليهم:

حيث أنزل الله سبحانه من السماء ماءً كان رحمةً على المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[٣]، فذكر سبحانه أنه أنزل المطر على المؤمنين لأربعة أسباب: للتطهير من الحدث، ولإذهاب وسوسة الشيطان، ولتثبيت القلوب، ولتلبيد الأرض الرملية في بدر لتثبت عليها أقدام المؤمنين في سيرهم.

[ب] تقليل عدد كل فريق في نظر الفريق الآخر:

ومن آيات الله في هذه المعركة أن جعل كل فريق يرى عدد الفريق الآخر قليلاً، وذلك لحكمة أرادها الله تعالى وهي أن تتم هذه المعركة وينتصر الحق على الباطل.

---

(١) أخرجه الطبراني (٤/٤٨)، وابن عساكر (٣/٣٢٤).

(٢) بتصرف من كتاب (بينات الرسول ومعجزاته / للشيخ عبد المجيد الزنداني (حفظه الله).

(٣) سورة الأنفال الآية: (١١).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ (١).

[ج] إنزال الملائكة للقتال مع المؤمنين:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ نظر إلى المشركين يوم بدر وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فدعا الله سبحانه مادًّا يديه مُستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، أن ينصره على المشركين قائلاً: **«اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد بعد اليوم أبداً»**، وأتاه أبو بكر وقال: يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سيُنجز لك ما وعدك، فأنزل الله سبحانه قوله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (٢)(٣).

[د] إلقاء النعاس على المؤمنين:

كان الصحابة على وجلٍ من قلتهم وكثرة عدوهم، فألقى الله عليهم النعاس أمنةً منه... قال تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾(٤) وكذلك حصل فى معركة أُحد، فقد قال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدى مراراً، يسقط وآخذه(٥).

*** قتال الملائكة مع النبى ﷺ فى معركة أحد:**

عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد... يعنى: جبريل وميكائيل عليهما السلام(٦).

(١) سورة الأنفال الآية: (٤٤).

(٢) سورة الأنفال الآية: (٩).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٩١٥) كتاب الجهاد والسير.

(٤) سورة الأنفال الآية: (١١).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٤٠٦٨) كتاب المغازى.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٥٤) كتاب المغازى، ومسلم (٢٣٠٦) كتاب الفضائل.

*** نُصرة الله لرسوله ﷺ بالريح والملائكة فى غزوة الأحزاب:**

تجمع الأحزاب من الكفار لقتال النبى ﷺ، وكان عددهم نحواً من عشرة آلاف، وتمالؤوا مع اليهود القاطنين فى شرق المدينة على حرب النبى ﷺ وأصحابه، واشتد الحال على المسلمين الذين حفروا خندقًا بينهم وبين الكفار، واستمر الكفار قريبًا من شهر وهم يحاصرون المدينة.

فدعا النبى ﷺ ربه أن ينصره على المتمالئين على الإسلام فقال: **«اللهم مُنزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»**(١).

فاستجاب الله دعاء رسوله ﷺ وأرسل على الأحزاب ريحًا شديداً أقضَّت مضاجعهم، وجنودًا زلزلتهم مع ما ألقى الله بينهم من التخاذل فأجمعوا أمرهم على الرحيل وترك المدينة النبوية.

*** جبريل وميكائيل (عليهما السلام) يقاتلان دفاعًا عن النبى ﷺ :**

وفى يوم غزوة أُحد حدثت معجزة عجيبة فقد أرسل الله جبريل وميكائيل عليهما السلام يقاتلان دفاعًا عن النبى ﷺ .

وفى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أُحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد(٢).

*** معجزة الرسول ﷺ فى حفر الخندق:**

وبدأ الصحابة فى حفر الخندق وكان النبى ﷺ يشاركهم فى الحفر.

وفى أثناء الحفر كانت هناك صخرة قوية لم يستطع الصحابة أن يحفروها فذهبوا إلى النبى ﷺ ليخبروه بذلك فما كان من النبى ﷺ إلا أنه

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٣٣) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٧٤٢) كتاب الجهاد والسير.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٥٤) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٣٠٦) كتاب الفضائل.

ذهب معهم إلى مكان الصخرة القوية وأخذ المعول ونزل إليها وقال: «بسم الله» ثم ضرب الصخرة ضربة قوية فكسر ثُلثها وهو يقول: «**الله أكبر أُعطيت مفاتيح الشام.. والله إني لأنظر إلى قصورها الحُمر الساعة**» . . ثم ضرب الصخرة ضربة ثانية فكسر الثلث الثاني وهو يقول: «**الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس.. والله إني لأُبصر قصر المدائن الأبيض**».

ثم ضرب الصخرة ضربة ثالثة فكسر ما تبقى منها وهو يقول: «**الله أكبر أُعطيت مفاتيح اليمن.. والله إني لأُبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا**»[1].

* تكثير الطعام في بيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه :

وفي أثناء الحفر كان المسلمون يعانون من شدة الجوع فنظر جابر بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فرأى آثار الجوع بادية على وجهه ﷺ فذهب جابر إلى زوجته وأمرها أن تذبح شاة وأن تُعد الطعام لرسول الله ﷺ فأطاعته وقالت له: لا تفضحني أمام رسول الله ﷺ فإن الطعام لا يكفي إلا لرسول الله ﷺ واثنين من أصحابه.

فذهب جابر وقال للنبي ﷺ سرًا: قد أعددنا لك طعامًا يا رسول الله.

فقام النبي ﷺ ونادى على كل الصحابة وقال لهم: «**يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع لكم طعامًا** - وكانوا ألف رجل- ».

فوقف جابر يفكر: كيف سيأكل ألف رجل من طعام لا يكفي إلا لثلاثة.

فإذا بالنبي ﷺ يقول له: «**لا تخبزا طعامكم حتى أجيء**».

فذهب جابر ومعه النبي ﷺ وأصحابه إلى البيت. . فلما رأت زوجة جابر أن النبي ﷺ قد جاء ومعه الجيش كله أخذت تؤنب زوجها جابر. .

فقال لها: لقد دعاهم النبي ﷺ وهو يعلم ما عندنا من الطعام.

فقالت: لا عليك. . ما دام النبي ﷺ هو الذي دعاهم.

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد، والنسائي في الكبرى، وأبو يعلى، وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٩٧): إسناده صحيح.

فجـاء النبى ﷺ وبصق على العجين وسـمَّى باسم الله وبارك ثم قال لهم: «**الآن اخبزوا عجينكم**»[١].

فأعدوا الطعام . . . وأخذ جابر يدعو الصـحابة عشرًا عشرًا. . فيأكلون وما يزال الطـعام كمـا هو. . . حتى أكل ألف رجل ولم ينقص مـن الطعام شىء. . . وأكل النبــى ﷺ ثم أعطى الطعـام لجـابـر وأمـره أن يأكل هو وزوجتـه وأن يهدوا لجيـرانهم. . . كل ذلك وما زال الطعـام كما هو ببـركة النبى ﷺ .

*** البرد يذهب عن حذيفة بدعاء النبى ﷺ :**

وفى غـزوة الخندق (الأحـزاب) أراد النبى ﷺ أن يبـعث واحـدًا من أصحابه رضي الله عنهم ليـدخل معسكر العدو ليـأتيه بخبرهم. . . وكـان البرد قد بلغ مبلغًا عظيمًا.

يقول حذيفة رضي الله عنه: «. . . . استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى علىَّ وما علىَّ جُنة وقاية من العدو ولا من البرد إلا مِرْط[٢] لامرأتى ما يجاوز ركبتى قال: فأتانى وأنـا جاثٍ على ركبتى فقال: «**من هذا؟**» فقلت: حذيـفة فـقال: «**حذيـفة!**» فتـقاصـرتُ للأرض[٣]، فقلت: بـلى يا رسول الله. . . كراهية أن أقوم فـقمت فقال: «**إنه كائن فى القـوم خبر فأتنى بخـبر القوم**» قال: وأنا من أشد الناس فَزَعًا وأشدهم قُرًّا [٤] قال: فخرجت فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم احـفظه من بين يـديه ومن خلفـه وعن يمـينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته**» قال: فوالله ما خلق الله فزعًا ولا قُرًّا فى جوفى إلا خرج من جـوفى فما أجـد شيئًـا قال: فلمـا وليت قال: «**يا حُذيـفة لا**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤١٠١) كتاب المغازى، ومسلم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة.

(٢) أى كساء.

(٣) حتى لا يخرج فى هذا البرد ليأتى بخبر العدو.

(٤) يعنى شدة البرد.

تُحدثن فى القوم شيئًا حتى تأتينى»(١) قال: فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول: الرحيل الرحيل، ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهمًا من كنانتى أبيض الريش فأضعه فى كبد قوسى لأرميه به فى ضوء النار فذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تُحدثن فيهم شيئًا حتى تأتينى» فأمسكت... قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل فى شملة يُصلى، فوالله ما عدا أن رجعت راجعنى القُر(٢)، وجعلت أُقرقف(٣)......(٤).

معجزات النبى ﷺ فى الحديبية

بُعث الرسول ﷺ فى بيئة صحراوية جافة، وكان هو وأصحابه يخرجون كثيراً للغزوات دفاعًا عن الدين، وكانوا يتعرضون لقلة الماء أو فقده فيعطشون ويحتاجون الماء أيضًا للطهارة للعبادة، فكان الله سبحانه يُرى الصحابة خوارق تكثير الماء القليل على يد النبى ﷺ.

*** وها هى تلك الصور كما وردت فى الأحاديث النبوية الصحيحة:**

عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسُول الله ﷺ بين يديه ركوةٌ(٥) فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما لكُم**» قالُوا: يا رسُول الله، ليس عندنا ماءٌ نتوضأُ به ولا نشربُ إلا ما فى ركوتك قال: فوضع النبىُّ ﷺ يدهُ فى الركوة فجعل الماءُ يفُورُ من بين أصابعه كأمثال العُيون.

---

(١) أى لا تقاتل أحداً حتى لا يشعر أحدٌ بوجودك.

(٢) أى شعرت بالبرد مرة أخرى.

(٣) أى: أرتجف من شدة البرد.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٨) كتاب الجهاد والسير.

(٥) ركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

قال فشربنا وتوضأنا فقلتُ لجابرٍ: كم كُنتُم يومئذٍ قال: لو كُنا مائة ألفٍ كفانا كنا خمس عشرة مائة[١].

*** ذراع الشاة تخبر النبى ﷺ بأنها مسمومة:**

ولما اطمأن رسول الله ﷺ بخيبر بعد فتحها أهدت له زينب بنت الحارث - امرأة سلام بن مشكم - شاة مسمومة.

وقد سألت: أى عضو من الشاة أحبُّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمَّت سائر الشاة ثم جاءت بها، فأما النبى ﷺ فأكل منها شيئًا فلم يسغها وأما بشر بن البراء ابن معرور فأساغها، وقال النبى ﷺ: **«إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت»**[٢].

النبى ﷺ يخبر بموت القادة الثلاثة فى سرية مؤتة

لما أرسل النبى ﷺ جيشًا إلى سرية مؤتة وأمَّر عليهم ثلاثة وهم: زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة ﷺ وكانت مؤتة على مسافة بعيدة من المدينة.

فلما قُتل الثلاثة وقف النبى ﷺ يخبر أصحابه بخبر موتهم دون أن يخبره أحد من البشر.. فقد أخبره جبريل - عليه السلام - بذلك.

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبى ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: **«أخذ الراية زيد فأُصيب ثم أخذ جعفر فأُصيب ثم أخذ ابن رواحة فأُصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»**[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٧٦) كتاب المناقب، ومسلم (١٨٥٦) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١٩/ ٧٠)، وعبد الرزاق فى مصنفه (١١/ ٢٨)، وصححه العلامة الشامى فى فقه السيرة (١/ ٣٤٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦٢) كتاب المغازى.

تكثير الطعام فى تبوك

بُعث النبى ﷺ فـى بيئـة قليـلة الغـذاء والماء، وكـان هو وأصحـابه يتعرضون لحالات من الشدة يقل فـيها الطعام والماء أو يكاد ينعدم، فكان مما أيَّده الله به من المعجزات تكثـير القليل من الطعام والماء على يديه، فيتغلب هو وأصحابه بقـدرة الله تعالى بهذه المعجزات والخوارق على ظروف الـبيئة الصحـراوية القاسـية، التى يحتـاجون فيـها للطعـام والشراب، إلى جانب حاجتهم للماء من أجل الطهارة للعبادة، وأصبح ذلك من معجزاته التى رآها العشـرات والمئات بل والآلاف من أصـحابه، وتناقلها الناس فى عـهده ثم نُقلت إلينا بأصحِّ طرق الرواية، . . . وإليك طرفًا من هذه المعجزات.

*** خوارق ازدياد الطعام:**

فمن معجـزاته ﷺ الخارقة للعادة، أن يكثر الله الطعام القليل الذى لا يكفى إلا الأفراد، فإذا به بعد نزول البركة فيه بفضل دعائه صلى الله عليه وآله وسلم يكفى العشرات أو المئات أو الآلاف وقد وقع ذلك فى مواقف متعددة.

ومن خوارق تكثـير الطعام ليـكفى الآلاف من أتباعه ﷺ مـا حدث فى غزوة تبوك، حيث أصاب المسلـمين فيها مـجاعة، فقال الصـحابة: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا [(١)] فأكلنا وادَّهنَّا، فقال رسول الله ﷺ: «افعلوا». قال فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إن فعلت قَلَّ الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل فى ذلك [(٢)].

فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال: فدعا بنطع فـبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم قال فـجعل الرجل يجىء بكف ذرة قـال: ويجىء الآخر بكف تمرٍ

(١) نواضحنا: الناضح هو الدابة التى يستقى عليها والمقصود هنا الإبل.

(٢) قال النووى: فيـه محذوف تقديره يجعل فى ذلك بركة أو خـيراً أو نحو ذلك، شرح صحيح مسلم (١/ ١٧٢).

قال: ويجىء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شىء يسير قال: فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة ثم قال: «**خذوا فى أوعيتكم**» قال: فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملؤوه قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيُحجب عن الجنة**»[1][2].

بركة النبى ﷺ كانت سببًا فى عتق سلمان الفارسى

لما كاتَب سلمان الفارسى رضي الله عنه ذلك الرجل الذى كان يملكه على أن يدفع له ثلاثمائة ودية (شتلة) وأربعين أوقية من الذهب .. أخذ النبى ﷺ يدعو أصحابه ليساعدوا سلمان حتى يُصبح حرًّا.

فجاء هذا بثلاثين ودية (شتلة) وهذا بعشرين.. وهذا.. وهذا.. حتى جمع ثلاثمائة ودية.

فطلب منه النبى ﷺ أن يحفر لهم ولا يضع أى واحدة حتى يضعها النبى ﷺ بيده... فحفر لها وجاء النبى ﷺ ووضعهم جميعًا فما ماتت أى ودية (شتلة) ثم أعطاه النبى ﷺ قطعة من الذهب فى حجم بيضة ليؤدى أربعين أوقية من الذهب ويصبح حرًّا.. فتبسم سلمان وقال له: يا رسول الله ماذا تصنع تلك القطعة الصغيرة من الذهب؟.

فقال له ﷺ: «خذها فإن الله سيؤدى بها عنك»[3].

فأخذها سلمان فوزنها لهم فبلغت أربعين أوقية ذهب رغم صغر حجمها فأُعتق سلمان الفارسى وأصبح حرًّا ببركة النبى ﷺ.

---

[1] صحيح: رواه مسلم (٢٧) كتاب الإيمان.

[2] آيات الرسول ومعجزاته / للشيخ عبد المجيد الزندانى (ص:٢٦٨، ٢٧٠).

[3] حسن: رواه أحمد ، وابن سعد فى «الطبقات»، وحسنه الألبانى رحمه الله فى الصحيحة [illegible]).

الجمل يسجد للحبيب ﷺ

وفى يومٍ من الأيام كان هناك أهل بيت من الأنصار عندهم جمل يسقون عليه أرضهم فأصبح الجمل مفترسًا لا ينقاد لهم فذهبوا إلى النبى ﷺ يشكون إليه حالهم وأنهم قد أجدبت أرضهم بسبب ذلك الجمل.

* **وها هى القصة كاملة نذكرها من خلال هذا الحديث:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه (أى: يسقون عليه) وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسنى عليه، وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا» فقاموا، فدخل الحائط.. والجمل فى ناحيته، فمشى النبى ﷺ نحوه فقالت الأنصار: يا رسول الله إنه قد صار مثل الكلب الكلِب[1] وإنَّا نخاف عليك صَولته، فقال: «ليس علىَّ منه بأس»، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خَرَّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قَط، حتى أدخله فى العمل، فقال له أصحابه، يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك فقال: **«لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَم حقه عليها، والذى نفسى بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تتفجر بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدَّت حقه»**[2].

* * *

(١) أى: الكلب المفترس.

(٢) رواه أحمد، وقال ابن كثير (٦/ ١٤٩): إسناده جيد.

الوحش يوقر النبى ﷺ ويحترمه

كـان هناك حيـوان لآل رسول اللـه ﷺ . . فكان ذلك الوحش يلعب ويجرى فى البيت إذا خرج رسول الله ﷺ . . . فإذا عاد النبى ﷺ إلى البيت لم يتحرك وسكن فى مكانه.

ففى الحـديث الذى رواه أحمـد بإسناد حسـن من حديث عـائشة رضي الله عنها قـالت: كان لآل رسـول الله ﷺ وحش[1] فكان إذا خـرج رسـول الله ﷺ اشتد ولعب فى البيت فإذا دخل رسول الله ﷺ سكن فلم يتحرك كراهية أن يؤذيه.

كان النبى ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه

وكان من معجزات النبى ﷺ أنه يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

عن أبى هريرة قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يومًا. ثم انصرف فقال: **«يا فـلان! ألا تُحسنُ صـلاتك؟ ألا ينظرُ المُصلـى إذا صلى كـيف يُصلى؟ فـإنما يُصلى لنفسه. إنى والله لأُبصر من ورائى كما أُبصرُ من بين يدى»**[2].

الطعام والحصى يُسبح فى يد النبى ﷺ

لقد كان الصحابة يسمعون صوت الطعام وهو يُسبح فى يد النبى ﷺ.

وكانوا أيضًا يسمعون صوت تسبيح الحصى فى يد النبى ﷺ.

عن عبـد الله بن مسعـود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فقلَّ الماء، فقال: **«اطلبوا فضلة**

(1) الوحش: هو حيوان البر الوحشى مثل الحمار الوحشى والبقر الوحشى.
قال الشيخ مصطفى العدوى: أصل الـوحش كل ما لا يُستأنس من دواب البر، ولكن الذى يتبادر إلى الذهن هنا أنه القط. . . والله أعلم.

(2) صحيح: رواه مسلم (٤٢٣) كتاب الصلاة.

من ماء»، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده فى الإناء، ثم قال: **«حى على الطهور المبارك، والبركة من الله»**، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل(١).

* وفى رواية أنه قال: «كنا نسمع صوت تسبيح الحصى فى يد النبى ﷺ».

شهادة الشجر برسالة النبى ﷺ وطاعته لأمره

ولقد حدثت معجزات عجيبة للنبى ﷺ مع الشجر وسأذكر لكم بعض تلك المعجزات.

*** شجرة تخبر النبى ﷺ باستماع الجن إليه:**

ففى الليلة التى ذهب فيها الجن ليستمع إلى القرآن من فم النبى ﷺ .. كانت تلك الشجرة هى التى أخبرت النبى ﷺ بذلك.

ففى الحديث الذى رواه البخارى، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن الذى أخبر رسول الله ﷺ باستماع الجن إليه هى شجرة.... فقد ساق البخارى بإسناده إلى معن بن عبد الرحمن قال: سمعت أبى قال: سألت مسروقًا: من آذن النبى ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثنى أبوك - يعنى: عبد الله بن مسعود - أنه آذنت بهم شجرة.

*** شجرة تشهد للنبى ﷺ بالرسالة:**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فأقبل أعرابى فلما دنا قال له رسول الله: **«أين تريد؟»**. قال: إلى أهلى. قال: **«هل لك إلى خير؟»** قال: ما هو؟ قال: **«تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله»**.

قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: **«هذه الشجرة»**، فدعاها رسول

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٩) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٢٧٩) كتاب الفضائل.

لله ﷺ وهى على شاطئ الوادى فأقبلت تخدّ الأرض خدًّا [1] فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثًا فشهدت أنه كما قال، ثم أنها رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابى إلى قومه، فقال: إن يتبعونى أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك[2].

* النبى ﷺ يأمر غصنًا فيطيع أمره:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أعرابيًّا جاء إلى النبى ﷺ فقال: بِمَ أعرف أنك نبى؟!، قال: «**إن دعوتُ هذا العذق**[3] **من هذه النخلة تشهد أنى رسول الله؟**» فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبى ﷺ ثم قال: «**ارجع**»، فعاد فأسلم الأعرابى»[4].

* حنين الجذع شوقًا للنبى ﷺ :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبى ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل -: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «**إن شئتم**» فجعلوا له منبرًا فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ثم نزل النبى ﷺ فضمَّه إليه يئنّ أنين الصبى الذى يُسكَّن، قال[5]: «**كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها**»[6].

* * *

(١) أى: تشق الأرض شقًّا.

(٢) رواه البيهقى فى الدلائل (٦/ ١٥) والحاكم (٢/ ٦٢) وقال ابن كثير: إسناده جيد.

(٣) العذق فى النخلة: غصنها الذى يكون فيه الرطب، كعنقود العنب.

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٣/ ١٩٣).

(٥) أشار الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إلى أن قائل كانت تبكى.. هو رسول الله ﷺ.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٢٠٩٥) كتاب البيوع.

النبى ﷺ له قوة أربعين رجلاً من أهل الجنة

ولقد كان النبى ﷺ يمتلك قوة كبيرة.. فقد كان للنبى ﷺ قوة أربعين رجلاً من أهل الجنة.

* ففى الحديث الذى رواه البخارى أن أنس بن مالك قال لقتادة: كنا نتحدث أن النبى ﷺ أُعطى قوة ثلاثين (١).

- **وفى صفة الجنة لأبى نُعيم:** أن أنس بن مالك قال لقتادة: كنا نتحدث أن النبى ﷺ أُعطى قوة أربعين من رجال أهل الجنة.

* **ولعل سائلاً يسأل ويقول:** وكم تبلغ قوة الرجل من أهل الجنة؟

والجواب: أن قوة الرجل من أهل الجنة بمائة رجل من أهل الدنيا.

والدليل على ذلك قول النبى ﷺ:

«إن الرجل من أهل الجنة، ليُعطَى قوة مائة رجلٍ فى الأكل والشرب والشهوة والجماع، حاجةُ أحدهم عرق يفيضُ من جلده، فإذاً بطنُهُ قد ضمر» (٢).

* وعلى هذا يكون حساب قوة نبينا ﷺ بأربعة آلاف رجل.

الأرض تلفظ من أراد أن يخدع النبى ﷺ

روى أنس رضي الله عنه قال: كان رجُلٌ نصرانيًّا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتُبُ للنبى ﷺ، فعاد نصرانيًا ولحق بأهل الكتاب، فأُعجبوا به ورفعوه، فكان يقُولُ: ما يدرى مُحمدٌ إلا ما كتبتُ لهُ!! فأماتهُ اللهُ فدفنُوهُ فأصبح وقد لفظتهُ الأرض، فقالُوا: هذا فعلُ مُحمدٍ وأصحابه لما هرب منهم نبشُوا عن صاحبنا فألقوهُ! فحفرُوا لهُ فأعمقُوا، فأصبح وقد لفظتهُ الأرضُ فقالُوا: هذا فعلُ مُحمدٍ وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهُم

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٦٨) كتاب الغسل.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢٧).

فألقوه!! فحفروا له وأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه، وتركوه منبوذاً [١]

استجابة الله - عزوجل - لدعائه ﷺ

لقد كان النبى ﷺ مؤيَّداً من السماء... فهو سيد الأولين والآخرين، وهو حبيب الرحمن -جل وعلا-.

وها نحن نعيش مع بعض دعوات النبى ﷺ التى استُجيبت فى الحال أو حتى بعد ذلك بزمان - مع العلم بأن هناك أدعية ادَّخرها الله لحبيبه ﷺ ليوم القيامة-.

* استجابة دعائه ﷺ فيما دعا فيه:

لقد كان رسول الله ﷺ مستجاب الدعوة فيما يدعو فيه ربه من قضاء الحوائج وتفريج الكرب وشفاء المرض وتحقيق المطالب وحلول البركة، حتى تواتر هذا الأمر عنه، فكان ذلك شاهداً من حاله بتصديق الله له بإجابة دعائه: وحوادث إجابة دعائه ﷺ كثيرة:

* منها: أنه لما قدم المدينة كانت من أوبأ أرض الله كما قالت عائشة رضي الله عنها فدعا الله أن ينقل حُمَّى المدينة إلى الجحفة [٢] وأن يجعل المدينة صحيحة فكان ذلك [٣]

* ودعا الله لأم أبى هريرة أن تُسلم، فلما رجع أبو هريرة إلى البيت أعلنت إسلامها [٤]

ودعا لعبد الله بن عباس بالفقه فى الدين [٥]، فأصبح أحد علماء الأمة،

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦١٧) كتاب المناقب، ومسلم (٢٧٨١) كتاب صفات المنافقين.

(٢) الجحفة: قرية بين مكة والمدينة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٧٢) كتاب الدعوات، ومسلم (١٣٧٦) كتاب الحج.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٤٩١) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٣) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٤٧٧) كتاب فضائل الصحابة.

حتى لُقِّب بحبر الأمة وترجمان القرآن.

* ودعا لأنس بن مالك بالمال والولد والبركة فى ذلك، فكان من أكثر الأنصار مالاً وولدًا [(١)].

* ودعا للسائب بن يزيد بالبركة، فبلغ أربعًا وتسعين سنة وهو جَلْدٌ معتدل يتمتع بسمعه وبصره [(٢)].

* ودعا لقبيلة دوس بالهداية [(٣)]، فهداهم الله بعد أن أبوا الإسلام.

* واشتكى إليه جرير بن عبد الله أنه لا يثبت على فرسه، فدعا الله له فلم يسقط عن فرس بعد ذلك [(٤)].

* واشتكى إليه على بن أبى طالب ضعف الخبرة فى القضاء، فدعا له بالبصيرة فى القضاء، قال على: فما شككت فى قضاء بعد هذا [(٥)].

* واستأذنه شاب فى الزنا فصرفه عن ذلك بأسلوب حكيمٍ رحيم ثم دعا له بتحصين فرجه فكان ذلك الفتى لا يلتفت إلى شيء [(٦)].

* ودعا لسعد بن أبى وقاص أن يكون مستجاب الدعاء.. فكان بعد ذلك إذا دعا استجاب الله دعاءه [(٧)].

* ودعا لأبى هريرة ألا ينسى أى حديث حفظه من النبى ﷺ فكان أبو هريرة لا ينسى حديثًا سمعه من النبى ﷺ أبدًا [(٨)].

* ودعا الله عز وجل أن يُعِزَّ الإسلام إما بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٨٥) كتاب الصوم، ومسلم (٦٦٠) كتاب المساجد.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٠) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٣٤٥) كتاب الفضائل.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٣٧) كتاب الجهاد، ومسلم (٢٥٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٢٠) كتاب الجهاد، ومسلم (٢٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) رواه أحمد (٢/ ٦٨).

(٦) صحيح: أخرجه أحمد (٥ / ٢٥٦ - ٢٥٧)، وصححه الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٧٠).

(٧) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الترمذى.

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٥٤) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (٢٤٩٢) كتاب فضائل الصحابة.

هشام (أبو جهل) فاستجاب الله له وهَدَى عمر بن الخطاب فى اليوم الثانى[١].

* ودعا لقبيلة ثقيف بالهداية[٢]، فأقبلوا مهتدين بعد أن حاربوا المسلمين[٣].

* ودعا لأصحابه يوم بدر بالرزق ففتح الله عليهم بعد ذلك[٤].

* ودعا لأم المؤمنين أم سلمة بأن يُذهب الله غيرتها [٥]، فاستجاب الله سبحانه له[٦].

*** استجابة دعائه على من دعا عليهم:**

وقد حصل ذلك فى حوادث متعددة، . . . فمن ذلك أنه دعا على الكفار حين رأى منهم إدبارًا عن الحق، فقال: اللهم سبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حصدت كل شىء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع[٧].

* ودعا على سبعة من قريش كانوا يهزءون به والإسلام، فقال عبد الله ابن مسعود إنه رآهم صرعى فى قليب بدر[٨].

* ودعا على عامر بن الطفيل[٩] عندما هدد بغزو المدينة، فأصابته غدة[١٠] ومات على ظهر فرسه[١١].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى وابن ماجة، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٢٢٥).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة.

(٣) صحيح: رواه البخارى.

(٤) رواه الحاكم.

(٥) رواه النسائى فى السنن الكبرى.

(٦) رواه أبو يعلى.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٠٧) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٧٩٨) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٣٤) كتاب الجهاد، ومسلم (١٧٩٤) كتاب الجهاد.

(٩) المستدرك (٤/ ٩٢).

(١٠) الغدة: العقدة فى الجسم يطيف بها الشحم.

(١١) صحيح: رواه البخارى (٤٠٩١) كتاب المغازى.

* ودعا على رجل تكبَّر وأبَى أن يأكل بيمينه زاعمًا أنه لا يستطيع، فقال: لا استطعت!! فما رفعها إلى فيه[١].

وكان ابن أبى لهب يسب النبى ﷺ فدعا عليه النبى ﷺ قائلاً: اللهم سلط عليه كلبك، فخرج إلى الشام تاجرًا فنزل منزلاً فقال: إنى أخاف دعوة محمد، فطمأنه رفاقه وناموا حوله وجعلوه وسطهم، فجاء الأسد ودخل إليه قاصدًا إياه فافترسه[٢].

إلى غير ذلك من دعواته ﷺ على من دعا عليهم[٣]،.... وإجابة دعواته على من كفر به شهادة من الله على صدق رسالته، وعلى أن الكفر به جريمة يستحق صاحبها العقوبة.

استجابة دعائه فى الاستسقاء

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجُلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسُولُ الله ﷺ قائمٌ يخطُب، فاستقبل رسُول الله ﷺ قائمًا فقال: يا رسُول الله! هلكت المواشى وانقطعت السُّبل فادعُ الله أن يُغيثُنا، قال فرفع رسُولُ الله ﷺ يديه فقال: «**اللهُم اسقنا، اللهُم اسقنا، اللهُم اسقنا**»، قال أنسُ: ولا والله ما نرى فى السماء من سحابٍ ولا قزعةٍ[٤] ولا شيئًا وما بيننا وبين سلعٍ[٥] من بيتٍ ولا دارٍ، قال: فطلعت من ورائه سحابةٌ مثلُ الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثُم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستًّا، ثُم دخل رجلٌ من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسُولُ الله ﷺ قائمٌ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢١) كتاب الأشربة.

(٢) المستدرك (٢/ ٥٨٨).

(٣) دلائل النبوة/ لسعيد باشنفر (١/ ٣٥٥) (٢/ ٣٩٧).

(٤) ولا قزعة: القزعة هى قطعة من الغيم.

(٥) سلع: جبل فى المدينة.

يخطُبُ فاستقبلهُ قائمًا، فقال: يا رسُول الله هلكت الأموالُ وانقطعت السبُلُ فادعُ الله أن يُمسكها قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثُم قال: **«اللهُم حوالينا ولا علينا اللهُم على الآكام[١] والجبال والآجام[٢] والظراب[٣] والأودية ومنابت الشجر»**، قال: فانقطعت وخرجنا نمشى فى الشمس[٤].

إخباره ﷺ ببعض الأمور المستقبلية التى أطلعه الله عليها

إن معرفة الغيب على إطلاقه لا يكون إلا لله جل وعلا.

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[٥].

ولقد أطلع الله - عز وجل - نبينا ﷺ على الكثير والكثير حتى إن الحبيب ﷺ أخبر أمته بعلامات الساعة الصغرى والكبرى.

ووقع كل ما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ ما عدا تلك العلامات التى لم يأتِ موعد ظهورها.

ومن ذلك أن النبى ﷺ عندما صعد أُحُدًا (جبل أُحد) ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: **«اثبُت أُحد فإنما عليك نبىٌ وصدِّيق وشهيدان»**[٦]. وبالفعل قُتل عمر وعثمان رضي الله عنهما ورزقهما الله الشهادة.

بل لقد ذكر النبى ﷺ المبشرين بالجنة من أصحابه رضي الله عنهم وكلهم ماتوا على التوحيد ولم يرتد واحدٌ منهم.

(١) الآكام: جمع أكمة وهى الراعية.

(٢) الآجام: جمع أجم وهو الحصن.

(٣) الظراب: الجبال الصغار.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠١٣) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٩٥) كتاب صلاة الاستسقاء.

(٥) سورة الجن: الآيات: (٢٦- ٢٨).

(٦) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٥) كتاب المناقب.

ومن هذا البـاب ما أخبـر به النبى ﷺ عندمـا قال: «إذا هلك كسـرى فلا كـسرى بعـده، وإذا هلك قـيصـر فلا قـيـصر بعـده، والذى نفسـى بيده لتُنفـقن كنوزهما فى سبيل الله»[(١)] .

ومن هذا الباب قول النبى ﷺ : «إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغُرباء»[(٢)] .

وأخبر أيضًـا ﷺ بعد ذلك بنُصرة الإسلام وبأن الإسلام سـينتشر فى الكون كله وستـدين الأرض كلها لله -جل وعلا- فقـال ﷺ فى حديث خبَّاب رضي الله عنه : **«والله ليتُمنَّ الـله تعالى هذا الأمر حتى يسيـر الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[(٣)] .**

ولو اسـتطردنا فى الأمـثلة لطال الحـديث عن ذلك، ولكن حـسبُنا مـا ذكرناه . .

معجزات شفاء المرضى وخوارقها

كـان أصحـاب النبى ﷺ يتعـرضون لأنواع من المرض والجـراح أثناء غزواتهم، فيأتيه بعضهم فيدعو الله لهم، فيكرمه الله بشفاء من دعا له على الفور أمام أعـين المشاهدين، وقد سـجلت السُّنَّة الصحيحـة عددًا من هذه المعجزات، نذكر منها ما يلى:

(١) شفاء على رضي الله عنه من رمده فى غزوة خيبر:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول يوم خيبر: لأُعطين الراية رجلاً يفـتح الله على يديه، فقـاموا يرجون لذلك أيهم يُعطَى فـغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: **«أين على؟»** فقيل يشتكى عينيه، فأمر فدُعى

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣١٢٠) كتاب فرض الخمس، ومسلم (٢٩١٨) كتاب الفتن.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٦) كتاب الإيمان.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٣٨٥٢) كتاب المناقب.

له فبصق فى عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: **«على رِسْلِك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمر النعم»**[1].

(٢) شفاء ساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

عن يزيد بن أبى عبيد قال رأيت أثر ضربة فى ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلمٍ ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر، فقال الناس: أُصيب سلمة! فأتيت النبى ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة[2].

(٣) شفاء ساق عبد الله بن عتيك:

عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبى رافع اليهودى رجالاً من الأنصار، فأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان فى حصن له بأرض الحجاز (وذكر قصة قتله) ثم قال: فعرفت أنى قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت إلى الأرض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا؟ فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز! فانطلقت إلى أصحابى فقلت: النجاء! فقد قتل الله أبا رافعٍ! فانتهيت إلى النبى ﷺ فحدثته، فقال: **«ابسُط رجلك»**، فبسطت رجلى فمسحها فكأنها لم أشتكها قط[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٩٤٢) كتاب الجهاد، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٤٢٠٦) كتاب المغازى.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٤٠٣٩) كتاب المغازى.



(٤) ظهور أثر بركته في مسحه رأس حنظلة بن حذيم:

مسح النبى ﷺ رأس حنظلة بن حذيم وقال: بارك الله فيك أو بورك فيه، فكان حنظلة بعد ذلك إذا أتى بإنسان متورم الوجه أو بهيمة وارمة الضرع، يتفل على يديه، ثم يضع يده على رأسه على الموضع الذى مسحه رسول الله ﷺ، ثم يمسح مكان الورم فيذهب الورم[1].

هذا وقد علَّم النبى ﷺ الصحابة والمسلمين من بعدهم أدعية يدعون بها لكشف المرض فيجدون الشفاء المستمر، وهذا موجود إلى يومنا هذا.

(٥) شفاء عين أبى قتادة:

عن قتادة بن النعمان، أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ، فقال: «لا»، فدعاه، فغمز حدقته براحته، فكان لا يدرى أى عينيه أُصيبت.

خاتم النبوة

ويلحق بالخوارق ما وُجد من علامة على ظهره الشريف ﷺ تدل على نبوته، وقد كان أهل الكتاب يعلمون هذه العلامة، وذكر أحد علمائهم ذلك لسلمان الفارسى رضي الله عنه ليعرف بها رسول الله ﷺ، ولما ذهب سلمان إلى المدينة النبوية تحقق من ذلك فرأى الخاتم، ورأى الخاتم أيضًا جماعة من الصحابة.

فعن السائب بن يزيد يقول: ذهبت بى خالتى إلى النبى ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن ابن أختى وجع، فمسح رأسى ودعا لى بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة[2].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٥/٦٧) وقال فى مجمع الزوائد (٤/٢١١) ورجاله ثقات.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٠) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٣٤٥) كتاب الفضائل.

تعظيم أمر سُنة الحبيب صلى الله عليه وسلم

تعظيم أمر سُنة الحبيب ﷺ [1]

(١) السنة والقرآن بمنزلة واحدة:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2].

(٢) السنة محفوظة إلى يوم القيامة:

عن معاوية ﵁ **قال:** سمعتُ رسُول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفةٌ من أمتى قائمةً بأمر الله لا يضُرُّهُم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتى أمر الله وهُم ظاهرون على الناس**»[3].

- يؤخَذ من الحديث، أن الله عز وجل قد تكفل بحفظ السنة كما تَكفل بحفظ الذكر الحكيم ولا يضيرنا أن هناك بعض الأحاديث المختلقة المنسوبة إلى الرسول ﷺ ما دام أن هناك رجالاً قد قيدهم الله لتنقية هذه الأحاديث، ومعرفة الصحيح منها والضعيف والموضوع.

والشاهد من الحديث: أن الله قد تكفل بحفظ السنة من جهتين:

الجهة الأولى: أن هذه الطائفة التى ستبقى على الحق حتى يأتى أمر الله، هى فى أشد الحاجة إلى السنة الصحيحة، فبدون السنة لا تستطيع أى فئة أن تثبت على الحق.

الجهة الثانية: أن ضياع السنة - ونعوذ بالله من وقوع ذلك - لو حدث فهو دليل على أن الأمة ليس فيها طائفة قائمة بأمر الله، تحفظ السنة فى قلوبها وتطبقها فى أعمالها.

---

(١) بتصرف من كتاب (شمائل الرسول ﷺ) الجزء الثانى / الشيخ أحمد عبد الفتاح الزواوى.

(٢) سورة النجم: الآيتان: (٣-٤).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (١٠٣٧) كتاب الإمارة.

(٣) السنة تبيان للقرآن:

أبان الشافعي - رحمه الله تعالى - عن هذا الأمر أوضح بيان فقال: قال الله - تبارك وتعالى - ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾(١)، وقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(٢)، وقال: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾(٣)، ثم بيَّن على لسان رسوله ﷺ عدد ما فرض من الصلوات ومواقيتها وسُننها، وعدد الزكاة ومواقيتها، وكيف عمل الحج والعمرة.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٤).

من مظاهر تعظيم سنة المصطفى ﷺ أن الله - سبحانه وتعالى - قد جعلها تبيانًا لكلامه العزيز، وهو القرآن العظيم، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(٤) نفى الهوى عن كل ما جاء بالسنة:

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(٥).

تلك الآيات الكريمات من أبلغ الثناء على النبى ﷺ وعلى كل ما جاء به من السنة النبوية الشريفة المطهرة... قال الإمام القرطبى - رحمه الله تعالى: (أى ما ضل محمد ﷺ عن الحق وما حاد عنه، والغيُّ ضد الرشد أى ما صار غاويًا وقيل: أى ما تكلم بالباطل)(٦).

وقال شيخ الإسلام ابن القيم - رحمه الله تعالى- : (رأس الأدب مع

(١) سورة النساء: الآية: (١٠٣).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٤٣).
(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٦).
(٤) سورة النحل: الآية: (٤٤).
(٥) سورة النجم: الآيتان: (١-٤).
(٦) انظر «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٨٤).

الرسول ﷺ : كمال التسليم له، والانقياد لأمره وتلقّي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يُحمِّله معارضة بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يُحمِّله شُبهة أو شكًّا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وحَّد المرسِل - سبحانه وتعالى - بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل)[١].

(٥) تسمية السنة حكمة:

من دلائل عظيم أمر سنة النبي ﷺ أن سماها الله عز وجل حكمة.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[٢]، والحكمة من أجمل وأتم الصفات التي يمكن أن تُسمَّى بها الأشياء لكثرة وكمال معانيها، فالحكمة لها معانٍ كثيرة، ومنها:

هى القول المأثور وهى الحصافة، وهى جودة الرأى، وهى كمال القوة النظرية.

وقد فسر العلماء المراد من الحكمة التى تعطف على الكتاب فى آيات القرآن الكريم بمعانٍ كثيرة ولكنها متشابهة تدور كلها حول السنة وما علَّمه النبى ﷺ لأصحابه ﷺ، فقد قال ابن كثير - رحمه الله تعالى : **﴿ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ ﴾** هو القرآن، **﴿ وَالْحِكْمَةِ ﴾**[٣] وهى السنة).

والذى يبين بجلاءٍ عظيم أمر السنة ومكانتها فى هذا الدين أن إبراهيم عليه السلام دعا ربه أن يبعث فى هذه الأمة رسولاً يعلمها الكتاب والحكمة، قال الله تعالى على لسان إبراهيم: **﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾**[٤].

---

(١) انظر «مدارج السالكين» (٢/ ١١٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١١٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٣١).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٢٩).

(٦) السنة شرط فى قبول العمل:

اتفق العلماء على وجوب توفر شرطين فى العمل حتى يكون مقبولاً عند الله تعالى: الأول: الإخلاص لله تعالى. والثانى: موافقته هدى النبى ﷺ وسنته.... فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ**»[١].

أقول: لو أننا تمسكنا بهذا الحديث، وعملنا به، لحفظنا للإسلام جماله، وللشرع بهاءه، وللسنة حلاوتها، ولو أننا تحاكمنا إليه إذا اختلفنا، لما وصل الحال بنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من التحزُّب والتفرق والتطاحن والتشرذم، كيف لا، والنبى ﷺ قد ترك لنا قاعدة عظيمة فى بيان متى تصح العبادة ومتى تفسد، ومتى يقبلها الله عز وجل، ومتى يردها فى وجه صاحبها.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وهذا الحديث معدودٌ من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع فى الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يُلتفت إليه، وقال أيضًا - رحمه الله - الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير مُعتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح فى رد كل البدع والمخترعات)[٢].

(٧) الوعيد الشديد لمن كذب على صاحبها ﷺ:

إن من كمال تعظيم سنته ﷺ وتمام ذلك، هو البعد كل البعد عن الكذب على صاحب السنة الغرَّاء والحرص كل الحرص على نشر سنته ﷺ وتبليغها على أكمل وجه حيث قال ﷺ: «**ألا ليُبلغ الشاهد منكم الغائب**»[٣]. وقوله: «**بلِّغُوا عنى ولو آية**»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٩٧) كتاب الصلح، ومسلم (١٧١٨) كتاب الأقضية.

(٢) انظر «فتح البارى» (٥/ ٣٠٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٥) كتاب العلم، ومسلم (١٦٧٩) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٤٦١) كتاب أحاديث الأنبياء.

عن **المُغيرة** رضي الله عنه **قال**: سمعتُ النبى ﷺ يقُولُ: «**إن كَذبًا علىَّ ليس ككذب على أحد، من كذب علىَّ مُتعمدًا فليتبوأ مقعدهُ من النار**»(١).

وقد عظم الله - سبحانه وتعالى - أمر الكذب على النبى ﷺ غاية التعظيم وذلك بتشديد عقوبته والتفريق بين الكذب عليه والكذب على غيره من البشر، ذلك أن الكذب على النبى ﷺ إنما هو كذب على الله عز وجل، فالنبى ﷺ إنما هو مُبلِّغ عن ربه، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾(٢).

(٨) سوء عاقبة من كذب على النبى ﷺ :

عن **أنس** رضي الله عنه **قال**: (كان رجُلٌ نصرانيًّا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتُبُ للنبى ﷺ فعاد نصرانيًّا، فكان يقول: ما يدرى مُحمد إلا ما كتبتُ لهُ فأماته الله فدفنُوهُ فأصبح، وقد لفظته الأرض. فقالوا: هذا فعْلُ مُحمد وأصحابه لما هرب منهُم نبشوا عن صاحبنا فألقوهُ. . . فحفرُوا لهُ فأعمقُوا فأصبح، وقد لفظته الأرضُ. فقالوا هذا فعلُ مُحمد وأصحابه نبشُوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه فحفرُوا لهُ وأعمقُوا لهُ فى الأرض ما استطاعُوا فأصبح وقد لفظته الأرض. فعلمُوا أنهُ ليس من الناس، فألقوهُ)(٣).

هذا شاهد عظيم على سوء عاقبة من كذب على النبى ﷺ ، شاهد يقشعر منه البدن وينفطر له القلب، ومن منا يسمع ويتدبر هذا الحديث ولا يخاف من أدنى الكذب على الرسول ﷺ .

* * *

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٢٩١) كتاب الجنائز، ومسلم (٤) كتاب المقدمة.

(٢) سورة النجم: الآية: (٤).

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٣٦١٧) كتاب المناقب.

بعض مظاهر العناية الإلهية

بأزواج النبى صلى الله عليه وسلم

بعض مظاهر العناية الإلهية بأزواج النبى ﷺ (١)

* أولاً: تربيتهن على أحسن الأقوال والأفعال والأخلاق:

لم يقتصر اعتناء الله - سبحانه وتعالى - بالنبى ﷺ وحده، ولكن شمل هذا الاعتناء الإلهى أزواجه الطاهرات الميامين، فأمرهن بأفضل الأقوال والأفعال، وشرَّفهن على النساء جميعًا لمنزلتهن وقربهن من خير الخلق نبينا محمد ﷺ.

* وها هى بعض مظاهر العناية الإلهية بأزواج النبى ﷺ:

(١) وجوب الزهد فى الدنيا:

لما اجتمع نساء النبى ﷺ عليه وطلبن منه زيادة النفقة والكسوة، أنزل الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً**﴾(٢) ليعلمهن أن زوجات النبى ﷺ لا يليق بهن التعلق بشىء من الدنيا أو التشوُّف إليها، وكفاهن ما هن فيه من القرب من رسول الله ﷺ، وسماع القرآن والحكمة النبوية.

٢- حثهن على اختيار الله ورسوله والدار الآخرة:

من دلائل حب الله لأمهات المؤمنين ﵅ أن رغَّبهُن أعظم الترغيب فى اختيار الله ورسوله والدار الآخرة، فقال تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾(٣).

(١) بتصرف من كتاب (شمائل الرسول ﷺ) الجزء الثانى - الشيخ أحمد عبد الفتاح الزواوى.
(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢٨).
(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٢٩).

فمن مظاهر الترغيب فى الآية:

* تصدير جواب الشرط بـ «إن» لإفادة توكيد الأجر للمحسنات.

* نصَّت الآية على أن الذى أعد الأجـر هو الله - سُبحـانه وتعالى -، لقوله: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ**﴾ وكفى بذلك تنويهًـا لكريم الأجر وعظيم قدر من أُعد له الأجر.

* وصف من اختارت الله ورسوله والـدار الآخرة بأعلى مراتب الإيمان وهو الإحسان ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ**﴾.

* تخصيص الأجر العظيم لمن اختارت الله ورسوله دون سواهما.

قال تعـالى: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ**﴾ إشعـارًا بأن هذا الأجر لن يشاركهن فيه أحد أبدًا.

* وصف الأجر المتـرتب على اختـيار الله ورسـوله بـ (العظيم)، ولك أخى القارئ أن تـتخيل مـقدار هذا الأجـر فهو عظـيم فى قدره، عظيم فى وصفه، ويكفى أن الذى أعده هو العظيم، وقد وصفه بالعظيم.

(٣) تضعيف العذاب لمن ارتكبت شيئًا (حاشا لله):

قال تعالى: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾[(١)].

وهذا أيضًا من أوجه التأديب الربانى لأمهات المؤمنين، ليزداد حذرهن من الفواحش، وليشعـرن أن أعراضهن ليست كأعراض غـيرهن من النساء، قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (فلما كانت محلتهن رفيعةً ناسَب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مُغلَّظًا صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع). انتهى[(٢)].

ويختلف نظر المؤمـن والمنافق لهذه الآية، فأمـا المؤمن فيرى فيـها عظيم

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٠).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٣).

قدر أعراض أمهات المؤمنين، وأن الله أراد بهذه الآية إظهار شرفهن وفضلهن، وأما المنافق فيرى أن فعل الشرط دليل على إمكانية وقوعه، وآيات القرآن الكريم تَرُد عليه،... قال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] فهل يتصور أحد أن يقع الشرك منه ﷺ .

(٤) مضاعفة الأجر للقانتات منهن (وهن جميعًا كذلك):

لما حذَّرهن الله - سبُحانه وتعالى - من الوقوع فى الفواحش بمضاعفة العذاب، كان من المناسب أن يُرغبهُن فى طاعة الله ورسوله بمضاعفة الأجر، قال ابن كثير - رحمه الله - فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾[2] قال: (أى فى الجنة فإنهن فى منازل رسول الله ﷺ فى أعلى عِلِّيين فوق منازل جميع الخلائق التى هى أقرب منازل الجنة إلى العرش)[3].

(٥) عدم تسويتهن ببقية النساء:

قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[4]، وهذا تشريف عظيم لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن حيث أثبت الله أنهن باستكمال التقوى لن يساويهن أحد من نساء الأمة، وفى الآية أيضًا أبلغ الحث لهن بتقوى الله عز وجل لضمان بلوغ هذه المنزلة العالية الرفيعة التى لن تبلغها امرأة من نساء الأمة.

(٦) أمرهن بأحسن الأفعال والأقوال والأخلاق:

أما أحسن الأفعال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، وتبليغ الكتاب والسنة، والتزام الحجاب والعفة.

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٥).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣١).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٣).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٣٢).

وأحسن الأقوال: أن يكون كل كلامهن معروفًا.

وأما أحسن الأخلاق: عدم الخضوع بالقول (أى التكسُّر فيه) والقرار فى البيت.

(٧) إرادة الله كمال طهرهن وعفتهن:

وهى إرادة خاصة بأهل البيت، ودليله من الآية قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[(١)] وهذه الإرادة الخاصة تدل على عظيم اعتناء الله - سُبحانه وتعالى - بأمهات المؤمنين وزيادة شرفهن على كل أفراد الأمة.

(٨) تذكيرهن بشرف بيوتهن:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[(٢)].

وهى أعظم منة امتن الله بها على نساء النبى ﷺ بعد زواجهن منه، أن جعل بيوتهن محلاً لتلاوة القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة، وإذا كان واجبًا على كل مسلم أن يسعى إلى حِلَق العلم والذكر فأعتقد أن نساء النبى ﷺ غير مكلفات بذلك؛ لأن العلم والذكر قد جاء إلى بيوتهن وبذلك قد كفاهن الله مؤونة السعى إليهما، وهذا مما يزيد فى شرفهن وفضلهن.

(٩) إعلامهن بلطف الله بهن:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[(٣)]؛ قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (أى بلطفه بكن بلغتُن هذه المنزلة وبخبرته بكن وأنَّكُن أهلٌ لذلك أعطاكن ذلك وخصَّكن بذلك)[(٤)].

وقال ابن جرير: (أى ذا لطف بكن إذ جعلكن فى البيوت التى تُتلى فيها آياتُ الله والحكمة - وهى السنة - خبيرًا بكن إذ اختاركن لرسوله)[(٥)].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٢)، (٣) سورة الأحزاب: الآية: (٣٤).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٧).

(٥) انظر تفسير ابن جرير (٢٢/ ٩).

من كل ما تقدم نعلم المنزلة العالية الرفيعة لأمهات المؤمنين، حيث لم يدع الله - سُبحانه وتعالى - معروفًا إلا حثَّهن عليه ورغبهن فيه، ولم يترك مُحرمًا إلا حذَّرهن منه، كما لم يترك شرفًا ولا فضلاً إلا وأثبته لهن بأكمل وأوفر ما يكون، وما كان ذلك إلا لقربهن واقترانهن بالنبى ﷺ .

*** ثانيًا: جعلهن قدوة لغيرهن:**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1] .

هذه الآية دليل على أن أزواج النبى ﷺ هن قدوة لغيرهن من نساء الأمة جميعًا، فى الامتثال لأوامر الله تعالى. وجميع الآيات القرآنية التى توجه خطاب الأمر أو النهى إلى أزواج النبى ﷺ يدخل فيه قطعًا نساء الأمة، إلا ما ورد الدليل بتخصيصهن بهذا الأمر دون غيرهن.

*** من فوائد الآية الكريمة:**

الفائدة الأولى: نساء النبى ﷺ وبناته هن أفضل نساء الأمة إطلاقًا، ودليله أن الله - سبحانه وتعالى - أمر النبى ﷺ أن يوجه الخطاب أولاً لهن ثم يأتى من بعد ذلك نساءُ الأمة، وما كان ذلك إلا لشرفهن رضى الله عنهن جميعًا.

الفائدة الثانية: على الداعية أن يبدأ بأهل بيته أولاً ثم بالأبعد فالأبعد، وأن أهل بيت الداعية هم محط أنظار عامة الناس، فهم يحكمون على صدق الداعية بالنظر إلى أحوال أهله.

ويتفرع عليه أن أهل الداعية عليهن مسئولية عظيمة فى تصديق الناس للداعية أو تكذيبه فعليهن أن يتقين الله فى ذلك.

الفائدة الثالثة: قد يؤخذ من الآية أن أزواج النبى ﷺ أعظم شرفًا من

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٩).

بناته؛ لذلك بدأ الله بهن الأمر بالحجاب، وقد يُقوِّي ذلك أن أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين ولم يثبت ذلك الحكم لبناته رضى الله عنهن جميعًا.

*** ثالثًا: إلزام الأمة توقيرهن:**

قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[١].

هذا الحكم من أجلِّ صور تكريم وتشريف أزواج النبى ﷺ بأن جعلهن الله - تبارك وتعالى - بمنزلة أُمهات المؤمنين.

قال الإمام القرطبى - رحمه الله -: (شرَّف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين أى فى وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبهن ﵅ بخلاف الأمهات، وقيل: لما كانت شفقتهن عليهم كشفقة الأمهات أُنزلن منزلة الأمهات)[٢].

كما قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أى فى الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع. انتهى[٣].

*** رابعًا: تحريم النظر إليهن بالكلية:**

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[٤].

هذا أدب آخر علَّمه الله - سُبحانه وتعالى - للمؤمنين عند مخاطبتهن أمهات المؤمنين ﵅ حيث نهاهم الله أن يسألهن المتاع - وهو ما احتيج إليه من أوانى المنزل أو غيره وسائر المرافق من أمور الدنيا والآخرة - إلا من رواء ستر، وهذا الأدب إذا انضم إلى آداب دخول بيوت النبى ﷺ تم عِقْد

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٢٣).
(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٩).
(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).

لآداب المرعية فى التعامل مع بيوت النبى ﷺ وأهل بيته الشريفات العفيفات، فآية واحدة علمت الصحابة ما ينبغى لهم أن يفعلوه إذا دُعوا إلى طعام أو إذا احتاجوا إلى متاع.

قال الإمام القرطبى - رحمه الله -: (فى هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن فى مسألتهن من وراء حجاب فى حاجة تعرض أو مسألة يُستفتين فيها. ويدخل فى ذلك جميع النساء بالمعنى بما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة بدنها وصوتها، فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كشهادة عليها أو داء يكون ببدنها أو سؤالها عما يعرض وتعين عندها). انتهى[(١)].

*** خامسًا: تحريم الزواج منهن:**

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا**﴾[(٢)].

من أعظم مظاهر تعظيم أزواج النبى ﷺ، اللاتى هن أمهات المؤمنين، تحريم الزواج منهن بعد النبى ﷺ.

*** فوائد الآية الكريمة:**

الفائدة الأولى: تحريم فعل ما فيه أدنى إيذاء للنبى ﷺ، سواء كان هذا الإيذاء بسبب إضافة ما لا يليق إلى شخصه الكريم ﷺ، أو لشرعه المطهر، أو لسنته الشريفة، أو لأهل بيته الكرام الميامين، أو لأحدٍ من أصحابه، فكل ذلك فى الإيذاء سواء، ودليله أن الآية نهت عن مطلق إيذاء النبى ﷺ دون تقييد بإيذاء مباشر أو غير مباشر، أو إيذاء صغير أو كبير، وذكرت الآية أن هذا الإيذاء - المطلق - هو أمرٌ عظيم عند الله.

الفائدة الثانية: فى حكمة هذا التحريم الأبدى للزواج من أمهات

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٢٧).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).

المؤمنين، ذكر العلماء أسبابًا لهذا التحريم، نورد بعضها:

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (اجتمع العلماء قاطبة على أن من تُوُفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجُها من بعده؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين)[١].

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (حرم الله نكاح أزواجه ﷺ من بعده، وجعل لهن حكم أمهات المؤمنين، وهذا من خصائصه تميـيزًا لشرفه وتنبيهًا عـلى مرتبته ﷺ)، وأضاف قائلاً: (وإنما مُنع من التزوُّج بزوجاته لأنهن أزواجُه في الجنة وأن المرأة في الجنة لآخر أزواجها)[٢].

* سادسًا: تبرئة أعراضهن:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

نزلت هذه الآيات الكريمات في تبرئة زوج النبي ﷺ، عائشة رضي الله عنها، مما خاض فيه طائفة من الصحابة والمنافقين من حديث الإفك.

* * *

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٧).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٢٩).

(٣) سورة النور: الآيات: (١١-١٤).

مظاهر حُب وإجلال الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم

مظاهر حُب وإجلال الصحابة للنبى ﷺ [١]

(١) التصديق المُطلق:

وذلك لأنهم يعلمون أن النبى ﷺ إنما يخبر عن رب العزة (جل وعلا) ولذا قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾[٢] .

ولقد أخبر النبى ﷺ بأشياء كثيرة فوقعت كما أخبر. . . وكان الصحابة يرون ذلك أمام أعينهم.

ومن بين تلك الأشياء: قول النبى ﷺ : **«إذا هلك كِسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفسى بيده لتُنفقن كنوزهما فى سبيلَ الله»**[٣] .

ولقد وقع ما أخبر عنه النبى ﷺ تمامًا.

* **وقال** ﷺ : **«صنفان من أهل النار لم أرهما: رجال معهم سياط كأذناب البقر»** أى: كذيل البقرة - **يضربون بها الناس.**

والصنف الثانى: **«نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها يوجد من مسيرة كذا وكذا»**[٤] ، هل رأى النبى ﷺ الكاسيات العاريات؟

لا. . . وها نحن نرى هذا الوصف النبوى الدقيق فى أيامنا كما أخبر الصادق المصطفى ﷺ : **«نساء كاسيات عاريات»** بمعنى أن المرأة كاسية

---

(١) بتصرف من كتاب (شمائل الرسول ﷺ) الجزء الثانى / الشيخ أحمد الزواوى.

(٢) سورة النجم: الآيات: (١-٥).

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٣٦١٩) كتاب المناقب.

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

ولكنها عارية؛ لأنها إما أن تلبس المرأة ثوبًا ضيقًا يُظهر مفاتن جسدها كأنها عارية بل تكون المرأة أشد فتنة من العارية.

وإما أن تلبس المرأة ثوبًا خفيفًا شفافًا يُظهر ثيابها الداخلية، فتظهر المرأة، وكأنها عارية.

(٢) طاعتهم المطلقة له ﷺ:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه: أنهُ تقاضى ابن أبى حدردٍ دينًا كان لهُ عليه فى عهد النبى ﷺ فى المسجد، فارتفعت أصواتُهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهُو فى بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجف[١] حُجرته، فنادى: «يا كعب بن مالك». فقال: لبيك يا رسُول الله، وأشار إليه أن ضع من دَينك الشَّطر (النصف). قال: قد فعلتُ يا رسُول الله. قال: «**قُم فاقضه**»[٢].

الشاهد فى الحديث: أن النبى ﷺ قد أمر كعب أن يضع من دَينه الشطر ففعل.

* **بعض فوائد الحديث:**

الفائدة الأولى: قد يقع بين الصحابة رضي الله عنهم الخطأ، مثل ما حدث فى هذا الحديث، من التخاصم على أداء الدَّين، ورفع الصوت فى مسجد رسول الله ﷺ وعلى المُنصف أن يزن بين أعمالهم الصالحة التى كالجبال وبين زلاتهم التى تُعَدُّ على أصابع اليد الواحدة.

الفائدة الثانية: طاعة الصحابة المطلقة لرسول الله ﷺ.

مثال آخر: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كُنتُ ساقى القوم يوم حُرمت الخمرُ فى بيت أبى طلحة وما شرابهُم إلا الفضيخُ[٣] البُسرُ والتمرُ، فإذا مُنادٍ يُنادى، فقال: اخرُج فانظُر... فخرجتُ، فإذا منادٍ يُنادى: ألا إن الخمر قد

(١) السجف: السِّتر.

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٤٧١) كتاب الصلاة.

(٣) الفضيخ: خمر يُصنع من ثمر النخيل.

حُرمت. قال: فَـجَرَتْ فى سكك المدينة. فقال لى أبُو طلحة: اخرُج فـأهرقها فهرقتُها. فقالُوا - أو قال بعضُهُم -: قُتل فُلانٌ قُتل فُلانٌ وهى فى بُطُونهم!!. فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾(١)(٢).

* **الشاهد فى الحديث:**

أن الصحابة رضي الله عنهم، وهم الذين اعتادوا شرب الخمر، وكانت عندهم بمثابة الماء، **أول ما سمعوا** مناديًا ينادى: «إن الخمر قد حُرمت انتهوا عنها».

فائدة عظيمة: وهى أن الامتثال لأمر الله ورسوله واجب على الفور، وليس على التراخى وهذا الذى فهمه الصحابة وطبَّقوه فى كل حياتهم، فما قال أحد منهم: أذهب أتثبت من رسول الله، ولم يقل آخر: أنتظر حتى أعرف الحكمة من تحريمه، ولم يقل أحد: إننى قد اعتدت عليها وأريد وقتًا لأنتهى عن شربها... وهل سمعتم أحدًا يقول: هى مصدر رزقى، وعلى الرسول أن يجد لى مصدر رزق آخر حتى لا يموت أولادى جوعًا؟!.

هذا كله لم يحدث فى الخمر ولا فى غير الخمر.

(٣) كمال المتابعة:

ويتضح لنا كمال الاتباع، وليس مجرد المتابعة، من تتبُّع الصحابة رضي الله عنهم أثر الرسول ﷺ فى كل صغيرة وكبيرة، لأقوال وأفعال النبى ﷺ على أكمل وجه كما سيتضح من الأمثلة التالية.

* **المثال الأول:** عن حُصينٌ عن عُمـارة بن رُؤيبة أنه رأى بِشر بن مروان على المنبر رافـعًا يديه فقال: قـبح اللهُ هاتين اليدين، لقد رأيتُ رسُول الله ﷺ ما يزيدُ على أن يقُول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المُسبحة)(٣).

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٩٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٨٠) كتاب الأشربة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٧٤) كتاب الجمعة.

الشاهد فى الحديث:

أن عمارة بن رؤيبة دعا على بشر بن مروان بقوله (قبح الله هاتين اليدين)، وما ذلك إلا أنه أشار بيده كلها خلافًا لفعل النبى ﷺ .

* إذا كان الصحابة ﷺ ينكرون على التابعين فى أمور لا نعدُّها نحن شيئًا، وهى الإشارة باليد كلها فى خطبة الجمعة، علمنا من ذلك مدى حرصهم ومتابعتهم لكل أمور السُّنة صغيرها وكبيرها على حدٍّ سواء. يتفرع على ذلك أن نقف على الفارق العظيم بين عصرى الصحابة والتابعين، فما كان يفعله التابعون ولا يعدونه شيئًا من المخالفات، كان يعدُّه الصحابة أمرًا يستحق فاعله أشد الدعاء عليه. ومما يؤكد ذلك ما رواه أنس ﷺ قال: (إنكم لتعملُون أعمالاً هى أدقُّ فى أعينكُم من الشعر، إن كُنا لنعُدُّها على عهد النبى ﷺ من المُوبقات، قال أبُو عبد الله: يعنى بذلك المُهلكات)[١]، وعلمنا من باب أولى الفارق بين عصر الصحابة والعصور المتأخرة التى تهاون الناس فيها بالسنة الشريفة.

* **المثال الثاني:** عن عبد الله بن سرجس قال: (رأيتُ الأصلع، يعنى عُمر ابن الخطاب، يُقبلُ الحجر ويقُولُ: والله إنى لأُقبلُك وإنى أعلمُ أنك حجرٌ وأنك لا تضرُّ ولا تنفعُ، ولولا أنى رأيتُ رسُول الله ﷺ قبَّلك ما قبلتُك)[٢].

* **فوائد الحديث:**

الفائدة الأولى: عظيم اتباع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ لسنة النبى ﷺ ، حيث كان يعتقد فى نفسه أن الحجر الأسود لا يضر ولا ينفع، ويعلن على الملأ أنه ما قام بتقبيله - ولا يخفى ما فى التقبيل من تعظيم - إلا لرؤيته النبى ﷺ يقبله، ولولا ذلك ما قبله، ولا يستحى عمر ﷺ مع

---

(١) صحيح:رواه البخارى (٦٤٩٢) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح:رواه البخارى (١٦١٠) كتاب الحجر.

ما عُرف عليه من القوة والشدة فى الحق، أن يعلن ذلك، ولكن ليعلم الجميع أن القوة فى الحق ما كان ليترفع بها عن اتباع سنة المصطفى ﷺ وإلا كانت قوة وشدة مذمومتين يُدخلان صاحبهما النار.

الفائدة الثانية: أدب الصحابة الجم مع النبى ﷺ وسنته الشريفة، فهم كانوا يتبعونها اتباعًا مطلقًا، يُقبلون حجرًا وهم لا يعلمون الحكمة من تقبيله، ويعلنون للملأ أنهم ما فعلوا ذلك إلا رغبة فى الاتباع.

(٤) كراهة مخالفته ﷺ ولو فى الهيئة:

عن عبد الله رضي الله عنه قال: (صليتُ مع النبى ﷺ ليلةً، فلم يزل قائمًا حتى هممتُ بأمر سوءٍ. قُلنا: وما هممت؟ قال: هممتُ أن أقعُد وأذر النبى ﷺ)(١).

*** بعض فوائد الحديث:**

الفائدة الأولى: همة النبى ﷺ فى العبادة والتى منها القيام الطويل جدًا فى صلاة الليل.

الفائدة الثانية: فى مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

١- تشرُّفُه رضي الله عنه بالصلاة مع النبى ﷺ قيام الليل وليس معهما أحد، وكفى بذلك شرفًا وفضلاً.

٢-صبرُه على التعب الذى أصابه من طول القيام وتحامله على نفسه حتى أتم الصلاة قائمًا.

٣-سمَّى الجلوس فى الصلاة أمر سوء، بالرغم أن الجلوس فى صلاة النافلة جائز شرعًا، حتى ولو لم يشعر المصلى بالتعب فما بالكم إذا شعر بالتعب الشديد، ولكن الأمر السوء عنده ليس الجلوس ذاته ولكنه مخالفة هيئة النبى ﷺ وقد يكون سماه سوءًا لأمر آخر، هو أنه سيستريح بالجلوس

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٣٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

ويذهب عنه التعب الذى يشعر به، والنبىُّ ﷺ ما زال يتحمل تعب القيام.

٤- لم يلتفت رضي الله عنه إلى الأجر الزائد الذى سيناله إذا واصل القيام مع تعبه الشديد، أو الأجر الفائت بالجلوس، وإن كان هذا أمرًا عظيمًا عند الصحابة رضي الله عنهم ولكن الذى التفت إليه وشغله كثيرًا هو مخالفة هيئة النبى ﷺ.

ولا غرابة فى ذلك؛ لأن الذى علَّمهم كيف يحصلون على أجر الصلاة والصوم وسائر العبادات، هو النبى ﷺ ويمكن أنه رضي الله عنه لم يلتفت للأجر الفائت من الجلوس لاعتقاده أن سوء الأدب الذى سيلحقه من مخالفة هيئة النبى ﷺ أعظم خسارة من الأجر الفائت بتحمُّل طول القيام مع التعب الشديد.

أخى القارئ: إذا كانت مخالفة هيئة النبى ﷺ فى القيام أو الجلوس - وهى أمر لا يؤاخذ عليه المولى - سبحانه وتعالى - أمر سوء عند الصحابة فما بالكم بمخالفة أمره ونهيه ﷺ.

(٥) غضبهم الشديد رضي الله عنهم من معارضة سنة النبى ﷺ:

عن أبى قتادة قال: كُنا عند عمران بن حُصينُ فى رهط منا، وفينا بُشيرُ ابنُ كعب فحدثنا عمرانُ يومئذ قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**الحياء خيرٌ كُلُّهُ**». قالَ: أو قال: «**الحياءُ كُلُّهُ خيرٌ**». فقال بُشيرُ بنُ كعب: إنَّا لنجدُ فى بعض الكُتُب، أو الحكمة: أن منهُ سكينةً ووقارًا لله، ومنهُ ضعفٌ. قال: فغضب عمرانُ حتى أحمرَّتا عيناهُ، وقال: ألا أرانى أحدثُك عن رسُول الله ﷺ وتُعارضُ فيه؟ قال: فأعاد عمرانُ الحديث قال فعاد بشيرٌ. فغضب عمرانُ قال: فما زلنا نقُولُ فيه: إنهُ منا يا أبا نُجيد إنهُ لا بأس به[١].

* **بعض فوائد الحديث:**

الفائدة الأولى: تعظيم الصحابة رضي الله عنهم لسنة النبى ﷺ ووجه ذلك من الحديث:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٧) كتاب الإيمان.

١- إنكارهم الشديد على كل من يأتى بمعارض للسنة، وهى ليست معارضة حقيقية، يقصد بها الطعن فى الحديث، ولكنها معارضة من حيث الظاهر، حيث استشكل فقط على التابعى بشير بن كعب حملُ الحديث على عمومه.

٢- غضبهم الشديد لمن يأتى بمعارض لكلام النبى ﷺ؛ والدليلُ على أن هذا الغضب كان شديدًا، أنه ظهر أثره على عينى عمران رضي الله عنه حتى احمرَّتا.

الفائدة الثانية: بيان الاعتقاد الجازم للصحابة رضي الله عنهم أن السنة تكفيهم وأنها كلها حق، وأنها قد سَلِمت من كل نقص وتنزهت عن كل خلل، ودليل ذلك من الحديث هذا الغضب والإنكار الذى صدر من عمران بن حصين رضي الله عنه.

الفائدة الثالثة: بيان ما نحن عليه من تفريط وسوء أدب وتهاون شديد فى سنة النبى ﷺ فمنَّا من يجادل فيها، إما حبًّا للجدل أو رغبة فى إظهار علمه، أو محاولة لتعجيز خصمه، ومنا من يعتقد أنه يسعه الخروج عنها أو أخذ ما يعجبه منها وردّ ما لا يعجبه.

(٦) حب الصحابة له ﷺ أكثر من حبهم لأنفسهم:

عن زُهرة بن معبدٍ عن جده قال: كُنا مع النبى ﷺ وهُو آخذٌ بيد عُمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال: والله لأنت يا رسُول الله أحبُّ إلىَّ من كل شىء إلا نفسى. فقال النبىُّ ﷺ: «**لا يؤمن أحدكُمُ حتى أكون أحبَ إليه من نفسه**». قال عُمرُ: فلأنت الآن والله أحبُّ إلىَّ من نفسى. فقال رسُولُ الله ﷺ: «**الآن يا عُمرُ**»(١).

الشاهد فى الحديث: قول عمر رضي الله عنه فلأنت الآن - والله - أحبُّ إلى من نفسى.

(٧) إيثارهم له ﷺ:

عن جابر قال: كُنا مع النبى ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرةٍ

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٦٣٢) كتاب الأيمان والنذور.

ظليلة تركناها للنبى ﷺ فجاء رجلٌ من المُشركين وسيفُ النبى ﷺ مُعلقٌ بالشجرة، فاخترطهُ، فقال: تخافُنى؟ قال: لا. قال: فمن يمنعُك منى؟ قال: «الله»[1].

الشاهد فى الحديث:

قول جابر رضي الله عنه: (فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبى ﷺ).

(٨) تعظيم الصحابة رضي الله عنهم لما يحبه ﷺ:

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان للنبى ﷺ ناقةٌ تُسمى العضباء، لا تُسبَقُ. قال حُميدٌ: أو لا تكادُ تُسبقُ، فجاء أعرابىٌّ على قَعُود فسبقها، فشقَّ ذلك على المُسلمين حتى عرفهُ، فقال: «**حقٌّ على الله أن لا يرتفع شىءٌ من الدُّنيا إلا وضعه**»[2].

الشاهد فى الحديث: قول الراوى (فشقَّ ذلك على المسلمين).

(٩) حبهم رضي الله عنهم لما يحبه ﷺ من أمور الدنيا:

عن **أنس بن مالك** رضي الله عنه **قال**: (إن خياطًا دعا رسُول الله ﷺ لطعام صنعهُ. قال أنسُ بنُ مالك رضي الله عنه: فذهبتُ مع رسُول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرَّب إلى رسُول الله ﷺ خُبزًا ومرقًا فيه دُباءٌ[3] وقديدٌ، فرأيتُ النبى ﷺ يتتبعُ الدُّباء من حوالى القصعة. قال: فلم أزل أُحبُّ الدُّباء من يومئذ)[4].

وفى رواية عند مسلم: (فجعل رسُولُ الله ﷺ يأكُلُ من ذلك الدُّباء، ويُعجبهُ. قال: فلما رأيتُ ذلك جعلتُ أُلقيه إليه ولا أطعمُهُ. قال: فقال أنسٌ: فما زلتُ بعدُ يُعجبُنى الدُّباءُ)[5].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٣٧) كتاب المغازى، ومسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٨٧٢) كتاب الجهاد والسير.

(٣) الدباء: هو القرع واليقطين.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥٣٧٩) كتاب الأطعمة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٠٤١) كتاب الأشربة.

* الشاهد فى الحديث:

أن أنسًا رضي الله عنه لما رأى الرسول ﷺ يحب الدُّباء ويتتبعه، وهو أمر لا يدخل فى أمور الشرع، ولم نؤمر بالعمل به، . . . أقول: لما رأى أنسٌ ذلك، وقع فى قلبه مباشرةً حبٌّ هذا الصنف من الطعام، وما كان يحبه ولا يشتهيه من قبل علمه أن الرسول يحبه، وهكذا إذا أحب أحد أحدًا وقع فى قلبه كل ما يحبه الطرف الآخر، من مأكل ومشرب وملبس.

(١٠) حب مرافقته والقرب منه ﷺ:

* **المثال الأول:** عن عمرو بن ميمونٍ الأودى قال: (رأيتُ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا عبد الله بن عُمـر اذهب إلى أُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقُل: يقرأُ عُمرُ بن الخطاب عليك السلام، ثُم سلها أن أُدفن مع صاحبىَّ. قالت: كُنتُ أُريدهُ لنفس فلأُوثرنهُ اليوم على نفسى، فلما أقبل. قال لهُ: ما لديك؟ قال: أذنَتْ لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شىءٌ أهم إلىَّ من ذلك المضجع، فإذا قُبضتُ فاحملُونى ثُم سلِّمُوا ثُم قُلْ: يستأذنُ عُمرُ بن الخطاب، فإن أذنت لى فادفنُونى وإلا فرُدُّونى إلى مقابر المُسلمين، إنى لا أعلمُ أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين تُوُفى رسُولُ الله ﷺ وهُو عنهُم راضٍ)[1].

الشاهد فى الحديث: قول عمر رضي الله عنه: (ثم سلها أن أُدفن مع صاحبىَّ).

* **بعض فوائد الحديث:**

الفائدة الأولى: مناقب عمر رضي الله عنه:

١- توقيره لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

٢- عظيم حب عمر رضي الله عنه للرسول ﷺ مع غزير علمه، حيث ذكر أنه ما كان شىء فى الدنيا يهمه ويفكر فيه أعظم من مجاورته النبى ﷺ بعد موته، قال: (ما كان شىء أهم إلىَّ من ذلك المضجع)، وانظر إلى

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٩٢) كتاب الجنائز.

حرصـه على هذا الجوار، أنه بادر ابنه السـؤال لدى عودته من عند عـائشة رضي الله عنها وما استطاع الانتظار حتى يعرض عليه ابنه الإجابة، يقول: (فلما أقبل قال له: ما لديك)، وهذا يدل على أن هذا الأمر كـان يشغله جداً، وكان يخاف أن تأتى الإجابة بما لا يحب.

* **المثال الثانى:** فعن ربيعـة بنُ كعبِ الأسلمى رضي الله عنه قال: كُنتُ أبيتُ مع رسُول الله ﷺ فأتيتُهُ بوضُوئه وحاجته. فقال لى: **«سَلْ»**. فقُلتُ: أسألُك مُرافقتك فى الجنة. قال: «**أوَ غير ذلك؟**» قُلتُ: هُو ذاك. قال: «**فأعنِّى على نفسك بكثرة السُّجود**»[1].

الشاهد فى الحديث:

أن ربيعة بن كعب - وكُنيته أبـو فِراس - طلب مرافقته فى الجنة، وليس دخول الجنة فحسب، أى أن الصحابة كـانوا يحبون مرافقـته ليس فى الدنيا فقط، بل فى الآخرة، ويرون أن الجنة برفقة الرسول، تكون أسعد بـكثير، وإلا لم يكن لطلبه المرافقة معنى.

(١١) كراهيتهم ترك شىء فارقوا النبى ﷺ عليه

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (أنكحنى أبى امرأةً ذات حسب، فكان يتعاهدُ كَنَّتهُ[2] فيسألُها عن بعلهـا فتقُولُ: نِعم الرجُلُ من رجُلٍ، لم يطأ لنا فراشًـا ولم يُفتش لنا كَـنَفًا[3] مُنذُ أتيناهُ. فلمـا طال ذلك عليه ذكـر للنبى ﷺ فقال: «**القَنى به**»، فلقيتُهُ بعدُ. فقال: «**كيْف تصوم؟**» قال: كُل يومٍ. قال: «**وكيف تـختمُ؟**» قال: كُل ليلةٍ. قال: «**صُم فى كُل شـهر ثلاثة، واقرأ القرآن فى كُل شهر**». قال: قُلت: أُطيقُ أكثر من ذلك. قال: «**صم ثلاثة أيامٍ فى الجمُعة**» قُلتُ: أُطيقُ أكثر من ذلك. قال: «**أفطر يومين وصُم يومًا**». قال:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

(٢) أى زوجة ابنه.

(٣) أى شيئًا مستورًا، وتقصد أنه لم يقربها للجماع.

قُمتُ: أُطيقُ أكثر من ذلك. قال: «**صُم أفضل الصوم، صوم داود صيام يومٍ وإفطار يومٍ، واقرأ فى كُل سبع ليالٍ مرةً**». قال عبد الله: فليتنى قَبِلتُ رُخصة رسُول الله ﷺ، وذاك أنى كبِرتُ وضعُفتُ، فكان يقرأُ على بعض أهله السُّبع من القُرآن بالنهار والذى يقرؤُهُ يعرضُهُ من النهار ليكُون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أيامًا وأحصى وصام مثلهُن كراهية أن يترُك شيئًا فارق النبى ﷺ عليه)[1].

الشاهد فى الحديث: قول الراوى: (كراهية أن يترك شيئًا فارق النبى ﷺ عليه).

*** بعض فوائد الحديث:**

الفائدة الأولى: لم يُعظم الصحابة النبى ﷺ فحسب بل عظَّموا كل شىء يخصُّه، وتعدَّى الأمر إلى أن عظَّموا كل ما التزموا به أمامه من العبادات أو الأعمال التى فارقهم - بموته ﷺ - وهم يحافظون عليها.

الفائدة الثانية: شفقة النبى ﷺ بأصحابه، حيث راجع الصحابى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فى أمر زوجته حتى يعطيها حقها، كما راجعه فى أمر عبادته حتى لا يشق على نفسه ويُجهدها مما قد يضطره إلى قطع تلك العبادة إذا كبر سنه، وهذا فيه بُعدُ نظرٍ جميل من النبى ﷺ.

الفائدة الثالثة: حياؤه ﷺ وحكمته، أما حياؤه فإنه ﷺ لم يصارح عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بما بدر منه تجاه زوجته منذ زواجهما، أما حكمته ﷺ فتتضح من معالجته لأصل المشكلة وهى تفرُّغ عبد الله بن عمرو للعبادة وانشغاله بها طوال ليله ونهاره.

الفائدة الرابعة: حب الصحابة رضي الله عنهم للعبادة، لقد ودُّوا لو استغرقت كل أوقاتهم، لولا أن النبى ﷺ كان يرشدهم دائمًا إلى القصد وإعطاء كل ذى حقٍّ حقه.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٠٥٢) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

الفائدة الخامسة: حياء الصحابة رضي الله عنهم وتقديمهم التعريض على التصريح فيما يخدش الحياء، ولو كان المتحدثُ إليه من المحارم، يتضح ذلك جليًّا من قول زوجة عبد الله بن عمرو: (لم يطأ لنا فراشًا ولم يفتش لنا كَنفًا). وهذا أمر نفتقده كثيرًا فى كلامنا اليوم، فنأتى بكلام يخدش الحياء بمصلحة وبغير مصلحة، وفى جِدِّنا وهزلنا.

(١٢) عظيم أدبهم معه ﷺ:

عن مُعاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: بينا أنا رديفُ النبى ﷺ ليس بينى وبينه إلا آخرةُ الرَّحْل[١]. فقال: «**يا معاذ بن جبل**». قُلتُ: لبيك رسُول الله وسعديك، ثُم سار ساعةً، ثُم قال: «**يا معاذُ**». قُلتُ: لبيك رسُول الله وسعديك. ثُم سار ساعةً ثم قال: «**يا معاذُ**» قُلتُ: لبيك رسُول الله وسعديك. قال: «**هل تدرى ما حق الله على عباده؟**» قُلتُ: اللهُ ورسُولُه أعلمُ. قال: «**حقُّ الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركُوا به شيئًا**». ثُم سار ساعةً ثُم قال: «**يا معاذ بن جبلٍ**». قُلتُ: لبيك رسُول الله وسعديك. فقال: «**هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلُوهُ؟**». قُلتُ: اللهُ ورسُولُهُ أعلمُ. قال: «**حقُّ العباد على الله أن لا يُعذبُهم**»[٢].

الشاهد فى الحديث:

أن النبى قد نادى معاذًا ثلاث مرات، وفى كل مرة يرد عليه معاذ ثم يسكت النبىُّ ولا يتكلم بكلمة واحدة، فلا يقول معاذ للرسول فى أى من مرات الثلاث: ناديتنى يا رسول الله فماذا كنت تريد؟، أو يقول: يا رسول الله أنسيت ماذا كنت تريد أن تقول؟ أو أى كلمة مشابهة. ولكن يسكت، والرسول ﷺ ينادى، فلا يملّ ولا يقول شيئًا، بين يدى النبى، وهذا أدب عظيم.

---

(١) أى: الخشبة التى يستند إليها راكب البعير.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٦٧) كتاب اللباس، ومسلم (٣٠) كتاب الإيمان.

(١٣) تعظيمه ﷺ فى نفوسهم:

تعظيم الرسول ﷺ ليس كلمات تُقال ولا قصصًا تُروى ولا تكون دعوى باللسان ولا هيامًا بالوجدان بل لا بد أن يُصاحب ذلك الاتباعُ لرسول الله ﷺ والسير على هُداه وتحقيق منهجه فى الحياة العملية.

* **الحديث الأول:** عن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه: أن رسُول الله ﷺ ذهب إلى بنى عمرو بن عوفٍ ليُصلح بينهُم فحانت الصلاةُ، فجاء المؤذنُ إلى أبى بكرٍ فقال: أتُصلى للناس فأُقيم قال: نعم فصلى أبُو بكرٍ فجاء رسُولُ الله ﷺ والناسُ فى الصلاة فتخلَّص حتى وقف فى الصف، فصفق الناسُ، وكان أبُو بكرٍ لا يلتفتُ فى صلاته، فلما أكثر الناس التصفيق التفت، فرأى رسول الله ﷺ فأشار إليه رسُولُ الله ﷺ أن امكُث مكانك، فرفع أبُو بكر رضي الله عنه يديه فحَمِد الله على ما أمرهُ به رسُولُ الله ﷺ من ذلك، ثم استأخر أبُو بكرٍ حتى استوى فى الصف، وتقدم رسُولُ الله ﷺ فصلى فلما انصرف قال: «**يا أبا بكرٍ ما منعك أن تثبت إذ أمرتُك؟**». فقال أبُو بكرٍ: ما كان لابن أبى قُحافة أنْ يصلى بين يدى رسُول الله ﷺ. فقال رسُولُ الله ﷺ: «**ما لى رأيتكُم أكثرتُم التصفيق، مَن رابهُ شيءٌ فى صلاته فليُسبِّح، فإنهُ إذا سبَّح التُفت إليه، وإنما التصفيقُ للنساء**»[1].

الشاهد فى الحديث: أن أبا بكر رضي الله عنه أبَى أن يصلى بين يدى النبى ﷺ أبَى أن يكون إمامًا والرسول ﷺ مأمومًا.

* **الحديث الثانى:** عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسُول الله ﷺ أتى على امرأةٍ تبكى على صبىٍّ لها. فقال لها: «**اتقى الله واصبرى**». فقالت: وما تبالى بمُصيبتى. فلما ذهب. قيل لها: إنهُ رسُولُ الله ﷺ فأخذها مثل الموت. فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين. فقالت: يا رسُول الله لم

(١) صحيح:رواه البخارى (٦٨٤) كتاب الأذان.

أعرفك. فقال: «**إنما الصبر عند أول صدمة، أو قال عند أول الصدمة**»[١].

الشاهد في الحديث: قول الراوى عن حال المرأة، لما علمت أن الذى خاطبها هو الرسول ﷺ (فأخذها مثل الموت).

* **الحديث الثالث:** عن أبى أيوب رضي الله عنه: أن النبى ﷺ نزل عليه، فنزل النبيُّ ﷺ فى السُّفل، وأبُو أيوب فى العلو، قال: فانتبه أبُو أيُّوب ليلةً. فقال: نمشى فوق رأس رسُول الله ﷺ فتنحَّوا فباتُوا فى جانبٍ، ثُم قال للنبى ﷺ. فقال النبيُّ ﷺ: «**السُّفلُ أرفقُ**». فقال: لا أعلو سقيفةً أنت تحتها. فتحول النبيُّ ﷺ فى العُلُو، وأبُو أيُّوب فى السُّفل، فكان يصنعُ للنبى ﷺ طعامًا، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبعُ موضع أصابعه، فصنع لهُ طعامًا فيه ثُوم، فلما رُدَّ إليه، سأل عن موضع أصابع النبى ﷺ فقيل لهُ: لم يأكُل؛ ففزع وصعد إليه فقال: أحرامٌ هُو؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**لا، ولكنى أكرهُهُ**». قال: فإنى أكرهُ ما تكرهُ، أو ما كرهت. قال: وكان النبيُّ ﷺ يُؤتَى[٢] أى: يأتيه الوحى -.

الشاهد في الحديث: أن أبا أيوب الأنصارى رضي الله عنه أبَى أن يكون أعلى المنزل والنبى ﷺ فى أسفله.

* **الحديث الرابع:** عن ابن شِماسةَ المهرى قال: حضرنا عمرو بن العاص، وهو فى سياقة الموت فبكى طويلاً، وحوَّل وجههُ إلى الجدار، فجعل ابنُهُ يقُولُ: يا أبتاهُ، أما بشَّرك رسُولُ الله ﷺ بكذا، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا، قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نُعدُّ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحمدًا رسُولُ الله، إنى كُنتُ على أطباقٍ ثلاث: لقد رأيتُنى وما أحدٌ أشد بغضًا لرسُول الله ﷺ منِّى، ولا أحبَّ إلىَّ أن أكون قد

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٢٨٣) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٣٦) كتاب الجنائز.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٠٥٣) كتاب الأشربة.

استمكنتُ منهُ فقتلتُهُ، فلو مُتُّ على تلك الحال، لكُنتُ من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيتُ النبى ﷺ فقُلتُ: ابسُط يمينك فلأُبايعك، فبسط يمينهُ قال: فقبضتُ يدى. قال: «**ما لك يا عمرُو؟**» قال: قُلتُ: أردتُ أن أشترط. قال: «**تشترط بماذا؟**» قُلتُ: أن يُغفر لى. قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدمُ ما كان قبلهُ، وأن الهجرة تهدمُ ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟**» وما كان أحدٌ أحبَّ إلىَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ فى عينى منهُ، وما كنتُ أُطيقُ أن أملأ عينى منهُ إجلالاً لهُ، ولو سُئلتُ أن أصفهُ ما أطقتُ لأنى لم أكُن أملأُ عينى منهُ، ولو مُتُّ على تلك الحال لرجوتُ أن أكُون من أهل الجنة، ثُم وَلينا أشياء ما أدرى ما حالى فيها، فإذا أنا مُت فلا تصحبنى نائحةُ ولا نارٌ، فإذا دفنتُمُونى فشُنُّو علىَّ التراب شنًّا، ثُم أقيمُوا حول قبرى قدر ما تُنحرُ جَزُورٌ ويُقسَّمُ لحمُها حتى أستأنس بكُم، وأنظر ماذا أراجعُ به رُسُل ربى)[1].

الشاهد فى الحديث:

قول الصحابى عمرو بن العاص رضي الله عنه: (وما كان أحدٌ أحبَّ إلىَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ فى عينى منه، وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه إجلالاً له).

(١٤) تعظيم دعائه ﷺ:

عن أبى سعيد بن المُعلَّى قال: كُنتُ أُصلى فى المسجد فدعانى رسُول الله ﷺ فلم أُجبهُ، فقُلتُ: يا رسُول الله إنى كُنتُ أُصلى فقال: «**ألم يقُل الله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟**» ثُم قال لى: «**لأعلمنك سورة هى أعظمُ السور فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد**»، ثُم أخذ بيدى، فلما أراد أن يخرُج قُلتُ لهُ: ألم تقُل لأعلمنك سُورة هى أعظم سورةٍ فى

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١) كتاب الإيمان.

القُرآن؟ قال: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هى السبع المثانى والقُرآنُ العظيمُ الذى أُوتيتُهُ»(١).

الشاهد فى الحديث: أن النبى ﷺ لما دعا الصحابى أبا سعيد بن المعلى وهو يصلى فلم يُجبه عاتبه النبى ﷺ واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(٢).

*** بعض فوائد الحديث:**

١- إجابة دعوته ﷺ فرض على الفور وليس على التراخى، ولو كانت على التراخى ما عاتب النبى ﷺ أبا سعيد ﷺ لعدم إجابته وهو فى الصلاة.

٢- مما يعظم أمر وجوب استجابة دعائه ﷺ ولو كان المرء فى صلاة. أن هذا الأمر قد ورد فى القرآن الكريم، والدليل على ذلك أن النبى ﷺ استدل بالآية وهو أعلم الخلق بمراد الله.

(١٥) تبركهم به ﷺ:

*** أولاً: تبركهم بفضل وضوئه ﷺ:**

عن أبى جُحيفة قال: (خرج علينا رسُولُ الله ﷺ بالهاجرة، فأُتى بوضُوء، فتوضأ فجعل الناسُ يأخُذُون من فضل وضُوئه فيتمسحُون به، فصلى النبيُّ ﷺ الظُّهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزةٌ.

وقال أبو مُوسى: دعا النبيُّ ﷺ بقدحٍ فيه ماءٌ، فغسل يديه ووجههُ فيه، ومجَّ فيه، ثم قال لهُما: «اشربا منهُ، وأفرغا على وُجُوهكُما ونُحُوركُما»)(٣).

الشاهد فى الحديث: قوله: فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به.

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٠٠٦) كتاب فضائل القرآن.

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٢٤).

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٨٨) كتاب الوضوء.

*** بعض فوائد الحديث:**

الفـائدة الأولى: ثبـوت بركة فـضل وضـوء النبى ﷺ . . . وهو الماء المتبقى فى الإناء بعد وضوئه أو الماء الذى سال من أعضاء وضوئه.

الفائدة الثانية: حب النبى ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم وحرصـه على تعليمهم ما يجلب لهم الخير، ويدفع عنهم الشر، بإذن الله تعالى.

الفائدة الثالثة: تعظيم الصحابة رضي الله عنهم لآثار النبى ﷺ وما كان ذلك إلا ليـقينهم التـام، الذى لا يخـالطه أدنى شك، بصدق نـبوته، وحُب الله - سبحانه وتعالى - له، مع تأييده بالمعجزات الباهرات.

*** ثانيًا: تبركهم بفضلة الماء الذى شرب منه ﷺ :**

عن سهل بن سعد رضي الله عنه: (أن رسُول الله ﷺ أُتى بشرابٍ، وعن يمينه غُلامٌ، وعن يساره أشياخٌ، فقال للغُلام: «**أتأذن لى أن أُعطى هؤلاء؟**» فقال الغُلامُ: لا والله لا أُوثرُ بنصيبى منك أحدًا. فتلَّهُ فى يده)[1].

*** الشاهد فى الحديث:**

قول الغلام للنبى ﷺ : (لا والله لا أوثر بنصيـبى منك أحدًا). الغلام كما ذكـر فى روايات فى غير الصحـيحين، هو: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ومع شدة تعظيم هذا الغلام الفقيه للنبى، واستئذان النبى منه، إلا أنه أبى أن يعطى فضلة النبى لأحد، فهو يعلم ما فيها من بركة، وهذا يدل على فطنته وحرصه على الخير، ومعرفته قدر الرسول وكل ذلك مع كونه غلامًا.

*** وفى الحديث فوائد منها:**

الفائدة الأولى: أن الإيثار فى الطاعـات والخير، غير مطـلوب شرعًا، فعلى الإنسان أن يقدم نفسه فى أمور الخير.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٤٥١) كتاب المظالم، ومسلم (٢٠٣٠) كتاب الأشربة.

الفائدة الثانية: إذا قال قائل: الغلام كان صغيرًا فكيف نأخذ من فعله حكمًا؟

قلت: عدم تعقيب النبى ﷺ على قول الغلام أو الإنكار عليه، دلَّنا أن فعل الغلام هو الصواب، إذ لا يجوز فى حقه ﷺ تأخير البيان عن وقت الحاجة.

الفائدة الثالثة: الذى يجلس عن اليمين هو الأولى، ولا يعطى لغيره إلا بإذنه، وهو مُخيَّر بالإذن من عدمه.

الفائدة الرابعة: تواضع النبى ﷺ مع الغلام، وحفظ حقه، ويظهر ذلك فى الاستئذان، ولو علم الغلام أن هذا الاستئذان ليس على بابه، أى أنه بمثابة الأمر، لبادر إلى الطاعة والامتثال.

*** ثالثًا: تبركهم بشعره ﷺ:**

* **عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:** لما رمى رسُولُ الله ﷺ الجمرة، ونحر نُسُكهُ، وحلق ناول الحالق شقَّهُ الأيمن، فحلقهُ، ثُم دعا أبا طلحة الأنصارى، فأعطاهُ إياهُ ثُم ناولهُ الشق الأيسر، فقال: احلق فحلقهُ فأعطاهُ أبا طلحة، فقال: «**اقسمهُ بين الناس**»[1].

الشاهد فى الحديث: قوله ﷺ: «**اقسمه بين الناس**».

*** بعض فوائد الحديث:**

*** الفائدة الأولى: الشمائل النبوية:**

١- بركة شعره ﷺ، ودليله أنه أعطى شعر شِقِّه الأيمن لأبى طلحة، زوج أم سليم والدة أنس، رضي الله عنهم، وأمر ﷺ أبا طلحة بتقسيم شعر شِقِّه الأيسر على الناس.

يتفرع على ذلك إثباتُ بركة النبى ﷺ فى كل ما يخصه؛ إذ تم توزيع

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٣٠٥) كتاب الحج.

شعره بين الصحابة، ﭫ بالشعرة والشعرتين، ولولا حدوث البركة بالشعرة الواحدة، ما كان هناك حكمة من وراء توزيعها على الصحابة.

ولك أخى القارئ أن تتصور الجهد الذى بذله أبو طلحة ليقسم شعر الشق الأيسر للنبى ﷺ بين الناس ومعلوم أن شعره ﷺ كان كثيفًا وطويلاً.

٢- عظيم اعتناء المولى - سبحانه وتعالى - بنبيه ﷺ إذ جعل فى كل شىء اتصل به عظيم البـركة، من الشعـر واللباس والأظافـر والعرق ومكان الصلاة وفضلة الماء والوضوء، وبصاقه بل ونخامتـه التى كان الصحابة ﭫ يتبادرونها فيمسحون بها وجوههم.

* **الفائدة الثانية:** بالغ حب الصحابة ﭫ للنبى ﷺ ويتبين ذلك من:

١- حرصهم على اقتناء شعـر الرسول ﷺ حيث ورد عند مسلم من حديث أنس ﭬ: (فـما يريدون أن تقع شعرة إلا فى يد رجل). ومـا كان هذا إلا لتعظيم كل ما يتصل بالنبى ﷺ.

٢- رؤيتهـم أن اقتناء شـعرة واحدة من شـعر رسـول الله ﷺ أحب إليهم من الدنيا وما فيها... لما رواه البخارى: (عن ابن سيرين قال: قُلتُ لعبـيدة: عندنا من شعـر النبى ﷺ أصبناهُ من قِـبل أنسٍ أو من قِبل أهل أنسٍ فقال: لأن تكُون عندى شعرةٌ منهُ أحبُّ إلىَّ من الدُّنيا وما فيها).

* **الفـائدة الثالثـة:** وهى منقبـة عظيمـة لأبى طلحة، حيث خـصَّه النبى ﷺ وحده بشطر شعره الأيمن، وبقية الناس بالشطر الآخر.

*** رابعًا: تبركهم بمكان صلاته ﷺ:**

عن محمود بن الربيع الأنصارى: (أن عتبان بن مالك؛ وهُو من أصحاب رسُول الله ﷺ ممن شهـد بدرًا من الأنصار، أنهُ أتى رسُول الله ﷺ. فـقال: يا رسُـول الله قد أنكرتُ بصـرى، وأنا أُصلى لقومى، فإذا كـانت الأمطارُ سال الوادى الذى بينى وبينـهم لم أستطع أن آتى مسجـدهُم فأصلى

بهم، ووددتُ يا رسُول الله أنك تأتينى فتُصلى فى بيتى فأتخذهُ مُصلى. قال: فقال له رسول الله ﷺ: «سأفعلُ، إن شاء الله». قال عتبانُ: فغدا رسُول الله ﷺ وأبُو بكرٍ حين ارتفع النهارُ فاستأذن رسُولُ الله ﷺ، فأذنتُ لهُ فلم يجلس حتى دخل البيت، ثُم قال: أين تُحبُّ أن أُصلى من بيتك؟ قال: فأشرتُ لهُ إلى ناحيةٍ من البيت»(١).

الشاهد فى الحديث: قول عتبان بن مالك ﷺ: (وددت يا رسول الله أنك تأتينى فتصلى فى بيتى فأتخذه مُصلى).

*** بعض فوائد الحديث:**

الفائدة الأولى: عظيم بركة النبى ﷺ حيث لم تقتصر هذه البركة على ما خرج منه فحسب، مثل: العرق، والتفل، والمجَّة، والريق، والشعر، والماء الذى خرج من بين أصابعه ﷺ بل تعدَّت تلك البركة إلى المكان الذى لامسه والتصق جسده به، والمكان الذى تعبَّد فيه لله - سبحانه وتعالى -.

الفائدة الثانية: المكان الذى تعبَّد فيه النبى ﷺ هو أحب إلى الله من المكان الذى لم يتعبد فيه ﷺ.

الفائدة الثالثة: مشروعية أن يتحرى المسلم الأماكن التى ثبت أن النبى ﷺ تعبَّد فيها ويقصد الصلاة فيها طمعًا أن ينال بركة النبى ﷺ وينوى بذلك التقرب إلى الله عز وجل.

ومثاله الحجر الأسود الذى ثبت أن النبى ﷺ قبَّله، وكذا الأماكن التى ثبت أن النبى ﷺ صلى فيها بمسجده الشريف.

خامسًا: تبركهم بيديه ﷺ:

عن عائشة ﵂، قالت: (كان رسُولُ الله ﷺ إذا مرض أحدٌ من أهله نفث عليه بالمُعوذات، فلما مرض مرضهُ الذى مات فيه، جعلتُ أنفُثُ

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٢٥) كتاب الصلاة.

عليه وأمسحُهُ بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركةً من يدى)[1].

الشاهد فى الحديث: قول عائشة ﵂: (وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدى).

*** بعض فوائد الحديث:**

الفائدة الأولى: عظيم بركة يد النبى ﷺ لقول عائشة ﵂: (وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدى).

الفائدة الثانية: حرص النبى ﷺ على نفع أهله... لقول عائشة: (إذا مرض أحدٌ من أهله نفث عليه بالمعوذات). ويتفرع عليه مشروعية الرقية، وتكون بالقرآن، والأدعية المشروعة، الثابتة فى السنة الصحيحة.

الفائدة الثالثة: فى مناقب عائشة ﵂:

١- حبها للنبى ﷺ وتمنيها شفاءه، ويدلنا على ذلك كثرة رقيتها له بالمعوذات لقولها: (فلما مرض مرضه الذى مات فيه جعلت أنفث عليه).

٢- تعظيمها للنبى ﷺ حيث كانت تمسح جسد النبى ﷺ بيده هو، مع أنها هى التى كانت تقرأ المعوذات، وما كانت تفعل ذلك إلا لاعتقادها أن يده ﷺ أعظم بركة من يدها.

٣- حب النبى ﷺ لها ﵂، حيث كان يُمرَّض ﷺ فى مرض موته فى بيتها، وما كان ذلك إلا بأمره.

الفائدة الرابعة: قد تحدث الرقية، بشىء مُعظَّم، وهو القرآن الكريم، من قِبل نفث زكى، وهو نفث عائشة ﵂ وبيد عظيمة البركة، وهى يد النبى ﷺ ومع توفُّر كل تلك الأسباب المباركة، قد لا يحدث الشفاء لأن أجل الله - سبحانه وتعالى -، قد سبق بالموت، أو قد يتأجل الشفاء لحكمة يعلمها الله - تبارك وتعالى -، وفى كل الأحوال، قد ثبت الأجر، إن شاء

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٩٢) كتاب السلام.

الله، للراقى والمرقى، إذا ما تمت الرقية، بما يُشرع من الكتاب والسنة، وكانت من قلب توفر فيه حسن الإخلاص وتمام اليقين.

الفائدة الخامسة: لم تكن عائشة رضي الله عنها وحدها هى التى تتبرك بيديه الشريفتين، بل كان ذلك نهج الصحابة رضي الله عنهم . . . فعن أبى جُحيفة قال: (قام الناسُ فجعلُوا يأخُذُون يديه فيمسحُون بها وُجُوهَهُم. قال: فأخذتُ بيده فوضعتُها على وجهى، فإذا هى أبردُ من الثلج، وأطيبُ رائحةً من المسك)[1].

*** سادسًا: تبركهم بعرقه ﷺ:**

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: (كان النبيُّ ﷺ يدخُلُ بيت أُم سُليمٍ فينامُ على فراشها وليست فيه. قال: فجاء ذات يومٍ فنام على فراشها فأُتيت. فقيل لها: هذا النبيُّ ﷺ نام فى بيتك على فراشك. قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقُهُ على قطعة أديمٍ على الفراش، ففتحت عتيدتها[2]، فجعلت تُنشف ذلك العرق، فتعصرُهُ فى قواريرها، ففزع النبيُّ ﷺ فقال: «**ما تصنعين يا أُم سليم؟**» فقالت: يا رسُول الله نرجُو بركتهُ لصبياننا. قال: «**أصبت**»)[3].

الشاهد فى الحديث: قول أم سليم: (يا رسُول الله نرجُو بركتهُ لصبياننا).

*** بعض فوائد الحديث:**

١- عظيم بركة عرقه وشعره ﷺ حيث ردَّ النبى ﷺ على أم سليم رضي الله عنها لما قالت (يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا). بقوله: «**أصبت**». أى أن النبى ﷺ قد أقر أم سليم، على كل ما فعلت، من عصر العرق الذى

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٣٥٥٣) كتاب المناقب.

(٢) العتيدة: وعاء يوضع فيه ما يَشرف ويعظم من المتاع.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٣٣١) كتاب الفضائل.

تصبب منه على قطعة الأديم التى كان النبى ﷺ ينام عليها، ووضع ذلك العرق فى قوارير لحفظه.

٢- طيب عرقه ﷺ حيث كانت أم سليم ﵂ تأخذ هذا العرق فتخلط به طِيبها (عطرها).

٣- ثبوت علو منزلة النبى ﷺ ومكانته الرفيعة عند ربه، حيث جعل الله - سبحانه وتعالى - شعره وعرقه يُستخدمان للاستطباب والتطيُّب.

٤- لم يكن هذا التعظيم لآثار النبى ﷺ من قِبل أم سليم وحدها، بل كان من قِبل أنس بن مالك ﵁؛ إذ أوصى عند موته أن يُجعل فى حنوطه، وهو العطر الذى يُطيَّب به الميت، من الطيب الذى كان يخلط به عرق رسول الله ﷺ، فعند البخارى من حديث ثمامة: فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى إلىّ أن يجعل فى حنوطه من ذلك السك قال: فجُعل فى حنوطه).

* **سابعًا: التبرك بأثر قدحه الذى شرب فيه ﷺ:**

عن أبى حازم عن سهل بن سعد ﵁ قال: (أقبل النبىُّ ﷺ يومئذٍ حتى جلس فى سقيفة بنى ساعدة هُوَ وأصحابُهُ، ثُم قال: «**اسقنا يا سهل**». فخرجتُ لهُم بهذا القدح، فأسقيتُهُم فيه فأخرج لنا سهلٌ ذلك القدح فشربنا منهُ. قال: ثُم استوهبهُ عُمرُ بنُ عبد العزيز بعد ذلك فوهبهُ لهُ)[1].

فى الحديث بيان ما كان عليه الصحابة والتابعون من تعظيم آثار النبى ﷺ والحرص على اقتنائها والتبرك بها، ويظهر ذلك من الأمور التالية:

١- احتفاظ سهل بن سعد ﵁ بالقدح الذى شرب فيه النبى ﷺ كل هذه المدة الطويلة، وما يتصور أن قدحًا يبقى مثل تلك الفترة الزمنية الطويلة إلا إذا حافظ عليه صاحبه أشد المحافظة.

٢- الظاهر من الحديث - والله أعلم - أن النبى ﷺ لم يشرب من

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٦٣٧) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٠٧) كتاب الأشربة.

هذا القدح إلا مـرة واحدة، عندما نزل سـقيفة بنى سـاعدة وهذا يدل على تعظيم الصحابة رضي الله عنهم لآثار النبى ﷺ والحرص على التـبرك بها والمحافظة عليها بأقل مماسـة أو ملامسة للنبى ﷺ، فهذا قدح لم يشـرب فيه النبى ﷺ إلا مرة واحدة ويكون كل ذلك الحرص عليه.

٣- حـرص الصـحـابة على إعـلام التـابعـيـن بآثار النبى ﷺ، بل وحرصهم أيضًا على أن ينال التابعون شرف ملامسة تلك الآثار وبركتها.

٤- حرص التابعين على اقتناء آثار النبى ﷺ . . . فهذا الخليفة الصالح عمر بن عـبد العزيز - رحمـه الله تعالى - يسأل سهـلاً أن يهب له القدح الذى شرب فـيه النبى ﷺ، وما فـعل ذلك إلا حرصًـا منه على أن ينال بركة ملامسة ما لامسه النبى ﷺ بيده وفمه.

٥- وإن تعجب أخى القارئ مما ذُكر، فالعجب كل العـجب هو اعتقاد الصحابة الجازم ومن تابعهم أن بركة النبى ﷺ التى حلَّت فى القدح الذى شرب فيـه مرة واحدة تبقى فيـه فلا تذهب بكثرة الشاربين والملامـسين لهذا القدح وبطول المدة التى تبقى فيها القدح.

وأختم بما قاله الإمام النووى - رحمـه الله - (وفى الحديث التبرك بآثار النبى ﷺ وما مسَّه أو لبسـه أو كان منه فيه سبب، وهذا نحو ما أجمعوا عليه وأطبق السلف والخلف عليه من التبـرك بالصلاة فى مصلى رسول الله ﷺ وغير ذلك، ومن هذا إعطاؤه ﷺ أبا طلحـة شعره ليـقسـمه بين الناس، وإعطاؤه ﷺ حقوه تكفن فـيه بنته رضي الله عنها، وجعلُه الجريدتين على القبرين، وجمعت بنت ملحان عرقه ﷺ وتمسَّحوا بوضوئه ﷺ ودلكوا وجوههم بنخـامته، وأشبـاهُ هذه كثيرةٌ مـشهورة فى الصـحيح، وكل ذلك واضح لا شك فيه)[1].

---

(١) انظر شرح النووى على صحيح مسلم، (١٣/ ١٧٩).

ثمرات رؤية النبى صلى الله عليه وسلم

ثمرات رؤية النبى ﷺ

وأما عن ثمرات رؤية النبى ﷺ فهى أعظم من أن تُحصَى... وهل هناك مسلم لا يشتاق قلبه لرؤية النبى ﷺ.

* فقد كان الصحابى الذى رأى النبى ﷺ يسعد برؤيته ويزداد إيمانًا بصحبته... ويتعلم كيف يزهد فى الدنيا ويسلك طريق الآخرة ليفوز بجنة عرضها السماوات والأرض.

* بل إن من ثمرات رؤية النبى ﷺ فى اليقظة أنه يفتح بعد ذلك فى الغزو لمن رآه... أى أن من بركة رؤية النبى ﷺ أنه إذا غزا جيش مسلم لمحاربة الكافرين فإنه يُفتح عليهم إذا كان فى الجيش المسلم رجلٌ رأى النبى ﷺ.

* **عن أبى سعيد الخُدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يأتى زمانٌ يغزُو فئامٌ من الناس فيُقالُ: فيكُم مَن صَحِبَ النبى ﷺ؟ فيقالُ: نعم، فيُفتح عليه، ثُم يأتى زمانٌ فيُقالُ: فيكُم مَن صَحِبَ أصحاب النبى ﷺ؟ فيُقالُ: نعم، فيُفتحُ، ثُم يأتى زمان فيُقالُ: فيكُم مَن صَحِبَ صاحب أصحاب النبى ﷺ فيُقال: نعم، فيُفتحُ لهم»**[1].

هذا الحديث يبين بجلاء - لمن تدبره وتمعّن فيه - المكانة العالية الرفيعة للنبى ﷺ عند ربه، والتى لم ولن يصل إليها أحد من الأولين والآخرين، لا نبى مُرسَل ولا ملك مُقرَّب، فالحديث يخبر أن طائفةً من المؤمنين - بعد النبى ﷺ - تغزو فى سبيل الله، فيُسألون هل فيكم من صحب النبى ﷺ؟ فإذا وُجد فيهم صحابى واحد يُفتح لهم ويغلبون عدوهم - بإذن الله - وهكذا يتكرر الأمر فى عصر التابعين، وعصر تابعى التابعين.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٨٩٧) كتاب الجهاد.

* **بعض فوائد الحديث:**

* **الفائدة الأولى: فى فضائل النبى ﷺ :**

١- إخباره ﷺ بوحي من ربه - تبارك وتعـالى - أن الغزو فى سبيل الله لن يتوقف بموته ﷺ ، بل سيستمر خاصة فى القرون الثلاثة المفضلة.

٢- إخباره ﷺ أن هذا الغزو سيكون فيه الغَلَبَة والفتح للفئة المسلمة، أى أنه ﷺ أخبر بوقوع المعارك ونتائجها.

٣- عظيم بركة رؤية النبى ﷺ وصحبته ويتضح ذلك من:

أ- الفتح والنصـر يكون لوجود أحـد رأى أو صحب النبى ﷺ ولو كانت هذه الصحبة للحظة واحدة أو تحقـقت الرؤية لفترة قصيرة ولـم يحدث فيهـا سلام أو كلام. . . ودليله أن المنادى لم يشتـرط فترة مـعينة للرؤية أو الصحبة، فدلَّ ذلك أن هذا الفـتح يحدث لمن كان له أدنى رؤية أو صحـبة للنبى ﷺ . . . فتدبرً.

ب- لم تقتصر بركة الرؤية والفتح لمجرد الصحبة على عصر الصحابة بل امتد ذلك إلى ثلاثة عصور، أى أن فضل النبى ﷺ قد امتد، وبركته قد انتـقلت من عصر إلى عـصر، فمن عظيم بركـته ﷺ أن من رآه من عصر الصحابة تكون له بركة تنفع - بإذن الله - من يراه فى عصر التابعين وهكذا.

ج- بيان أن الصـحبة وحدها مـجردة لا يعدلهـا شىء أبدًا من الطاعات الكبيرة والقـربات الكثيرة، ودليله أن المنادى لا يسأل عن عُـبَّاد لهم طاعات معينة أو قربات مـخصوصة يستحقـون عليها الفتح، ولكن يسأل فقط عمن رأى أو صَحِب، فهذه الخصلة تكـفى عما سواها، مع ملاحظة أنه قد يكون من الناس فى الغزو من له من الطاعات والقربات أكثر ممن له مجرد الرؤية، ولكن كما قلنا: الرؤية لا يعدلها شىء، فتُقدَّم على كل شىء.

د- لم يكن الفتح بسبب وجود فئة فى الغزو صحبت النبى ﷺ ، إنما العجيب أن يكون الفتح والنصر وإكرام الجيش كله، لوجود ولو رجل واحد. . . وتدبر أخى القارئ قوله ﷺ : **«فيوجد الرجل فيفتح لهم به»**.

الفائدة الثانية: الحديث بشرى سارة من النبى ﷺ لكل من غزا فى سبيل الله عز وجل فى تلك العصور الثلاثة المفضلة، كما أن فيه حثًّا لهم على الغزو والجهاد.

الفائدة الثالثة: للصحابة والتابعين وتابعى التابعين ﷺ شرف عظيم يميزهم عن بقية الناس كلهم جميعًا، كما يؤخذ من الحديث فضل تلك الأزمان؛ لأن الزمن يشرف بمن يعيش فيه ويُعمره بالطاعات والقربات.

رؤية النبى ﷺ فى المنام

عن أبى هريرة قال: سمعت النبى ﷺ يقول: **«من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة، ولا يتمثلُ الشيطان بي»**[1].

* بعض فوائد الحديث:

* **الفائدة الأولى: فى فضائل النبى ﷺ :**

١- رؤيتُه ﷺ فى المنام لا تستوى مع رؤية غيره من البشر، حيث ذكر الإمام ابن حجر أن الشيخين رَويا: **«فإنه لا ينبغى للشيطان أن يتشبه بى»**[2]، وقوله ﷺ : **«من رآنى فى المنام فقد رآنى؛ فإن الشيطان لا يتمثل بى»**[3].

أما غيره ﷺ فقد يتمثل به الشيطان فى المنام.

٢- رؤيته ﷺ فى المنام تنطوى على بشرى عظيمة، وهى رؤيته فى اليقظة، لقوله ﷺ : **«من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة»** ولا شك أنها

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٩٩٣) كتاب التعبير.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩٩٣) كتاب التعبير، ومسلم (٢٢٦٦) كتاب الرؤيا.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٦٦) كتاب الرؤيا.

من المبشرات العظيمة التى تُفرح القلوب وتثلج الصدور، كما أنها مبشرة ببشرى أخرى لازمة وهى دخول الجنة، حيث لا مكان لرؤيته ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى إلا فى الجنة.

* **الفائدة الثانية: كيف يعلم المسلم أن الذى رآه فى المنام هو النبى ﷺ؟**

ذكر الإمام ابن حجر - رحمه الله - ما نصه: «كان محمد - يعنى ابن سيرين - إذا قص عليه رجل أنه رأى النبى ﷺ قال: صِفْ لى الذى رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم تره»[1]. وسنده جيد. انتهى.

وهذا هو الصحيح - والله أعلم -؛ لأن قوله ﷺ: «**ولا يتمثل الشيطان بى**». أى: لا يأتى بصورتى التى يعرفها الناس، وهذا لا يمنع أن يأتى الشيطان ويقذف فى قلب الرائى أنه النبى ﷺ، ولكن بصورة تخالف الصورة التى يُعرف بها النبى ﷺ، فالحديث لا يمنع حدوث مثل هذا، بل أعتقد أنه يجب القول به، لأننا كثيراً ما نسمع من أصحاب البدع والأهواء أنهم رأوا النبى ﷺ وأمرهم بأشياء تخالف ما ورد بالكتاب والسنة، ولا تفسير لذلك - إن صدقوا فى دعواهم - أن الذى رأوه هو الشيطان، وأنه لم يأتِ بالهيئة المعروفة للنبى ﷺ.

* **الفائدة الثالثة: ما هى فوائد رؤية النبى ﷺ فى المنام؟**

قال ابن حجر - رحمه الله -: «ومن فوائد رؤيته ﷺ تسكين شوق الرائى لكونه صادقًا فى محبته ليعمل على مشاهدته، وإلى ذلك الإشارةُ بقوله: «**فسيرانى فى اليقظة**»، أى من رآنى رؤية، معظمًا لحرمتى ومشتاقًا إلى مشاهدتى وصل إلى رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه، ويجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى صورته وهو دينه وشريعته فيعبر بحسب ما يراه الرائى من زيادة ونقصان أو إساءة وإحسان».

---

(١) انظر فتح البارى (١٦/ ٣٨٤).

الفائدة الرابعة: فى الحديث دليل على أن الشيطان له قدرة على أن يتمثل فى أى صورة أراد، ولكن الله - سُبحانهُ وتعالى - لم يمكنه من التصور فى صورة النبى ﷺ:

والحكمة من ذلك ذكرها الإمام النووى - رحمه الله - فقد قال ما نَصُّه: «قال القاضى: قال بعض العلماء: خصَّ الله تعالى النبى ﷺ بأن رؤية الناس إياه صحيحة، وكلها صدق، ومنع الشيطان أن يتصور فى خِلقته لئلا يكذب على لسانه فى النوم، كما خرق الله تعالى العادة للأنبياء - عليهم السلام - بالمعجزة، وكما استحال أن يتصور الشيطان فى صورته فى اليقظة، ولو وقع لاشتبه الحق بالباطل، ولم يوثق بما جاء به مخافة من هذا التصور، فحماها[1] الله تعالى من الشيطان ونزغِه ووسوسته وإلقائه وكيده»[2]. انتهى.

يتمنى المؤمن رؤية النبى ﷺ ولو بأهله وماله

عن أبى هُريرة أن رسُول الله ﷺ قال: **«من أشد أُمتى لى حُبًّا ناسٌ يكُونُون بعدى يودُّ أحدُهُم لو رآنى بأهله وماله»**[3].

* **بعض فوائد الحديث:**

* **الفائدة الأولى: فى شمائل النبى ﷺ:**

١- بيان أن مجرد رؤية النبى ﷺ لها فضل عظيم، حيث ذكر الحديث أن رؤيته ﷺ ستكون أعز وأغلى عند بعض أمته من مالهم وأهلهم، بل يقدمون المال والأهل فى سبيل تحقيق هذه الرؤية الغالية العزيزة.

قال ﷺ: «يود أحدهم لو رآنى بأهله وماله».

---

(١) أى: حمى صورته ﷺ.

(٢) انظر شرح النووى على صحيح مسلم (١٥/ ٢٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٢) كتاب الجنة.

٢- بيـان فضل النبى ﷺ ومكانتـه وشـرفه عند الله عـز وجل وعند أمته؛ لأننا نقول: إذا كانت رؤيتـه ﷺ منامًا أو يقظة ولأدنى زمن تتحقق فيه الرؤيا. . . تكون عند البعض بالمال والأهل فمـا بالنا بصحبته مع نصرته وحبـه للصحـابى وحب الصحـابى له، وهى أمور أعـظم قطعًا من مـجرد الرؤية، فكم ينبغى أن يقدم المسلم لينال كل هذه الأمور مجتمعةً؟!.

ويتفرع على هذا أن نتصـور عظيم قدر الفضل والمنح والنعم التى تفضل الله بها على الصحابة، إذا اختصهم دون الخلق بصحـبة نبيه ﷺ ونصرته ورؤيته دومًا وفى كل الأوقـات وعلى كل الأحوال، فلم يحظوا بالرؤية فقط التى تكون بالأهل والمال، ولكنهم تكلمـوا مـعه وتكـلم معـهم، وعلَّمهم وربَّاهم، وصلى بهم وسافر مـعهم ودعا لهم، ومات وهو راضٍ عنهم، بل الأثمن والأغلى أن جُلَّهم قد لامست يده يدُ النبى ﷺ وبشرته بشرةُ النبى ﷺ وهل بعد هذا الفضل من فضل؟!.

ومن جهة أخرى: يجب علينا أن نحب الصحابة ﷺ ونُجلهم ونكبرهم لما كان لهم من هذا الفضل الجزيل.

٣- فى الحديث معجزتان من دلائل نبوته ﷺ.

الأولى: إخباره ﷺ بأمـر من أمور الغيب - التى أطلعه اللـه عليها - وهو وجود مثل هذه الفئة من أمته ﷺ.

الثانـية: وجود مـثل هذه الفئة من أمـة الإسلام، التى تحب النبى ﷺ مثل هذا الحب دون صـحبـة أو معاصـرة أو حتى رؤية، بحيث يود الرجل منهم لو رأى النبى ﷺ ولو للحظة يقظة أو مـنامًا - مقـابل أهله وماله، وهذا الأمـر لو تدبره أصحـاب العقـول السوية لعلمـوا أنه من أعظم دلائل صدق نبوته ﷺ . . . فسبحان من لا يقدر على تهيئة القلوب وتوفيقها لمثل هذا الحب إلا هو - تبارك وتعالى -.

٤- فى الحديث دفع شبهات الكفار حول النبى ﷺ ، والتى سجلها القرآن الكريم عنهم فى أكثر من موضع، حيث قالوا - لعنة الله عليهم -: إنه ساحر. فنقول لهم: إذا كان النبى ﷺ - وحاشا لله - قد سحر أصحابه فأحبوه ونصروه وضحّوا معه بكل غالٍ ونفيس، فمَن هذا الذى سحر أتباعه ممن لم يروه ولم يرهم وقد أحبوه كل هذا الحب، وإذا كان أصحابه ﷺ قد أحبوا النبى ﷺ لأغراض دنيوية، أو لرؤيتهم المعجزات الحسية على يديه، فما بال أتباعه ﷺ الذين لم يروه قد أحبوه مثل هذا الحب، وقد تمنوا أن لو قدموا كل ما لديهم فى الدنيا - من المال والأهل - فى سبيل رؤيته.

٥- بيان الحب الذى ينبغى أن يستقر فى قلب المؤمن للنبى ﷺ ، والذى بموجبه يرضى الله عز وجل على العبد.

ويتفرع عليه أن على كل مسلم أن يقارن حاله بحال الفئة التى ذُكرت بالحديث، فإن وافق حاله حالها فليحمد الله عز وجل، وإلا فليفتش فى نفسه ويجاهدها حتى يصل إلى تلك المرتبة العليا.

*** الفائدة الثانية: فى الحديث لفت أنظار الصحابة ﷺ لما هم فيه من نعمة، وحثهم على كثرة مصاحبته ﷺ ونصرته وملازمته:**

يؤيد ذلك ما رواه مسلم: عن أبى هُريرة، عن رسُول الله ﷺ قال: **«والذى نفس مُحمد بيده ليأتين على أحدكم يوم ولا يرانى، ثُم لأن يرانى أحبُّ إليه من أهله وماله معهُم»**(١). قال أبو إسحاق: المعنى فيه عندى: لأن يرانى معهُم أحبُّ إليه مَن أهله وماله. وهُو عندى مُقدمٌ ومُؤخرٌ.

قال الإمام النووى - رحمه الله - فى شرح هذا الحديث ما نصُّه: «وتقدير الكلام: يأتى على أحدكم يوم لأن يرانى فيه لحظة ثم لا يرانى بعدها أحب إليه من أهله وماله جميعًا. ومقصودُ الحديث حثهم على ملازمة مجلسه

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٤) كتاب الفضائل.

الكريم ومشاهدته حَضَرًا وسفرًا للتأدب بآدابه وتعلم الشرائع وحفظها ليبلغوها وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فرطوا فيه من مشاهدته وملازمته». انتهى[1].

* **الفائدة الثالثة: إثبات أنه ليس المقصودُ اتباع سنة النبي ﷺ الظاهرة والباطنة فقط:**

وإن كان هذا شيئًا عظيمًا في حد ذاته، ولكن ينبغي أن يصحب ذلك حب النبي ﷺ بالقلب، وليس بالعقل وحده.

* **الفائدة الرابعة: وهي متفرقات:**

١- شوق المحب إلى رؤية محبوبه تُعد من أكبر العلامات الدالة على شدة الحب؛ لأن النبي ﷺ استفتح الحديث بقوله: «**من أشد أمتي لي حبًا**»، ثم ذكر صفتهم ودليل محبتهم بقوله: «**يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**»، ولذلك أقول: إن مَن ادَّعى الحب دون الشوق إلى الرؤية ففي دعواه شيء.

٢- في الحديث مشروعية الدعاء برؤية النبي ﷺ، لأنه لا يقدر أن يحقق أماني العبد إلا الله - سُبحانه وتعالى -.

٣- يتفاوت المسلمون تفاوتًا بيِّنًا في حب النبي ﷺ، فأعظمهم حبًا من يتمنى أن يرى النبي ﷺ بالمال والأهل، وأدناهم منزلةً من لم يفكر في هذا الأمر ولم يشغل باله به.

٤- من الممكن أن يتولد حب الغير في قلب الإنسان من غير رؤية هذا المحبوب، وقد يصل هذا الحب إلى أعلى درجاته وهو تمني الرؤية بالمال والأهل، ولكن لا يتأتى ذلك إلا بكثرة القراءة عن المحبوب والتشبُّه به واتباعه وكثرة ذكره، وتذكُّر ثواب ذلك في الدنيا والآخرة.

٥- في الحديث إشارة إلى مشروعية أن يقول المسلم بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى: - فداك أبي وأمي -[2].

---

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١١٩).

(٢) بتصرف من كتاب (شمائل الرسول ﷺ) للشيخ أحمد الزواوي.

توقير النبى ﷺ لإخوانه من الأنبياء والمرسلين

توقير النبى ﷺ لإخوانه من الأنبياء والمرسلين

نحن نعلم يقينًا أن من أركان الإيمان (الإيمان بالرسل).

فالله (عز وجل) إنما أرسل الرسل جميعًا لغاية واحدة ألا وهى دعوة الناس إلى الإيمان بالله وإفراده بالتوحيد والعبادة.

فهم جميعًا كالبناء الواحد ومن ثم قال رسول الله ﷺ: **«إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجلٍ بنى بيتًا، فأحسنهُ وأجملهُ إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناسُ يطُوفُون به ويعجبُون لهُ، ويقُولون: هلا وُضعت هذه اللبنة»**. قال: **«فأنا اللبنةُ، وأنا خاتمُ النبيين»**(١).

* ولذا فإن القرآن يأمرنا بأن نؤمن بجميع الأنبياء دون تفرقة بينهم.

قال تعالى: **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**(٢).

ولذا فإنه مَن كذَّب رسولاً واحدًا فكأنما كذب كل الأنبياء والمرسلين.

لقول الله تعالى: **﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾**(٣)، وقوله: **﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾**(٤)، ويقول سيد قطب فى الظلال تعليقًا على هذه الآية: «وقوم نوح لم يُكذبوا إلا نوحًا، ولكن الله سبحانه وتعالى يذكر أنهم كذبوا المرسلين، فالرسالة فى أصلها واحدة، وهى دعوة إلى توحيد الله، وإخلاص

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٣٥) كتاب المناقب، ومسلم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل.

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٣٦).

(٣) سورة الشعراء: الآية: (١٢٣).

(٤) سورة الشعراء: الآية: (١٠٥).

العبودية له، فمن كذب بها فقد كذب بالمرسلين أجمعين، . . . فهذه دعوتهم أجمعين»(١).

* ومن أجل ذلك نهى النبى ﷺ أمته عن أن تُفاضل بين الأنبياء. فقال ﷺ: **«لا تُخيرونى من بين الأنبياء»**(٢).

بل والأعجب من ذلك أنه لما حدث خلاف بين مسلم ويهودى حول المفاضلة بين الأنبياء فسمع النبى ﷺ كلامهما فغضب غضبًا شديدًا.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه فقال: بينما يهودىٌّ يعرض سلعته أُعطى بها شيئًا كرهه، فقال: لا، والذى اصطفى موسى على البشر. فسمعه رجُلٌ من الأنصار فقام فلطم وجهه، وقال: تقول: والذى اصطفى موسى على البشر. والنبىُّ ﷺ بين أظهُرنا؟! فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لى ذمةً وعهدًا، فما بال فلان لطم وجهى؟ فقال ﷺ: **«لمَ لطمت وجههُ؟!»**. فذكرهُ، فغضب النبى ﷺ حتى رُئى فى وجهه، ثم قال: **«لا تُفضلُوا بين أنبياء الله؛ فإنهُ يُنفخُ فى الصُّور فيصعقُ من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء اللهُ، ثُم يُنفخُ فيه أُخرى فأكُونُ أول من بُعث، فإذا مُوسى آخذٌ بالعرش، فلا أدرى أَحُوسب بصعقته يوم الطُّور أم بُعث قبلى؟ ولا أقُولُ إن أحدًا أفضلُ من يُونُس بن متَّى»**(٣).

* بل ومن أكثر الأشياء التى توضح لنا مدى توقير النبى ﷺ لإخوانه من الأنبياء والمرسلين أن القرآن المكى كان يتحدث عن تكريم موسى وعيسى (عليهما السلام) كثيرًا. . واستمر هذا التكريم فى الفترة المدنية مع ما كان فيها من صراعات مع اليهود والنصارى ومحاربتهم للنبى ﷺ وللإسلام والمسلمين ومع ذلك تنزل الآيات القرآنية تكريمًا لموسى وعيسى (عليهما

(١) الأستاذ سيد قطب: فى ظلال القرآن (٥/ ٣٥٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٩١٦) كتاب الديات.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٠٧) كتاب الأنبياء، ومسلم (٢٣٧٣) كتاب الفضائل.

السلام) كائنين من أُولى العزم من الرسل. . . فيقول سبحانه فى حقهما:
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(١).

* وهذا يوضح لنا مدى حب النبى ﷺ لإخوانه من الرسل بل ويوضح مدى أمانته ﷺ فى تبليغ الوحى. . . فإننا إذا تصورنا أن سورة الأحزاب نزلت بعد خيانة يهود بنى قريظة للمسلمين ومع ذلك ينقل النبى ﷺ تكريم آيات القرآن لموسى وعيسى (عليهما السلام) رغم خيانة أقوامهم وأتباعهم.

* بل والأعجب من ذلك أن النبى ﷺ ينقل للأمة هذا القرآن بكل صدق وأمانة وقد ذُكر موسى (عليه السلام) فى القرآن مائة وست وثلاثين مرة وذُكر عيسى (عليه السلام) فى القرآن ستة وثلاثين مرة - جاء بلفظ عيسى خمسًا وعشرين مرة وبلفظ المسيح إحدى عشرة مرة -.

بينما جاء ذكر النبى ﷺ فى القرآن خمس مرات فقط - منها أربع بلفظ محمد ﷺ ومرة واحدة باسم أحمد ﷺ -.

فهل رأيتم حبًّا مثل هذا الحب. . . وهل رأيتم أمانة مثل أمانة النبى ﷺ.

* وكان النبى ﷺ ينقل هذا الحب لأصحابه وأمته. . . فكان يُعلمهم حب الأنبياء والمرسلين وتوقيرهم.

* فيقول ﷺ عندما علم ﷺ بأن اليهود يصومون يوم عاشوراء؛ احتفالاً بإنجاء الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام وبنى إسرائيل من عدوهم: «أنا أحقُّ بموسى منكُم». فصامه وأمر بصيامه(٢).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٠٤) كتاب الصيام، ومسلم (١١٣٠) كتاب الصيام.

* بل وحتى عندما كـان النبى ﷺ يتمنى من نبى أن يفعل شيئًـا غير الذى فعله أو يقول كلمة غير التى قالها فإنه كان يُقدم أمنيته بالدعاء له.

فمثلاً: عندما قال لوط (عـليه السلام) ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [(١)]، قال رسول الله ﷺ: «يرحمُ اللهُ لُوطًا، لقد كان يأوى إلى ركنٍ شديد» [(٢)].

- بل وعندما تمنى النبى ﷺ أن يصير موسى (عليه السلام) فى رحلته مع الخضـر لنرى العجائب فى تلك القصـة قال ﷺ: «يرحمُ الله مُوسى، لوددنا لو صبر حتى يُقَصَّ علينا من أمرهما» [(٣)].

* بل إن حب النبى ﷺ لإخوانه من الأنبـياء والمرسلين قد وصل إلى حب أتباعهم الذين ساروا على نهجهم وثبتوا على دينهم.

فها هو ذا يمدح الراهب النصرانى فى قصة أصحاب الأخدود [(٤)].

وها هو ذا يمـدح الأعـمـى من بنى إسـرائيل الذى شكـر نعـمـة الله تعالى [(٥)]، وها هو يمدح جُـريجًا [(٦)] ويذكر قـصته للصـحابة ولنا، وهو من عُباد بنى إسرائيل، وهكذا.

* هكذا لم يكن موقف النبى ﷺ من الرسل قـد وقف عند الاعتراف بهم فحسب بل تجاوز ذلك إلى حبهم وتوقـيرهم وذكرهم بكل خير والدفاع عنهم ونقل ذلك كله إلى الأمة الإسلامية.

---

(١) سورة هود: الآية: (٨٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٧٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٨٠) كتاب الفضائل.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٢) كتاب العلم، ومسلم (٢٣٨٠) كتاب الفضائل.

(٤) حديث أصحاب الأخدود رواه مسلم عن صهيب (٣٠٠٥) كتاب الزهد والرقائق.

(٥) قصة الأقـرع والأعمى والأبرص الذين ابتلاهم الله، رواها البـخارى عن أبى هريرة: كتاب الأنـبياء (٣٢٧٧)، ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٤).

(٦) قصـة العابد (جـريج) والطفل الذى تكلم فى المهـد، رواها البخـارى عن أبى هريرة: كتـاب أبواب العمل فى الصلاة، (١١٤٨)، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٥٠).

وفاء النبى ﷺ لإخوانه من الأنبياء

فنحن نعلم أن النبى ﷺ هو سيد الأوفياء.. فلقد كان وفيًّا مع كل الناس من حوله فما ظنك بوفائه مع صفوة خلق الله من الأنبياء والمرسلين (صلوات ربى وسلامه عليهم).

عن أبى هُريرة رضي الله عنه: أنه قيل لرسول الله ﷺ: يا رسُول الله من أكرمُ الناس؟ قال: «**أتقاهُم**». فقالُوا: ليس عن هذا نسألُك، قال: «**فيوسف نبى الله،، ابن نبى الله، ابن نبى الله، ابن خليل الله**». قالوا: ليس عن هذا نسألُك. قال: «**فعن معادن العرب تسألون؟ خيارُهُم فى الجاهلية خيارُهُم فى الإسلام إذا فقهُوا**»[(١)].

* **بعض فوائد الحديث:**

* ثناؤه على يوسف عليه السلام حيث إنه لما سُئل عن أكرم الناس، ذكر يوسف عليه السلام من حيث كونه نبيًّا ابن نبى ابن نبى ابن نبى، فهو يوسف بن إسحاق بن يعقوب بن إبراهيم، عليهم جميعًا الصلاة والسلام،

* ثناؤه ﷺ على النبى الكريم، إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث أثبت له الخلة، بقوله «**ابن خليل الله**»، وقد ثبتت هذه الخلة له فى كتاب الله العزيز بقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾[(٢)].

* طهارة ونقاء قلبه ﷺ وأنه ليس فيه أدنى حقد ولا حسد ولا غل، لإخوانه من الأنبياء عليهم جميعًا الصلاة والسلام، ودليله أنه كان ﷺ يُكثر من ذكرهم، ويعدد محاسنهم ومآثرهم ليُحبِّب الناس فيهم، بل ويمدحهم بما يظن السامع أنهم جميعًا أفضل منه مكانة وأشد قربًا إلى الله،

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٣٥٣) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٢) سورة النساء: الآية: (١٢٥).

فهو ﷺ يقول عن يوسف: إنه أكرم الناس.

عن أنس بن مالك قال: جاء رجلٌ إلى رسُول الله ﷺ فقال: يا خير البرية، فقال رسُولُ اللَّه ﷺ: «**ذاك إبراهيمُ عليه السلام**»(١).

وهذا من عظيم تواضعه ﷺ مع ما فيه من حسن الوفاء والثناء.

قال النووى: (قال العلماء: قال ﷺ هذا تواضعًا واحترامًا لإبراهيم عليه السلام لخلته وأُبوته، وإلا فنبينا ﷺ أفضل؛ . . . لقوله: «**أنا سيد ولد آدم**»، ولم يقصد به الافتخار، ولا التطاول على من تقدمه بل قاله بيانًا لما أُمر ببيانه وتبليغه ولهذا قال ﷺ: «**ولا فخر**».

*** وفاؤه لأخيه سليمان (عليه السلام):**

فعن أبى الدرداء قال: قام رسُولُ الله ﷺ فسمعناهُ يقُولُ: «**أعُوذُ بالله منك**»، ثُم قال: «**ألعنك بلعنة الله، ثلاثًا**» وبسط يدهُ كأنهُ يتناولُ شيئًا، فلما فرغ من الصلاة قُلنا: يا رسُولَ الله قد سمعناك تقُولُ فى الصلاة شيئًا لم نسمعك تقُولُهُ قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك! قال: «**إن عدو الله إبليس جاء بشهابٍ من نار ليجعلهُ فى وجهى، فقلت: أعُوذُ بالله منك ثلاث مرات، ثُم قلت: ألعنكَ بلعنة الله التامة، فلم يستأخر، ثلاث مرات، ثُم أردتُ أخذهُ، والله لولا دعوةُ أخينا سليمان لأصبح مُوثقًا يلعبُ به ولدانُ أهل المدينة**»(٢).

* وفى الحديث:

* أن النبى ﷺ كان يود أن يوثق الشيطان الذى تفلَّت عليه (أى تعرض له فى صلاته) فى إحدى سوارى المسجد ليلعب به الولدان، بعد أن مكَّنه الله - تعالى - منه حيث قال: «**والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**»، ولكنه ﷺ لم يفعل، تحقيقًا لرغبة أخيه

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٩) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٤٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

سليمان عليه السلام بأن يكون له ملك لا ينافسه فيه أحد من العالمين بعده، قال تعالى، ذاكرًا دعوة سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾(١). مع أن النبى ﷺ لو ربط الشيطان، لأُضيف هذا إلى شمائله، معجزة عظيمة وهى تسخير الجن، ولكنه ﷺ آثر أخيه سليمان على نفسه.

*** وفاؤه لأخيه داود (عليه السلام):**

* كما أثنى ﷺ على أخيه داود عليه السلام أبلغ الثناء حيث أثبت أن صلاة وقيام داود كانت هى الأحب إلى الله - سبحانه وتعالى -.

روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسُول الله ﷺ قال لهُ: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داوُد عليه السلام وأحب الصيام إلى الله صيامُ داوُد، وكان ينامُ نصف الليل ويقُومُ ثُلُثهُ وينامُ سُدُسهُ، ويصُومُ يومًا ويفطر يومًا**»(٢).

* وموطن الثناء أن النبى ﷺ قد بيَّن أن أحدًا لا يستطيع أن يتقرب إلى الله بصلاة أو صيام أفضل صورةً مما كان يتقرب به نبى الله داود عليه السلام.

فائدة: أعتقد أن النبى ﷺ ما صام صيام داود عليه السلام وهو صيام يوم وإفطار يوم، مع أنه أتقى الخلق إلى الله - عز وجل - حتى لا يشق على أمته ويحرجهم وحتى لا يجعلها سنة فيهم، كصيام الاثنين والخميس، ولكنه ﷺ علَّمنا كيف نحوز أجر صيام الدهر كله.

عن أبى أيُّوب الأنصارى رضي الله عنه: أن رسُول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثُم أتبعهُ ستًّا من شوالٍ كان كصيام الدهر»(٣).

---

(١) سورة ص: الآية: (٣٥).

(٢) صحيح: رواه البخارى (١١٣١) كتاب الجمعة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٦٤) كتاب الصيام.

معاملات النبى صلى الله عليه وسلم

مع كل من حوله

معاملات النبى ﷺ مع كل مَن حوله

* وإذا أردنا أن نتحدث عن حُسن معاملة النبى ﷺ لكل من حوله فلابد أن نبدأ بأولى الناس بتلك المعاملة الحسنة بعد الوالدين: ألا وهى الزوجة.

النبى ﷺ أعظم زوج فى العالم

لقد كان الرسول ﷺ أعظم زوج عرفته البشرية كلها... وأنا أعلم ما أقول جيدًا فليست هذه الكلمات صورة بلاغية أرسمها لعظيم من العظماء، وإنما هى الحقيقة التى رأيناها فى سيرة المُعلِّم والمُربِّى الذى أرسله الله ـ جل وعلا ـ رحمة للعالمين.

إن الباحث فى الحياة الزوجية عند النبى ﷺ يجد أنها تطبيق عملى دقيق لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[1].

• رحمة النبى ﷺ بالنساء:

لقد كان النبى ﷺ أرحم الناس بالنساء.. وكان يوصى بالنساء خيرًا ويقول: **«اتقوا الله فى النساء»**[2]، و**«استوصوا بالنساء خيرًا»**[3]، ويقول: **«إنى أُحَرِّجُ عليكم حَقَّ الضعيفين: اليتيم، والمرأة»**[4].

* وكان يعطى للكون كله دروسًا عملية فى الإحسان إلى الزوجة والرفق

(١) سورة النساء: الآية: (١٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٨٦) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٦٨) كتاب الرضاع.

(٤) حسن: رواه ابن ماجه، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠١٥).

بها.. كيف لا وهو الذى قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى»[(١)].

وقال ﷺ فى خطبة حجة الوداع: «فاتقوا الله فى النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»[(٢)] وفى رواية: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة»[(٣)] الحديث.

• النساء يشهدن برحمته ﷺ:

عن أميمة بنت رُقيقة ﵂ قالت: أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من المسلمين لنبايعه، فقلنا: يا رسول الله، جئنا لنبايعك على ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك فى معروف، قال: فقال رسول الله ﷺ: «فيما استطعتن وأطقتن» قالت: قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا بايعنا يا رسول الله قال: «اذهبن فقد بايعتكن، إنما قولى لمائة امرأة، كقولى لامرأة واحدة» قالت: ولم يصافح رسول الله ﷺ منا امرأة[(٤)].

* وعن سعد بن أبى وقاص ﵁ قال: استأذن عمرُ على النبى ﷺ، وعنده نسوةٌ من قريش يُكَلِّمْنَهُ - وفى رواية: يسألنه، ويستكثرْنَه - عاليةً أصواتُهنَّ على صوته، فلما استأذن عُمَرُ قُمْنَ يبتَدِرْنَ الحجابَ[(٥)]، فأذنَ له النبى ﷺ، فدخل عُمَرُ والنبى ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحَكَ الله سِنَّكَ[(٦)]، بأبى وأمى، قال: «عجبت من هؤلاء اللاتى كُنَّ عندى، فلما سَمِعْنَ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج.

(٣) حسن: رواه الترمذى، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٨٠).

(٤) صحيح: رواه الترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٢٩).

(٥) أى: يختبئن - وليس معناه أنهن كن يجلسن مع النبى ﷺ بغير حجاب.

(٦) قال الحافظ فى «الفتح»: «لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك، بل لازمه وهو السرور أو نفى ضد لازمه، وهو الحزن» اهـ.

صوتَك ابتدرْنَ الحجابَ»، قال عمر: فأنت يا رسولَ الله لأَحَقُّ أن يَهَبْنَ، ثم قال عمر: أى عَدُوَّاتِ أنفسهنَّ، أتَهَبْنَنى ولا تَهَبْنَ النبىَّ ﷺ؟، قلن: نعم، أنت أَفَظُّ وأَغْلَظُ من[1] النبىِّ ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إيه[2] يا ابنَ الخطاب، والذى نفسى بيده، ما لَقِيكَ الشيطانُ سالكًا فَجًّا إلا سَلَكَ فَجًّا غير فَجِّك»[3].

• كان النبى ﷺ يغضب إذا سمع بامرأة يضربها زوجها:

وبلغت رحمة النبى ﷺ بالنساء مبلغًا عظيمًا حتى إنه كان يغضب غضبًا شديدًا إذا سمع بامرأة يضربها زوجها.

* **عن أم المؤمنين عائشة ؓ قالت:** ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنْتَهَكَ شىء من محارم الله، فينتقم[4].

وعن عبد الله بن زمعة قال: وعظ النبى ﷺ فى النساء فقال: **«يضربُ أحدُكم امرأته ضرب العبد، ثم يعانقها آخر النهار؟»**[5].

• قبس من الهدى النبوى فى حسن المعاشرة:

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «وكان من أخلاق النبى ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين ؓ، يتودد إليها بذلك، قالت: سابقنى

(١) نفى القرآن عن رسول الله ﷺ أن يكون الفظاظة والغلظة خلقًا لازمًا له ﷺ فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، غير أنه ﷺ قد يغضب لله فى بعض الأحوال كإنكار المنكر مثلاً، وكان ﷺ لا يواجه أحدًا بما يكره إلا فى حق من حقوق الله تعالى، وكان عمر ؓ يبالغ فى الزجر عن المكروهات مطلقًا، وطلب المندوبات، فلهذا قال له النسوة ذلك - انظر «فتح البارى» (٦/ ٤٧).

(٢) بالكسر والتنوين، ومعناها: حدثنا ما شئت، وبغير التنوين: زدنا مما حدثتنا.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، و(٣٦٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٤٢) كتاب الأدب، ومسلم (٢٨٥٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

رسول الله ﷺ فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم، فسبقني، فقال: «هذه بتلك»، وكان ﷺ يجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء، وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(١)» اهـ.

* **وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:**

كان رسول الله ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر، فإن كنت مستيقظة حَدَّثني، وإلا اضطجع حتى يُؤَذَّنَ بالصلاة(٢).

وكانا يتبادلان السمر بالأحاديث الخفيفة، والقصص ذات الموعظة الحسنة، كما في حديث أبي زرع وأم زرع، حيث قال لها: «**كنت لك كأبي زرع لأم زرع**»(٣)، فأظهر استعداده لتحمل النفقة، والعطف والمودة والإحسان، وحسن المعاشرة، وفي رواية بزيادة: «**إلا أنه طلقها، وأنا لا أطلق**»، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله بل أنت خير من أبي زرع»(٤).

ومع انشغاله ﷺ بتبعات الدعوة الجسام، وبناء الأمة المسلمة كان لا يألو جهدًا عن مطايبة أزواجه ﷺ.

فكان ﷺ يُرخِّم اسم عائشة رضي الله عنها، وربما خاطبها «**يا عائش**»، و«**يا عويش**»، و«**يا حميراء**»، ليدخل السرور على قلبها.

وكان ﷺ يقول لها رضي الله عنها: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤٧٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣/ ٣٦) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٤٣) كتاب صلاة المسافرين.

(٣) أصل الحديث رواه البخاري (٥١٨٩) كتاب النكاح: باب حسن المعاشرة مع الأهل، ومسلم (٢٤٤٨) كتاب فضائل الصحابة: باب ذكر حديث أم زرع.

(٤) هذه الزيادة أخرجها النسائي في «عشرة النساء» (٢٥٦)، وانظر: «بغية الرائد» للقاضي عياض، «مختصر الشمائل المحمدية» للألباني هامش ص(١٣٤).

عليَّ غَضْبَى»، قالت : فقلت: من أين تعرف ذلك؟، فقال: «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا، ورب محمد، وإذا كنت غَضْبَى قلت: لا، ورب إبراهيم»! قالت: «أجل والله يا رسول الله! ما أهجر إلا اسمك»[١].

(١) تعامل النبى ﷺ مع زوجاته فى الجانب الإنسانى:

من مظاهر الخيرية عند رسول الله ﷺ حسن تعامله ﷺ مع زوجاته في جانبه الإنساني ويتضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

*** أولاً: دخوله عليهن ومؤانسته لهن:**

وكان له ﷺ نظام فى الدخول والخروج عليهن يعرفنه جميعًا: وكان يطوف عليهن كل صباح فيسلم عليهن ويدعو لهن.

عن ابن عباس قال: وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح جلس فى مصلاه، وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس، ثم يدخل على نسائه امرأة امرأة يسلم عليهن، ويدعو لهن، فإذا كان يوم إحداهن، كان عندها[٢].

وكان إذا انصرف من العصر دخل عليهن أيضًا، عن عائشة رضي الله عنها قالت: وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن. . .[٣].

قال الحافظ ابن حجر فى «فتح الباري»: «ويمكن الجمع بأن الذى كان يقع فى أول النهار سلامًا ودعاء محضًا، والذى فى آخره معه جلوس واستئناس ومحادثة[٤].

وقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يعدل بين نسائه، ولم يكن يفضل واحدة منهن على غيرها فيما يملك العدل فيه، ومن ذلك:

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٢٨) كتاب النكاح، ومسلم (٢٤٣٩) كتاب فضائل الصحابة.
(٢) «فتح البارى» (١٢/٥٣). . . وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٢١٦) كتاب النكاح.
(٤) «فتح البارى» (١٢/٥٣).

١- القسم العادل فى المبيت:

عن عائشة رضي الله عنها **قالت** لعروة: يا ابن أختى! كان رسول الله ﷺ لا يُفضِّلُ بعضنا على بعض فى القسم من مكثه عندنا، وكان قلَّ يومٌ إلا وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ إلى التى هو يومها فيبيت عندها (١).

٢- القرعة بينهن إذا أراد سفرًا:

عن عائشة رضي الله عنها **قالت**: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة(٢).

*** ثانيًا: تصريحه بحب أهله:**

ومن مظاهر الخيرية فى الحياة الزوجية للنبى ﷺ فى جانبها الإنسانى أنه كان يحب أهله ويصرح بذلك:

عن عائشة رضي الله عنها **أيضًا قالت**: استأذَنَتْ هالة بنت خويلد - أخت خديجة - على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك فقال: **«اللهم هالة»**.

قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين(٣) هلكت فى الدهر قد أبدلك الله خيرًا منها(٤).

وفى رواية أحمد: فقال: «ما أبدلنى الله عز وجل خيرًا منها، قد آمنت بى إذ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم، وصححه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٧٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٩٤) كتاب الهبة، ومسلم (٢٧٧٠) كتاب التوبة.

(٣) حمراء الشدقين: نسبتها إلى كبر السن، لأن من دخل فى سن الشيخوخة مع قوة بدنه يغلب على لونه غالبًا الحمرة المائلة إلى السمرة. كذا قال القرطبى، كما فى «فتح البارى» (٧/ ١٤٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٧) كتاب فضائل الصحابة. ولفظ مسلم: «فارتاح»، وليس: «فارتاع».

كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله أولادها إذ حرمنى أولاد النساء»[١].

ولم يمنعه حبه لعائشة أن يصرح بفضل خديجة ومكانها فى قلبه، ولو فى ذلك الموقف الذى ظهرت فيه غيرتُها، بل لم يكتم حبه لها، وقد مضى على وفاتها أكثر من خمس سنين! فقال لعائشة: «إنى قد رُزقت حبَّها»[٢] فما أعظم وفاءه!! وما أرحب قلبه!! وما أصدق لسانه!! وما أصرح وأفصح تعبيره ﷺ !!.

*** ثالثًا: وفاؤه بحقوق المعاشرة الزوجية الخاصة:**

ومن مظاهر الخيرية فى الحياة الزوجية للنبى ﷺ فى جانبها الإنسانى: وفاؤه ﷺ بحقوق المعاشرة الزوجية الخاصة.

وفى هذا الإطار نفهم قوله ﷺ عندما قال: «وفى بُضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجرٌ»[٣].

وعن أنس بن مالك أن نبى الله ﷺ كان يطوف على نسائه فى الليلة الواحدة، وله يومئذ تسع نسوة[٤].

* ومن الأمور التى كان يفعلها رسول الله ﷺ فى حياته الزوجية، الملاطفة فى الطعام والشراب:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة أنها قالت: كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبى ﷺ فيضع فاه على موضع فىّ فيشرب وأتعرَّق العرْق - أى: آخذ اللحم من العَرْق أى: العظم الذى أُخذ منه معظم اللحم وبقيت عليه

---

(١) رواه أحمد. وقال ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٤/١٢٨): «تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به».

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨١٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٠٦) كتاب الزكاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٤) كتاب الغسل، ومسلم (٣٠٩) كتاب الحيض.

بقية - وأنا حائض ثم أناوله النبى ﷺ فيضع فاه على موضع فى[(١)].

* ومن الأمور التى كان يفعلها رسول الله ﷺ فى حياته الزوجية، القرب من زوجته:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره.. فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضعًا رأسه على فخذى قد نام[(٢)].

* ومن الأمور التى كان رسول الله ﷺ يفعلها فى حياته الزوجية الخاصة اغتساله ﷺ مع زوجاته:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ونحن جُنبان[(٣)].

(٢) حرص النبى ﷺ على كل ما يُدخل السعادة على زوجه:

ولقد كان النبى ﷺ حريصًا ـ كل الحرص ـ على كل ما يُدخل السعادة والسرور على أهل بيته طالما أن ذلك ليس فيه معصية للخالق ـ جل وعلا ـ.

ومن نماذج ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كنت ألعب بالبنات[(٤)] عند النبى ﷺ وكان لى صواحب يلعبن معى، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتَقمَّعن[(٥)] منه فيسرِّبهنَّ[(٦)] إلىَّ فيلعبن معى»[(٧)(٨)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٠٠) كتاب الحيض

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤) كتاب التيمم، ومسلم (٣٦٧) كتاب الحيض.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٢١) كتاب الحيض.

(٤) البنات: أى: لُعبَ على صورة البنات.

(٥) يتقمَّعن: أى يتغيبن منه، ويدخلن من وراء الستر حياء وهيبة منه ﷺ.

(٦) فيسرِّبهن: يرسلهن.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٣٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢٤٤٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٨) قال الحافظ ابن حجر: «واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب، من أجل لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهى عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور..» «فتح البارى» (١٣/ ٦٤٨).

ويشار هنا إلى أن الإمام البخارى ـ رحمه الله ـ عنون للباب الذى أخرج فيه هذا الحديث بقوله: باب الانبساط إلى الناس.

(٣) مزاحه ﷺ مع أزواجه:

كان لأهل بيت النبى ﷺ الحظ الأوفر من حُسن خُلقه، والقدح المعلَّى من جميل عشرته؛ لكثرة مخالطتهم إياه، ولمداومتهم على لُقْياه، فكان خير الناس لأهليهم، فعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى»(١).

ومن أمثلة الجانب الترفيهى، إقراره ﷺ المزاح وتبسمه لهم:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة ﵂ قالت: (أتيت النبى ﷺ بخزيرة قد طبختُها له، فقلت لسودة ﵂ والنبى بينى وبينها: «كلى»، فأبت، فقلت: «لتأكلين أو لألَطِّخَنَّ وجهك»، فأبت، فوضعتُ يدى فى الخزيرة فطليت وجهها، فضحك النبى ﷺ فوضع بيده لها، وقال لها: «**الطخى وجهها**»، فضحك النبى ﷺ ، وفى رواية: (فخفض لها ركبته لتستقيد منى، فتناولَت من الصَّحْفَةِ شيئًا، فَمَسَحَتْ به وجهى، ورسول الله ﷺ يضحك)(٢).

(٤) تواضعه ﷺ مع أزواجه:

وأما عن تواضعه ﷺ مع أزواجه فوالله لا أجد كلامًا يصف لكم مدى تواضع الحبيب المصطفى ﷺ مع أزواجه.. لكن حسبنا أن ندع كل موقف يتحدث عن تواضع النبى ﷺ .

وعن عمر ﵁ قال: «تغضبت يومًا على امرأتى، فإذا هى تراجعنى، فأنكرت أن تراجعنى، فقالت: ما تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل؟، قال: فانطلقت، فدخلت على حفصة، فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم، قلت: «قد خاب من

(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٥).

(٢) رواه أبو يعلى (٧/ ٤٤٩) بإسناد حسن.

والخزير والخزيرة: لحم يقطع، ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق.

فعل ذلك منكن وخسرت»[١] الحديث.

● **رقة النبى ﷺ فى معاملة زوجه وهى حائض:**

فمن المعلوم أن الزوجة إذا كانت حائضًا فإنها تشعر أحيانًا بشىء من الضيق والحزن... فكان النبى ﷺ إذا علم أن زوجه حائضًا يغدق عليها من الحب والرحمة والمودة والحنان أكثر من أى وقتٍ آخر حتى لا تشعر بشىء من الحزن والكآبة.

عن عائشة رضي الله عنها **قالت:** «كنت أَشرب من الإناء وأنا حائض، ثم أناوله النبى ﷺ، فيضع فاه على موضع فِىَّ»، وفى رواية أبى داود والنسائى قالت: «كنت أتعرَّقُ العَرْقَ[٢] وأنا حائض، فأعطيه رسول الله ﷺ فيضع فَمَهُ فى الموضع الذى وضعتُ فمى فيه، وكنت أشرب من القَدَح فأناوله إياه، فيضع فَمه فى الموضع الذى كنت أشرب».

(٥) تعاون النبى ﷺ مع أزواجه:

* **أولاً: كان النبى ﷺ فى مهنة أهل بيته:**

من مظاهر الخيرية عند رسول الله ﷺ فى تعامله مع زوجاته فى جانبه التعاونى: أولاً: أنه كان يعاون أهله فى المنزل، وهذا يدل على مشاركته ﷺ أهله فى تدبير شؤون المنزل، مع كثرة الأعباء الملقاة على عاتقه:

عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها: «ما كان يصنع النبى ﷺ فى أهله؟»، فقالت: «كان يكون فى مهنة[٣] أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة»[٤].

وعن عروة قال: سألت عائشة رضي الله عنها: «ما كان النبى ﷺ يعمل فى بيته؟»، قالت: يخصف[٥] نعله، ويعمل ما يعمل الرجل فى بيته»[٦].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٩١) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٧٩) كتاب الطلاق.

(٢) العَرْق: العظم عليه بقية اللحم، وتعرَّقه: إذا أكل ذلك اللحم الباقى عليه.

(٣) المِهنَة: بكسر الميم وفتحها الخدمة، والمراد أنه كان يعاونهن، ويعمل معهن.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٧٦) كتاب الأذان.

(٥) يخصف نعله: يخرزها.

(٦) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد (٥٣٩) والإمام أحمد بنحوه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٩٣٧).

وعنه أيضًا أنها قالت: «ما يصنع أحدُكم فى بيته: يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخيط»(١).

وعن عمرة قالت:(قيل لعائشة: ماذا كان يفعل رسول الله ﷺ فى بيته؟» قالت: «كان بَشَرًا من البَشَر؛ يَفْلِي ثوبه، ويَحْلبُ شاتَه، ويَخْدِم نفسه)(٢).

*** ثانيًا: التعاون على الخير:**

لابد ونحن نتحدث عن تعامل النبى ﷺ مع زوجاته فى جانبه التعاونى أن نشير إلى أمر غاية فى الأهمية ألا وهو التعاون على الخير فيما يُرضى الله مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾(٣).

وأى تعاون أعظم من تعاون الزوجين على أمر من أمور الآخرة، وهذا ما يعلمنا إياه رسول الله ﷺ.

يدل على ذلك ما جاء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة»(٤).

بل إن النبى عليه الصلاة والسلام كان يطبق ذلك عمليًّا، ويضرب لنا أروع الأمثلة فى تعاون الزوجين علي الخير، يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبى ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله»(٥).

وتحدثنا أم سلمة رضي الله عنها زوج النبى ﷺ عن موقف من هذه المواقف

(١) صحيح: رواه البخارى فى «الأدب المفرد»، وصححه ابن حبان، والإمام أحمد بنحوه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تخريج الأدب المفرد.

(٢) صحيح: رواه الترمذى فى الشمائل والبخارى فى الأدب المفرد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧١).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٥٥).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٠٢٤) كتاب صلاة التراويح، ومسلم (١١٧٤) كتاب الاعتكاف.

فتقول: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول: «**سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ مَنْ يوقظ صواحب الحجرات؟** - يريد أزواجه - **لكى يصلين، رُبَّ كاسية فى الدنيا، عارية فى الآخرة**»(١).

*** ثالثًا: التشاور بين الزوجين:**

ويدخل فى باب التعاون أيضًا التشاور بين الزوجين فى القضايا التى تُهِمُّ الأسرة، أو تُهِم المجتمع، ذلك لأن الأمر بالشورى أمر عام يشمل جميع المجالات داخل الأسرة وخارجها، وفى الأمور الخاصة والعامة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(٢). وحسبنا فى ذلك تلك المشورة المباركة التى قدمتها أم سلمة لرسول الله ﷺ يوم الحديبية:

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: .. فلما فرغ - أى: رسول الله ﷺ - من قضية الكتاب - أى: كتاب صلح الحديبية - قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**».

قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس.

فقالت أم سلمة: يا نبى الله أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة، حتى تنحر بُدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا...(٣).

(٦) تعامل النبى ﷺ مع زوجاته فى الجانب الاقتصادى:

من مظاهر الخيرية عند رسول الله ﷺ حسن تعامله مع أهله فى

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٧٠٦٩) كتاب الفتن.

(٢) سورة الشورى: الآية: (٣٨).

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٢٧٣٢) كتاب الشروط.

الجوانب الاقتصادية، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

*** أولاً: من حيث السكن:**

لقد أسكن رسول الله ﷺ أزواجه فى الحجرات، وكان لكل زوجة حجرة خاصة بها، وقد جاء ذكر الحجرات فى القرآن، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾ (١).

*** ثانيًا: من حيث الإحسان فى النفقة:**

ومن مظاهر الخيرية فى الحياة الزوجية للنبى ﷺ أنه كان ﷺ كريمًا فى إنفاقه على أهله، وهذا أمر غير مستغرب أبدًا، لا سيما إذا علمنا من شمائله عليه الصلاة والسلام أنه كان أجودَ الناسِ(٢).

(٧) تعامل النبى ﷺ مع زوجاته فى الجانب الجمالى:

كان رسول الله ﷺ أجمل الناس، وكان ﷺ متجملاً وقد ظهر تجمله ﷺ فى شؤونه كافة.

ونستطيع أن نتعرف على مفردات التجمل فى حياة النبى ﷺ من جانبين، هما:

١- تنظفه.

٢- اهتمامه بمظهره الخارجى.

*** أولاً: تنظفه ﷺ:**

رعايته ﷺ لجميع وسائل التنظف فى سائر أعضاء جسده أمر واضح غاية الوضوح فى سيرته ﷺ، بل إن النبى ﷺ رعى هذا الجانب رعاية خاصة عندما عدَّه من خصال الفطرة التى كان يأمر بها. ومعنى الفطرة: أى: السنة القديمة التى اختارها الأنبياء، واتفقت عليها الشرائع، وكأنها أمرٌ

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦) كتاب بدء الوحى، ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

جبلّى فُطروا عليه ليكونوا على أكمل الصفات وأشرفها صورة(١).

وخصال الفطرة كثيرة منها: ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال: «**عشرة من الفطرة: قص الشارب، وقص الأظافر، وغسل البراجم** - وهى عُقد الأصابع التى فى ظهر الكف - **وإعفاء اللحية، والسواك، والاستنشاق، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء** - أى: الاستنجاء-»، قال مصعب - أحد رواة الحديث -: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة»(٢).

ومنها: المحافظة على غُسل الجمعة لقوله ﷺ: «**إذا أراد أحدكم أن يأتى الجمعة فليغتسل**»(٣).

ومنها: المحافظة على نظافة الأسنان، فقد كان ﷺ شديد العناية بها، يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنا نعد لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك، ويتوضأ، ويصلى»(٤).

وكان يقول: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**»(٥).

والثابت عنه ﷺ أنه كان يستاك مفطرًا وصائمًا، وعند الانتباه من النوم، وعند الوضوء، وعند الصلاة، وعند دخول البيت، وغير ذلك.

* ثانيًا: اهتمامه ﷺ بمظهره الخارجى:

كان رسول الله ﷺ يمتاز ببهاء طلعته، وجمال هيئته، وأناقة ملبسه، وطيب رائحته، وترجيل شعره.

(٨) تعامل النبى ﷺ مع زوجاته فى الجانب الترفيهى:

ومن مظاهر الخيرية عند رسول الله ﷺ فى تعامله مع زوجاته فى جانبه

---

(١) انظر ما قيل عن الفطرة: «فتح البارى» (١٣/ ٣٣٦)، وقد اخترت أجمع ما قيل فيها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦١) كتاب الطهارة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٤٤) كتاب الجمعة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) صحيح: رواه النسائى، وأحمد والحاكم وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٩٥).

الترفيهى أنه كان يأذن لهن باللهو المباح، ويتضح ذلك من خلال الفقرات الآتية:

*** أولاً: إقراره النظر إلى اللهو المباح:**

ويتضح ذلك من خلال المثالين الآتيين:

أ - إقراره ﷺ أهله على النظر إلى اللهو المباح يوم العيد:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة ﵂ قالت: «. . . وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدَّرَق[1] والحراب، فإما سألت النبى ﷺ، وإما قال: **«تشتهين تنظرين؟»**[2].

قلت: نعم، فأقامنى وراءه، خدى على خده، وهو يقول: **«دونكم[3] يا بنى أرْفِدة»**[4] حتى إذا مللت قال: **«حسبك؟»** قلت: نعم. قال: **«فاذهبى»**[5].

ب- ومن نماذج اللهو المباح: إقراره ﷺ أهله على النظر إلى اللهو المباح فى غير يوم العيد:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة ﵂ أنها قالت: «ولما قدم وفد الحبشة على رسول الله ﷺ قاموا يلعبون فى المسجد فرأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه، وأنا أنظر إليهم، وهم يلعبون فى المسجد، حتى أكون أنا الذى أسأم، . . . فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو»[6].

---

(١) الدرق: جمع درقة، وهى ترس مصنوع من جلد.

(٢) جاء فى رواية النسائى فى «سننه الكبرى»: فقال لى النبى ﷺ: «يا حميراء، أتحبين أن تنظرى إليهن؟» قلت: نعم. قال ابن حجر فى «فتح البارى» (٣ / ٥٠٠): إسناده صحيح، ولم أر فى حديث صحيح ذكر الحميراء إلا فى هذا.

فانظر - رحمك الله - إلى جميل دعائه لها بـ«يا حميراء» إيناسًا لخاطرها، وملاطفة لها، وتمليحًا لخلُقتها، وانظر إلى سهولته ﷺ، وخفض جَنَاحِهِ لأهله، حتى يأخذوا حاجتهم مما يريدون دونَ أنْ يُعَجِّلَهُم وإن أثقلوا عليه.

(٣) دونكم: بالنصب على الظرفية بمعنى الإغراء، وفيه: إذن وتنهيض لهم، وتنشيط.

(٤) بنى أرفدة: قيل هو لقب للحبشة، وقيل: المعنى يا بنى الإماء، وجاء فى رواية: فإنهم بنو أرفدة: كأنه يعنى أن هذا شأنهم وطريقتهم، وهو من الأمور المباحة فلا إنكار عليهم.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٩٥٠) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٩٢)كتاب صلاة العيدين، وغيرهما.

(٦) صحيح: رواه ابن حبان فى صحيحه، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخارى.

*** ثانيًا: ومن الأمثلة على الجانب الترفيهى: إقراره ﷺ أهله على سماع الغناء المباح من الجارية يوم العيد:**

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل عليَّ رسول الله [في يوم فطر - أو أضحى-][1] وعندى جاريتان [من جوارى الأنصار][2] تغنيان بغناء بُعاث[3]، [وليستا بمغنيتين][4]، قالت فاضطجع على الفراش، وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرنى، وقال: مزمارة الشيطان عند النبى ﷺ [5]! فأقبل عليه رسول الله ﷺ [6] فقال: **«دعهما يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا** [7]. فلما غفل غمزتهما فخرجتا»[8].

*** ثالثًا: ممارسة الرياضة البدنية:**

* وقد بلغ النبى ﷺ درجة عالية من التواضع لا تخطر على قلب بشر.

- فها هو ﷺ يتبسط مع زوجته وحبيبته عائشة رضي الله عنها ويسابقها.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ فى سفر، وهى جارية، قالت: لم أحمل اللحم، ولم أبدُن[9]، فقال لأصحابه:

---

(١) من رواية البخارى (٣٩٣١).

(٢) من رواية البخارى (٩٥٢).

(٣) وفى رواية البخارى (٩٥٢): تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بُعاث.

وفى رواية أخرى (٩٨٧): جاريتان تدففان وتضربان.

وفى رواية أخرى (٣٩٣١): وعندها قينتان تغنيان بما تعازفت الأنصار يوم بُعاث. ويوم بُعاث يوم مشهور من أيام العرب كانت فيه مقتلة عظيمة انتصر فيها الأوس على الخزرج، وكان قبل الهجرة بثلاث سنين.

(٤) من رواية البخارى (٩٥٢).

(٥) فى رواية أخرى (٩٥٢): أمزامير الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ! وذلك فى يوم عيد. وفى رواية أخرى (٣٩٣١): مزمار الشيطان مرتين!

(٦) فى رواية البخارى (٩٨٧)، فكشف النبى ﷺ عن وجهه.

(٧) من رواية البخارى (٩٥٢).

(٨) صحيح: رواه البخارى (٩٤٩)، وما كان مقوسًا فهو من زيادتى على هذه الرواية، ولكن جميع هذه الألفاظ من صحيح البخارى.

(٩) بَدُنَ وبَدَّن: بالتشديد بمعنى كبر وأسن، وبالتخفيف من البدانة، وهى كثرة اللحم والسمنة، وهذا المعنى هو الأليق بالسياق، انظر «النهاية» (١/١٠٧).

«تقدموا»، فتقدموا، ثم قال: «تعالى أسابقك»، فسابقته، فسبقته على رجلى، فلما كان بعدُ، خرجت معه فى سفر، فقال لأصحابه: «تقدموا»، ثم قال: «تعالى أسابقك»، ونسيت الذى كان، وقد حَمَلْتُ اللحم، وبدَّنت، فقلت: «كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟»، فقال: «لتفعلن»، فسابقته، فسبقنى فجعل يضحك، وقال: «هذه بتلك السبقة»[1].

*** رابعًا: وكان يصحبهن فى سفره ويتبادلون أطراف الحديث:**

ومن أمثلة الجانب الترفيهى: أنه ﷺ كان يصحب أهله فى سفره، ويسير معهن فى الليل ويتبادلون أطراف الحديث.

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبى ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة، وكان النبى ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيرى، وأركب بعيرك تنظرين وأنظر، فقالت: بلى، فركبت فجاء النبى ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم عليها حتى نزلوا، وافتقدته عائشة. . . .»[2].

*** خامسًا: سماعه ﷺ الطُّرف والأخبار الاجتماعية منهن:**

ومن مظاهر الخيرية عند رسول الله ﷺ فى تعامله مع أزواجه فى الجانب الترفيهى سماعه ﷺ من زوجه طُرَف الأخبار:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ جلس يستمع إليها وهى تقص عليه خبر إحدى عشر امرأة عندما جلسن يصفن أزواجهن. . .

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢١١) كتاب النكاح، ومسلم (٢٤٤٥) كتاب فضائل الصحابة.

وقال الحافظ ابن حجر فى شرحه للحديث (١١/ ٢٢١): «كأن عائشة أجابت إلى ذلك لما شوقتها إليه من النظر إلى ما لم تكن هى تنظر، وهذا مشعر بأنهما لم يكونا حال السير متقاربتين بل كانت كل واحدة منهما من جهة كما جرت العادة من السير قطارين، وإلا فلو كانتا معًا لم تختص إحداهما بنظر ما لم تنظره الأخرى».

كما فى حديث أم زرع.

* كانت هذه نبذة يسيرة عن حياة النبى ﷺ مع أزواجه ورحمته بهن وحُسن عشرته معهن فهو أعظم زوج عرفته البشرية كلها منذ خلق آدم - عليه السلام - وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

معاملات النبى ﷺ مع أولاده وأحفاده

جاء الإسلام بمعيارٍ حقيقى للعلاقة بين الأب وأبنائه، هذا المعيار قائم على الرحمة، والرأفة، والشفقة، والتوجيه، والرعاية الصحيحة لهؤلاء الأبناء فى كل شئون حياتهم.. فالأب هو الحصن الذى يأوى إليه الأبناء فى كل وقت؛ ولذلك فإن القرآن قد خلَّد هذه العلاقة عندما ذكر نداء لقمان عليه السلام لابنه، والذى يفيض بكل معانى التربية، فقال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**[1].

ولننظر معًا إلى خصوصية العلاقة الرائعة بين الأب وابنته فى موقف الرسول ﷺ الذى ترويه عائشة رضي الله عنها قائلة: أقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشى كأن مشيتها مشىُ النبى ﷺ فقال النبى ﷺ: **«مرحبًا بابنتى»**. ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثًا فبكت، فقلتُ لها: لِمَ تبكين؟ ثم أسرَّ إليها حديثًا فضحكت، فقلتُ: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنتُ لأفشى سر رسول الله ﷺ.

حتى قُبض النبى ﷺ فسألتُها، فقالت: أسرَّ إلىَّ: **«إن جبريل كان يُعارضُنى القُرآن كل سنة مرةً، وإنهُ عارضنى العام مرتين، ولا أُراهُ إلا حضر أجلى، وإنك أولُ أهل بيتى لحاقًا بى»**. فبكيتُ، فقال: **«أما ترضين أن تكُونى سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين»**. فضحكتُ لذلك[2].

---

(١) سورة لقمان: الآية: (١٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٣٦٢٣) كتاب المناقب.

هكذا كان تربية الرسول ﷺ لابنته.. تربية قائمة على الحبُ والعطف والحنان.

أما عند وفاة إبراهيم ابن النبى ﷺ، فقد تجلَّت عظمته ﷺ، وظهرت مشاعر الأب الجياشة تجاه ولده حين خاطبه قائلاً: **«يا إبراهيمُ، لولا أنهُ أمرُ حقٍّ، ووعدُ صدق، ويومٌ جامعٌ، لولا أنهُ أجلٌ محدُودٌ، ووقتٌ صادقٌ، لحزنَّا عليك حُزنًا أشدَّ من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تدمعُ العينُ، ويحزنُ القلبُ، ولا نقولُ ما يُسخطُ الرب»**. وحينما قُبض إبراهيم ابن النبى ﷺ قال لهم: **«لا تُدرجُوهُ فى أكفانه حتى أنظر إليه»**. فأتاه فانكبَّ عليه وبكى[1].

وكان من شدة حبُه ولهفته على أحفاده ما رواه عبد الله بن بُريدة رضي الله عنهما عن أبيه، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يخطب، فأقبل حسن وحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران، يعثران ويقومان، فنزل النبى ﷺ فأخذهما فوضعهما فى حِجْره، فقال: **«صدق اللهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[2]، رأيتُ هذين فلم أصبر»**. ثم أخذ فى خطبته[3]. وكذا كان حُبُّه لبقية أحفاده، فقد كان ﷺ يُصلى وهو حامل أُمامة بنت ابنته زينب رضي الله عنها فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها[4].

وها هو ذا ﷺ يخرج على المسلمين فى إحدى صلاتى العشى - الظهر أو العصر - وهو حامل أحد ابنيه: الحسن أو الحسين رضي الله عنهما، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمنى، فسجد رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٥) كتاب الفضائل.

(٢) سورة التغابن: الآية: (١٥).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وابن خزيمة، وقال الألبانى صحيح انظر: صحيح أبى داود (٩٨١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٦) كتاب أبواب سترة المصلى، ومسلم (٥٤٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

سجدة أطالـها، قال أبى[١]: فرفعت رأسى من بيـن الناس، فإذا رسول الله ﷺ ساجد، وإذا الغـلام راكب على ظهره فعدت فسجـدت فلما انصرف رسول الله ﷺ، قال الناس: يا رسول الله لقد سجدت فى صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أفشىء أُمرت به؟ أو كان يُوحى إليك؟ قال: «**كل ذلك لم يكن، ولكن ابنى ارتحلنى، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته**»[٢].

ولم تكن هذه المواقف مـواقف عابرة فى حـياته ﷺ، ولكنهـا كانت صفة أصيلة من صـفاته ﷺ؛ لذلك يُروى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قبَّل الحسن بن على رضي الله عنهما والأقرع بن حـابس التميـمى جالس، فقال الأقرع: إن لـى عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحدًا قط. فـقال رسول الله ﷺ: «**من لا يرحم لا يُرحم**»[٣].

ومع ذلك فلم يكن هذا الحب العظيـم من النبى محـمد ﷺ لأولاده وأحفاده يدفـعه إلى الجور على المسلمين من أجلهـم،.. فيُروى أن على بن أبى طالب رضي الله عنه أتى فاطمة رضي الله عنها فقال: إنـى أشتكى صدرى مما أجد بالقرَب قالت: وأنا والله، إنى لأشتكى يدى مما أطحن الرحا. فقال لها: ائتى النبى ﷺ؛ فقـد أتاه سبـى؛ ائتيه لـعله يخدمك خـادمًا. فـانطلقت إلى النبى ﷺ فأتاهما فقال: «**إنكما جئتـمانى لأخدمكما خادمًا، وإنى سأخـبركما بما هو خيـر لكما من الخـادم، فإن شـئتمـا أخبـرتكما بما هو خـير لكمـا من الخادم: تُسـبِّحـانه دُبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وتحـمدانـه ثلاثًا وثلاثين، وتكبرانه أربعًـا وثلاثين. وإذا أخذتما مضاجعكما من الليل، فتلك مائة**»[٤].

---

(١) هو شداد بن الهاد الليثى رضي الله عنه، وهو راوى الحديث، ورواه عنه ابنه عبد الله بن شداد.

(٢) رواه النسـائى، وأحمد، وقـال شعيـب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجـاله ثقات رجـال الشيـخين، والحاكم واللفظ له، ووافقه الذهبى.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٩٩٧) كتاب الأدب.

(٤) ابن حبان، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وابن أبى شيبة واللفظ له.

هكذا كـان يُعلم النبى ﷺ أولاده، يُعلمـهم أنه لن يحابيـهم - رغم محبـته الشديدة لهم - على حساب المسلمـين، بل ويعلمهم - كذلك - أن يرتبطوا بالله عز وجل فـهو خيـر مُعين على كل أعـمالهم، فالاستـعانة به وحده سبحانه وتعالى تُسعِد الإنسان فى حياته وآخرته.

هكذا كانـت علاقة الأب ﷺ بأبنائه وأحـفاده.. عـلاقة قائـمة على المحبة والحنان تَشعر الأسرة فى ظلهـا بالأُلفة، فما أعظمك يا رسول الله مِن أبٍ وَجَدٍّ! (١).

هدى النبى ﷺ مع الصغار

فإن خير الهـدى هدى محمد ﷺ .. ولقد كان النـبى ﷺ رحيمًا بالناس جميعًا فما ظنك برحمته بالصغار؟!!

(١) كان النبى ﷺ يُقبل الصغار:

فإنه يستحب للوالدين تقبيل أبنائهما وبناتهما وقد كان النبى ﷺ يُقَبِّل ابنته فاطمة رضي الله عنها.

وفى الصحـيحين أن أعرابـيًّا جاء إلى النبى ﷺ فـقال: تُقبلون الصبيان فما نُقبلهم؟! فقال النبى ﷺ : «**أوَ أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة**»(٢).

(٢) كان النبى يمازح الصغار:

كما فى الصـحيحين أن النبى ﷺ كـان يقـول لأخـى أنس بن مالك: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟»(٣) ... النغير: الطائر الصغير.

وكان ﷺ يترك عائشة رضي الله عنها تلعب بالبنات -لصغر سنها-.

فـفى الصحـيحـين أن عـائشة قـالت: كنت ألعب بالبنات -اللُّعَب- عند

(١) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين) د. راغب السرجانى.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣١٧) كتاب الفضائل.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٢٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٥٠) كتاب الآداب.

النبى ﷺ وكان لى صواحب يلعبن معى فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن منه -أى يخفن فيُسربهن - يرسلهن - إلىَّ فيلعبن معى[(١)].

* بل ها هو ﷺ يمج بالماء فى وجه صبى مداعبًا له.

أخرج البخـارى من حديث محمـود بن الربيع ﷺ قال: عقلت من النبى ﷺ مَجَّة مجَّها فى وجهى وأنا ابن خمس سنين من دلو.

وفعل النبى ﷺ مع محمود إما مداعبـة معه، أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة.

(٣) كان ﷺ قمة فى الرحمة مع الأطفال:

* عند أبى يعلى بإسناد حسن مـن حديث ابن مسعـود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصلى فـإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهـره فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليـهم أن دعوهما فإذا قضى الصلاة وضـعهما فى حجره، قال: **«من أحبنى فليحب هذين»**[(٢)].

ومن رحمته ﷺ بالصغار حمله لأُمامة بنت ابنته فى الصلاة.

(أخرج البخارى ومسلم) من حديث أبى قتادة الأنصارى ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يصلى وهو حامل أُمامة بنت رسول الله ﷺ ولأبى العاص بن ربيعة بن عبد شمس فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها[(٣)].

وفى الصحيـحين أنه ﷺ قال: «إنى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد إطالتـها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»[(٤)].

(٤) كان ﷺ يسلم على الصبيان:

وهذا الفعل له أثر طيب على نفسية الطفل .. وفيه نشر للمودة والرحمة.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦١٣٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢٤٤٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) **ضعيف**: رواه الترمذى، وأحمد، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (٥٣٤٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥١٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٤٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٧٠٩) كتاب الأذان، ومسلم (٤٦٩) كتاب الصلاة.

ففى الصحيحين أن أنس بن مالك مر على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النبى ﷺ يفعله.

(٥) كان ﷺ يستأذن الصغار عند أخذ شيء من حقوقهم:

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ أُتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ فقال للغلام: «**أتأذن لى أن أعطى هؤلاء؟**» فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبى منك أحداً.

قال: فتلَّه رسول الله ﷺ فى يده ـ أى: وضعه فى يده[١].

(٦) كان ﷺ يعود الصبيان عند مرضهم:

فقد روى البخارى عن أنس أن غلامًا ليهود كان يخدم النبى ﷺ فمرض فأتاه النبى ﷺ يعوده فقال: «**أسلِم**» فأسلم[٢].

ولا شك أن زيارة الكبير للصغير لها أثر عظيم فى تأليف قلبه.

(٧) كان ﷺ يمسح رؤوس الصغار:

فعن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدى أحدهم واحداً واحداً.

قال: وأما أنا فمسح خدى. قال: فوجدت ليده ريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار»[٣]. الجؤنة: ما يُعد فيه الطِّيب.

(٨) كان ﷺ يحرص على تعليمهم وتأديبهم:

ففى الصحيحين عن عمر بن أبى سلمة قال: كنت غلامًا فى حجر رسول الله ﷺ وكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال لى رسول الله ﷺ: «**يا غلام! سَم الله وكُل بيمينك وكل مما يليك**»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٦٦) كتاب المساقاة، ومواضع، ومسلم (٢٠٣٠) كتاب الأشربة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٥٧) كتاب المرضى.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٩) كتاب الفضائل.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٧٦) كتاب الأطعمة، ومسلم (٢٠٢٢) كتاب الأشربة.

(٩) وكان ﷺ يحسن استقبالهم:

* روى مسلم عن عبد الله بن جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّى بصبيان أهل بيته، قال: وإنه قدم من سفر فسبق بى إليه، فحملنى بين يديه، ثم جىء بأحد ابنى فاطمة فأردفه خلفه، قال: فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة(١).

(١٠) وكان ﷺ يخفف من معاتبتهم:

فالطفل لا يحتمل العتاب والتوبيخ .. وليس معنى ذلك أن نترك عتابه تمامًا، وإنما علينا أن نكون فى غاية الرحمة عندما نعاتبه.

ففى الصحيحين عن أنس قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لى أُفٍّ قط ولا قال لى لشىء لِمَ فعلت كذا وهلا فعلت كذا»(٢).

وقد كان النبى ﷺ يعلمنا أن المرأة إذا أخطأت فى بعض الأشياء فإنه من المروءة أن تعاتبها على بعض الأخطاء وتُعرض عن باقى الأخطاء فلقد قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾(٣) فقد عرفها النبى ﷺ بعض الأخطاء وأعرض عن البعض الآخر .. فإن كان هذا بالنسبة للمرأة فما ظنك بالطفل؟!

حب النبى ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم

مِنَ نعم الله على الأمة الإسلامية نعمة الحب فى الله سبحانه وتعالى، التى بها توثقت العلاقة بين المسلمين منذ بداية الدعوة، فبعدما كانوا فى جاهليتهم متباغضين متقاتلين، انقلبوا بفضل من الله إلى إخوة متحابين،

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٢٨) كتاب فضائل الصحابة.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٨) كتاب الوصايا، ومسلم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل.
(٣) سورة التحريم: الآية: (٣).

قال تعالى فى شأنهم: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾(١)، ثم جعل الله الأخوة الصادقة دليلاً على إيمان العبد بربه، فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٢).

كما مدح رسول الله ﷺ المتحابين فى الله، وكشف عن عظيم ثمار هذا الحب فى الآخرة، فقال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله فى ظله....**» فذكر منهم: «**... رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه...**»(٣).

كما ذمَّ ﷺ التناحر والتخاصم بين الأصحاب، فقال ﷺ: «**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيُعرضُ هذا ويُعرضُ هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**»(٤).

وفى سيرته ﷺ نجده يعامل أصحابه معاملة تدل على حبه لهم جميعًا؛ وكأنه ﷺ يخصُّ كل صحابى بحبٍّ خاصٍّ يختلف عن باقى أصحابه؛ حيث نجده ﷺ يصف أصحابه بصفات تُعَزِّز من الألفة والتقارب بينه وبينهم، فيصف الزُّبير بن العوام ﷺ بأنه حواريه(٥)، ويصفُ أبا بكر وعمر ﷺ بأنهما وزيراه(٦)، وجعل حذيفة بن اليمان ﷺ كاتم سره(٧)، ولقَّب أبا عبيدة عامر بن الجرَّاح ﷺ بأنه أمين الأمة(٨).

كما نجده يشارك أصحابه فى مأكلهم ومشربهم؛ تقوية لأواصر الصحبة

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (١٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الجماعة والإمامة.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٠٧٧) كتاب الأدب.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٨٤٦) كتاب الجهاد والسير.

(٦) رواه الترمذى، قال النبى ﷺ: «**... وأما وزيراى من أهل الأرض فأبو بكر وعمر**» وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب. والحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ومسند ابن الجعد (٢٠٢٦).

(٧) صحيح: رواه البخارى (٣٧٤٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٨) صحيح: رواه البخارى (٤٣٨٠) كتاب المغازى.

والمحبة. . . فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنت جالسًا فى دارى فمرَّ بى رسول الله ﷺ فأشار إلىَّ، فقمتُ إليـه، فأخذ بيدى فانطلقنا، حتى أتى بعض حُجَرِ نسائه فدخل، ثم أذن لى فدخلتُ والحجاب عليها، فقال: «هَلْ مِنْ غَدَاء؟» فقالوا: نعم. فأتى بثلاثة أقْرصَة[1] فوضعهن على نَبِى[2]، فأخذ رسول الله ﷺ قرصًا فوضعه بين يديه، وأخذ قرصًا آخر فوضعه بين يدى، ثم أخذ الثالث فكسره باثنين، فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يدى، ثم قال: «هَل مِنْ أُدُم[3]؟» قالوا: لا، إلا شىء من خلٍّ. قال: «هاتُوه، فنعم الأُدُم هو»[4].

كما يشارك النبى ﷺ أصحابه كذلك فى مزاحهم ولهوهم - ولم يكن مزاحه ﷺ إلاَّ حقًّا - فمزاح الأصحاب سبب من الأسباب الرئيسة فى التلاحم والقرب، ومن هذه المواقف الرائعة التى أُثرت عن رسول الله ﷺ ما رواه أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا، كان يُهدى للنبى ﷺ الهديَّة من البادية فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبى ﷺ : «إن زاهرًا باديتنا ونحنُ حاضروه». وكان النبى ﷺ يحبُّه، وكان رجلاً دميمًا، فأتاه النبى ﷺ يومًا، وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال الرجل: أرسِلنى، مَن هذا؟ فالتفت فعرف النبى ﷺ . . . وجعل النبى ﷺ يقول: «من يشترى العبد؟» فقال: يا رسول الله، إذًا والله تجدنى كاسدًا. فقال النبى ﷺ : «لكنك عند الله لست بكاسد». أو قال: «لكن عند الله أنت غال»[5]. هكذا كان يتعامل النبى ﷺ

(١) الأقرصة: جمع قرص، وهو الرغيف، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة قرص (٧/ ٧٠).

(٢) نبى: كل ما ارتفع من الأرض، وفسروه بمائدة من الخوص، انظر: النووى: المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/ ٨) وابن منظور: لسان العرب، مادة نبا (١٥/ ٣٠١).

(٣) الأُدُم: جمع الأدم وهو ما يؤكل بالخبز أى شىء كان، انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة أدم (١٢/ ٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠٥٢) كتاب الأشربة.

(٥) أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

مع نفسية أصحابه فيعلى من شأنهم، فيسعد لسعادتهم ويحزن لحزنهم.

وفى أحلك لحظات المسلمين شدة وجدنا رسول الله ﷺ مع أصحابه كواحد منهم، يعانى مما يعانون، ويتألم مما يتألمون، ويلتمس أى شىء يكون سببًا فى إشباعهم من الجوع، وإسعادهم من الحزن، فرغم جوع المسلمين فى الخندق، ورغم قلة الطعام الذى أعده جابر بن عبد الله رضي الله عنه إلا أن رسول الله ﷺ لم يأكل دون إشراك أصحابه معه؛ حيث نادى فى أصحابه قائلاً: **«يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع سُورًا[1]، فحى هلاً بكُم[2]»**[3].

كما نجده ﷺ يشارك أصحابه فى أزماتهم ومصائبهم مشاركة فعالة بتبشيرهم تارة بثواب ونعيم الله فى الآخرة، وبحل مشاكلهم حلاً عمليًا تارة أخرى؛ فها هو ذا يبشر عبد الله بن جحش رضي الله عنه عندما شكا له أن أبا سفيان قد أخذ دارهُم فى مكة بعد الهجرة وباعها، فقال له: **«ألا ترضى يا عبد الله أن يُعطيك اللهُ بها دارًا خيرًا منها فى الجنة؟»** قال: بلى. قال: **«فذلك لك»**[4].

ويأتى صحابى آخر قد أُصيب فى عهد الرسول ﷺ فى ثمار ابتاعها فكثر دَينه، فيقول ﷺ لأصحابه: **«تصدقُوا عليه»**. فتصدق الناس عليه، فلم يبلُغ ذلك وفاء دينه، فقال رسول الله ﷺ لغُرمائه: **«خُذُوا ما وجدتُم، وليس لكُم إلا ذلك»**[5].

---

(١) صنع سُورًا: أى طعامًا دعا الناس إليه؛ انظر ابن حجر العسقلانى: فتح البارى (٧/ ٣٩٩)، وابن منظور: لسان العرب: مادة سور (٤/ ٣٨٤).

(٢) حى هلاً بكم: أى ابدأ بكم وعجّل، وهى كلمة استدعاء فيها حث، أى هلموا مسرعين، انظر: ابن حجر العسقلانى: فتح البارى (٧/ ٣٩٩)، وابن منظور: لسان العرب، مادة حيا (١٤/ ٢١١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٠٥) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية (٣/ ٢٨)، والسهيلى: الروض الأنف (٤/ ١٦٦).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٥٥٦) كتاب المساقاة، وقد كفل الإسلام حق الدائنين كما أقر التشريع الإسلامى، انظر: الحطاب الرعينى: مواهب الجليل (٥/ ٧).

فقد كان رسول الله ﷺ نعم الصاحب لأصحابه؛ يقف معهم في أفراحهم وأتراحهم، وفي قوتهم وضعفهم، فلم يتميز ﷺ عنهم بمزية، بل كان كواحد منهم في المأكل والمشرب والملبس، وهو ما جعل كثيراً من المشركين يتعجبون لهذه الرابطة القوية التي جمعته بأصحابه، فقال أبو سفيان ابن حرب قبل إسلامه: «**ما رأيتُ من الناس أحدًا يحبُّ أحدًا كحُب أصحاب محمد محمدًا!!**»[1][2].

حُسن معاملة النبي ﷺ لجنوده

الشخصية القيادية فطرةٌ حَبَا اللهُ بها أشخاصًا معينين، فكانوا قادةً أفذاذًا، وعلى رأس هؤلاء القادة الأفذاذ يأتي أنبياءُ الله، الذين قادوا الأمم والشعوب إلى طاعة الله عز وجل، وقد تناول القرآن قصصهم مع شعوبهم؛ لتكون نموذجًا ومثالاً يحتذي به كلُّ قائد؛ لذلك قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ**﴾[3]، ثم سار النبي ﷺ على خُطى هؤلاء الأنبياء، فكان أعظم قائدٍ عرفته البشرية.

وإذا نظرنا إلى سيرته ﷺ نجده قائدًا محنكًا - في كل أمور الحياة؛ إدارية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وعسكرية - يعرف جيدًا قيمة جنوده وقدراتهم، فعمل ﷺ على غرس المبادئ الإسلامية الراسخة في قلوبهم، فكان أولها - وأهمُّها كذلك - غرس الثقة في الهدف الذي يعملون من أجله؛ وهو إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده؛ وكان ﷺ القدوة والمثل في ذلك فنجده ﷺ يقول لزعماء قريش عندما عرضوا عليه الدنيا: «**ما جئتكُم بما جئتكُم به أطلُبُ أموالكُم، ولا الشرف فيكُم،**

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - (٢/ ١٧٢).

(٢) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين).

(٣) سورة يوسف: الآية: (١١١).

ولا المُلك عليكُم، ولكن الله بعثنى إليكُم رسُولاً، وأنزل علىَّ كتابًا، وأمرنى أن أكُون لكُم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتُكُم رسالة ربى، ونصحتُ لكُم، فإن تقبلُوا منى ما جئتُكُم به فهُو حظكُم من الدنُّيا والآخرة، وإن تردُّوهُ علىَّ أصبر لأمر الله، حتى يحكُم اللهُ بينى وبينكُم»(١). فالهدف واضح فى ذهنه ﷺ، وثقته كبيرة بنصر الله له رغم التكذيب والعناد الذى يلاقيه.

ثم نجده ﷺ ينقل ثقته إلى أتباعه فيقول لخباب بن الأرت رضي الله عنه بعدما اشتكى من قسوة تعذيب قريش له: «**... والله! ليُتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخافُ إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكُم تستعجلُون**»(٢).

ثم نجده ﷺ يضع كل رجل مناسب فى مكانه المناسب فقد كان الرسول يعرف جيدًا قدرات رجاله، فهم - فى نظره - العناصر الرئيسة التى يعتمد عليها القائد، ومعرفتُه بهم تصنع بينهم وبينه انسجامًا متبادلاً، وتدفعهم لتقديم الجهود؛ بل والإبداع فى عملهم، فلننظر إلى سيرته ﷺ سنجدها خير شاهدٍ على ذلك، ففى غزوة بدر يُشير الحُباب بن المنذر رضي الله عنه - وهو الخبير بالأمور العسكرية - على رسول الله ﷺ بقوله: يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزلٍ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نُغوِّر ما وراءه من القُلُب(٣)، ثم تبنى عليه حوضًا فنملؤه ماءً، فنشرب ولا يشربون. فيقول رسول الله ﷺ له: «**لقد أشرت بالرأى**»(٤).

ونجده ﷺ يعرف بوضوح إمكانات كل صاحب له ﷺ حتى لا

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٠٨) كتاب خلق أفعال العباد.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٤١٦) كتاب المناقب.

(٣) القُلُب، جمع قليب، وهو البئر، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة قلب (١/ ٦٨٥).

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية (١/ ٦٢٠)، وابن كثير: السيرة النبوية (٢/ ٤٠٢) والسهيلى: الروض الأنف (٣/ ٦٢)، والطبرى: تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٢٩).

يتردد فى وصف كل واحدٍ منهم بوصفٍ يوضح تفوُّقه على أقرانه فى مجالٍ معين، فأبو بكر ﷺ أرحمُ الأُمة، وعمرُ بن الخطاب ﷺ الفاروق، وعثمان ابن عفان ﷺ أصدقهم حياءً، وعلى بن أبى طالب ﷺ أقضى الصحابة، وجعفر بن أبى طالب ﷺ أخير الناس للمسكين، وخالد بن الوليد ﷺ سيفٌ من سيوف الله، ومعاذ بن جبل ﷺ أعلمهم بالحلال والحرام، وزيد ابن ثابت ﷺ أعلمهم بالفرائض، وأُبى بن كعب ﷺ أقرأ الأُمة، وحمزة ابن عبد المطلب ﷺ أسد الله[١].

وكان رسول الله ﷺ قائدًا فذًّا فى كل مجالٍ من مجالات الحياة، ومن أبرز هذه المجالات المجال العسكرى، وما حدث فى غزوة بدر خير شاهدٍ على هذه العبقرية فى القيادة، فقبل المعركة بدأ النبى ﷺ فى تنظيم صفوف جنوده؛ ليكونوا على استعدادٍ تام فى مواجهة مشركى قريش، ولما ابتدأت المعركة بالمبارزة، اختار رسول الله ﷺ ثلاثةً من جنده الأشدَّاء فى مواجهة خصومهم، وقد كان اختياره موفقًا لأبعد حدٍّ؛ لعلمه - وهو القائد - بحقيقة جنده وحالهم، فقال ﷺ : « **قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علىّ** ». فقتل الله عتبة وشيبة ابنى ربيعة، والوليد بن عتبة ﷺ، وجُرح عبيدة، فسبَّب ذلك هزيمة نفسية للمشركين قبل لقائهم الفعلى مع المسلمين، فقتل المسلمون منهم سبعين، وأسروا سبعين آخرين[٢].

كما غرس فيهم - أيضًا - مبدأ (المبادرة والإبداع)، وتظهر هذه الصفة جلية واضحة فى الأمور التى تحتاج إلى قرار سريع حاسم، ونظرٍ ثاقب، وقدَّم ﷺ القدوة والمثل فى ذلك، فلننظر إلى صُلحه ﷺ مع مشركى

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٤٤) كتاب مناقب الصحابة، ومسلم (٢٤١٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية (٢/ ٤٢٣)، وابن سيد الناس: عيون الأثر (١/ ٣٧١)، والطبرى: تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٢٢).

قريش فى الحديبية، فهو يدلُّ - ولا شكَّ - على حنكة وحسن سياسة من الرسول القائد؛ إذ كانت من النتائج المترتبة على هذا الصلح أن اعتُبر المسلمون فى درجة مساوية لقريش، وهو أول اعتراف بالدولة الإسلامية من أشد أعدائها وأقواهم فى الجزيرة العربية، بل وأدى - أيضًا - إلى محالفة مجموعة من القبائل لرسول الله ﷺ، ثم أدى كذلك إلى الاستقرار الأمنى الذى أعان المسلمين على نشر دعوتهم ودينهم فى القبائل والقرى المجاورة؛ فكان هذا الصلح دليلاً على عمق نظرته ﷺ [1].

ولننظر إلى إبداعه ﷺ وهو يخطط للهجرة؛ بداية من اختياره للرفيق وهو خير أصحابه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم للطريق الذى يسلكه؛ حيث اختار ﷺ طريقًا غير معهود لقريش، وهو طريق السواحل، وكذلك مُكثه فى غارٍ بجبل ثور ثلاث ليالٍ؛ حتى تهدأ الأمور، ثم اختيار عبد الله بن أُريقِط (المشرك) دليلاً، وإرساله عبد الله بن أبى بكر رضي الله عنه ليأتى بخبر قريش، وانتهاءً برعى عامر بن فهيرة للغنم حول الغار حتى يوفر الأمان، ثم تتجلى عظمته القيادية فى توكُّله بعد ذلك على الله، واطمئنانه إلى معيَّته [2]، فيقول لأبى بكر رضي الله عنه: **«ما ظَنُّك باثنين الله ثالثهما؟»** [3].

ولم يعمل ﷺ على غرس هذه القيم والمبادئ بالكلمات الجوفاء، والأحاديث الرنَّانة، ولكنه كان قدوة ومثلاً فى كل شىء، فكان ﷺ يؤثِّر فى الآخرين بأقواله وأفعاله فى تواضعه وحلمه، ورحمته وصبره.. ففى غزوة الأحزاب نجده ﷺ يرفع معنويات جنوده، ويُدخل السرور عليهم عندما يشاركهم بنفسه ﷺ فى حفر الخندق، وهو يرتجز بكلمات ابن

---

(١) محمود شيت خطاب: الرسول القائد ص٢٨٨ .

(٢) السهيلى: الروض الأنف (٢/ ٣١٥)، وابن كثير: البداية والنهاية (٣/ ١٧٩-١٨٢)، وابن قيم الجوزية: زاد المعاد (٣/ ٤٥)

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٦٣) كتاب التفسير، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

رواحة - أثناء نقله ﷺ للتراب، وقد وارى التُّراب بياض بطنه ﷺ[(١)]، فكان لهذا التبسُّط والمرح منه ﷺ أثره فى التخفيف عن الصحابة مما يعانونه أثناء هذه الغزوة، كما كان له أثره فى بعث الهمة والنشاط، وإنجاز المهمة قبلَ وصول عدوِّهم، فكان بذلك خير قائد ﷺ.

كما غرس فيهم ﷺ مبدأ الحزم، وكان النبى ﷺ قمَّة فى هذه الصفة أيضًا؛ فلننظر إلى حزمه ﷺ عندما نادى فى صحابته بعد انتهاء غزوة الأحزاب: «**أن لا يُصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة**»[(٢)]. فكان قرارًا حازمًا من القائد ﷺ لجنوده، فخرج الجميع لمواجهة مَنْ خان العهد وتعاون مع الأعداء.

أما عدله مع جنوده فقد ضرب فيه ﷺ المثل الذى لا يُضاهى.

ففى غزوة بدر كان رسول الله ﷺ ينظم صفوف أصحابه وفى يده قدح يعدل به القوم، فمرَّ بسواد بن غزيَّة ﷺ[(٣)] وهو مُستنتل[(٤)] من الصف، فطعنه فى بطنه بالقدح، وقال «**استوِ يا سوادُ**» فقال: يا رسول الله، أوجعتنى، وقد بعثك الله بالحق والعدل. فأَقدنى[(٥)]. فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه. وقال: «**استقد**»[(٦)]. فاعتنقه فقَبَّل بطنه، فقال ﷺ: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**» قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (١/ ٤٩٥)، وابن كثير: السيرة النبوية (٢/ ٣٠٦)، والسهيلى: الروض الأنف (٢/ ٣٣٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٩٤٦) كتاب أبواب صلاة الخوف، ومسلم (١٧٧٠) كتاب الجهاد والسير.

(٣) هو سواد بن غزية الأنصارى: شهد بدرًا والمشاهد بعدها، وهو الذى أسر خالد بن هشام المخزومى يوم بدر، وكان عامل رسول الله ﷺ على خيبر، انظر: ابن الأثير: أسد الغابة (٢/ ٥٦١)، وابن عبد البر: الاستيعاب (٣/ ٦٧٣).

(٤) استنتل: تقدَّم، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة نتل (١١/ ٦٤٤).

(٥) أقدنى: أى مكنِّى من القصاص لنفسى، والقود: القصاص، انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة قود (٣/ ٣٧٠).

(٦) استقد: أى اقتص منى، انظر المرجع السابق.

يكون آخـر العهـد بك أن يمسَّ جلدى جلدك فـدعا له رسـول الله ﷺ بخير[١].

هكذا كـانت تعامـلات رسول الله ﷺ مع جنوده، فكان بحقٍّ قـائدًا إنسانًا فى كل موقف من مواقف حـياته، وفى كل غزوة من غزواته؛ فكانت تعاملاته هذه سمة قيادية جديدة تستمدُّ عونها وتوفيقها من الله؛ حتى يتأسى بها من يأتى بعده من القادة إلى يوم الدين[٢].

* * *

(١) ابن هشام: السـيرة النبوية (١/ ٦٢٦)، وابن كثـير السـيرة النبوية (٢/ ٤١٠)، وقال الهيـثمى: رواه الطبرانى ورجاله ثقات. انظر: مجـمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ٤٥٣). وقال الألبانى: وهذا إسناد حسن إن شاء الله تعالى. انظر: السلسلة الصحيحة (٢٨٣٥).

(٢) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين).

تعاملات النبى صلى الله عليه وسلم
مع غير المسلمين

تعاملات النبى ﷺ مع غير المسلمين

كان حريصًا على هدايتهم

لقد بعث الله رسوله محمدًا ﷺ ليُخرج الناس من ظلمات الشرك والكُفران إلى أنوار التوحيد والإيمان..... وكان النبى ﷺ يسلك فى سبيل ذلك مسلكًا كله رحمة ووسطية فلقد كان يتمنى الهداية لهم من أعماق قلبه.

بل لقد كاد قلبه أن يتمزق حزنًا عليهم بسبب إعراضهم عن طريق الحق والهداية ولذا قال له (جل وعلا): ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾[1].

* وعلى الرغم من قسوتهم وعنادهم إلا أن النبى ﷺ أبَى أن يدعو عليهم... فلقد جاء رهطٌ من الصحابة بعدما نالوا قسطًا وافرًا من العذاب على أيدى مشركى قريش فقالوا للنبى ﷺ: «**ألا تدعو الله على المشركين**». فقال ﷺ: «**إنى لم أُبعث لعَّانًا وإنما بُعثت رحمة**»[2].

* بل كان يدعو للمشركين بالهداية... ولم يكن دعاؤه لعامة المشركين فحسب بل كان يدعو لمن عاداه وآذاه.

* **فها هو يدعو لأبى جهل ولعمر بن الخطاب قبل إسلامه ويقول: «اللهم أَعِزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبى جهل، أو بعمر بن الخطاب، فكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب»**[3].

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) رواه الترمذى، وأحمد والحاكم، وقال الألبانى فى مشكاة المصابيح (٦٠٣٦): حسن صحيح.

* ومع كل هذا اللين وتلك الرحمة التى سلكها النبى ﷺ فى دعوتهم إلا أنهم آذوا النبى ﷺ إيذاءً شديدًا فقابل إيذاءهم بالصبر والعفو والتسامح عسى الله أن يفتح قلوبهم للحق.

- فلقد رموا النبى ﷺ بالسحر والجنون والكهانة وألقوا سلا الجزور على ظهره، وألقوا التراب فوق رأسه وطردوه من مكة فخرج وهو يبكى ويقول: «**والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت..**» ودبروا عشر مؤامرات للقضاء على النبى ﷺ واتهموه فى عرضه وفرضوا عليه حصارًا فى شِعب أبى طالب هو وأصحابه حتى أكلوا ورق الشجر.

ومع كل هذا كان النبى ﷺ يرفع شعار: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون».

* وبعد وفاة عمه أبى طالب اشتد إيذاء المشركين له.

فيروى ابن هشام قائلاً: فلما مات أبو طالبٍ نالت قريشٌ من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريشٍ، فنثر على رأسه ترابًا... فلما دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى، ورسول الله ﷺ يقول لها: «**لا تبكى يا بُنية؛ فإن الله مانعٌ أباك**»[1].

* ولما ذهب إلى أهل الطائف ليدعوهم إلى الله فأبوا أن يستجيبوا له وآذوه أشد الإيذاء ومع ذلك لم يدعُ عليهم بالهلاك بل رفض أن يقضى عليهم ملك الجبال.

فعندما قال له ملك الجبال: إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين[2].

---

(١) ابن هشام (السيرة النبوية) (١/ ٤١٦).

(٢) الأخشبين: جبلى مكة أبى قبيس ومقابله قعيقعان، سُميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة، ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقًا واحدًا. انظر: ابن حجر العسقلانى: فتح البارى (٦/ ٣١٦).

قال رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[١].

* **وكان إذا حاورهم فإنما كان يحاورهم بكل أدب ورحمة:**

امتثالاً للمنهج القرآنى الذى ورد فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾[٢][٣]، فالرسول ﷺ يعلم على وجه اليقين أنه على الحق والهدى، ومع ذلك أمره الله فى تحاوره مع المشركين أن يقول لهم: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾، إنها الأرضية المشتركة التى نقف عليها.. أحدنا على حقٍّ والآخر على باطل، فلنتناقش ولنتحاور حتى نصل إلى الحقيقة الغائبة؛ إنها طريقة الحوار المثلى، وغاية الأدب، ومنتهى سمو الأخلاق، ثم يُعلمه الله أن يخاطبهم فى أدبٍ جمٍّ فيقول لهم: ﴿قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ !.

فقد أُمر الرسول ﷺ بأن ينسب (الجُرم) إلى نفسه، وهو عادة يأتى فى الأخطاءِ والزلات، وينسب لفظ (العمل) لهم، وهو يحتمل الصلاح أو الفساد، ثم يُسلم الأمر كله بعد ذلك لله عز وجل، فيقول: إن الله عز وجل سيجمع بيننا جميعًا يوم القيامة، ويحكم بيننا بالحق الذى يراه، فنعرف ساعتها من الذى أصاب ومن الذى أخطأ.

وهذه - ولا شكَّ - أرقى وسيلة ممكنة من وسائل التحاور، لا تحمل أى صورة من صور العصبية والتَّزمُّت، إنما فيها كل الأدب، وكل التقدير للطرف الآخر.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد.

(٢) سورة سبأ: الآيات: (٢٤-٢٦).

(٣) سورة سبأ مكية بإجماعهم، إلا آية واحدة اختلف فيها، وهى قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سبأ:٦]، فقالت فرقة: هى مدنية، والمراد بالمؤمنين من أسلم بالمدينة؛ كعبد الله بن سلام وغيره. انظر: القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٥٨).

كان لا يُكره أحداً على الدخول فى الإسلام

* وأما مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى فقد كان النبى ﷺ لا يُكره أحدًا على الدخول فى الإسلام ممتثلاً قول ربه (جل وعلا): ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٢).

- **ومما يؤكد هذه الحقيقة ما ورد فى سبب نزول الآية:** ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، فقد جاء أنه كان لرجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف ابنان متنصران قبل مبعث النبى ﷺ، ثم قَدِمَا المدينة فى نفر من النصارى يحملون الزيت، فلزمهما أبوهما، وقال: لا أدعكما حتى تُسلما. فأبيا أن يُسلما؛ فاختصموا إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، أيدخل بعضى النار وأنا أنظر؟! فأنزل الله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الآية، فخلَّى سبيلهما(٣).

* وهكذا تمتعت الأقليات غير المسلمة فى أرض الجزيرة بالحرية الدينية وهى ما يُسمَّى بحرية الاعتقاد.

* وكان للنبى ﷺ مع أهل الكتاب مواقف فى قمة الرحمة والعدل والإنصاف.

- **فها هى أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما تقول:** قَدِمت علىَّ أمى وهى مشركة فى عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها، فاستفتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أمى قدمت علىَّ وهى راغبة أفأصلها؟ قال: «**نعم صليها**»(٤).

---

(١) سورة البقره: الآية: (٢٥٦).

(٢) سورة يونس: الآية: (٩٩).

(٣) انظر: الواحدى النيسابورى: أسباب النزول، ص٥٣، والسيوطى: لباب النزول ص٣٧ .

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٢٠) كتاب الهبة وفضلها، ومسلم (١٠٠٣) كتاب الزكاة.

*** واشترى ﷺ من اليهود ورَهَن درعه عند يهودى:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: اشترى رسول الله ﷺ من يهودى طعامًا بنسيئة ورهنه درعه(١) . . . والنسيئة التأخير أى مع تأخير دفع الثمن إلى أجل.

وعنها رضي الله عنها قالت: توفى النبى ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعًا من شعير(٢).

*** وأهداهم ﷺ وقَبِل هداياهم:**

أهدت امرأة سلام بن مشكم للرسول الله ﷺ شاة مسمومة، وأكثرت من السم فى ذراع الشاة لِمَا عرفته أن الرسول يُؤْثِرها، وقد تناول النبى ﷺ مضغة منها فلاكها (مضغها) ثم لفظها وهو يقول: «**إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم**»، وكان معه بِشْر بن البراء فأساغ اللحم وازدرده، فجىء بالمرأة الجانية فاعترفت بما صنعت وقالت: بلغتَ من قومى ما لا يخفى عليك، فقلت: إن كان مَلِكًا استرحت منه، وإن كان نبيًّا فسيُخبَر فتجاوز عنها النبى ﷺ، ثم مات بِشر بعد ما سرى السم فى جسمه فقيل: اقتُص له منها، وقيل بل أسلمت وعفا عنها(٣).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودية أتت النبى ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجىء بها فقيل: ألا نقتلها؟ قال: «**لا**». فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله ﷺ(٤).

كما أهدى رسول الله ﷺ مَلِك أيلة بُردًا، . . . وأيلة بلد معروف بين مصر والشام.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٠٩٦) كتاب البيوع، ومسلم (١٦٠٣) كتاب المساقاة.

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٢٩١٦) كتاب الجهاد.

(٣) **صحيح:** صححه الألبانى فى فقه السيرة للغزالى. وأصله فى البخارى.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٦١٧) كتاب الهبة، ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

* **عن أبى حميد الساعدى قال:** خرجنا مع رسول الله ﷺ عام تبوك حتى جئنا وادى القرى، وإذا امرأة فى حديقة لها، فقال رسول الله ﷺ: «**اخرصوا**». قال: فخرص القوم وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسق وقال للمرأة: «**أحصى ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله**». قال: فخرج رسول الله ﷺ حتى قَدِم تبوك، فقال: «**إنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقومن رجل فيها، فمن كان له بعير فليوثق عقاله**». قال أبوحميد: فعقلناها، فلما كان من الليل هبت ريح شديدة، فقام فيها رجل فألقته فى جبل طىء، ثم جاء رسول الله ﷺ إلى ملك أيلة، فأهدى إلى رسول الله ﷺ بغلة بيضاء، فكساه رسول الله ﷺ بُردًا وكتب له رسول الله ﷺ ببحرهم، قال ثم أقبل وأقبلنا معه[1].

* **وعاهدهم ﷺ وحرَّم خيانة عهدهم:**

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا»[3][4].

* بل وها هو يزور غلامًا يهوديًا كان مريضًا ويعرض عليه الإسلام فيُسلم.

قال أنس رضي الله عنه: كان غلامٌ يهودى يخدم النبى ﷺ فمرض؛ فأتاه النبى ﷺ يعوده؛ فقعد عند رأسه؛ فقال له: «**أَسْلِمْ**». فنظر إلى أبيه وهو

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة ج٧ - ح ٣٧٠٠٦ .

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤).

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٣١٦٦) كتاب الجزية.

(٤) رسالة محمد ﷺ / للشيخ جمال عبد الرحمن (ص١٠٤-١٠٦) بتصرف.

عنه؛ فقال له: أطع أبا القاسم. فأسلم فخرج النبى ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذى أنقذه من النار»(١).

* بل ها هو موقف فى قمة الرحمة نسوقه للكون كله من حياة النبى ﷺ . . . فعن ابن أبى ليلى أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف رضي الله عنهما كانا بالقادسية، فمرت بهما جنازة فقاما فقيل لهما: إنها من أهل الأرض(٢)، فقالا: إن رسول الله ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل: إنه يهودى فقال: «أليست نفساً»(٣).

* بل كان النبى ﷺ ينهى أمته عن ظلم أى إنسان ولو كان كافراً.

قال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب»(٤).

من ذلك ما رواه عبد الرحمن بن أبى بكر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبى ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبى ﷺ: «هل مع أحد منكم طعام؟» فإذا مع رجل صاعٌ من طعام أو نحوه، فعجن، ثم جاء رجل مشرك مُشعان (ثائر الرأس) طويل، بغنم يسوقها، فقال النبى ﷺ: «بيعًا أم عطية؟» أو قال: «أم هبةً؟»(٥) قال: لا، بل بيعٌ، فاشترى منه شاةً، فصُنعت، وأمر النبى ﷺ بسواد البطن(٦) أن يُشوى، وايم الله ما فى الثلاثين والمائة إلا قد حزَّ(٧)

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (١٣٥٦) كتاب الجنائز.

(٢) من أهل الأرض أى: من أهل الذمة، وقيل لأهل الذمة أهل الأرض لأن المسلمين لما فتحوا البلاد أقروهم على عمل الأرض وحمل الخراج. وقيل: معناه جنازة كافر من أهل تلك الأرض انظر: ابن حجر العسقلانى فتح البارى (٣/ ١٨٠)، والنووى: المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/ ٣٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٣١٣) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٦١) كتاب الجنائز.

(٤) رواه أحمد وأبو يعلى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٩).

(٥) وفيه جواز بيع الكافر وإثبات ملكه على ما فى يده، وجواز قبول الهدية منه، انظر: ابن حجر العسقلانى: فتح البارى (٤/ ٤١٠).

(٦) سواد البطن: هو الكبد أو كل ما فى البطن من كبد وغيرها. انظر المصدر السابق ٥/ ٢٣٢ .

(٧) حزّ: قطع، وقيل: قطع بغير إبانة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة حزز (٥/ ٣٣٤).

النبي ﷺ له حزة[١] من سواد بطنها: إن كان شاهدًا أعطاها إياه[٢]، وإن كان غائبًا خبأ له، فجعل منها قصعتين، فأكلوا أجمعون، وشبعنا ففضلت القصعتان، فحملناه على البعير[٣].

- ولقد كان النبي ﷺ يستطيع هو وأصحابه أن يأخذوا الشاة من هذا الرجل المشرك بلا ثمن فقد كان عدد المسلمين كبيرًا وكانوا في حاجة إلى تلك الشاة... وهذا الرجل كافر ولم يكن معه أحد... لكن النبي ﷺ يعطي الكون كله درسًا في العدل حتى يعلموا أن الإسلام هو دين العدل والرحمة.

* * *

(١) الحزة: هي القطعة من اللحم وغيره، انظر: النووي: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/١٧).

(٢) أعطاها إياه: هو من القلب وأصله أعطاه إياها.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦١٨) كتاب الهبة وفضلها، ومسلم (٢٠٥٦) كتاب الأشربة.

أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم في الحروب

أخلاق الرسول ﷺ فى الحروب

.. إننا عندما نتحدث عن أخلاق الحروب فكأننا نتحدث عن قصة من قصص ألف ليلة وليلة... فإن الحرب هى عنوان للدمار والخراب والظلم والبغى فكيف يكون هناك مجال للأخلاق فى الحروب.

لكن الواقع يشهد أن النبى ﷺ قد تعامل مع أعدائه فى الحروب بأخلاق لا تخطر على قلب بشر.... فأخلاق النبى ﷺ لا تختفى أبدًا فى السلم أو فى الحرب فهو الذى أرسله الله رحمة للعالمين.

حتى أن أحد أحبار اليهود (زيد بن معنة) ذكر أن النبى ﷺ قد وُصف فى التوراة بأنه يسبق حلمُه جهله وأنه لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا.

أخلاق النبى ﷺ قبل بدء الحرب

نحن نعلم كيف أن العالم قبل بعثة النبى ﷺ كان يعانى من ويلات الحروب.. وكانت الحروب تشتعل بين القبائل العربية لأتفه الأسباب وتستمر لسنوات طويلة حتى تقضى على الأخضر واليابس... فأرسل الله (جل وعلا) رسوله ﷺ لينقل الناس من حالة الحرب والدمار إلى حالة السلم والأمن والإيمان.. بل وليُعلمهم مكارم الأخلاق... فقد قال النبى ﷺ: **«إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**[1].

* * *

(١) صحيح: رواه الحاكم والبيهقى وصححه الألبانى فى السلسة الصحيحة (٤٥).

إنما جاء الإسلام بالسلام

إن الإسلام لا يزداد انتشاراً إلا في وقت السلام حيث تتهيأ القلوب والعقول لقبول الحق.. ولهذا كان النبى ﷺ يميل دائمًا إلى السلام وكان يبحث عن الطرق السلمية فى التعامل مع المخالفين له.

* فهو ﷺ يعلم يقينا أن تعدُّد الشعوب والأديان ليس مدعاة للحرب والخصومة وإنما هو مدعاة للتعارف ونشر الخير فيما بينهم وذلك لأن الله (عز وجل) قال فى كتابه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾(١).

* ولذا وردت كلمة السلم بمشتقاتها فى القرآن مائة وأربعين مرة فى حين أنه وردت كلمة الحرب بمشتقاتها فى القرآن ست مرات حتى جاءت بعض الآيات تحض المسلمين على قبول السلم مع غير المسلمين إن أبدى هؤلاء الاستعداد والميل للصلح والسلام.

فيقول الله تعالى: ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا** ﴾(٢)، وهذه الآية الكريمة من كتاب الله عز وجل، تبرهن بشكل قاطع على حب المسلمين وإيثارهم لجانب السلم على الحرب، فمتى مال الأعداء إلى السِّلْمِ رضى المسلمون به، ما لم يكن من وراء هذا الأمر ضياع حقوق للمسلمين أو سلب لإرادتهم.

قال السدى وابن زيد: معنى الآية: إن دعوك إلى الصلح فأجبهم. والآية التالية لهذه الآية تؤكد حرص الإسلام على تحقيق السلام، فلو أن الأعداء أظهروا السلم، وأبطنوا الخيانة؛ فلا عليك من نياتهم الفاسدة، واجنح للسلم قال الله تعالى: ﴿ **وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾(٣).

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).
(٢) سورة الأنفال: الآية: (٦١).
(٣) سورة الأنفال: الآية: (٦٢).

أى أن الله يتولى كفايتك وحياطتك[١] .

* فالمسلم بطبيعته الأخلاقية لا يحب الدماء والقتل ولذلك فهو لا يبدأ أحدًا بالقتال بل يسعى ابتداءً لتجنُّب القتال وسفك الدماء.

حتى إن النبى ﷺ كان يقول لأصحابه: «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية...»[٢] .

ولذا قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٣] .

ويقول القرطبى رحمه الله: هذه الآية أول آية نزلت فى الأمر بالقتال ولا خلاف فى أن القتال كان محظورًا قبل الهجرة بقوله: **﴿ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾**[٤] . وقوله: **﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾**[٥] ، وما كان مثله مما نزل بمكة، فلما هاجر إلى المدينة أُمِرَ بالقتال.

ويجب التعليق هنا بأن الأمر بالقتال إنما جاء لمحاربة من يقاتلنا فقط، دون مَن سالمنا، وجاء التأكيد الشديد على ذلك المعنى بقول الله تعالى: **﴿وَلا تَعْتَدُوا﴾**، ثم التحذير للمؤمنين: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** .

فالله عز وجل لا يحب الاعتداء، ولو كان على غير المسلمين، وفى هذا تحجيم كبير لاستمرار القتال، وهذا فيه من الرحمة بالإنسانية جميعًا ما فيه.

ويقول سبحانه وتعالى فى سورة التوبة: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾[٦].

---

(١) راجع فى هذا المعنى القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٤٠٠ .

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٩٦٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٧٤٢) كتاب الجهاد والسير.

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٠).

(٤) سورة فصلت: الآية: (٣٤).

(٥) سورة المائدة: الآية: (١٣).

(٦) سورة التوبة: الآية: (٣٦).

فالقتال هنا مقيَّد، وبحسب قتالهم واجتماعهم لنا؛ يكون فرضُ اجتماعِنا لهم[١][٢].

* ولذلك فنحن نلاحظ أن المسلمين لم يقاتلوا أحدًا إلا إذا بدأهم بالقتال.. فالإذن بالقتال لم يأتِ إلا بعد أن بدأ المشركون بحرب المسلمين فكان لابد للمسلمين من أن يدافعوا عن أنفسهم.... ولذا فإن علة القتال واضحة فى الآية، وهى أن المسلمين ظُلِموا وأُخرِجوا من ديارهم بغير حقٍّ..

* ولذلك لم يكن هدف المسلمين قتال أحد... بل كانوا يعرضون الإسلام بكل رحمة وأدب فإن لم يقبل الكفار ذلك عرضوا عليهم الجزية وذلك فى مقابل حمايتهم والدفاع عنهم وتركهم وما يدينون فإن أبوا فالقتال ولم يبدأوا الكفار بقتال حتى يبدأ الكفار بقتالهم... وهذا ما كان يحدث فى الفتوحات الإسلامية.

* ولذلك نجد أن المسلمين حاربوا الفرس والروم ولم يحاربوا أهل الحبشة مع أن حربهم أيسر من الفرس والروم... وذلك لأن أهل الحبشة لم يحاربوا المسلمين.. أما الفرس والروم فقد جمعوا للمسلمين وحاربوهم.

* فالمسلم لا يقاتل أحدًا إلا لعلة واضحة كالظلم أو اغتصاب حقوق المسلمين أو منع المسلمين من نشر دينهم أو نحو ذلك.

* فمن يستطيع أن يقول بعد ذلك أن المسلمين كانوا يحبون القتل وسفك الدماء.

* * *

(١) انظر القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٤٧٤).

(٢) أخلاق الحروب فى السنة النبوية/ د. راغب السرجانى (ص٧٢).

لماذا قاتل رسول الله ﷺ؟![١]

تتفاوت دوافع القتال بين الأمم المختلفـة؛ فقد يكون الباعث على القتال تسلطًا وفرضًا للقوة كـما كان عند الإغـريق والرومان، وقد يكون إغارات هوجاء للاستيلاء على الكلأ والماء كما كان عند العرب فى الجـاهلية، وقد يكون عقـيدة فى ضـمائر شعب آمَـنَ - زوراً وبهتانًا - بأنه فـوق مسـتوى الشعـوب كما هو عند اليهـود، وقد يكون ضرورة أملتـها السياسـة بعد أن حرمها الدين كما كان عند المسيحية. . إلى آخر هذه الدوافع[٢].

ولسنا نجد دافعًا من هذه الدوافع وراء القتال عند رسول الله ﷺ.

لقـد جاء التـشريع الإسـلامى فهـذَّب طباع الإنسـان، وعدَّل سلوكـه، وأعطاه حق الدفاع عن نـفسه، ومنعـه من العدوان على حقـوق الآخرين، وارتفع به عن مستوى الانتقام إلى مستوى العفو؛ فقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[٣].

فمشروعية القتال فى الإسلام غيرها فى الأنظمة والقوانين، ومن شاء أن يدرس طبيعة الحروب الإسلامية؛ فليدرس طبيعة الإسلام ذاته حتى لا يطبق على هذه الحروب مقاييس غيرها من حروب التوسع والعدوان[٤].

إن رؤية رسول الله ﷺ للدوافع التى ينبغى أن تقوم الحرب من أجلها

(١) بتصرف من كتاب (أخلاق الحروب فى السنة النبوية) لأخى الحبيب الدكتور راغب السرجانى (حفظه الله).

(٢) الدكتور عبد اللطيف عامر: أحكام الأسرى والسبايا فى الحروب الإسلامية، ص٤٥ .

(٣) سورة الشورى: الآيات: (٤٠-٤٣).

(٤) الدكتور عبد اللطيف عامر: أحكام الأسرى والسبايا فى الحروب الإسلامية، ص ٤٥، ٤٦ .

واضحة وهى دوافع لا ينكرها منصف، ولا يعترض عليها محايد. وهذه الدوافع تشمل ردَّ العدوان، والدفاع عن النفس والأهل والوطن والدين، وكذلك تأمين الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاول الكافرون أن يفتنوهم عن دينهم، وأيضًا حماية الدعوة حتى تُبلَّغ للناس جميعًا، وأخيرًا تأديب ناكثى العهد(١).

ومن فى العالم ينكر مثل هذه الدوافع للقتال؟!

ومع أن أهداف القتال فى الإسلام كلها نبيلة إلا أن رسول الله ﷺ لم يكن متشوفًا أبدًا لحرب الناس، ولا مشتاقًا لقتلهم، وذلك على الرغم من بدايتهم للعدون، وعداوتهم الظاهرة للمسلمين، وكان من أظهر الدلالات على ذلك أنه كان يدعوهم إلى الإسلام قبل القتال. ولا ينبغى أن يفهم أحدٌ أنه يفعل ذلك ابتداءً، فيبدو وكأنه إكراه على اعتناق الإسلام، فقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك عند تعيُّن القتال فعلاً، فإذا حضر الفريقان إلى أرض القتال جعل للفريق المعادى فرصة أخيرة لتجنُّب إراقة الدماء، وهذه من أبلغ صور الرحمة، لأن الفريق المعادى مستباح الدم الآن، والعفو عنه غير متوقع، كما أن الرسول ﷺ كان يفعل ذلك والقوة فى يده، ويستطيع بكلمة واحدة أن يبيد من أمامه، ولكنَّه يرحمهم!

قال ابن القيم فى زاد المعاد تحت عنوان: الدعوة قبل القتال: «وكان ﷺ يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال إما إلى الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين ليس لهم فى الفىء نصيب أو بذل الجزية، فإن هم أجابوا إليه قَبِل منهم وإلا استعان بالله وقاتلهم»(٢).

وهذا الخُلق الرائع من إنشاء الإسلام الذى لم يستبح الغدر بأحد قبل

---

(١) أنور الجندى: بماذا انتصر المسلمون؟ ص٥٧-٦٢ بتصرف.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٩٠).

إعلامه؛ فجعل الدعوة قبل القتال لازمة، وتلك قمة لم تسمُ إليها أمة قبل الإسلام أو بعده. فما زال أهل الأديان الأخرى يغدرون بعدوهم، ويتحينون فرصة؛ ليبيدوه ويستحلوا حرماته، بينما لم يقاتل النبى ﷺ قومًا قط إلا بعد أن دعاهم إلى الله تعالى»(١).

وقد يقول قائل: طالما أن الرسول ﷺ ليس متشوفًا إلى المعارك والحروب فلماذا هذا العدد الكبير من الغزوات والسرايا فى حياته؟!

ونحن نقول نعم.. لقد غزا رسول الله ﷺ بنفسه الشريفة غزوات عديدة، وأرسل سرايا وبعوثًا كثيرة، ولكنه ﷺ لم يكن فى جميع غزواته أو سراياه بادئًا بقتال، أو طالبًا لدنيا، أو جامعًا لمال، أو راغبًا فى زعامة، أو موسعًا لحدود دولة أو مملكة؛ بل كل ذلك كان هداية للناس، وتحريرًا للعقول، ورفعًا للظلم، وربطًا للناس برب العالمين بأعلى أساليب العفة والشرف والنُّبل، مما جعل هذه الغزوات أنموذجًا للتعامل الدولى فى الحروب والأسارى(٢). وقد تنوع فيها أعداؤه وتعددت دياناتهم ومشاربهم، فمنهم الوثنى، واليهودى، والنصرانى.

حروبه ﷺ مع المشركين

نعلم جميعًا أن المشركين هم أكثر من آذى رسول الله ﷺ، والمسلمين، بل إنهم لم يكتفوا بالإيذاء فطردوا المسلمين من مكة التى هى وطنهم الذى وُلِدُوا وتربوا فيه، واستولوا على ممتلكاتهم من الأموال والبيوت، ومع هذا كله لم يفكر الرسول ﷺ طوال إقاماته فى مكة أن يعتدى على أحد من المشركين مع ما كان له من عزة ومنعة؛ فهو ﷺ من

(١) الدكتور عمر بن عبد العزيز قريشى: سماحة الإسلام، ص١٤٨ .

(٢) الدكتور فاروق حمادة: العلاقات الإسلامية النصرانية فى العهد النبوى ص١٧٢ .

أرقى عائلة فى مكة، ومن أعز بطون قريش، وصاحب النسب والشرف، إلا أن له رسالة سامية يريد أن يؤديها، فكان ﷺ يتحمل الإيذاء إلى أبعد الحدود، ويحثُّ أصحابه على الصبر، وعدم مقابلة السيئة بمثلها.

إلا أن قريشًا تمادت فى غيها وضلالها وكبريائها فكان لابد من وقفات حازمة ترد للمسلمين بعض حقوقهم المسلوبة وأموالهم المنهوبة، وهذا من دون شك أمر لا ينكره عاقل، ولا يعارضه صاحب رأى سديد.

تأتى غزوة بدر الكبرى لتمثِّل أُولى الصدامات الحقيقية بين المشركين والمسلمين، وإذا تدارسنا أسباب هذه المعركة فى هدوء وروية لوجدنا أن المسلمين قد دُفِعُوا إليها دفعًا، وأنه لم يكن فى نيّتهم القتال، وإنما اضطرهم المشركون من قريش إليه..

فأهل مكة الكافرون هم الذين بدؤوا بإيقاع الظلم على المسلمين، ولم يكن الظلم ظلمًا واحدًا، بل كان ظلمًا متعددًا مُرَكَّبًا، فظلم فى الجسد بالتعذيب والحرق والإغراق والقتل أحيانًا، وظلم فى المال بمصادرته بدون وجه حق واغتصابه بالقوة، وظلم فى الديار بالطرد منها وأخذها، بل بيعها وأكل ثمنها، وظلم فى النفس والسمعة بالسب والقذف وتشويه السمعة، وظلم فى الحرية بالحبس والعزل عن المجتمع.

فماذا يفعل المسلمون لرفع هذا الظلم؟!

لقد اضطُر المسلمون للهجرة وترك الديار والأموال والأهل وكل شىء، وكانت هجرتهم مرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ولم يتركهم كفار مكة يعيشون حياتهم فى أمان هناك، بل طاردوهم وحاصروهم وراسلوا مشركى المدينة ويهودها لاستئصال المسلمين تمامًا من على وجه الأرض.

ماذا يجب أن يفعل المسلمون إزاء هذه الأفعال؟!

هل ينبغى على المسلمين أن يُسلِّموا رقابهم ورقاب أولادهم لسيوف

قريش؟ أم كان عليهم أن يحملوا متاعهم وعيالهم إلى بلد آخر؟!

إن أى عاقل أو حر لن يجد أمامه سبيلاً إلا المقاومة لدفع الشر، وقمع الفساد، وهذا ما فعله المسلمون.. ولما لم تكن لهم طاقة بغزو مكة، واسترداد ثرواتهم المنهوبة فكروا فى مهاجمة قوافل مكة التجارية المارة على طريق المدينة.. لقد كانت محاولة لرفع - ولو جانبًا - من الظلم الواقع على كواهلهم منذ سنوات.

ثم إنها حالة حرب حقيقية، وليس هنا مجال لأن يقول أحدٌ إن المسلمين يُغيرون على الآمنين من قريش، فهذه حرب مُعلنة بين دولة المدينة المسلمة ودولة مكة الكافرة، وكلا الطرفين يستحل دم ومال الآخر، وكلا الطرفين يضرب مصالح الآخر، وهذا عُرفٌ فى الحروب متعارف عليه فى كل الأزمان والأماكن، وليس من ابتكار المسلمين، كما أن الإسلام دين واقعى، يرد القوة بالقوة، ويُشهِر السيف فى وجوه من أشهروا سيوفهم عليه.

إنهم يلومون المسلمين؛ لأنهم هاجموا قوافل قريش التى استولت على أموالهم وديارهم!

ألم يكن من الأجدر بهم أن يلوموا قريشًا التى سلبت المسلمين كل ما يملكون ظلمًا وعدوانًا؟

خرج المسلمون فعلاً لمهاجمة القافلة، ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أن يتمكن أبو سفيان قائد قافلة قريش من الهرب بها، وأرسل إلى مكة يستدعى النجدة، وجاءت قريش بألف من الجنود لقتال المسلمين، وخرج على قيادة الجيش كل زعماء مكة تقريبًا، وجعلوا على رأس الجيش أبا جهل، فرعون هذه الأمة. وفى الطريق علم المشركون بنجاة قافلتهم وأموالهم؛ فرأى عدد منهم الرجوع، وعدم الانسياق إلى الحرب؛ وكان منهم عتبة بن ربيعة

والأخنس بن شريق[1]، وآخرون، لكن أبا جهل حمَّس الناس، وصمم على البقاء بالجيش عند بدر ثلاث ليالٍ؛ ينحرون الإبل، ويشربون الخمر، وتغنى القيان حتى تظل العرب تهاب قريشًا.

وكما رأينا كان بإمكان جيش قريش أن يرجع وألا يحارب أو يدخل فى قتال مع المسلمين خاصة بعد نجاة القافلة، ولكن إصرار بعض قادتها على الحرب هو الذى ورطهم فى القتال. ودارت معركة من أشرس المعارك فى تاريخ الإسلام انتهت بهزيمة ساحقة للمشركين، وقتل سبعين من قادتهم، وأسْر سبعين آخرين، وتحصيل قدر من الغنائم عوَّض المسلمين عن بعض أموالهم المسلوبة.

ورغم ما أصاب قريشًا فى بدر؛ فإنها لم تتعظ، ولم تتراجع عن غيها، بل تمادت فأوقفت التصرف فى قافلة أبى سفيان التى أفلتت فى بدر لتجهيز جيشٍ بأموالها لحرب المسلمين، ولم تكتفِ قريش بتجهيز الجيش من داخل مكة بل بدأت تستنفر القبائل المحيطة بها للمساعدة لها، وكوَّنت قريش بالفعل جيشًا كبيرًا، وهنا اضطر المسلمون لخوض الحرب مرة أخرى؛ دفاعًا عن أنفسهم، وعن الدولة الإسلامية، فكانت معركة أُحد.. وجاءت قريش بجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وكان قائدهم أبا سفيان، ومعه: صفوان بن أمية، وعكرمة ابن أبى جهل، وخالد بن الوليد، وغيرهم، وكان معهم ثلاثة آلاف بعير؛ ومائتا فرس، وسبعمائة درع[2]، وأشعلت قريش حربًا إعلامية ضخمة تحفِّز الناس على حرب المسلمين، وقاد هذه الحرب الإعلامية أبو عزة الجمحى[3].

---

(١) هو أبىُّ بن شريق، ويُعرف بالأخنس بن شريق الثقفى، رجع بقومه عن بدر، فحفظها له قومه. أسلم فكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد حنينًا، ومات فى أول خلافة عمر. انظر: أسد الغابة ١/ ٨٠، والإصابة، الترجمة (٦١).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٢/ ٦١)، ابن كثير: السيرة النبوية (٣/ ٢١).

(٣) هو الأسير الذى أطلقه النبى ﷺ منًّا بغير فداء، وأخذ عليه عهدًا ألا يشارك المشركين، ولا يحفز أحدًا على حرب المسلمين، وخالف العهد، وقام بتحفيز بعض العرب فى قتال المسلمين. انظر: ابن هشام السيرة النبوية (٤/ ٥٥).

وخرج المسلمون للمشركين في سبعمائة مقاتل، ودارت المعركة المشهورة التي انتهت بالمصاب الأليم الذي أصاب المسلمين، واستشهد من المسلمين سبعون على رأسهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وقامت قريش بالجريمة الشنعاء، إذ مثَّلت بجثث الشهداء المسلمين، مخالفةً بذلك كل الأعراف والقيم، ووضح للجميع مدى الحقد والكراهية التي يحملها المشركون في قلوبهم للمسلمين.

وكان من الممكن أن تكتفي قريش بهذه المعركة، وتكون في مقابل معركة بدرٍ، لكنَّ مشركي قريش أبوا إلا أن يستأصلوا المسلمين من المدينة بشكل نهائي، وجمعت قريش - وبمعاونة اليهود - عشرة آلاف مقاتل، وتحزّبوا جميعًا، وكان الهدف الأوحد لهم هو إنهاء الوجود الإسلامي تمامًا من المدينة، وتحركت هذه الحشود الهائلة لتحيط بالمدينة التي يقطنها المسلمون، واضطر المسلمون لبذل جهود جبَّارة لحماية أنفسهم من الشر المحدق بهم، فحفروا خندقًا حول المدينة، لئلا يستطيع الجيش المهاجم الدخول إليهم، ومع هذا فقد حاول بعض المشركين اقتحام الخندق لقتال المسلمين، وكان لابد من مواجهة ذلك التحالف الضخم الآتي لاقتلاع دولة الإسلام، فكانت غزوة الأحزاب.

فهل يُلامُ المسلمون على دفاعهم عن المدينة، وقتالهم للمشركين، وقد جاء المشركون بهدف الاستئصال الجذري لهم، وإبادتهم بشكل جماعي؟!!

ثم بلغَ الرسول ﷺ أن بني المصطلق[1] يجمعون له[2] ويعدون عدتهم لغزو المدينة المنورة، فكان لابد من تفادي ما حدث قريبًا في الأحزاب،

---

(١) بنو المصطلق هم بطن من خزاعة، من القحطانية، وقد غزاهم النبي ﷺ، واشتُهرت بغزوة بني المصطلق التي تُعرف بالمريسيع. معجم قبائل العرب ٣/ ١١٠٤ .

(٢) الطبراني في الكبير (١٥٨)، والبيهقي في الكبرى (١٧٦٦٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٠٧): رجاله ثقات. وابن هشام: السيرة النبوية (٢/ ٢٩٠)، وسنده صحيح.

وذلك بتوجيه ضربة قوية لبنى المصطلق، توقف تحركاتهم، وتحمى المدينة منهم.

وها هو رسول الله ﷺ يتجه إلى مكة يريد أداء العمرة، ولم يُرد القتال أبدًا، ويُثبت ذلك كلامه ﷺ يوم الحديبية: «والله لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»(١).

ولقد استقبل رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو(٢) مفاوض قريش، وكان ﷺ أرغب ما يكون فى موادعة القوم، مع كونه قادرًا على تحكيم السيف، وإنزال خصومه على منطقه الذى آثروه مُذ صَدُّوه عن البيت، وتكلم سُهيلٌ فأطال، وعرض الشروط التى يتم فى نطاقها الصلح، ووافق عليها النبى ﷺ، ولم يَبقَ إلا أن تُسجَّل فى وثيقة يمضيها الطرفان(٣). ورغم ما فى هذه الشروط من إجحافٍ ظاهرٍ اعترض عليه الصحابة، إلا أن النبى ﷺ آثر الموادعة، لأنه ﷺ يريد تجنب القتال، وعدم الدخول فى حروب..

وكان ينبغى بناءً على بنود الصلح أن يدخل من شاء فى حلف النبى ﷺ أو فى حلف قريش، وتُطبق عليه أحكام الصلح، وقد دخلت قبيلة خزاعة فى حلف المسلمين، ودخلت بنو بكر فى حلف قريش، ولكن بكرًا الموتورة من خزاعة بفعل ثأر قديم بيَّتت رجالاً من خزاعة، وقتلوهم؛ فلما

---

(١) رواه أحمد (١٨٩٣٠)، وابن أبى شيبة فى مصنفه ٧/٣٨٧، وقال الألبانى فى تعليقه على فقه السيرة للغزالى: صحيح (٣٦٨٥٥).

(٢) سهيل بن عمرو، أحد أشراف قريش، أُسرَ يوم بدر كافرًا، وكان خطيب قريش، وأراد عمر نزع ثنيته إلا أن النبى ﷺ قال له: «دعه؛ فعسى أن يقوم مقامًا تحمده» وكان ذلك المقام المحمود هو أنه لما ماج أهل مكة عند وفاة النبى ﷺ، وارتد من ارتد من العرب، قام فيهم خطيبًا وأتى فى خطبته بمثل ما جاء به الصديق رضي الله عنه بالمدينة، فكان ذلك معنى قول رسول الله ﷺ لعمر. الإصابة (٣٥٦٩)، أسد الغابة (٢/٣٤٦)، صفة الصفوة (١/٧٣١).

(٣) الشيخ محمد الغزالى: فقه السيرة، ص٢٥٤ .

استجار الخـزاعيون بالحرم انتهكت بنو بكر حُرمة البـيت، وقتلتهم بداخله، وقد شارك فى ذلك العديد من فرسان قريش!

واستنجدت خزاعة بالنبى ﷺ، وكان حقًّا عليه أن يفى بعهده وينصر حلفاءه، ويعـاقب قريشًـا التى نقضت العـهد؛ فكان فتح مـكة. فهل يُلام رسول الله ﷺ على حربه لمن نقض عهده، وقتل حلفاءه؟!

وبعد فتح مكة أكل الغلُّ قلوب قـبيلة هوازن، فجمعوا الجـموع لرسول الله ﷺ وظنُّوا أنهم قادرون على إطفاء نور الله عـز وجل وإخماد جذوة الحق، ولكن الرسول ﷺ وصلته الأخبار فتـجهز هو والمسلمون للقائهم، وخرجوا إليهم فى سهل حنين، فكانت غزوة حنين.

هذه هى حروبه ﷺ مع المشركيـن، ما كانت إلا اضطرارًا، وما بدأها أبدًا، ولكنهم دائمًا كانوا يبدؤون، ومـا ظلمهم لحظةً واحدة، ولكنهم كانوا دائمًا يظـلمون، وبرغم كل ذلك لم يكن مـتشفـيًا فـيهم أبدًا، ولا حـاقدًا عليهم، بل كان يتحين الفرص للعـفو، ويكثر من قبول الأعذار، ولا يجعل الحـرب إلا آخر دواءٍ.. ولم يكن هذه مـرة أو مرتين فى حـياته، بل كـان كذلك على الدوام، فأى حـروب مع المشركين - بعد أن شرحنا أسـبابها - كان من الممكن أن يتجنبها؟ وأى المعارك كان من الممكن ألا يخوضها؟!

حروبه ﷺ مع اليهود

ولم يختلف اليـهود كثيرًا عن المشـركين، فبعد أن عـاهدهم رسول الله ﷺ ووفَّى بعـهدهم، وأحـسن مـعاملتـهم، مـا كان منهم إلا الإسـاءة، ونكران الجميـل، ومحاولة تشكيك المسلمين فـيما يعتقـدونه من الحق، وقد صبر عليهم رسول الله ﷺ كثيرًا، وتغاضى عن الكثير من أخطائهم، ولم يعاقبـهم عليها رغم فداحتـها، إلا أن الأمر بلغ حدًّا لا يُطاق، وأصبح من

الحكمة بمكان أن يتم اتخـاذ موقف حازمٍ إزاء مـا يفعله اليهـود، فلقد بدأت قبائلهم فى نقص العـهود الواحدة تلو الأخرى، فقام يهود بنـى قينقاع بفعلٍ فاحش تمالؤوا فيه على الاعتداء على شـرف امرأة مسلمة، كانت تشترى من سوقهم بعض حاجتها، كما اجتمعوا على قتل رجل مسلم(١).

واليهود بهذا الفـعل الفاحش، وهذه الجريمة النكراء، أصبـحوا ناقضين لعهدهم مع رسول الله ﷺ، وقد قَبِل الرسول ﷺ بإجلائهم وهو على استطاعة تامة أن يقتلهم جميعًـا، وما فعله الرسول ﷺ من قبول الاكتفاء بإجلائهم عن المدينة يُعـدُّ عفوًا عظيـمًا عن أُناسٍ يستـحقون القتل لنقـضهم العهد، واعتدائهم على حرمات المسلمين، وتمالئهم على ذلك.

ولم يؤاخذ الرسـول ﷺ طوائف اليهـود الأخرى بفعـل إخوانهم من بنى قينقاع، مع أنه كان بالإمكان إجلاؤهم أيضًا، فجميعهم ينتسب إلى دين واحد، لـكن الرسول ﷺ أحـسن إلى من بقى من طوائف اليهـود، ومع ذلك قابل يهودُ بنى النضـير هذا الإحسان بالإساءة، فحـاولوا الغدر برسول الله ﷺ وقتله، فبينما كان يجلس بينهم، ذهب أحدهم ليلقى صخرة من أعلى على رسول الله ﷺ !!

إن الخيانة التى تسرى فى دماء اليهود قد دفعتهم إلى هذه الجريمة التى لا عقـاب لها إلا القـتل جزاءً وفـاقًا، ومع ذلك فـقد حقن رسـول الله ﷺ دماءهم - بعدما مكّنه الله عز وجل من رقابهم، وقذف فى قلوبهم الرعب - وأجلاهم خارج المدينة، وتلك رحـمة غير مسبوقـة، ونادرة الحدوث من غير المسلمين فى التاريخ البشرى.

ولم يعاقب رسول الله ﷺ بنى قريظة مع بنى النضير، ولم يؤاخذهم بجـرم إخوانهم الذين أرادوا قـتله، فـقد كـانوا على عـهد مع رسـول الله

(١) ابن هشام السيرة النبوية (٢/ ٤٧).

عليه‌السلام ، أن يدافعوا مع المسلمين ضد أى عدوٍّ يهاجم المدينة، ولكن بنى قريظة خانوا المسلمين فى أشد المواقف حرجًا، فقد راسلوا الأحزاب المتجمعة حول المدينة، والآتية من مكة وما حولها لغزو المدينة واستباحتها، وتأكد الرسول عليه‌السلام من صحة هذا الأمر.. فعن سعيد بن المسيب[1] رضي‌الله‌عنه فى سياق قصة الأحزاب: فبينما هم كذلك إذ جاءهم نعيم بن مسعود الأشجعى، وكان يأمنه الفريقان، كان موادعًا لهما، فقال: إنى كنت عند عُيينة بن حصن وأبى سفيان إذ جاءهم رسول بنى قريظة: أن اثبتوا فإنا سنخالف المسلمين إلى بيضتهم[2].. أى أن اليهود يعدون الأحزاب إن خرج المسلمون إلى قتالهم أن يعتدى اليهود على نساء المسلمين وذراريهم وأموالهم وهو معنى مخالفة المسلمين إلى بيضتهم.

فهى إذن خيانة عُظمى من هذه الفئة التى كانت على عهد وميثاق مع الدولة الإسلامية، ثم هى فى أحلك الظروف تنقض العهد، وتتعاون مع العدو المهاجم من خارج الدولة. فسبب غزوهم هو نقضهم للعهد الذى كان بينهم وبين النبى عليه‌السلام فى أحلك الظروف وأصعبها على المسلمين، فهل يدَّعى أحدٌ بعد ذلك أن العقاب الذى أنزله النبى عليه‌السلام بهم فيه شىء من الإجحاف أو الظلم؟ وماذا لو تمَّ لهم ما أرادوا من غدر وخيانة للمسلمين؟ إن مصير المسلمين فى هذه الحالة - من دون شك - هو القتل والتشريد وضياع المال والولد والأهل[3]..

(١) سعيد بن المسيب القرشى، ولد سنة ١٣هـ ، سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته، حتى سُمى راوية عمر. توفى بالمدينة سنة ٩٤هـ انظر: وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٥ . الأعلام ٣/ ١٠٢ .

(٢) انظر مصنف عبد الرزاق (٩٧٣٧) ٥/ ٣٦٨ ، دلائل النبوة ٢/ ٥٠٤-٥٠٥ ، وقال ابن كثير فى البداية ٤/ ١٢٥- ١٢٨ : ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها، وبهذا يكون الحديث حسنًا.

(٣) انظر ابن كثير السيرة النبوية ٤/ ١١٥، ١١٦ .

أما يهود خيبر؛ فقد تحالفوا مع من جاءهم من يهود بنى النضير كحُيى ابن أخطب، وكنانة بن أبى الحقيق، وهَوذة بن قيس الوائلى، وخرج هؤلاء إلى قريش يدعونهم للتجمع والتحزب لاستئصال المسلمين فى غزوة الأحزاب، ثم خرجوا إلى غطفان؛ فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وجعلوا لهم تمر خيبر سنة، إن هم نصروهم، وأخبروهم أنَّ قريشًا قد تابعوهم على ذلك، واجتمعوا معهم فيه. ثم خرجت يهود إلى بنى سليم فوعدوهم المسير معهم إذا خرجت قريش.. لقد كانوا - إذن - العقل المدبر لتحالف الأحزاب ضد المسلمين. وعندما فرغ رسول الله ﷺ من أمر قريش وأَمِن جانبها بصلح الحديبية تفرَّغ ليهود خيبر وحاربهم.. فهل يُلام رسول الله ﷺ على حربه لمن حزَّب الأحزاب بغرض إبادة جماعية للمسلمين؟!

حروبه ﷺ مع النصارى

لم يكن احتكاك النصارى بالمسلمين مبكرًا كما كان الحال مع المشركين واليهود، وذلك لندرة النصارى فى منطقتى مكة والمدينة، ولكن مع ازدياد قوة المسلمين وانتشار الإسلام فى الجزيرة العربية شعرت القبائل النصرانية - والتى كانت متمركزة فى الأساس فى مناطق الشمال - بالقلق والريبة، مما دفعها إلى جمع الجموع لمهاجمة المسلمين، وذلك منعًا لقوتهم من التزايد، ولنفوذهم من النمو.

وكان أول تجمع نصرانى من هذا النوع من قبائل قضاعة وغسان من أهل دومة الجندل، وكانت هذه القبائل تتعرض لقوافل المسلمين المارة بمناطقها، بل كان منهم من يريد غزو المدينة. أما الذى كان يُجَرِّئُ هذه القبائل على هذا العمل الخطير فارتباطها الوثيق بالدولة الرومانية، والتى تُعَدُّ القوة الأولى

فى العالم فى ذلك الوقت، وكانت الدولة الرومانية لا ترضى - بلا شك - عن نمو أى قوة منافسة فى المنطقة.

وما إن علم الرسول ﷺ أن هذا الجمعَ يريد أن يهاجم المدينة حتى خرج إليهم، وذلك فى ربيع الأول سنة ٥ هـ، واستعمل على المدينة سباع ابن عرفطة[(١)]، وجاء الخبرُ أهل دومة الجندل فتفرقوا، ونزل الرسول ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحدًا، فأقام بها أيامًا، وبثَّ السرايا [(٢)].

ولما ظهرت تكتلات أخرى تهدف لمحاربة المدينة أرسل الرسول ﷺ سرية بقيادة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى قبيلة كلب النصرانية الواقعة بدومة الجندل، وذلك فى شعبان سنة ٦ هـ، وقد أوصى رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بدعوتهم إلى الله تعالى، ومن بين ما قال له: **«إن استجابُوا لك فتزوج ابنة ملكهم»**[(٣)] - وذلك كسبًا لمودتهم وتعزيزًا للعلاقات معهم - فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل؛ فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبى، وكان نصرانيًّا وكان رأسهم، وأسلم معه ناسٌ كثير من قومه، وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ، وقدم بها إلى المدينة[(٤)]. وهكذا نرى حرص الرسول ﷺ على التواد والتحاب مع من حوله، ودعوتهم إلى الله تعالى، والمحاولات المتكررة لإيصال الخير إليهم.

---

(١) سباع بن عرفطة الغفارى، ويقال له: الكنانى، من كبار الصحابة، استعمله النبى ﷺ على المدينة حين خرج إلى خيبر، وإلى دومة الجندل. انظر: الاستيعاب ٢/ ٢٤١، أسد الغابة ٢/ ١٨٨، الإصابة (٣٠٧٦).

(٢) ابن سعد: الطبقات ٢/ ٦٢، ابن هشام ٣/ ٢٢٩، البلاذرى: أنساب ١/ ٣٤١، الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٥٦٤، ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ٨٣، ابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٢٥٥، المغلطاى: الإشارة ص٢٤٩، المقريزى: إمتاع الأسماع ص١٩٤.

(٣) البيهقى: دلائل النبوة، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ابن حبان: الثقات، ابن القيم زاد المعاد.

(٤) انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى (٢/ ٦٤-٦٥) بتصرف.

ثم حدثت أزمـة شديدة عندمـا بعث رسول الله ﷺ وفـدًا من الدعاة المسلمين إلـى مشارف الشـام يُعلمون الناس مبـادئ الإسلام؛ فوثَـبت عليهم جموع العرب الموالين للروم فقتلتهم جميعًا فى مكان يُسمى (ذات أطلاح)(١)، وكانوا خمسة عشرَ داعيًا، واستطاع رئيسهم(٢) النجاة بأعجوبة. .

وكـذلك لما بَعث الرسـول ﷺ الحـارثَ بن عُمَـيـر الأزدى إلى ملك بُصرَى بكتاب؛ نزل مؤتة(٣) فعرض له شرحبيل بـن عمرو الغسانى - وكان الغسـاسنة الذين يدينون بالنصرانية ويـتبعون الدولة البـيزنطية - فـقال: أين تريد؟ فقـال: الشام، قال: لعلك من رسل مـحمد؟ قـال: نعم. أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ، فأُمر به فأُوثق رباطًا، ثم قدَّمه فضرب عنقه صبرًا. فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فـاشتد عليه، وندب الناس فأخبـرهم بمقتل الحارث ومن قتله(٤).

ولم يكن أمام المسلمين إزاء هذه الحوادث إلا أن يردعوا الروم وأشياعهم حتى لا يعاودوا ما فعلوه مرة أخـرى. فأرسل النبى ﷺ حملة تأديبية من ثلاثة آلاف مقاتل أخذت طريقها إلى الشـام، بَيد أن الروم كانوا قد استعدوا بجيش كثيف للقـاء هذه الكتيبة من المؤمنين، فجمـعوا نحو مائتى ألفٍ من رجالهم، ومن انضم إليهم من قبائل لخم وجذام والقين وبهراء وبلى.

ومع الفارق المهول بين أعداد المسلمـين والرومان إلا أن المسلمين خاضوا

---

(١) ذات أطلاح: مكان قرب دمشق الحالية.

(٢) كعب بن عُمير الغفارى، بعثه رسول الله ﷺ مرة بعد مرة على السرايا، وقد بعثه ﷺ إلى ذات أطلاح، فأصـيب أصحـابه جميـعًا حيـن قتلتهم قـضاعـة، وسَلِم هو جريحًا. انظر: الاسـتيـعاب (٣/ ٣٨٠)، أسد الغابة ٤/ ١٧٥، والإصابة الترجمة (٧٤٢٦).

(٣) قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام، وكـانت تطبع السيوف، وهى الآن بلدة أردنية: معجم البلدان (٤/ ١٧٨)، والمعالم الجغرافية الواردة فى السيرة النبوية.

(٤) ابن سعد: الطبقات، وابن سيد الناس: عيون الأثر، ومغلطاى: الإشارة، وابن القيم: زاد المعاد وابن حجر فى الفتح.

هذه المعركة الشرسة، فقُتِلَ قادتُها الثلاثة على التعاقب؛ زيد بن حارثة، وجعفر ابن أبى طالب، وعبد الله بن رواحة، وانسحب خالد بن الوليد بجيشه إلى المدينة.

وهنا يثور التساؤل: هل كان مطلوبًا من المسلمين أن يصمتوا على قتل رسلهم، وإهانة كرامة دولتهم، حتى لا يُتَّهموا بأنهم يسعون إلى القتال دائمًا؟!!

وبعد مؤتة بعام تجمَّع الرومان ومن شايعهم من قبائل العرب النصرانية (أمثال: لخم، وجذام، وعاملة، وغسان) مرَّة أخرى فى منطقة البلقاء (الأردن حاليًا) يريدون دولة الإسلام، وعلم الرسول ﷺ أن هناك تجمعات للرومان ومن حالفهم بهدف القضاء على المدينة المنورة.. فقرر أن يخرج إليهم فى شمال الجزيرة العربية. وبالتالى خرج الرسول ﷺ بنفسه على رأس أعظم جيوشه، وأقرب خاصته؛ ليلقى أعتى قوة فى العالم، وذلك حتى يحفظ دماء شعبه، فكانت غزوة تبوك[1] المشهورة، وألقى اللهُ الرعبَ فى قلوب قادة الروم وجنودهم، وأتباعهم من نصارى العرب؛ ففرُّوا خائفين لا يلوون على شىء، وليس من الممكن أن يُطلب من المسلمين أن يُغمضوا أعينهم، ويتعاموا عن المؤامرات التى تُحاكُ ضدهم.

هذه هى ملابسات الحروب التى خاضها الرسول ﷺ مع المشركين، ومع اليهود والنصارى، وقد ظهر لنا من خلالها أنه ﷺ لم يبدأ أحدًا فيها بعدوان، بل كان يرد بها عدوانًا واقعًا، أو وشيك الوقوع؛ لأن الحرب فى الإسلام ليست أول ما يلجأ إليه المسلمون لحل خلافاتهم مع أعدائهم، بل هى دومًا - كما بينَّا - آخر الدواء.

---

(١) تبوك: كانت منهلاً من أطراف الشام، وكانت من ديار قضاعة تحت سلطة الروم، وقد أصبحت اليوم مدينة من مدن شمال الحجاز الرئيسية، وهى تبعد عن المدينة المنورة شمالاً (٧٧٨كم) المعالم الجغرافية الواردة فى السيرة النبوية ص٢٣٦ .

أخلاق الرسول ﷺ أثناء الحرب

لقد سلك النبى ﷺ مسلكًا فى الحروب لم تعرف البشرية ولن تعرف له مثيلاً فى العدل والرحمة والأخلاق التى لا يعرفها البشر إلا فى ظل هذا الدين العظيم.

* ففى الوقت الذى تُفاجئ الجيوش أعداءها بمبدأ المباغتة والغدر فى الحروب كان النبى ﷺ يقوم بدعوة عدوه إلى الإسلام فإن أَبَى كان يعرض عليه الجزية فإن أبى كان يحاربه ولكنه لا يبدأه بالحرب حتى يكون العدو هو البادئ... فهل هناك ظلم من المسلمين لأعدائهم؟!... فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾[1]. وقال كذلك: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2].

* بل كانت الجيوش الغير مسلمة إذا تمكنت من أعدائها لا تُبقى لهم كرامة وكانت تستبيح فعل كل شىء مع أعدائها... فى الوقت الذى كان النبى ﷺ وأصحابه ﷺ إذا تمكنوا من أعدائهم كانوا يُحسنون معاملتهم ولا يتجاوزون حدود ما أمرهم به الله (جل وعلا) أو أمرهم به رسول الله ﷺ... إنها حرب تحكمها الأخلاق.

* وكان من بين القيم الأخلاقية التى بثَّها النبى ﷺ فى نفوس أصحابه وأمته من بعدهم: هى عدم الاعتداء على المدنيين الذين لا يحاربون بل ولا يملكون القدرة على الحرب.

---

(١)، (٢) سورة المائدة: الآية: (٨).

فقد كان النبى ﷺ يوصى أصحابه إذا أرسلهم إلى سرية قائلاً: «اغزُوا باسم الله فى سبيل الله، قاتلُوا من كفر بالله، اغزُوا ولا تغلُّوا، ولا تغدرُوا، ولا تُمثلُوا، ولا تقتلُوا وليدًا، أو امرأة، ولا كبيرًا فانيًا، ولا منعزلاً بصومعة»(١).

وعلى هذا جرى العمل فى شريعة الإسلام، . . . وما أرحم ما وصى به أبو بكر الصديق رضي الله عنه أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين بعثه إلى الشام مقاتلاً، وذلك حين قال له: «إنك ستجدُ قومًا زعموا أنهُم حبسُوا أنفُسهُم لله فذرهُم وما زعمُوا أنهُم حبسُوا أنفُسهُم لهُ. .»(٢).

* بل كان النبى ﷺ يرحم من خرج مُستكرهًا على قتاله ﷺ.

روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال لأصحابه قُبيل غزوة بدر: **«إنى قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشمٍ وغيرهم قد أُخرجُوا كُرهًا، لا حاجة لهُم بقتالنا، فمن لقى منكُم أحدًا من بنى هاشمٍ فلا يقتلهُ، ومن لقى أبا البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتُلهُ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب، عم رسُول الله ﷺ فلا يقتُلهُ فإنهُ إنما أُخرج مُستكرهًا»**(٣).

* بل لقد وصلت رحمته ﷺ بأعدائه فى الحروب التى خاضها ضدهم أنه كان ينهى أصحابه عن التمثيل بأجساد المشركين.

فعن عبد الله بن زيد قال: «نهى النبى ﷺ عن النُّهْبَى(٤)، والمُثلة»(٥).

وعلى الرغم من أن المشركين مثّلوا بجسد حمزة عم النبى ﷺ ومع ذلك فإن النبى ﷺ نهى أصحابه عن المُثلة. . . بل والأعجب من ذلك أنه لم يرد فى تاريخ الإسلام أن المسلمين مثلوا بجسد واحدٍ من أعدائهم.

---

(١) أخرج الحديث بدون ذكر قصة أهل مؤتة الإمام مسلم فى صحيحه (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٢) الموطأ برواية يحيى الليثى (٩٦٥)، وعبد الرزاق فى مصنفه (٩٣٧٥)، والبيهقى فى سننه الكبرى.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (١/ ٦٢٨)، وابن كثير: السيرة النبوية (٢/ ٤٣٦).

(٤) النُّهبى: أخذ المرء ما ليس له جهارًا. والمثلة: التنكيل بالمقتول بقطع بعض أعضائه.

(٥) **صحيح**: رواه البخارى (٢٣٤٢) كتاب المظالم.

ولقد جاء الوعيد لكل من مثل بجسد أى إنسان مسلمًا كان أو كافرًا فقال النبى ﷺ : **«أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة رجُلٌ قتلهُ نبىٌّ أو قتل نبيًّا وإمامُ ضلالة ومُمثلٌ من المُمثلين»**[١].

فها هو النبى ﷺ يساوى بين من قتل نبيًّا أو قتله نبى وبين مَن مثَّل بجثة عدو.

- ومن هذا المنطلق فقد نهى النبى ﷺ عن القتل بالحرق حتى لو كان المقتول كافرًا.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه ما يؤيد ذلك فقال: بعثنا رسُولُ الله ﷺ فى بعث فقال إن وجدتُم فلانًا وفلانًا (لرجلين من قُريش) فأحرقُوهما بالنار، ثُم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخُرُوج: **«إنى كُنتُ أمرتُكُم أن تُحرقوا فُلانًا وفُلانًا بالنار؛ وإن النار لا يُعذبُ بها إلا اللهُ فإن وجدتُمُوهُما فاقتُلُوهما»**[٢].

* بل كان النبى ﷺ يأمر أصحابه بأن يحقنوا دماء أى رجل كافرٍ أعلن إسلامه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ حتى ولو كانت جرائمه السابقة فى حق المسلمين كثيرة.. ما دام أنه أصبح مسلمًا.

روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ بعث بعثًا من المسلمين إلى قومٍ من المشركين[٣]، وإنهم التقوا فكان رجل[٤] من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته

---

(١) رواه أحمد واللفظ له، وحسنه شعيب الأرناؤوط، والطبرانى فى الكبير، والبزار، وقال الألبانى: صحيح. السلسلة الصحيحة (٢٨١).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٢٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

(٣) تذكر الروايات أن ذلك كان فى سرية غالب بن عبد الله الليثى فى رمضان سنة ٧ هـ إلى بنى عُوَال وبنى عبد ابن ثعلبة بالميفعة. وقيل: إلى الحرقات من جهينة، فى مائة وثلاثين رجلاً. انظر: عيون الأثر (٢/ ١٥٦).

(٤) قيل هو: نهيك بن مرداس.

قال - أى الراوى: وكنا نُحدث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف، قال: لا إله إلا الله، فقتله، فجاء البشير إلى النبى ﷺ، فسأله فأخبره، حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: «لِمَ قتلته؟!» قال: يا رسول الله أوجع فى المسلمين، وقتل فلانًا وفلانًا، وسمى له نفرًا، وإنى حملت عليه فلما رأى السيف؛ قال: لا إله إلا الله.. قال رسول الله ﷺ: «أقتلته؟!» قال: نعم. قال: **«فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟!»** قال: يا رسول الله استغفر لى. قال: **«وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟»**، قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: **«كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟»**[(١)].

مع أن الواضح من القصة أن هذا الرجل الذى قتله أسامة لم يُعلن إسلامه إلا تَقِيّةً.. لأنه قتل عددًا من الصحابة وحارب أسامة بن زيد رضي الله عنهما فلما سقط السيف من يده وأحسَّ أن أسامة سيقتله قال: لا إله إلا الله.

ومع ذلك كان النبى ﷺ يلتمس أى عذر من أجل أن يرحم من حوله.

وفى موقف مشابه أنكر الرسول ﷺ على خالد بن الوليد مثل هذا الأمر... فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة[(٢)] فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فقالوا: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فأمر كُل رجل منا أن يقتل أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيرى، ولا يقتل رجل من أصحابى أسيره، فذكرنا ذلك للنبى ﷺ فقال: **«اللهم إنى أبرأُ إليك مما صنع خالدُ بنُ الوليد»** مرتين[(٣)].

لقد كان هذا تعليمًا للأمة كلها، وتحذيرًا شديدًا من القتل فى غير محله،

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٩٧) كتاب الإيمان.

(٢) بنو جذيمة هُم: بنو عامر بن عبد مناة بن كنانة، وكانوا جنوب مكة على مسافة ليلة، بناحية يلملم.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٤٠٨٤) كتاب المغازى.

بل هو فى الوقت نفسه حرص شديد من النبى ﷺ على تفادى القتل عند أول فرصة تسنح بذلك، مما يؤكد لنا أن القتال فى الإسلام إنما هو أمر لا يكون إلا عند الحاجة الماسة إليه، ومتى وُجدت أيةُ فرصة للخروج من القتال وحفظ الدماء؛ كان الأخذ بها هو منهج الإسلام ومنهج الرسول ﷺ .

وقد كان ما فعله خالد رضي الله عنه اجتهادًا شخصيًّا رآه وأخذ به، غير أن مَن معه من الصحابة رضي الله عنهم لم يوافقوه فيما رأى، بل أنكروا عليه، ولم يُنفذُوا أمره فى هذا الشأن، ولا شك أن الرسول ﷺ قد قَبِل عُذر خالد لأنه لم يُقم عليه حدًّا، ولم يُغرمه دية، ولكن كان لابد من هذا التعليق الشديد كى لا يتكرر الفعل مرة أُخرى.

قال ابن حجر: وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها؛ لأن قولهم: صبأنا أى: خرجنا من دين إلى دين، ولم يكتفِ خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام[١]. وقال الخطابى: يُحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العُدُول عن لفظ الإسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة، ولم ينقادوا إلى الدين؛ فقتلهم متأولاً [٢].

ومن أجلِّ مواقف السيرة ما حدث مع أبى سفيان زعيم مكة يوم ذهب رسول الله ﷺ لفتحها بعد خيانة قريش وبنى بكر لصلح الحديبية، وفى هذا الموقف قَبِل رسول الله ﷺ إسلام أبى سفيان مع أن الظروف المصاحبة لإعلان إسلامه قد تُشكك أى إنسان فى مصداقية هذا الإعلان![٣].

* بل لقد كان النبى ﷺ بعد أن يعرض الإسلام أو الجزية على العدو فيأبى إلا القتال. . . فإذا بدأ القتال وظهرت بشائر النصر للمسلمين وأراد العدو الصلح كان النبى ﷺ يقبل الصلح على الرغم من أنه كان يستطيع

(١) ابن حجر: فتح البارى شرح صحيح البخارى (٨/ ٥٧).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) أخلاق الحروب (ص١١٩ - ١٢٠).

أن يستأصل شأفة عدوه لكنه كان لا يفعل.

من ذلك ما حدث فى غزوة خيبر؛ حيث يقول ابن كثير: «فلما أيقنوا بالهلكة[١]، وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يومًا نزل إليه ابن أبى الحقيق؛ فصالحه على حقن دمائهم، ويُسيرُهم، ويُخلّون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البَزِّ، إلا ما كان على ظهر إنسان[٢]، فقال رسول الله ﷺ: «**وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتم شيئًا، فصالحوه على ذلك**»[٣].

* بل لقد تميزت الحروب النبوية بأنها حروب غير دموية، بمعنى أنها لم يكن فيها ما يُعرف الآن بجرائم إبادة الشعوب، حيث نجد فيما يُسمى «بحضارات» العالم الحديث أن بعض الزعماء أخذوا قرارات نتج عنها إفناءٌ لكمٍّ هائلٍ من البشر فى مدينة أو دولة أو أحيانًا قارة!.

* لكن حروب رسول الله ﷺ لم تكن على هذه الصورة، ذلك أنه - كما ذكرنا - كان حريصًا على تجنب القتال ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإذا اضطر إليه حاول أن ينهيه بسرعة، وأثناء القتال نفسه كان يحفظ دماء المدنيين، وكذلك يحفظ دماء المستكرهين على القتال، ثم بعد القتال كان يعفو إذا ملك، ويسامح ويرحم إذا غلب. فجاءت حروبه على مستوى من الرقى لا تعرفه - بل لا تفهمه - «الحضارات» الحديثة!.

ولغة الأرقام لا تكذب!

لذلك فقد قمت بإحصاء عدد الذين ماتوا فى كل الحروب النبوية، سواء من شهداء المسلمين، أو من قتلى الأعداء، ثم قمت بتحليل لهذه الأعداد، وربطها بما يحدث فى عالمنا المعاصر، فوجدت عجبًا!!

---

(١) أى اليهود.

(٢) يعنى: لباسهم.

(٣) ابن كثير: السيرة النبوية (٣/ ٣٧٦).

لقد بلغ عدد شهداء المسلمين فى كل معاركهم أيام رسول الله ﷺ، وذلك على مدار عشر سنوات كاملة، ٢٦٢ شهيدًا تقريبًا، وبلغ عدد قتلى أعدائه ﷺ حوالى ١٠٢٢ قتيلاً، وقد حرصت فى هذه الإحصائية على جمع كل من قُتل من الطرفين حتى ما تم فى حوادث فردية، وليس فى حروب مواجهة، كما أننى حرصت على الجمع من الروايات الموثقة بصرف النظر عن الأعداد المذكورة، وذلك كى أتجنب المبالغات التى يقع فيها بعض المحققين بإيراد الروايات الضعيفة التى تحمل أرقامًا أقل[١]، وذلك لتجميل نتائج الحروب النبوية![٢].

وبذلك بلغ العدد الإجمالى لقتلى الفريقين ١٢٨٤ قتيلاً فقط!!

ولكى لا يتعلل أحدٌ بأن أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة؛ ولذا جاء عدد القتلى على هذا النحو، فإننى قمت بإحصاء عدد الجنود المشتركين فى المعارك، ثم قمت بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد المقاتلين، فوجدت ما أذهلنى!! إن نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ ١٪ فقط، بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين بالنسبة إلى أعداد جيوشهم ٢٪، وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هى ١,٥٪ فقط!

إن هذه النسب الضئيلة فى معارك كثيرة بلغت ٢٥ أو ٢٧ غزوة[٣]، و٣٨ سرية[٤]، أى أكثر من ٦٣ معركة، لمن أصدق الأدلة على عدم دموية الحروب فى عهده ﷺ.

---

(١) اعتمدت فى حصر الأرقام على ما ورد أولاً فى كتب الصحاح والسنن والمسانيد، ثم على روايات كتب السيرة بعد توثيقها، كسيرة ابن هشام، وعيون الأثر، وزاد المعاد، والسيرة النبوية لابن كثير، والطبرى، وغيرهم.

(٢) كما يذكر بعضهم أن شهداء حادثة بئر معونة هم سبعة وعشرون شهيدًا، بينما الصواب سبعون شهيدًا، أو كما يُسقط بعضهم قتلى بنى قريظة من الحساب، بحجة أنهم لاقوا ما يستحقون نتيجة خيانتهم، بينما الصواب أن نثبتهم لأنها كانت معركة حقيقية، بصرف النظر عن أسبابها، وهكذا.

(٣) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد (١/ ١٢٥)، ابن حزم: جوامع السيرة (١/ ١٦).

(٤) ابن كثير: السيرة النبوية (٤/ ٤٣٢).

ولكى تتضح الصورة بشكل أكبر وأظهر فقد قمت بإحصاء عدد القتلى فى الحرب العالمية الثانية - كمثال لحروب «الحضارات» الحديثة، وخاصة أن الدول التى اشتركت فيها ما زالت تدَّعى أنها رائدة للحضارة ولحقوق الإنسان! - ثم قمت بحساب نسبة القتلى بالقياس إلى أعداد الجيوش المشاركة فى القتال، فصُدمتُ بمفاجأة مذهلة!!! إن نسبة القتلى فى هذه الحرب الحضارية بلغت ٣٥١٪!!!

ومن جديد.. إن الأرقام لا تكذب!!!

لقد شارك فى الحرب العالمية الثانية ١٥,٦٠٠,٠٠٠ جندى (خمسة عشر مليونًا وستمائة ألف)، ومع ذلك فعدد القتلى بلغ ٥٤,٨٠٠,٠٠٠ قتيل (أربعة وخمسين مليونًا وثمانمائة ألف)!!! أى أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش المشاركة! وتفسير هذه الزيادة هو أن الجيوش المشاركة جميعًا - وبلا استثناء - كانت تقوم بحروب إبادة على المدنيين، وكانت تُسقط الآلاف من الأطنان من المتفجرات على المدن والقرى الآمنة، فتبيد البشر، وتُفنى النوع الإنسانى، فضلاً عن تدمير البِنى التحتية، وتخريب الاقتصاد، وتشريد الشعوب!!

لقد كانت كارثة إنسانية بكل المقاييس!

وليس خافيًا على أحد أن المشاركين فى هذه المجازر كانت الدول التى تُعرف آنذاك - والآن - بالدول المتحضرة الراقية! كبريطانيا وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفيتى والصين وألمانيا وإيطاليا واليابان!

أى تحضُّر هذا؟! وعن أى رُقِىٍّ يتكلمون؟! ثم أين أولئك الذين يصفون رسولنا ﷺ بالعنف والإرهاب؟!

قارن هذه النسب المفجعة بما كان على عهد رسول الرحمة ﷺ[1].

* ولم يغدر النبي ﷺ بأحدٍ من أعدائه أبدًا.. ولم يُؤثَر عنه أنه غدر بعهدٍ قط.. بل كان الوفاء شعارَه مع كل الناس مسلمين أو كافرين.. فالأخلاق عنده ﷺ لا تتجزأ ولا تتبدل أبدًا.

وقد شهد بذلك الأعداء... فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سُفيان بن حرب أخبرهُ أنه عندما كان في بلاد الروم في كفره أثناء صلح الحديبية؛ أحضره هرقل بين يديه، وسأله عن الرسول ﷺ بعدما وصله (أي: هرقل) رسالة رسول الله ﷺ، وكان مما سأله عنه أن قال: فهل يغدرُ؟ فقال أبو سفيان: لا.

ثم علق هرقل في ختام حواره مع أبي سفيان قائلاً: وسألتُك: هل يغدرُ؟ فزعمت أنهُ لا يغدرُ، وكذلك الرُّسُلُ لا تغدرُ[1].

- وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه بعدم الغدر حتى مع العدو الذي يكيد لهم ليلاً ونهاراً.. فكان يودع السرايا وهو يوصيهم قائلاً: **«... ولا تغدروا»**[2].

حتى إنه ﷺ من شدة حرصه على عدم الغدر كان يتبرأ من الغادرين ولو كانوا مسلمين.

فقد قال النبي ﷺ: «من أمَّن رجُلاً على دمه فقتلهُ، فأنا بريءٌ من القاتل، وإن كان المقتُولُ كافرًا»[3].

* إن النبي ﷺ كان يفي بعهده مع الأعداء حتى في زمان الحرب.

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجتُ أنا وأبي حُسيل[4]، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٢٧٨) كتاب التفسير، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٣) **صحيح:** رواه البخاري في التاريخ الكبير، وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٠٣).

(٤) حُسَيل - بالتصغير ويقال بالتكبير - ابن جابر بن ربيعة المعروف باليمان العبسي، والد حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، استشهد في حياة النبي ﷺ، وقد وقع ذكره في صحيح مسلم في هذا الموضع. انظر: الإصابة الترجمة رقم (١٧١٦)، وأسد الغابة (١/ ٥٦٣)، والاستيعاب (١/ ٤٠٧).

إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «**انصرفا.. نفى لهم بعهدهم، ونستعينُ الله عليهم**»(١).

- وكان النبى ﷺ إذا تمكن من عدوه لا يُكرهه على اعتناق الإسلام أبدًا.

يروى جابر بن عبد الله ﷺ، يقول: قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة(٢) بنخل، فرأوا من المسلمين غرةً، فجاء رجل منهم يقال له: غورث ابن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك منى؟ قال: «**الله!**» فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «**من يمنعُك منى؟!**» قال: كن كخير آخذ، قال: «**أتشهدُ أن لا إله إلا الله؟**» قال: لا، ولكنى أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلَّى سبيله!!

قال: فذهب إلى أصحابه(٣) قال: قد جئتكم من عند خير الناس..

فهذا رجل أمسك السيف، ووقف به على رأس رسول الله ﷺ يتهدده بالقتل، ثم نجَّى الله عز وجل رسوله، وانقلبت الآية، فأصبح السيف فى يد رسول الله ﷺ، ومع ذلك فالحقد والغلُّ لا يعرفان طريقهما أبدًا إلى قلبه ﷺ .. إنه يعرض عليه الإسلام، فيرفض الرجل، ولكن يعاهده على عدم قتاله، فيقبل منه رسول الله ﷺ ببساطة، ويعفو عنه، ويُطلقه آمنًا إلى قومه!!

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٧) كتاب الجهاد والسير.

(٢) محارب خصفة بن قيس بن عيلان من بطون عدنان.

(٣) ذكر ابن حجر أن قومه أسلموا انظر: فتح البارى (٧/٤٢٨) البخارى (٤٠٩٥) كتاب المغازى، ومسلم (٨٤٣) كتاب الفضائل.

أخلاق النبى ﷺ بعد انتهاء الحرب

لا شك أن الحروب فى حد ذاتها تُعتبر من الصدمات الكبرى التى تتغير عندها النفوس، وتضطرب الأفئدة، فكل طرف حريص على النصر على عدوه، وتحقيق الفوز مهما تكلَّف من ضحايا وأموال. . ولا شك أن كثيراً من المعايير تتغير أثناء القتال عند كثير من المحاربين، ومن أول المعايير التى تتغير المعايير الأخلاقية، فما كنت مقرًّا له قبل القتال لعلك تخالفه أثناء الحرب، وما كنت ترفضه قبل القتال قد تقبله بعده، وما كان حسنًا قد يصير قبيحًا، وما كان قبيحًا قد يصير حسنًا، وهكذا. . هذا كله أثناء القتال. . فإذا انتهى القتال ازداد الأمر تعقيداً، فإن نشوة النصر، أو مرارة الهزيمة تغيِّر كثيراً من طبيعة الإنسان، فيتكبر المتواضع، وييأس المتفائل، ويحقد الحليم، ويغدر الوفى، وغير ذلك من التقلبات العجيبة، التى من كثرتها أصبحنا نعتقد أنها الأصل، فكم تنكَّر منتصرٌ لوعوده، وكم خرج مهزوم عن حدود الأخلاق التى اشتُهر بها!!

هذا يحدث مع كثير من الناس، بل يحدث مع أغلب الناس، وهو فى القادة أظهر، لأن الجميع ينظر إليهم، والنصر فى النهاية يُنسب إليهم، والهزيمة كذلك تُنسب إليهم، وهذه المسئولية تُغير كثيراً من طباعهم وأخلاقهم.

هذا ينطبق تمامًا على معظم قادة العالم فى القديم والحديث. .

لكنه لا ينطبق بالمرة على رسول الله ﷺ !!

لقد كان رسول الله ﷺ آية مبهرة فى الأخلاق والقيم، مهما تغيرت الظروف، أو تبدلت الأحوال، ذلك لأن مرجعيته واحدة، وأصوله ثوابت. .

إنه لا يُجمل أخلاقه ليُثنى عليه فلان، أو يمدح فعاله فلان.. إنه يفعل ذلك لأن الله عز وجل أمره بذلك، والرقيب عليه هو الله... والمحاسب له هو أيضًا رب العزة سبحانه وتعالى.. فلماذا إذن تتغير أخلاقه، أو تتبدل طباعه؟!

إن هذا هو الفارق الرئيسى بين القائد المسلم الملتزم بتعاليم دينه، والمراقب لربه، والقائد الذى ليس له مرجعية إلا هواه ومصالحه.

لقد أظهر لنا رسول الله ﷺ بعد انتهاء حروبه مجموعة من روائع الأخلاق، وبدائع القيم يجدر بكل قائد أو إنسان أن يقف أمامها ويتدبر، وإنها - والله - لمن دلائل نبوته!![1].

أخلاق النبى ﷺ بعد تحقيق النصر

تُنسى نشوة النصر كثيرًا من القادة قواعد الأخلاق الأساسية، فنسمع عن استباحة للبلاد، وإراقة للدماء، وخراب للعمران، وخُلف للعهود والوعود.. لكن حال رسول الله ﷺ بعد النصر كان بعيدًا كل البعد عن هذه الشرور والآثام.

* لقد كان النبى ﷺ بعد النصر يعفو ويصفح عمَّن حاربوه وآذوه وآذوا أصحابه مع أنه كان يستطيع أن يُبيدهم فى غمضة عين.. لقد كان هذا العفو من العلامات المميزة له ﷺ، حتى ذكرها رب العالمين فى صفته فى كتب الأولين، فقد قال زيد بن سعنة[2] رضي الله عنه أنه قد جاء فى التوراة أنه

---

(١) أخلاق الحرب (ص١٦٤-١٦٥).

(٢) زيد بن سعنة أحد أحبار يهود ومن أكثرهم مالاً، أسلم وحسن إسلامه وشهد مع النبى ﷺ مشاهد كثيرة، وتوفى فى غزوة تبوك مقبلاً إلى المدينة، أسلم لما رأى من حسن أخلاق النبى ﷺ الإصابة (٢٨٩٩)، أسد الغابة (٢/ ١٤٩)، الاستيعاب (٢/ ١٢٢).

«يسبق حلمُهُ جهلَه، ولا يزيده شدةُ الجهل عليه إلا حلمًا»(١).

* ولقد رأينا كيف أن النبى ﷺ لما دخل مكة فاتحًا منتصرًا عفا عن أهلها وقال لهم: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»** مع أنه لو علق لهم المشانق فى تلك اللحظة فلن يلومه أحد لأن أهل مكة قد ارتكبوا الجرائم الكثيرة فى حق النبى ﷺ وأصحابه.

* بل وكان النبى ﷺ لا يعفو عن المحاربين فحسب بل كان يعفو عن زعماء الكفر الذين قادوا الحروب ضده وفعلوا بأصحابه الأفاعيل.

* فها هو ﷺ يعفو عن عكرمة بن أبى جهل الذى عادى النبى ﷺ أكثر من عشرين سنة وكان أبوه (أبو جهل) من أشد الناس عداءً للنبى ﷺ.

* وها هو يعفو عن سهيل بن عمرو الذى كان له تاريخ طويل فى الصد عن سبيل الله.

* وها هو يعفو عن فضالة بن عُمير الذى كان من أشد أعداء النبى ﷺ ووصل حقده على الرسول ﷺ إلى الدرجة التى أراد معها أن يقتله فى وقت الفتح!! وهذا أمر جدٌّ خطير؛ فالرسول ﷺ فى وسط جيش كبير يبلغ عشرة آلاف من الصحابة رضوان الله عليهم، وإذا قام فضالة ابن عمير بهذا التهوُّر فلا شك أنه مقتول، وهذا يوضح مدى الحقد الذى ملأ قلبه، فقرر أن يضحى بنفسه ليقتل الرسول ﷺ..!!

حمل فضالة السيف تحت ملابسه، ومر بجوار الرسول ﷺ وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه قال الرسول ﷺ: **«أفُضالة؟»** قال: نعم، فضالة يا رسول الله.. (وكان يدَّعى الإسلام فى ذلك الوقت).

فقال ﷺ: **«ماذا كُنت تُحدثُ به نفسك؟»** قال: لا شىء، كنتُ أذكر الله.. فضحك الرسول ﷺ، وقال: **«استغفر الله يا فُضالة»**.. ثم وضع

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه.

ﷺ يده على صدر فضالة فسكن قلبه!!

فكان فضـالة يقول: والله ما رفع يده عن صدرى حـتى ما من خلق الله شىءٌ أحبُّ إلىَّ منه ﷺ(١).

وكان من عـفو رسول الله ﷺ وكـرمه أنه كان يُعيـد زعماء القـبائل الذين حاربوه وصـدُّوا دعوته إلى مناصبهم عند انتـصاره عليهم؛ فـقد أعاد عُيـينة بن حصـن إلى زعامة بـنى فزارة، مع العلم أنه كان من المحـاصرين للمدينة المنورة يوم الأحزاب، وذلك تحت راية غطفان، وأعاد كذلك العباس ابن مرداس إلى زعـامة بنى سليم، وأعاد الأقرع بن حـابس إلى زعامة بنى تميم، وأعاد جيفراً وعبَّـاداً إلى زعامة عُمان، وأعاد باذان إلى زعامة اليمن، وأعاد المنذر بن ساوى إلى زعامة البحرين(٢) وغيرهم وغيرهم.

وحصـرُ ذلك يصعب لشـدة تكراره، وهذا دليل على سمـو نفس النبى ﷺ، وحُسن خلقه وعفوه.

وهكذا كانت أخلاق النبى ﷺ فى حروبه وبعـد حـروبه، فما أروعها من أخـلاق تدلُّ دلالة واضحـة على صلتـه بربه الذى أدَّبه فـأحسن تأديبـه ﷺ!(٣).

* وكان النبـى ﷺ لا يتفاخـر بنصره على الأعـداء بل كان قـمة فى التواضع وهو فى قمة النصر على الأعداء.

يقـول أنس رضي الله عنه: دخل رسـول الله ﷺ مكة يوم الـفـتح وذقنه على رَحْلِه متخشعًا(٤).

* * *

---

(١) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٣٤٢).

(٢) الطبقات الكبرى / لابن سعد (١/ ٢٦٣).

(٣) أسوة للعالمين (ص٣١٩).

(٤) الحاكم (٤٣٦٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم. ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى.

أخلاق الرسول ﷺ فى التعامل مع الأسرى

لم يخرج رسول الله ﷺ عن طبيعته الأخلاقية أبدًا فى أى أمر من أمور حياته، لذا لم يكن مستغربًا أن يتعامل مع أسرى الدولة الإسلامية بنفس الأخلاق النبيلة، والآداب الرفيعة، ولم ينظر إليهم مطلقًا على أنهم كانوا حريصين منذ لحظات على قتله وقتل أصحابه، بل تعامل معهم بطريقة قد تفوق تعامل عموم الناس مع أقاربهم وذوى أرحامهم.

ولعل روعة الأخلاق النبوية تتضح بصورة أكبر إذا قارنّاها بتعامل الأمم الأخرى مع الأسرى بصفة عامة، وبأسرى المسلمين بصفة خاصة.

ولعل العالم قد تابع ما كشفه فيلم وثائقى جديد عرضته القناة الأولى بالتلفزيون الإسرائيلى بتاريخ ٢٥ فبراير ٢٠٠٧م عن فضيحة أخلاقية، تمثلت فى قيام الجيش الإسرائيلى بقتل ٢٥٠ أسيرًا مصريًّا فى شبه جزيرة سيناء عقب انتهاء القتال فى حرب يونيو عام ١٩٦٧م، والمخزى فى تصرف القوات الإسرائيلية أن الجنود المصريين كانوا قد استسلموا بعد نفاذ ذخيرتهم، فما وجه الخطورة التى دفعت القوات الإسرائيلية لقتلهم!! وكان القتل للجنود المصريين بأوامر مباشرة من القائد بنيامين بن إليعازر (وزير البنى التحتية الإسرائيلية الحالى)، وكانت الأوامر تقتضى قتل الجنود المصريين حتى بعد استسلامهم[1]!! وما رأيناه فى تليفزيون اليهود هو نفسه الذى حدث فى أفغانستان على يد القوات الأمريكية، حيث قامت هذه القوات باقتياد ٨٠٠

(١) جريدة المصريون الإلكترونية بتاريخ ٢٧ فباير ٢٠٠٧ م، الرابط الإلكترونى:
www. almesryoon.com/ShowDetails.asp?NewID=31042

مقاتل من طالبان بعد استسلامهم إلى معتقل قلعة جانجى فى أفغانستان، ثم أمرت الطيران الحربى بقصف المعتقل مما خلف مئات الجثث المتفحمة، كما قامت القوات الأمريكية أيضًا بشحن ٣٠٠٠ أسير أفغانى فى حاويات نقل مغلقة بحجة نقلهم إلى سجن شبرقان بأفغانستان، وتركتهم فى العربات المغلقة فى الصحراء، وهم مقيدون ومعصوبوا الأعين لمدة أربعة أيام؛ طريقة جديدة مبتكرة للقتل البشع[1]!! وليس الذى حدث بعد ذلك فى معسكرات اعتقال الأسرى فى جوانتانامو وسجن أبى غريب[2] بخافٍ على أحد، ويكفى أن نعرف أن منظمة العفو الدولية قد كشفت عن وجود أطفال محتجزين فى القاعدة البحرية للولايات المتحدة فى خليج جوانتانامو، والذين وصل عددهم إلى ٦٠٠ طفل معتقل أكبرهم لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، وأنه قد يمر على الطفل منهم عام كامل لا يعلم أحد عنه شيئًا ولا عن مكانهم سواء من أُسرهم أو حتى من مُحاميهم[3]!! فهل يدعى أحدٌ أن البشرية قد وصلت إلى الرقى المطلوب مع كل هذه المظاهر المؤسفة؟!

إن النقلة النوعية الحقيقية التى شهدتها البشرية كانت عند نزول الرسالة الإسلامية على رسول الله ﷺ، وكانت فى تطبيقه الرائع لكل البنود الأخلاقية التى جاءت فى حق الأسرى[4].

* * *

(١) د. محمد الحسينى إسماعيل: الإسلام والغرب ص١٦٢، ١٦٣ بتصرف.

(٢) د . راغب السرجانى: التعذيب فى سجون الحرية ٢٦، ٢٧ .

(٣) جزء من رسالة موجهة للرئيس الأمريكى مبعوثة من منظمة العفو الدولية بتاريخ ٢٤ أبريل ٢٠٠٣ ، ومنشورة على موقع المنظمة على شبكة الإنترنت، بعنوان: رسالة إلى الرئيس جورج بوش.

(٤) أخلاق الحروب (ص٢٩٧ -٢٩٨).

النبى ﷺ والعفو عن الأسرى

لقد شاع الرِّق والاستعباد فى أيام الجاهلية وكذلك فى الفترات التى عاصرت ظهور الدين الإسلامى... لكن النبى ﷺ جاء بفكرٍ جديد كله رحمة وتسامح.. فقد جاء بفكرٍ يدعو إلى تحرير العبيد وفك الأسرى.

* **وها هو ﷺ يوصى أصحابه والأمة من بعدهم ويقول: «فُكُّوا العانى[1]، وأطعمُوا الجائع وعُودُوا المريض»[2]** - العانى : الأسير -.

وسأله رجل يومًا فقال: يا رسُول الله علمنى عملاً يُدخلُنى الجنة، فقال: **«لئن كُنت أقصرت الخُطبة لقد أعرضت المسألة: أعتق النسمة وفُك الرقبة»** فقال: يا رسُول الله أوَ ليستا بواحدة قال: **«لا إن عتق النسمة أن تَفرَّد بعتقها وفك الرقبة أن تُعين فى عتقها..»[3]**. وقال رسول الله ﷺ: **«من أعتق رقبةً أعتق الله بكل عُضوٍ منها عضواً منهُ من النارِ»[4]**.

* **وها هى بعض المواقف التى عفا فيها النبى ﷺ عن الأسرى:**

* **أسيرا سرية نخلة:**

أسر المسلمون فى هذه السرية - وكانت فى رجب من السنة الثانية من الهجرة - اثنين من المشركين هما أول أسيرين فى الإسلام: الحكَم بن كيسان وعثمان بن عبد الله، فأما الأول - الحكَم - فنظرًا لما وجده من المعاملة الكريمة فإنه أسلم وحسُن إسلامُه، وأقام عند رسول الله حتى استُشهد يوم بئر معونة فى السنة الرابعة للهجرة، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً..[5].

---

(١) العانى: هو كل من وقع فى ذل واستكانة وخضوع، ويُقصد به الأسير.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٨٨١) كتاب الجهاد والسير.

(٣) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه الألبانى.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٣٧) كتاب الكفارات والنذور، ومسلم (١٥٠٩) كتاب العتق.

(٥) السيرة النبوية / لابن كثير (٢/ ٣٦٦) بتصرف.

* **أسرى بدر:**

ونحن نعلم أن غزوة بدر كانت أول لقاء بين المسلمين والمشركين وأن الله نصر المسلمين نصراً مؤزراً مع قلة عددهم وعُدتهم فقتلوا سبعين وأسروا سبعين من المشركين واستشار الرسول ﷺ أصحابه ﷺ فى شأن هؤلاء الأسرى، وماذا يفعل معهم؟ يحكى ذلك عمر بن الخطاب ﷺ فيقول: قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عَضُدًا، فقال رسول الله: «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**» قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تُمكننى من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه، وتُمكن عليًّا من عقيل[1] فيضرب عنقه، وتُمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهوى الرسول ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلتُ - أى عمر ﷺ - وأخذ منهم الفداء[2].

وعلى الرغم من نزول الآيات بعد هذا الموقف تعاتب النبى ﷺ أنه أخذ بالرفق واللين مع هؤلاء الأسرى فى هذا الموقف ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[3] رغم ذلك؛ لم يكن هذا دافعًا لأن يسىء الرسول ﷺ معاملة هؤلاء الأسرى، أو يُغير من تعامله معهم بعد أن أخذ قراراً بإعفائهم من القتل، وقبول الفدية ممن يستطيع منهم، وقد تفاوت مقدار هذه الفدية ونوعها بحسب حالة كل أسير..

فقد أطلق الرسول ﷺ بعض الأسرى كعمرو بن أبى سفيان مقابل أن

(١) عقيل بن أبى طالب ﷺ، وهو أخو على بن أبى طالب ﷺ، وكان عقيل آنذاك مشركًا فى جيش الكفار.

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية (٢/ ٤٥٧).

(٣) سورة الأنفال: الآيتان: (٦٧-٦٨).

يطلق المشركون سراح سعد بن النعمان بن أكال ﷺ، الذى أسره أبو سفيان وهو يعتمر[١].

ومن الأسرى من كان يفدى نفسه بالمال، وكان رسول الله ﷺ يراعى الحالة المادية لكل أسير، فمنهم من دفع أربعة آلاف درهم كأبى وداعة، وأبى عزيز واسمه زرارة بن عمير - وهو أخٌ لمصعب بن عمير ﷺ - دفعتها أمه، وكانت صاحبة مالٍ وفير، ومنهم من دفع مائة أوقية كالعباس بن عبد المطلب، ومنهم من دفع ثمانين أوقية كعقيل بن أبى طالب، وقد دفعها له العباس، ودفع بعض الأسرى أربعين أوقية فقط[٢].

أما من لم يكن معه مال، وكان يعرف القراءة والكتابة فكان فداؤه أن يُعلم بعض المسلمين القراءة والكتابة؛ . . . فقد روى ابن عباس قال: كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكُن لهم فداءٌ فجعل رسُولُ الله ﷺ فداءهُم أن يُعلمُوا أولاد الأنصار[٣].

ومن هؤلاء الأسرى مَن منَّ الرسولُ ﷺ عليه بغير فداء مثل: المطلب بن حنطب، وأبى عزة الشاعر، وصيفى بن أبى رفاعة[٤].

وقد أحسن رسول الله ﷺ أيضًا إلى سهيل بن عمرو مع أنه كان من زعماء قريش المعتبرين، إلا أنه لم يشأ أن يهينه أو يُمثل به وإن كان قادرًا على ذلك، وقد أراد عمر بن الخطاب ﷺ نزع ثنيتى سهيل بن عمرو حتى لا يقوم خطيبًا على الرسول ﷺ فى موطن أبدًا، فقال رسول الله ﷺ: **«لا أُمثلُ به فيُمثل اللهُ بى وإن كُنتُ نبيًا»**[٥].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية (٣/ ٣١١).

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى (٤/ ١٤).

(٣) أحمد عن ابن عباس، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن. وقال الهيثمى: رواه أحمد عن على بن عاصم، وهو كثير الغلط والخطأ، وقد وثقه أحمد. مجمع الزوائد (٤/ ١٧٢).

(٤) ابن سيد الناس: عيون الأثر (١/ ٣٥٢).

(٥) الحاكم (٣/ ٣١٨)، ابن هشام: السيرة النبوية (٣/ ٢٠٠).

وكان فى الأسرى أيضًا أبو العاص بن الربيع ختن[١] رسول الله ﷺ على ابنته زينب فبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها عليه حين بنى عليها. . فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقة شديدة، وقال: **«إن رأيتُم أن تُطلقُوا لها أسيرها، وتردُّوا إليها متاعها فعلتُم»**. قالوا: نعم يا رسول الله؛ فأطلقوه، وردُّوا عليها الذى لها[٢]. فكان هذا أيضًا ممن أُطلق بغير فداء.

وكان ﷺ على استعداد لإطلاق الجميع - كما مر بنا فى هذا البحث - من دون فداء لو شفع فيهم المطعم بن عدى الزعيم المشرك المعروف، غير أنه كان قد مات، وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ كما فى البخارى عن جبير بن مطعم رضي الله عنه: أن النبى قال فى أُسارى بدر: **«لو كان المُطعمُ بنُ عدىٍّ حيًّا ثُم كلمنى فى هؤُلاء النَّتنى لتركتُهُم لهُ»**[٣]؛ وذلك لأنه اشترك فى نقض الصحيفة التى قاطعت بها قريش بنى هاشم، وكذلك أجار النبى ﷺ فى مكة عند عودته من الطائف.

ومن الواضح أنه تم إطلاق سراح جميع مَن بقى من أسرى بدر خلال أقل من عامٍ من غزوة بدر، ومما يؤكد هذا الأمر أن المشركين فى أُحُد لم يتفاوضوا على أى أسرى.

*** أسرى الحديبية:**

وهذا من مواقف الرحمة العجيبة فى السيرة!

قال عبد الله بن مُغفل المُزنى رضي الله عنه: كُنا مع رسُول الله ﷺ بالحُديبية فى أصل الشجرة التى قال الله تعالى فى القُرآن وكان يقعُ من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسُول الله ﷺ وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ وسُهيلُ بنُ عمرو بين يديه فقال رسُولُ الله ﷺ لعلىٍّ رضي الله عنه: **«اكتُب بسم الله الرحمن**

(١) ختَنُ الرجلِ: المُتزوِّجُ بابنته. لسان العرب (١٣/ ١٣٧).

(٢) ابن سيد الناس: عيون الأثر (١/ ٣٥١-٣٥٢).

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٢٩٧٠) كتاب الخمس.

الرحيم» فأخـذ سُهـيلُ بنُ عمرو بيـده فقـال: ما نعرفُ بسم اللـه الرحمن الرحيم. . اكـتُب فى قضـيتنا ما نعـرفُ قال: «اكتُب باسـمك اللهُم» فكتب «هذا مـا صالح عليـه مُحـمدٌ رسُولُ الله ﷺ أهل مكة» فأمسك سـهيلُ بنُ عمرو بيـده وقال: لقد ظلمناك إن كُنت رسُـوله اكتُب فى قضيتـنا ما نعرفُ فقال ﷺ : «اكتُب هذا ما صالح عليه مُحـمدُ بنُ عبد الله بن عبد المُطلب وأنا رسُـولُ الله ﷺ » فكتب، فـبينا نحنُ كـذلك إذ خـرج علينا ثلاثُون شـابًّا عليهم السلاحُ فـثارُوا فى وُجُوهنا فدعا عليهمُ رسُـولُ الله ﷺ فأخذ الله عز وجل بأبصـارهم فقدمنا إليـهم فأخذناهُم فقـال رسُولُ الله ﷺ: «هل جئتُم فـى عهد أحد أو هل جعل لكُـم أحدٌ أمانًا» فقالُوا: لا. . فخلى سبيلهُم فأنزل الله عـز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ (١)(٢).

فهـذا عفـو فى موقف عـجيب، فالمسلـمون ممنوعون من دخـول مكة، وقريش قد أعـدت العُدة لحربهم، ومع ذلك لا يأخذ الرسول ﷺ هؤلاء الأسرى رهينة، بل يمنُّ عليهم بغـير فداء، ولا يجعلهم ورقـة ضغط على المشركين حتى فى هذا الموقف الصعب!

إنها الرحمة فى أرقى صورها!

وليس هذا فـقط، بل - كـما مـر بنا - فـعل رسـول الله ﷺ نفس الموقف مرة ثانيـة بعد الصلح، مما يؤكد أنهـا كانت سياسـة عامة، وليست مجرد مواقف نادرة! (٣).

❋ ❋ ❋

(١)سورة الفتح: الآية: (٢٤).

(٢)رواه أحمد، والحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط الشـيخين، والبيهقى فى الكبرى، والنسائى فى الكبرى، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح.

(٣)أخلاق الحروب/ د. راغب السرجانى (ص٣٠١-٣٠٤).

حسن معاملة الأسرى

يتعين على المسلمين فى بعض الظروف أن يحتفظوا بالأسرى، وأقرب الظروف إلى الذهن أن يكون العدو قد أسر من المسلمين رجالاً يلزم أن نبادلهم بأمثالهم. ولكن لا شك أن طريقة رسول الله ﷺ فى التعامل مع الأسرى كانت فى قمة الرحمة والإحسان.

لقد كانت القاعدة العامة التى حث عليها الرسول ﷺ فى أول غزوة غَنِم فيها المسلمون أسرى هى: «**استوصُوا بهم - أى بالأسرى - خيراً**»[1].

إن الفطرة السليمة تأبى التعذيب للنفوس البشرية، بل إنها لا ترضى بتعذيب الحيوان أو الطير، وقد ربَّى الرسول ﷺ صحابته الكرام ﷺ على الرحمة... فقد روى جرير بن عبد الله ﷺ أن رسول الله قال: «**من لا يَرحم الناس لا يُرحم**»[2]، فكان الصحابة رضوان الله عليهم نماذج عملية فى الرحمة ببنى البشر جميعًا مسلمين وغير مسلمين. هذا هو المنطلق الذى كان يتحرك منه رسول الله ﷺ والمسلمون سواء فى قضية الأسرى أو فى غيرها من القضايا.

بل إن شريعة الإسلام تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث تمنع تعذيب الأسير للإدلاء بمعلومات عن العدو، وقد قيل للإمام مالك: أيُعذَّبُ الأسيرُ إن رُجى أن يدل على عورة العدو؟ قال: ما سمعت بذلك[3].

* * *

(١) راه الطبرانى فى الكبير (٩٧٧)، وفى الصغير، وقال الهيثمى: إسناده حسن من حديث أبى عزيز بن عمير. مجمع الزوائد (٦/ ١١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩٤١) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٣١٩) كتاب الفضائل.

(٣) محمد بن يوسف المواق: التاج والإكليل (٣/ ٣٥٣).

راحة الأسير البدنية

إن الناظر لحرص المنهج الإسلامى على راحة الأسير البدنية والصحية ليُدرك - بما لا يدع مجالاً للشك - أن هذا المنهج إلهى، وليس من صُنع البشر! إنه ليس من أحد أرحم بالعباد من الله عز وجل.. ومن رحمته أنه أوصى برعاية الأسير حتى لو كان هذا الأسير كافرًا به سبحانه! وقد أبدع رسول الله ﷺ فى تطبيق هذا المنهج الإلهى الرحيم فخرجت لنا عدة مواقف نجزم أنها لا توجد فى تاريخ أمة غير أمة الإسلام.

*** إطعام الأسرى:**

قال الله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾[١]. فى هذه الآية الكريمة من الدستور الإسلامى - القرآن الكريم - يحثُّ الله تعالى عباده المؤمنين على الإحسان إلى أسراهم وإطعامهم، ويعدُهم بذلك النعيم فى الآخرة، وليس هذا الإحسان فى حال توافر المال فقط، بل إن الله يأمر أن يكون هذا الإطعام والإحسان فى كل الأحوال، حتى فى حال الفقر والاحتياج! وهذا الذى تحمله لنا كلمة ﴿**عَلَىٰ حُبِّهِ**﴾.. يقول ابن كثير: أى يُطعمون الطعام وهم يحبونه ويشتهونه[٢]. ثم إن الأروع من ذلك أن الله عز وجل يحثُّ المسلمين على فعل ذلك لا لشىء إلا لله سبحانه وتعالى، فيقول: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾[٣]، فنحن لا نُكرم الأسرى أو نطعمهم لرغبتنا فى ثناء معين، أو طلبًا للمعاملة بالمثل، أو خوفًا من رقابة محلية أو عالمية، أو لغير ذلك من مصالح الدنيا، إنما نفعل ذلك لأننا نتقرب بهذا الفعل إلى الله عز وجل، ونرجو منه سبحانه المكافأة والجزاء، وهذا يُعطى أمانًا أكثر للأسير، لأن

---

(١) سورة الإنسان: الآية: (٨).

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٨٤).

(٣) سورة الإنسان: الآية: (٩).

المسلم يُحسن معاملته وهو يعلم أن الله يراقبه، وما دام الله يراقبنا فى كل أحوالنا فسوف نُحسن إلى الأسرى فى كل تعاملاتنا!

قال ابن عباس: أمر رسول الله ﷺ أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء.

ولم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يُقدمون للأسرى ما بقى من طعامهم، بل كانوا ينتقون لهم أجود ما لديهم من طعام، ويجعلونهم يأكلونه عملاً بوصية رسول الله ﷺ بهم.. وها هو أبو عزيز - شقيق مصعب بن عمير رضي الله عنه - يحكى ما حدث فيقول: «كنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصُّونى بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها؛ فأستحى فأردها فيردها علىَّ ما يمسها!

*** كسوة الأسرى:**

لم يقتصر المسلمون على إطعام أَسراهم من المشركين؛ بل إنهم كانوا يقدمون لهم الملابس أيضًا، وهذا ثابت فى الصحيح، فقد جعل البخارى رضي الله عنه بابًا فى الصحيح سمَّاه: باب الكسوة للأُسارى، وذكر فيه أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لما كان يوم بدرٍ أُتى بأُسارى وأُتى بالعباس ولم يكُن عليه ثوب فنظر النبىُّ ﷺ لهُ قميصاً فوجدُوا قميص عبد الله بن أُبى يَقدُرُ عليه فكساهُ النبىُّ ﷺ إياهُ..»[١] الحديث.

وورد أيضًا أن رسول الله ﷺ أمر لأسرى هوازن بالكساء فقد أمر رجلاً أن يَقدم مكة فيشترى للسبى - الأسرى - ثياب المُعقد[٢]، فلا يخرج الحرُّ منهم إلا كاسيًا[٣].

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٢٨٤٦) كتاب الجهاد والسير.

(٢) ثياب المعقد: المُعَقَّدُ: ضَرْبٌ من بُرودِ هَجَر. انظر: تاج العروسى (١/ ٢١٣٠).

(٣) البيهقى: دلائل النبوة (٥/ ٢٦٤).

*** توفير المأوى لهم:**

حتى يتم النظر فى شأن الأسرى كان المسلمون يجعلونهم فى أحد مكانين؛ إما المسجد وهو أشرف مكان عند المسلمين، وإما بيوت الصحابة ﷺ.

وكان المستهدف من إبقاء الأسرى فى المسجد أن يروا أخلاق المسلمين وعبادتهم لعلهم يتأثرون بها، فيدخل الإيمان فى قلوبهم، وقد حدث هذا بالفعل مع بعضهم كثمامة بن أثال رضي الله عنه[1].

وأما إبقاء الأسرى فى منازل الصحابة رضي الله عنهم فكان هذا إكرامًا كبيراً من المسلمين لهؤلاء الأسرى؛ . . . فعن الحسن البصرى أن رسول الله ﷺ كان يُؤتَى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: «أحسن إليه» فيكون عنده اليومين والثلاثة، فيؤثِره على نفسه[2].

*** راحة الأسير النفسية:**

لم يكن اهتمام رسول الله ﷺ بالأسرى عن طريق راحتهم البدنية فقط، إنما كان يحرص تمام الحرص على راحتهم النفسية كذلك، وهذه مشاعر راقية لم يكن يعرفها أو يسمع عنها أهل زمانهم، بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنه حتى بعد هذا التطور الكبير فى المجتمعات الإنسانية ما زالت البشرية تفتقد مثل هذه المشاعر الفياضة، والأحاسيس المرهفة!

*** الرفق بالأسرى، واللين معهم:**

من أخلاق الإسلام البارزة فى التعامل مع الأسرى الرفقُ ولين الجانب، حتى يشعروا بالأمن والطمأنينة، وقد كان من أخلاق رسول الله ﷺ أنه كان يردُّ على استفسارات الأسرى، ولا يسأم أو يملُّ من أسئلتهم، مما يُوحى بسعة صدره، وعمق رحمته ﷺ التى شملت البشر جميعًا. . .

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٠) كتاب أبواب المساجد، ومسلم (١٧٦٤) كتاب الجهاد والسير.

(٢) الألوسى: روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى (٢٩/ ١٥٥)، والحديث من مراسيل الحسن البصرى.

ففى صحيح مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «كانت ثقيفُ حُلفاء لبنى عُقيل فأسرت ثقيفُ رجُلين من أصحاب رسُول الله ﷺ وأسر أصحابُ رسُول الله ﷺ رجُلاً من بنى عُقيل وأصابُوا معهُ العضباء[١] فأتى عليه رسُولُ الله ﷺ وهُو فى الوثاق قال: يا مُحمدُ، فأتاهُ فقال: «ما شأنُك؟».

فقال: بم أخذتنى وبم أخذت سابقة الحاج؟[٢].

فقال: «إعظامًا لذلك أخذتُك بجريرة حُلفائك ثقيف».

ثُم انصرف عنهُ فناداهُ فقال: يا مُحمدُ، يا مُحمدُ، وكان رسُولُ الله ﷺ رحيمًا رقيقًا فرجع إليه فقال: «ما شأنُك؟».

قال: إنى مسلمٌ.

قال: «لو قُلتها وأنت تملكُ أمرك أفلحت كُل الفلاح».

ثُم انصرف فناداهُ فقال: يا مُحمدُ، يا مُحمدُ.

فأتاهُ فقال: «ما شأنُك؟».

قال: إنى جائعٌ فأطعمنى وظمآنُ فاسقنى، قال: «هذه حاجتُك»[٣].

فهذا التردد على الرجل كلما نادى عليه ﷺ - وهو القائد الأول للدولة الإسلامية - ومناداته باسمه ﷺ مجردًا يدل على مدى الرحمة والإنسانية التى يحملها الرسول ﷺ فى قلبه لكل البشر.

وأعطى رسول الله ﷺ لأبى الهيثم بن التيهان أسيرًا، وأمره بالإحسان إليه، فأخذه أبو الهيثم إلى منزله، ثم قال: إن رسول الله ﷺ أوصانى بك خيرًا، فأنت حرٌ لوجه الله، ورُوى أنه قال له: «أنت حر لوجه الله، ولك سهم من مالى»[٤].

---

(١) هى ناقة رسول الله ﷺ.

(٢) سابقة الحاج: أراد بها العضباء؛ فإنها كانت لا تُسبق أو لا تكاد تُسبق، معروفة بذلك.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٤١) كتاب النذر.

(٤) الإمام البيهقى: شعب الإيمان (٤/ ٤٦) (٤٦٠٦).

* احترام مشاعرهم الإنسانية:

فنجد النبى ﷺ يوجِّه أصحابه الكرام توجيهات إنسانية راقية فى شأن التعامل مع الأسرى من النساء والأطفال، فينهى عن التفريق بين الأم وطفلها؛ . . . فعن أبى أيُّوب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُول الله يقُولُ: **«من فرَّق بين والدة وولدها فرق الله بينهُ وبين أحبته يوم القيامة»**[١].

ولعلَّ القصة التالية تكون خاتمة جميلة لهذا المبحث، حيث تظهر فيها رحمة الرسول ﷺ فى أبهى صورها، فقد أتى أبو أُسيد الأنصارى[٢] رضي الله عنه بسبى من البحرين فصُفُّوا، فقام رسول الله ﷺ، فنظر إليهم؛ فإذا امرأة تبكى؛ فقال: **«ما يُبكيك؟»** فقالت: بيع ابنى فى بنى عبس؛ فقال رسول الله ﷺ لأبى أسيد: **«لتركبن فلتجيئن به»**، فركب أبو أسيد فجاء به[٣].

لقد رق قلب رسول الله ﷺ للمرأة الأسيرة فأرسل أحد جنوده إلى بلد بعيد ليأتى لها بابنها، حتى يهدأ بالها، وتجف دموعها!

ولعل السؤال الأبرز الذى يخطر على بالنا الآن: هل هناك قائد عسكرىٌّ فى العالم ينتصر فى معركة فيشغل نفسه وجنوده بإسعاد امرأة أسيرة بسيطة لا يعرفها أحد؟!!

إن الإجابة التى يعرفها الجميع هى أن ذلك أبدًا لا يكون!!

إلا أن يكون هذا القائد هو محمد رسول الله ﷺ!!

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٤].

---

(١) الترمذى، وقال: حديث حَسَنٌ غريب. وأحمد، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم. ولم يخرجاه، والطبرانى فى الكبير، والبيهقى فى الكبرى، وقال الألبانى: صحيح. صحيح الجامع (٦٤١٢).

(٢) هو عبد الله بن ثابت الأنصارى، وكنيته أبو أسيد، وهو غير أبى أسيد الساعدى، كان يخدم النبى ﷺ، وروى عنه «كلوا الزيت وادهنوا به» أسد الغابة (٥/ ١٣)، الإصابة (٩٥٧٣).

(٣) الحاكم، وقال: حديث صحيح الإسناد. ولم يخرجاه، ورواه سعيد بن منصور فى سننه (٢٦٥٤).

(٤) بتصرف من كتاب (أخلاق الحروب).

أخلاق النبى ﷺ عند عدم تحقيق النصر

لا يوجد من ينتصر على الدوام!

والله عز وجل من رحمته جعل هناك بعض المواقف فى حياة رسول الله ﷺ لا يستطيع فيها أن يُحقق النصر! ووجه الرحمة فى ذلك أن رسول الله ﷺ علَّمنا ماذا نفعل فى مثل هذه المواقف، ولو كانت حياته ﷺ كلها انتصارات ما وجدنا قدوة فى حال هزيمتنا، ولقد مرت به ﷺ مواقف عصيبة فى السيرة النبوية تعامل معها بأسلوب فريد، ولعل أهم ما يميز هذا التعامل أنه لم يخرج أبدًا عن الطابع الأخلاقى الراقى الذى كان يتصف به رسول الله ﷺ فى كل أحواله.

* **موقفه مع أهل الطائف:**

* **عن عائشة** رضي الله عنها **قالت:** «قلت للنبى ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟

قال: **«لقد لقيت من قومك[1] ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة[2] إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يُجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى[3] فلم أستفق إلا بقرن الثعالب[4]، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم».** قال: **«فنادانى ملك الجبال، فسلم علىَّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك**

(١) لقيت من قومك: المراد من قومها قريش.

(٢) يوم العقبة: هو اليوم الذى وقف فيه النبى ﷺ عند العقبة بمنى، داعيًا الناس إلى الإسلام، فما أجابوه وآذوه.

(٣) على وجهى: أى على الجهة المواجهة لوجهى.

(٤) فلم أستفق إلا بقرن الثعالب: لم أفطن لنفسى وأنتبه لحالى - قرن الثعالب: قرن المنازل.

إليك لتأمرنى بأمرك فيما شئت؟ إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين؟»[١] فقال له رسول الله: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[٢].

* أخلاقه بعد غزوة أحد:

تُعدُّ أزمة أُحُد من أشد الأزمات التى مرت برسول الله ﷺ فى حياته، لدرجة أن الله سبحانه وتعالى سمَّاها «مصيبة»! قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾[٣]، وعادة ما يخرج الإنسان عن شعوره عند المصائب الكبرى، ولكن رسول الله ﷺ كان مسيطرًا تمامًا على كل أحاسيسه ومشاعره، فخرج لنا سلوكه وردُّ فعله على الصورة الراقية التى اعتدنا، ولم نرَ منه ما يخالف منهجه الأخلاقى فى الحياة.

يروى أُبىُّ بن كعب ؓ: أنه لما كان يوم أُحُدٍ أُصيب (أى استشهد) من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة فيهم حمزة، فمثَّلُوا بهم؛ فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا مثل هذا لنُرْبِينَّ عليهم[٤]، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[٥]. فقال رجل: «لا قريش بعد اليوم!».. فقال رسول الله ﷺ: «كُفُّوا عن القوم إلا أربعةً»[٦].

فمع شدة مصاب يوم أُحد، ومع شدة ألم رسول الله ﷺ إلا أنه

---

(١) الأخشبين: الأخشب من الجبال: الخشن الغليظ، وهما جبلا مكة: أبو قبيس، والجبل الذى يقابله.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٦٥).

(٤) أى: لنزيدن فى القتل عن هذا العدد.

(٥) سورة النحل: الآية: (١٢٦).

(٦) رواه الترمذى، وابن حبان، والحاكم، والبيهقى، والنسائى، وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، وقال الألبانى: حسن صحيح الإسناد.

يطبق شرع الله سبحانه وتعالى، فلا يسمح بتجاوز، ولا يقبل بتعدٍّ، ولا يتمناه... أما ما روى عن سبب نزول الآية السابقة من أن الرسول ﷺ قال عندما رأى حمزة رضي الله عنه مُمثلاً به يوم أحد: «**لأُمثلن بسبعين منهم**»[(١)] فقد ضعفه ابن حجر فى الفتح[(٢)]، وكذلك ضعفه غيره[(٣)].

❋ ❋ ❋

(١) الحاكم، وقال الذهبى فى التلخيص: «صالح» واهٍ، وهو من رواة الحديث. وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد: رواه البزار والطبرانى، وفيه صالح بن بشير المرى وهو ضعيف. وقال الألبانى: ضعيف السلسلة الضعيفة (٥٥٠).

(٢) ابن حجر: فتح البارى (٧/ ٣٧١).

(٣) أخلاق الحرب (ص٢٠٠-٢٠١) بتصرف.

النبى صلى الله عليه وسلم
وحقوق الإنسان

النبى ﷺ وحقوق الإنسان

لابد أن نعلم أن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة راقية كلها تعظيم وتكريم.. فلقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(١) .

فالإنسان مخلوق كريم على الله، خلقه ربه فى أحسن تقويم، وصوَّره فأحسن صورته، خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وميَّزه بالعلم والإرادة، وجعله خليفته فى الأرض، ومحور النشاط فى الكون، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعًا، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فكل ما فى الكون له ولخدمته. أما هو فجعله تعالى لنفسه.

وإذا كانت هذه كرامة الإنسان فى نظر الدين عامة، فله فى الإسلام خاصة مكان أى مكان. تحدَّث القرآن عن الإنسان فى عشرات بل مئات من آياته، وحسبنا أن أول فوج من آيات الوحى الإلهى نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ وكانت خمس آيات لم تُغفل شأن الإنسان وعلاقته بربه - علاقة الخلق والتكريم. وعلاقة الهداية والتعليم، واختارت الآيات لفظ «الرب» لما يشعر به من التربية والرعاية والترقية فى مدارج الكمال، هذه الآيات الأولى فى القرآن هى قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(٢)(٣) .

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٧٠).

(٢) سورة العلق: الآيات: (١-٥).

(٣) الإيمان والحياة / د . يوسف القرضاوى (ص٦٠-٦١) بتصرف.

* **يقول الإمام ابن القيم:** « اعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرَّمه وفضَّله وشرفه، وخلقه لنفسه وخلق له كل شيء، وخصَّه من معرفته ومحبته وقربه وإكرامه بما لم يُعطه غيره، وسخر له ما في سمواته وأرضه وما بينهما، حتى ملائكته استخدمهم له، وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته، وظعنه وإقامته.. وأنزل إليه وعليه كُتبه، وأرسله وأرسل إليه، وخاطبه وكلمه منه وإليه.. فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات»[1].

* فالإنسان له قيمته ومكانته في الإسلام... ولذا جاء النبي ﷺ ليوضح ويؤكد على حق المساواة بين كل الناس.. فلا فرق بين عربي وعجمي ولا بين أبيض وأسود ولا بين حاكم ومحكوم ولا بين غني وفقير إلا بالتقوى.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

ولذا قال ﷺ : «أيُها الناسُ، إن ربكُم واحدٌ، وإن أباكُم واحدٌ، كُلكم لآدم[3]، وآدمُ من تُراب، إن أكرمكُم عند الله أتقاكُم، وليس لعربيٍّ فضلٌ على عجميٍّ إلا بالتقوى»[4].

* ومن أجل ذلك أنكر النبي ﷺ على هذا الصحابي الذي عيَّر صحابيًّا آخر بأمه... فعن أبي أُمامة رضي الله عنه أنه قال: عيَّر أبو ذر بلالاً بأُمه، فقال: يا ابن السوداء. وإن بلالاً رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ فأخبره فغضب، فجاء أبو ذرٍّ رضي الله عنه ولم يشعر، فأعرض عنه النبي ﷺ فقال: ما

(١) مدارج السالكين (١/ ٢١٠).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

(٣) كلكم لآدم: كل الناس جميعًا يرجعون إلى أب واحد هو آدم عليه السلام.

(٤) أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح. والطبراني: المعجم الكبير، وقال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة (٢٧٠٠).

أعرضك عنى إلا شىءٌ بلغك يا رسول الله. قال: «**أنت الذى تُعيرُ بلالاً بأُمه؟**» وقال النبى ﷺ: «**والذى أنزل الكتاب على مُحمد** - أو ما شاء اللهُ أن يحلف - **ما لأحد علىَّ فضلٌ إلا بعملٍ، إن أنتُم إلا كطف الصاع**»[(١)(٢)].

* ولذلك حرمٍ النبى ﷺ ظلم الإنسان مسلمًا كان أو كافرًا لأن الإنسان له حُرمته وكرامته.

قال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا فإنه ليس دونها حجاب**»[(٣)].

* وفى المقابل فقد أمرنا الله (عز وجل) بالعدل مع كل الناس حتى مع الأعداء فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[(٤)].

* ولذلك كان النبى ﷺ ينهى عن مصادرة حق الإنسان فى الدفاع عن نفسه فكان ﷺ يقول:- «... **فإن لصاحب الحق مقالاً...**»[(٥)]. ويقول لمن يتولى الحُكم والقضاء بين الناس: «... **فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول؛ فإنهُ أحرى أن يتبين لك القضاءُ**»[(٦)].

* بل كان النبى يحذر من إهانة الناس أو تعذيبهم.

فعن هشام بن حكيم رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يُعذبُ الذين يُعذبُون الناس فى الدُّنيا**»[(٧)].

---

(١) طفّ الصاع: أى كلكم قريب بعضكم من بعض فليس لأحد فضل على أحد إلا بالتقوى لأن طف الصاع قريب من ملئه، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة طفف (٩/ ٢٢١).

(٢) البيهقى: شعب الإيمان (٥١٣٥).

(٣) **حسن**: رواه أحمد وأبو يعلى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٩).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٨).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٣٠٦) كتاب الوكالة، ومسلم (١٦٠١) كتاب المساقاة.

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٣٠٠).

(٧) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦١٣) كتاب البر والصلة.

* ومن حرص الإسلام على مكانة الإنسان فقد حرَّم الانتحار حتى يحمى حياة الإنسان من نفسه.

فقال ﷺ: «من تردَّى من جبل فقتل نفسهُ فهُو فى نار جهنم، يتردى فيه خالداً مُخلداً فيها أبداً، ومن تحسَّى سُمًّا فقتل نفسهُ فسُمُّهُ فى يده يتحساهُ فى نار جهنم خالداً مُخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسهُ بحديدة؛ فحديدتُهُ فى يده يجأُ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مُخلداً فيها أبداً»(١).

* فالإسلام يحفظ للإنسان حياته ولذلك جعل النبى ﷺ قتل النفس من كبائر الذنوب فقال ﷺ: عندما سُئل عن الكبائر: «الإشراكُ بالله... وقتلُ النفس...»(٢). فجاءت كلمة النفس عامة لتشمل أى نفسٍ تُقتل دون وجه حقٍّ.

وفى حقٍّ فريد يختصٌّ بتشريعه ﷺ - ولم يتطرق إليه نظام وضعى ولا ميثاق من مواثيق حقوق الإنسان - يأتى حقٌّ الكفاية، ومعناه أن يحصل كل فرد يعيش فى كنف الدولة الإسلامية على كفايته من مقومات الحياة؛ بحيث يحيا حياة كريمة، ويتحقق له المستوى اللائق للمعيشة، وهو يختلف عن حد الكفاف الذى تحدثت عنه النُّظُم الوضعية، والذى يعنى الحد الأدنى لمعيشة الإنسان(٣).

ولقد قال ﷺ مؤكداً على هذا الحق: «ما آمن بى من بات شبعانًا(٤) وجارُهُ جائعٌ إلى جنبه وهُو يعلمُ به»(٥). وقال مادحًا: «إن الأشعريين إذا أرملُوا فى الغزو، أو قَلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة جمعُوا ما كان عندهُم فى ثوبٍ واحدٍ، ثُم اقتسمُوهُ بينهُم فى إناءٍ واحدٍ بالسوية، فهُم منى وأنا منهُم»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٧٨) كتاب الطب، ومسلم (١٠٩) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٦٥٣) كتاب الشهادات.

(٣) انظر: خديجة النبراوى: موسوعة حقوق الإنسان فى الإسلام ص٥٠٥-٥٠٩.

(٤) هكذا وردت فى الحديث مصروفة.

(٥) الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبى، والطبرانى عن أنس بن مالك: المعجم الكبير (٧٥٠) واللفظ له، والبيهقى: شعب الإيمان (٣٢٣٨)، وقال الألبانى: صحيح انظر: السلسلة الصحيحة (١٤٩).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٨٦) كتاب الشركة، ومسلم (٢٥٠٠) كتاب فضائل الصحابة ﷺ.

* ومن أعظم الحقوق التى شرعها الإسلام وجاء بها الرسول ﷺ: حق حرية العقيدة... فقد قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٢).

ولذلك لم يُكره النبى ﷺ أحدًا لكى يدخل فى هذا الدين العظيم.

بل إنه لما دخل مكة فاتحًا منتصرًا لم يُجبرهم على الدخول فى الإسلام بل قال لهم: «**اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء**».

* هكذا جاء النبى ﷺ ليُعرف الكون كله حقوق الإنسان... ولا عجب فى ذلك فهو الذى قال الله (جل وعلا) فى حقه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٣).

النبى ﷺ وحق الوالدين

لقد أعطى النبى ﷺ هذا الأمر اهتمامًا خاصًا... وذلك لشدة حرص النبى ﷺ على أن يكون كل مسلم بارًّا بوالديه.. وذلك من باب قول الله (جل وعلا): ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾(٤).

* وها هو النبى ﷺ يوضح لنا ثمرات بر الوالدين من أجل أن نجتهد فى هذا الباب العظيم من أبواب الطاعة.

(١) بر الوالدين... يفرج الله به الكربات:

إن بر الوالدين جعله الله سببًا فى تفريج الكروب... ولذا أورد الإمام البخارى فى صحيحه حديثًا فى ذلك وبوَّب له عنوانًا قال فيه: «باب إجابة

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٢) سورة يونس: الآية: (٩٩).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٤) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

دعاء من بر والديه».

قال ﷺ: «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار فى الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران، ولى صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدىَّ أسقيهما قبل ولدى، وإنه ناء بى الشجر فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمى، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء...»(١).

(٢) الفوز بدعوة الوالدين يجلب التوفيق فى الدنيا والنجاة فى الآخرة:

«رضا الرب فى رضا الوالدين».

فقد قال ﷺ: «ثلاث دعوات لا تُرد: دعوة الوالد لولده...»(٢).

فمن فاز بدعوة الوالدين فهو من الفائزين فى الدنيا والآخرة؛ لأن النبى ﷺ قال: «**رضا الرب فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما**»(٣)... ومن فاز برضا الله فهو الفائز ومن باء بسخط الله فهو الخاسر.

(٣) بر الوالدين سبب لسعة الرزق وزيادة العمر:

قال ﷺ: «من سره أن يعظم الله رزقه وأن يمد فى أجله فليصل رحمه»(٤) وفى رواية للبيهقى: «**فليبر والديه وليصل رحمه**».

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٢١٥) كتاب البيوع، ومسلم (٢٧٤٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) **حسن**: رواه البيهقى، والضياء، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٣٢).

(٣) **صحيح**: رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمرو وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٠٧).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٠٦٧) كتاب البيوع، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) بر الوالدين كفارة للكبائر:

قال مكحول: «بر الوالدين كفارة للكبائر، ولا يزال الرجل قادرًا على البر مادام فى فصيلته من هو أكبر منه»(١).

(٥) بر الوالدين يعدل الحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله!!

أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله تعالى قال: **«فهل من والديك أحدٌ حى؟»** قال: نعم بل كلاهما حى... قال: **«فتبتغى الأجر من الله؟»** قال: نعم قال: **«فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»**(٢)... قال الإمام النووى: فى الحديث دليل لعظم فضيلة بر الوالدين وأنه آكد من الجهاد. اهـ.

(٦) بر الوالدين من أسباب حسن الخاتمة:

نعم يا إخوانى فإن بر الوالدين طاعة لله جل وعلا... ولقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أنه من عاش على شىء مات عليه ومن مات على شىء بُعث عليه... فمن عاش على بر الوالدين يموت على تلك الطاعة لله جل وعلا... وها هو شاب عاش على بر الوالدين فلما حضرته سكرات الموت جاء الناس يلقنونه الشهادة فكان يقول لهم: قولوا لا إله إلا الله.

(٧) بر الوالدين سبب للفوز برحمة الله ومغفرته:

فإن كان الله قد غفر لامرأة من البغايا لأنها سقت كلبًا فكيف بمن يكون بارًّا بوالديه يقدم لهما الطعام والشراب ويحسن معاملتهما ويرحمهما. فقد قال ﷺ: **«الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى: ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»**(٣).

---

(١) شرح السنة للبغوى (١٣/ ١٣).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٤٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) **صحيح:** رواه أبو داود، والترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٢٥).

(٨) بر الوالدين سبب لقبول الأعمال والتجاوز عن السيئات:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾(١).

(٩) بر الوالدين سببٌ لدخول الجنة:

فقد قال النبي ﷺ: «الوالد أوسط أبواب الجنة»(٢).

النبي ﷺ وحقوق الأبناء

إن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان نعمة الأولاد فهم منحة إلهية وهبة ربانية فهم زينة الحياة وزهرتها.

* قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾(٤).

وهم أمانة في نفس الوقت يجب أن نحافظ عليها فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٥) وقال ﷺ كما في الصحيحين: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته».

---

(١) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٥، ١٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧١٤٥).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٤٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٤).

(٥) سورة التحريم: الآية: (٦).

فالإحسان إلى الأولاد وتربيتهم أداء للأمانة.. وإهمالهم والتقصير فى حقوقهم غش وخيانة.

وها هى بعض حقوق الأبناء على الآباء:

*** الحق الأول: اختيار الأم الصالحة:**

ومن أهم الأسباب التى تعين على صلاح الأبناء: اختيار الزوجة الصالحة التى هى بمثابة التربة الخصبة التى تُخرج لنا نباتًا طيبًا، ولذا قال تعالى: **﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾**[1] وقال ﷺ كما فى الصحيحين: **«فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[2].

فإن هذه الزوجة ستكون أم الأولاد إن شاء الله، فإن كانت صالحة نشأوا على الصلاح، وإن كانت غير ذلك فسدوا، ولذلك فينبغى اختيار الزوجة على أساس من الخلق الكريم، والدين، وأن تكون من عائلة صالحة.

* جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأنَّبه على عقوقه لأبيه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين! أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى. قال فما: هى يا أمير المؤمنين؟

قال عمر: أن ينتقى أمه ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب - أى القرآن.

قال الولد: يا أمير المؤمنين! إن أبى لم يفعل شيئًا من ذلك، أما أمى فإنها زنجية كانت لمجوسى، وقد سمانى جُعلاً -أى خنفساء- ولم يُعلمنى من الكتاب حرفًا واحدًا.

فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إلىَّ تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسىء إليك!!

*** الحق الثانى: التسمية والاستعاذة بالله من الشيطان قبل الجماع:**

وليحرص الزوج -كل الحرص- على أن يُحصن أولاده قبل مجيئهم

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٢١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٩٠) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٦٦) كتاب الرضاع.

وذلك بأن يقول هذا الدعاء عند الدخول بالزوجة ... وذلك بأن يأخذ بناصيتها ويقول: «اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه»[1].

ثم يقول عند الجماع: «بسم الله اللهم جنِّبنا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا».. ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «أما لو أن أحدكم يقول حين يأتى أهله: بسم الله اللهم جنِّبنى الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا ثم قُدِّر بينهما فى ذلك أو قُضى ولد لم يضره شيطان أبدًا»[2].

*** الحق الثالث: عدم التخلص منه بالإجهاض خشية الفقر:**

*** فالإجهاض محرم بالكتاب والسنة.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[3].**

وفى الحديث الصحيح: أن النبى ﷺ سُئل: أى الذنب أعظم؟

قال: «الشرك بالله».

قيل: ثم أى؟

قال: «عقوق الوالدين».

قيل: ثم أى؟

قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يُطعم معك»[4].

*** الحق الرابع: الفرح بالمولود ذكرًا كان أو أنثى:**

فالأولاد هبة من الله تعالى فينبغى أن تفرح بتلك الهبة:

قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٥٩).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٤١) كتاب الوضوء، ومواضع، ومسلم (١٤٣٤) كتاب النكاح.

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٣١).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٧٦١) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٨٦) كتاب الإيمان.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(١).

فلا تسخط إن كان المولود أنثى، فإنك لا تدرى أى ذلك خير، فقد قال تعالى: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾(٢).

فقد كانت مريم - عليها السلام - أنثى ومع ذلك أنجبت نبيًّا كريمًا وهو عيسى - عليه السلام - وفاطمة - عليها السلام- أنجبت سيدا شباب أهل الجنة.

وفى المقابل فلقد كان ولد نوح ذكرًا ومع ذلك مات كافرًا.

ومع ذلك فإن كان الله قدر ورزقك بالأنثى فغيرك لم يرزقه الله بذكر ولا أنثى . . . فاحمد الله على تلك النعمة.

*** البنات سترٌ لك من نار جهنم:**

ومع ذلك فلتعلم أن النبى ﷺ قد أخبر أنه من رزقه الله بالبنات فأحسن إليهن كن له سترًا من نار جهنم.

قال ﷺ كما فى الصحيح: «من ابتُلى من البنات بشىء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار»(٣).. وفى رواية مسلم: **«من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو»**(٤) وضم أصابعه.

*** الحق الخامس: التأذين فى أذنه اليمنى:**

يُستحب التأذين فى أذن المولود عند ولادته وذلك لعدة أمور:

*** لفعل النبى ﷺ**: فقد قال أبو رافع رضي الله عنه: رأيت النبى ﷺ أذَّن فى أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمه رضي الله عنها بالصلاة (٥).

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٤٩، ٥٠).

(٢) سورة النساء: الآية: (١١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٣١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) **حسن**: رواه أبو داود، والترمذى، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (١١٧٣).

* لكى يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات التوحيد وشعار الإسلام.

*** الحق السادس: تسمية المولود باسم حسن:**

وهذا من حق الولد على أبيه؛ فإن الاسم الحسن يتفاءل الناس به ويستبشرون .. والاسم القبيح يُعرِّض صاحبه لإيذاء الناس وسخريتهم.

وفى ذلك قال ﷺ: «**تَسمَّوا بأسماء الأنبياء، وأحبُّ الأسماء إلى الله: عبدُ الله وعبدُ الرحمن، وأصدقُها: حارثٌ وهمامٌ، وأقبحُها: حربٌ ومُرةُ**»[١].

*** الحق السابع: العقيقة عن المولود:**

وهى سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ ... وهى أن تعق عن ولدك بعقيقة تُذبح عنه فى يومه السابع كما قال ﷺ: «**كل غلام رهينة بعقيقته تُذبح عنه يوم سابعه ويُحلق ويُسمى**»[٢] وهى شاتان عن الغلام وشاة عن الجارية ويُستحب طبخها دون إخراج لحمها نيئًا، وتُستحب يوم سابعه، وتُجزئ قبل ذلك أو بعده، ويجزئ فيها ما يجزئ فى الأضحية.

*** الحق الثامن: الرضاعة من لبن الأم:**

فعلى الأم المسلمة الصالحة ألا تحرم طفلها من حقه من أن يرضع من لبنها فهو فى الحقيقة يرضع حبها وحنانها قبل لبنها.

فإذا منعت الأم طفلها من الرضاع بغير عذر كانت آثمة .. والدليل على ذلك ما ثبت فى الحديث عن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما أنا نائم إذ أتانى رجلان، فأخذا بضبعىَّ، فأتيا بى جبلاً وعراً فقالا: اصعد، فقلت: إنى لا أُطيقه، فقالا: إنا سنُسهله لك فصعدت حتى إذا كنت فى سواء الجبل** -وذكر الحديث وفيه- **ثم انطلق بى، فإذا أنا بنساء تنهش**

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وقال الألبانى: صحيح دون قوله: «تسموا بأسماء الأنبياء».انظر: صحيح الترهيب والترغيب (١٩٧٧).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٤١).

ثديهن الحيات، قلت: ما بال هؤلاء؟ قال: هؤلاء يمنعن أولادهن ألبانهن»(١) .

هذا، ولقد أثبت الطب الحديث: أن إرضاع الأم لولدها يقى الثدى من السرطان، ويقوى جهاز المناعة عند الطفل.. ويقيه من كثير من الأمراض المعدية فسبحان الذى خلق فسوّى، والذى قدر فهدى.

* الحق التاسع: التنشئة على العقيدة الصحيحة:

وهذا من أهم الواجبات فى التربية، فإنهم إذا لم ينشأوا على العقيدة الصحيحة فلا خير فيهم، فينبغى أن يولى الإنسان المُربِّى أكثر اهتمامه لهذا الجانب، وقد اهتم به النبى ﷺ حيث قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكان غلامًا: **«يا غلام! إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء، لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك. ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء، لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفَّت الصحف»**(٢) .

* الحق العاشر: الأمر بالصلاة لسبع والضرب عليها لعشر:

فإنها -أى الصلاة- من أعظم حقوق الله على عباده، وقد قال النبى ﷺ : **«مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع»**(٣) فينبغى الحرص على ذلك لأن المسلم مأمور بأن يقى نفسه وأولاده من النار، كما قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾**(٤) .

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان، وابن خزيمة، والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى، والطبرانى فى «مسند الشاميين» وفى «الكبير» وقال الهيثمى فى «المجمع» (١/ ٧٧): رجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (٢٤٧).

(٤) سورة التحريم: الآية: (٦).

*** الحق الحادى عشر: التفريق بينهم فى المضاجع إذا بلغوا عشراً:**

وهذا أدب نبوى رفيع، وفيه من الخير ما فيه. وقد تهاون فيه كثير من الناس فجرَّ عليهم ذلك التهاون ما شاء الله من أنواع المفاسد. فالواجب فصل البنين عن البنات فى الفراش، وكذلك عدم ترك الأولاد يشتركون فى غطاء واحد، وقد سبق قوله ﷺ: «**وفرّقوا بينهم فى المضاجع**»(١).

*** الحق الثانى عشر: تعليمه أركان الإيمان والإسلام:**

وعلى الوالد أن يُعلِّم أولاده أركان الإيمان والإسلام وأن يغرس فى نفوسهم العقيدة الصحيحة فيُعلمهم أن الله فى السماء، وأنه سميع بصير وأنه ليس كمثله شىء . . إلى غير ذلك من أمور العقيدة.

*** الحق الثالث عشر: تعليمه القرآن:**

وهذا من أفضل ما تتقرب به إلى الله -أيها الوالد الكريم- فالاشتغال بحفظ كتاب الله اشتغال بأعلى المطالب . . وفى هذا العمل الطيب حماية لهم من الضياع والانحراف وروضة لهم ولآبائهم فى الدنيا والآخرة.

*** الحق الرابع عشر: النفقة عليهم:**

فإنه لا بد للإنسان من أن يبذل لأولاده وأهل بيته من النفقة، ومن الجهد، ومن الوقت، فينبغى أن يحسن نيته فى ذلك، وأن يحتسبه عند الله تعالى، حتى ينال فيه الأجر من الله تعالى، وقد قال النبى ﷺ: «**إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها كانت له صدقة**»(٢).

قال ﷺ كما فى صحيح مسلم: «كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمَّن يملك قوته»(٣).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٠٢٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥) كتاب الإيمان، ومسلم (١٠٠٢) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٩٦) كتاب الزكاة.

* **الحق الخامس عشر: العدل بين الأولاد:**

وليحرص الوالدان على العدل بين أولادهما . . ولا بأس أن يحب الرجل بعض أولاده أكثر من بعض ما لم يصاحب ذلك أى ظلم أو جور.

فلقد كان يعقوب يحب يوسف ـ عليهما السلام ـ أكثر من بقية إخوته وذلك لأن المحبة محلها القلب . . والقلب لا يملك زمامه إلا الله ـ عز وجل ـ فلا عجب أن يحب الوالد ولده الصالح الذى يحفظ القرآن ويصلى ويصوم ويطيع والديه أكثر من حبه لولده الذى يترك الصلاة ويشرب الدخان. . ولكن على الوالد أن لا يبالغ فى إظهار هذه المحبة ومتبوعاتها إلا لعلة من العلل، كأن يقول لأبنائه فلان أحسن منكم لكونه يصلى ويصوم، فحينئذٍ قد يحملهم هذا القول وهذا الثناء على الصلاة والصيام.

وكذلك ليحرص الوالد على ألا يحمله حبه لولد من أولاده على أن يعطيه ويحرم إخوانه فهذا من الظلم الذى نهى الله عنه.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أعطانى أبى عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال: إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أُشهدك يا رسول الله قال: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**» قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» قال: فرجع فرد عطيته.

وفى رواية لمسلم: «فلا تُشهدنى إذًا فإنى لا أشهد على جَور»(١).

– **وأخيراً:** احذر أيها الوالد الكريم أن تفرق فى المعاملة بين الذكر والأنثى فقد قال ﷺ كما فى الصحيحين: «**اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم**».

* **الحق السادس عشر: إلزام البنات بالحجاب:**

الذى أمر الله به حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٨٧) كتاب الهبة، ومسلم (١٦٢٣) كتاب الهبات.

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ﴾(١) فهذا الحجاب الإسلامى الذى يستر جميع بدن الفتاة، فيه الحفاظ على دينها، وشرفها.

*** الحق السابع عشر: غرس القيم الحميدة فى نفوس الأطفال:**

وليحرص الوالد على أن يغرس فى نفس ولده القيم الحميدة مثل: البر والتقوى والصدق والأمانة والحِلم والرحمة وصلة الأرحام والصبر والكرم والإيثار والتسامح والعفو عند المقدرة ومصاحبة الصالحين وبر الوالدين والإحسان إلى الجيران والرحمة بالفقير واليتيم وحسن الخلق.. حتى ينشأ الولد على حب معالى الأمور ومكارم الأخلاق.

*** الحق الثامن عشر: تعويدهم على السلوك القويم وتصحيح أخطائهم:**

فإن النبى ﷺ لما رأى عمر بن أبى سلمة -وكان غلامًا فى حجره- ويده تطيش فى صحفة الطعام، فقال ﷺ له: «**يا غلام سَمِّ الله، وكُل بيمينك، وكل مما يليك**»(٢) فقد حرص النبى ﷺ على تقويم سلوك الصبى، وتعويده على التصرفات السليمة.

*** الحق التاسع عشر: تحذير الأولاد من الأخلاق الرذيلة:**

وليحرص الوالد على أن يُجنِّب أولاده الأخلاق الرذيلة كالكذب والسرقة والحسد والحقد والخيانة والغِيبة والنميمة وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام والبخل واحتقار الآخرين والأثرة وغيرها من الأخلاق المرذولة حتى ينشأ على بغض تلك الأخلاق.

*** الحق العشرون: ملاطفتهم ومداعبتهم وتقبيلهم:**

فإن النبى ﷺ كان يداعب الصبيان، ويلاطفهم، ويتقرب منهم، ويقبلهم، وانظر إلى قوله ﷺ: «**يا غلام**» ففيه تودد وتحبب إلى الصغير،

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٧٦) كتاب الأطعمة، ومسلم (٢٠٢٢) كتاب الأشربة.

وإشعار له بذاته، وقد كان ﷺ يحمل الصغير، ويكنيه، ويسلم على الصبيان، ونحو ذلك. وكان يحمل بناته، وأولاد بناته فيُقبِّلهم.

*** الحق الحادى والعشرون: تعليمهم ما ينفعهم من علوم الدين والدنيا:**

وهذا من أهم ما يجب على الوالدين، أن يحرصا على تعليم أبنائهم ما ينفعهم من علوم الدين التى لا بد لهم منها.

*** الحق الثانى والعشرون: تعليمهم الألعاب المباحة للترويح عنهم:**

ويجوز للوالد أن يعلم أولاده الألعاب المباحة التى ليس فيها شىء محرم ليستفيد جسده من الحركه.. وعقله من التفكير السليم.

ولذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل».

*** الحق الثالث والعشرون: عدم الدعاء على الأولاد:**

فقد يحدث أحيانًا أن يتسبب الأولاد فى بعض المشاكل لوالديهم، أو يسببوا لهما بعض الإزعاج، أو الأذى، وحينئذٍ يتعجل بعض الآباء أو الأمهات، فيدعو على أولادهم، سواء بالموت، أو بالمرض، أو غير ذلك. وهذا لا يجوز؛ فإن النبى ﷺ قال: «**لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجب لكم**»[2] والأولَى أن يدعو الوالدان للأولاد، فيعتادان إذا غضبا أن يقولا: هداك الله يا ولدى، غفر الله لك يا بُنى، ونحو ذلك[3].

* * *

---

(١) وإن كان الأثر فى أسانيده مقال.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٠٠٩) فى حديث جابر وقصة أبى اليسر الطويلة.

(٣) موسوعة الآداب الإسلامية (١/ ١٩١، ١٩٢).

النبى ﷺ وحق الرحم

وها هو النبى ﷺ يحض الأمة على صلة الرحم من أجل أن تتآلف القلوب ويتواصل الأقارب فيما بينهم.

* **وها هو النبى ﷺ يخبرنا بثمرات صلة الأرحام:**

(١) صلة الرحم شعار الإيمان بالله واليوم الآخر:

فقد قال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»(١).

(٢) إن الله عز وجل يصل الواصل فى الدنيا والآخرة، فيمده بالرحمة، وييسر له الأمور ويفرج عنه الكربات:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: أنا الرحمن، وهى الرحم، شققت لها اسمًا من اسمى، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته(٢)»(٣).

(٣) أنها تجلب للعبد رضا الله ومحبته:

وذلك لأن الله عز وجل يحب العبد الوفى الذى لا ينسى أبدًا حق أقاربه وأرحامه.

قال رسول الله ﷺ : «قال الله تعالى: حُقَّت(٤) محبتى للمتواصلين فىَّ»(٥).

(٤) أنها أعجل الطاعة ثوابًا:

عن أبى بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وإن أعجل الطاعة ثوابًا لصلة

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦١٣٨) كتاب الأدب.

(٢) بتته: قطعته.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود (١٤٨٦).

(٤) حقت: وجبت.

(٥) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٢١).

الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا»(١).

(٥) أنها من أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الإيمان به:

قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله ثم صلة الرحم»(٢).

(٦) صلة الرحم يكفر الله بها سيئات العبد:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبى ﷺ رجل فقال: يا رسول الله! إنى أصبت ذنبًا عظيمًا فهل من توبة؟ قال: «هل لك من أم؟» قال: لا. قال: «هل لك من خالة؟» قال: نعم. قال: «فبرها»(٣).

وقال ﷺ: «الخالة بمنزلة الأم»(٤).

(٧) صلة الرحم تجعلك فى أعلى المنازل:

قال ﷺ: «.... إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا. فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله -عز وجل- علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لى مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول لو أن لى

---

(١) صحيح: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد، قال الهيثمى: فيه عبد الله بن موسى ابن أبى عثمان الأنطاكى، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٠٥).

(٢) حسن: رواه أبو يعلى، وقال المنذرى: إسناده جيد، وقال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح، غير نافع ابن خالد الطاحى، وهو ثقة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٠٠) كتاب الصلح، ومسلم (١٧٨٣) كتاب الجهاد والسير.

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٨٥).

مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء»(١).

(٨) أن الصدقة على ذى الرحم أعظم أجرًا من الصدقة على المسكين:

عن سلمان بن عامر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم اثنتان: صدقة وصلة»(٢).

(٩) أنها من أسباب البركة فى الرزق والعمر:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يُبسط له فى رزقه(٣)، ويُنسأ له فى أثره(٤)، فليصل رحمه»(٥).

(١٠) صلة الرحم تعمر الديار:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمرن الديار، ويزدن فى الأعمار»(٦).

(١١) أنها من أعظم أسباب دخول الجنة:

وعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: دلنى على عمل أعمله يدنينى من الجنة، ويباعدنى من النار. قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل ذا رحمك» فلما أدبر(٧)، قال رسول الله ﷺ : «إن تمسَّك بما أُمر به، دخل الجنة»(٨).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إنى إذا رأيتك طابت

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٥٢٨٧).

(٢) صحيح: رواه النسائى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٩٣٩).

(٣) يبسط له فى رزقه: يوسع له فيه.

(٤) ينسأ له فى أثره: يؤخر له فى أجله وعمره.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٦٧) كتاب البيوع، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥١٩).

(٧) أدبر: ولَّى وذهب.

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٩٦) كتاب الزكاة، ومسلم (١٣) كتاب الإيمان.

نفسى، وقـرَّت عينى، فأنبـئنى عن كل شىء. قال: «**كل شىء خُلق من ماء**» قال: قلت: أنبـئنى عن أمر إذا عملـت به دخلت الجنة. قال: «**أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام**»(١).

النبى ﷺ وحقوق الأخوة

نحن نعلم أن النبى ﷺ لما أراد أن يقيم للإسلام دولة فى المدينة المنورة جعل هذا البنيان على ثلاثة أعمدة... كـان من بينها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.. فقد كان النبى ﷺ حريـصًا على إيجاد روح المحبة والمؤاخاة بين المسلمين.

* ومن أجل ذلك أوضح النبى ﷺ حق المسلم على أخيه المسلم فقال ﷺ : «**حقُّ المُسلم على المُسلم ستٌّ: إذا لقـيتهُ فـسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجـبهُ، وإذا استنصحكَ فانصح له، وإذا عطس فحَمِد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُدهُ، وإذا مات فاتبعهُ**»(٢).

* ثم أوضح فضائل الأُخوة فى الله لتكون حاديًا للقيام بتلك الحقوق.

- وها هى بعض فضائل وثمرات الأخوة فى الله.

(١) أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان:

فـعن أبى هريرة رضي الله عنه قـال: قال رســول الله ﷺ : «**من سـرَّه أن يجـد حلاوة الإيمان؛ فليُحب المرء لا يحبه إلا لله عز وجل**»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ثلاث مَن كُن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء**

---

(١) رواه أحمد، وابن حـبان، والحاكم، وصححـه الألبانى فى صحـيح الجامع (١٠٨٥)، والصحـيحة (٥٦٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٨٨).

لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يُقذَف فى النار»[١].

(٢) محبة الأخ لأخيه من أوثق عُرى الإيمان:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «أوثق عُرى الإيمان: الموالاة فى الله، والمعاداة فى الله، والحب فى الله، والبغض فى الله»[٢].

(٣) أن مجالسهم هى مجالس المغفرة والرحمة.... كما قال ﷺ : «ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يقال لهم: قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم وبُدلت سيئاتكم حسنات»[٣].

(٤) أن من يجالس الصالحين تشمله بركة مجالسهم ويعمه الخير الحاصل لهم، وإن لم يكن عمله بالغًا مبلغهم.

كما دل على ذلك الحديث الذى رواه أبو هريرة.... وفى آخره: «قال: فيقول الله: فأُشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال: فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة» وفى لفظ: «فيهم فلان عبد خطَّاء إنما مرَّ فجلس معهم، فيقول: هم الجلساء لا يشقى جليسهم» وفى لفظ: «فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[٤].

(٥) أن الله أوجب محبته للمتحابين فيه:

* قال تعالى: «حُقَّت محبتى للمتحابين فىَّ، وحُقت محبتى للمتواصلين فىَّ، وحقت محبتى للمتناصحين فىَّ، وحقت محبتى للمتزاورين فىَّ، وحقت محبتى للمتباذلين فىَّ .... المتحابون فىَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانتهم النبيون والصدِّيقون والشهداء»[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٦) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

(٢) حسن: رواه الطبرانى (١١/ ٢١٥)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٧٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٩٨).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٦/ ٢١٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦١٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٣١).

(٦) أن المحبة فى الله من الإيمان، وإفشاء السلام سبب لحصولها:

فعن **أبى هريرة** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**[١].

(٧) أن الحب فى الله والبغض فى الله دليل على كمال إيمان العبد.

قال رسول الله ﷺ : **«من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»**[٢].

(٨) ومن فوائد المحبة فى الله أن الله يكرم من أحب عبداً لله.

وإكرام الله للمرء يشمل إكرامه له بالإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، وسائر صنوف النعم.

عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما أحب عبدٌ عبداً لله إلا أكرمه الله»**[٣].

(٩) أن أعظم الأصحاب عند الله منزلة أشدهما حبًّا لصاحبه:

فعن **أنس بن مالك** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«ما تحابَّ اثنان فى الله -سبحانه وتعالى- إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه»**[٤].

(١٠) أن المرء يُحشر مع من أحب:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبى ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: **«وما أعددت لها؟»** قال: لا شىء إلا أنى أحب الله ورسوله، فقال ﷺ : **«أنت مع من أحببت»**، قال أنس: فما فرحنا بشىء

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٣١).

(٣) **صحيح:** رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٥٦).

(٤) **صحيح:** رواه البخارى فى الأدب المفرد، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٥٩٤).

فرحنا بقول النبى ﷺ : «أنت مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[١].

(١١) المتحابون فى الله يظلهم الله فى ظل عرشه يوم القيامة:

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله -سبحانه وتعالى- يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»**[٢].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، -وذكر منهم- ورجلان تحابا فى الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه»**[٣].

(١٢) أن المتحابين فى الله لهم منابر من نور، يجلسون عليها يوم القيامة:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«قال الله -سبحانه وتعالى-: المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور، يغبطهم[٤] النبيون والشهداء»**[٥].

(١٣) أنك بمحبتك للصالحين وزيارتك لهم تقترب من الجنة شيئًا فشيئًا. . .

قال ﷺ : **«ألا أخبركم برجالكم فى الجنة؟»** قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: **«النبى فى الجنة، والصدِّيق فى الجنة، والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله فى الجنة»**[٦].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٤) الغبطة - بكسر الغين: تمنى مثل ما للمغبوط من نعمة دون تمنى زوالها عنه، وليست بحسد، والفعل غبط من باب ضرب.

(٥) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣١٢).

(٦) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وفى الأوسط، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٧).

النبى ﷺ وحقوق المرأة

والله لا أعلم دينًا كرَّم المرأة كما كرمها الإسلام.

فلقد كانت المرأة لا وزن لها ولا قيمة عند سائر الأمم وفى ظل الديانات الأخرى المُحرفة فجاء الإسلام ليرفعها من هذا الحضيض إلى تلك المكانة السامية بعد أن كانت من سقط المتاع تُشترى وتُباع.. وبعد أن كانت تُقتل وهى حية مخافة الفقر والعار.

نعم.. جاء الإسلام ليجعلها صِنو الرجل، فقال ﷺ: **«إنما النساء شقائق الرجال»**(١).

بل وخصَّ القرآن الكريم النساء بسورة كاملة وسمَّاها باسمهن «النساء»، ويا لها والله من كرامة!!

بل ويُقر الآن المتجردون الذى لم يَمُتْ الإنصاف فى قلوبهم ولم تضل عقولهم. يقرون الآن بما تعانيه المرأة فى الشرق والغرب. التى يُتلهى ويُستمتع بها وهى شابة جميلة، ثم يُرمى بها بعد ذلك فى آخر عمرها فى إحدى دور العجائز والمسنين..

* لقد كرم الإسلام المرأة تكريمًا لم تجده المرأة بل ولن تجده فى ظل أى ديانة أخرى.. فلقد قرر الإسلام أولاً أن المرأة والرجل خُلقا من أصلٍ واحدة ولهذا فالنساء والرجال فى الإنسانية سواء.

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾**(٢).

*ومن أجل هذا جاء التكريم للمرأة فى ظل الإسلام كإنسانة أولاً فحرم وأد البنات الذى كان منتشراً فى الجاهلية حيث قال الله عز وجل: **﴿وَإِذَا**

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٦٣).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[١]، بل وجعله النبى من أعظم الذنوب، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ: أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل الله ندًا وهُو خلقك». قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تقتُل ولدك خشية أن يأكُل معك». قلت: ثُم أيٌّ؟ قال: «أن تُزانى حليلة جارك»[٢].

* ثم أمر النبى ﷺ بالإحسان إليها وهى بنت صغيرة تحتاج إلى الرعاية والحنان.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«من عال جاريتين حتى تبلغا[٣] جاء يوم القيامة أنا وهو -وضم أصابعه-»**[٤]، أى: معًا.

وعن عقبة بن عامر الجهنى رضي الله عنه **قال:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من كان له ثلاث بنات فبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جدته** -يعنى ماله-، **كن له حجابًا من النار»**[٥].

ويروى عن أبى سعيد رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال: **«من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهن، فله الجنة»**[٦] وفى رواية أبى داود: **«من عال ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو أختين، أو ابنتين، فأدبهن، وأحسن إليهن، وزوجهن، فله الجنة»**..

ثم أمر الرسول ﷺ بتعليمها فقال: «أيما رجُلٍ كانت عندهُ وليدةٌ فعلمها

---

(١) سورة التكوير: الآيتان: (٨، ٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٦٠٠١) كتاب الأدب.

(٣) حتى تبلغا: أى حت تتزوجا، قال القرطبى: (أى: إلى أن تستقلا بأنفسهما، وذلك أن يُدخل بهن، ولا يعنى بلوغ المحيض، إذ قد تتزوج قبل ذلك، وقد تبلغ غير مستقلة بحال نفسها، ولو تُركت لضاعت، ولذا لا تسقط نفقتها عن الأب بالبلوغ، بل بالدخول بها. اهـ. انظر: شرح الأبى (٧/ ٦٦)، وفتح القدير لابن الهمام (٣/ ٣٢٢).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٣١) كتاب البر والصلة، واللفظ له.

(٥) **صحيح**: رواه الإمام أحمد فى «مسنده» ، والبخارى فى الأدب المفرد، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٨٨).

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود، والترمذى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٩٤).

فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها... فلهُ أجران»(١). وكان ﷺ يجعل للنساء يومًا ليعظهُن، ويذكرهُن، ويأمرهُن بطاعة الله تعالى.

* فإذا شبَّت هـذه البنت الصغيرة وبلغت سن الزواج فـقد أعطاها النبى ﷺ الحق فى اختيار زوجها وذلك من خلال حق الموافقة على الخاطب أو رفضه... فليس لأحد أن يُجبرها على الزواج من رجلٍ لا تريده.

وقد قال فى ذلك ﷺ: **«الأيمُ أحقُّ بنفسهـا من وليها، والبكرُ تُستأذنُ فى نفسها، وإذنُها صُماتُها»**(٢). وقال أيضًا ﷺ: **«لا تُنكحُ الأيمُ حتى تُستأمر، ولا تُنكحُ البكرُ حتى تُستأذن»**. قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: **«أن تسكُت»**(٣).

* فإذا تزوجت وصارت زوجـة فقد أوصى النبى ﷺ زوجهـا بحسن معاملتها وعشرتها.

قال ﷺ: **«استـوصوا بالنساء خـيرًا فإن المرأة خُلـقت من ضلع وإن أعوج شىء فى الضلع أعـلاه فـإن ذهبت تقـيمـه كـسـرته وإن تركـتـه لم يزل أعـوج فاستوصوا بالنساء خيرًا»**(٤).

وقال ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»**(٥).

* فإذا أنجبت وصارت أُمًّا فقد أمر الله (جل وعـلا) أبناءها ببرها فقال تعالى: **﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾**(٦).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٠٨٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٥٤) كتاب الإيمان.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٢١) كتاب النكاح.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٥١٣٦) كتاب النكاح.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٣٣١) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٤٦٨) كتاب الرضاع.

(٥) **صحيح**: رواه الترمذى، وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣١٤).

(٦) سورة الإسراء: الآيتان: (٢٣-٢٤).

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾(١).

وأوصى النبي ﷺ ببر الوالدين كثيراً.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! من أحق الناس بحسن صحابتي؟، قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟، قال: «أمك»، قال: ثم من؟، قال: «أبوك»(٢).

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟، قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أي؟، قال: «ثم بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم الجهاد في سبيل الله»(٣).

* وقد وضع القرآن الكريم الرجل والمرأة على قدم المساواة في الالتزامات الأخلاقية، والتكاليف الدينية إلا في حالات مخصوصة خفف الله فيها عن المرأة رحمة بها، ومراعاة لفطرتها وتكوينها.

* وجعل الإسلام الرجل والمرأة متساويين في التكاليف الإيمانية والجزاء الأخروي.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٤).

وقال عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٥).

وقال سبحانه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ

---

(١) سورة لقمان: الآية: (١٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٧١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٤٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٧) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٨٥) كتاب الإيمان.

(٤) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٥) سورة غافر: الآية: (٤٠).

خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١).

وقال ﷺ : «إذا صلت المرأة خَمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلى الجنة من أى الأبواب شئت»(٢).

فإذا احتمل الرجل نار الهجير، واصطلى جمرة الحرب، وتناثرت أوصاله تحت ظلال السيوف، فليس ذلك بزائده مثقال حبة عن المرأة إذا وفَّت لبيتها، وأخلصت لزوجها، وأحسنت القيام على بنيها.

* بل حرم النبى ﷺ قتل النساء والأطفال والشيوخ فى الجهاد إلا أن يقاتلوا فيُدفعوا بالقتل.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشًا قال: «انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً صغيرًا، ولا امرأة ولا تغلوا، وضُمُّوا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (وُجدت امرأة مقتولة فى بعض مغازى رسول الله ﷺ ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان)(٤).

كرامة المرأة المسلمة

لئن قرن الإسلام بين الرجل والمرأة فى عامة المواطن، لقد عرف لها نصيبها من رقة القلب، ودقة الوجدان، وأنها مناط شرف الرجل، وموطن عرضه، فاختصها بنصيب وافر من الحرمة والكرامة.

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد قال الهيثمى: فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وسعيد ابن عفير لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٢).

(٣) ضعيف: رواه أبو داود، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (١٣٤٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠١٤، ٣٠١٥) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٧٤٤) كتاب الجهاد والسير.

إن كرامة المرأة فى الإسلام تتناول شخصها وسيرتها، وتشمل مشهدها ومغيبها، فمن حقها أن تكون هى فى موطن الرعاية والعناية، وأن يكون اسمها بمناجاة من لغو القول، ومنال اللسان. لقد كانت المرأة المسلمة تجير الخائف، وتفك العانى، وذلك كله إلى تجلّة واحترام، بلغت منهما غايتهما.

فقد أجارت أم هانئ بنت أبى طالب رجلين من أحمائها كُتب عليهما القتل، وذلك مجمل حديثها فى سبيل ذلك، قالت رضي الله عنها: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فسلَّمت عليه، فقال: «من هذه؟»، فقلت: أنا أم هانئ بنت أبى طالب، فقال: «مرحبًا بأم هانئ»، فلما فرغ من غُسله، قام فصلى ثمانى ركعات ملتحفًا فى ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله! زعم ابن أمى علىٌّ: أنه قاتلٌ رجلاً قد أجرته[1] -فلان بن هبيرة- فقال رسول الله ﷺ: **«قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»**[2].

* **وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم**[3]**، وهم يد على من سواهم»**[4] الحديث.

* ولما أسر المسلمون أبا العاص بن الربيع، وغنموا ما له فيما أسروا وغنموا وكان زوج زينب بنت رسول الله ﷺ إلا أن الإسلام فرَّق

---

(١) أجرت الرجل: منعت من يريده بسوء، وآمنته شره وأذاه.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٥٧) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٣٦) كتاب الحيض.

(٣) يجير عليهم أقصاهم: يعنى أن أبعد المسلمين دارًا يجير عليهم، ويمنعهم ممن يريدونه إذا كان قد أعطاه بذلك عهدًا، وقيل: هو إذا وجه الإمام سرية فأجازوا أحدًا أمضاه.

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود.

بينهما، استجار أبو العاص بزينب رضي الله عنها فوعدته خيراً، وانتظرت حتى صلى رسول الله ﷺ الفجر بالمسلمين، ثم وقفت على بابها -فى المسجد- فنادت بأعلى صوتها: إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فقال رسول الله ﷺ : «**أيها الناس هل سمعتم ما سمعت**»؟ قالوا: نعم، قال: «**فوالذى نفسى بيده ما علمت بشىء مما كان حتى سمعت الذى سمعتم، المؤمنون يدٌ على من سواهم، يجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا من أجارت**»[(١)]، فلما انصرف النبى ﷺ إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبى العاص ما أخذ منه ففعل[(٢)].

أما كرامة سيرتها، وصيانة اسمها، فذلك ما لا نحسب شريعة من الشرائع حاطتهما بمثل حياطة الإسلام لهما، وحسبك أن الله سبحانه وتعالى اشتد فى كتابه الكريم على قاذفى النساء فى أعراضهن بأشد مما اشتد على القتلة وقُطَّاع الطريق، فقد قال الله سبحانه فى سورة النور: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[(٣)].

فجعل سبحانه للقاذف عقوبة ثمانين جَلدة، ثم دعم هذه العقوبة بأخرى أشد وأخزى وهى اتهامه أبد الدهر فى ذمته، واطِّراح شهادته، فلا تُقبل له شهادة أبدًا، ثم وسمه بعد ذلك بسمة هى شر الثلاثة جميعًا، وهى سمة الفسق، ووصمة الفجور.

لم يكن كل ذلك عقاب أولئك الأثمة الجناة، فقد عاود الله أمرهم بعد ذلك بما هو أشد وأهول من تمزيق ألسنتهم فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ**

---

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٦٥٣-٦٥٩) والحاكم (٣/ ٢٣٦، ٢٣٧).

(٢) وقد عاد أبو العاص بعد ذلك إلى مكة، فأدى الحقوق إلى أهلها، ثم آب إلى المدينة مسلمًا، فرد عليه رسول الله ﷺ زوجه رضي الله عنها، وانظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٣٢-٣٣٤)، والإصابة (٧/ ٢٤٨).

(٣) سورة النور: الآية: (٤).

الْغَافلات الْمُؤْمنَات لُعنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخرَة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[١] وإن فى حديث الإفك، وما أفاض الله فى شأنه لموعظة وذكرى لقوم يعقلون.

النبى ﷺ وحق اليتيم والأرملة والمسكين

لقد اهتم الإسلام اهتمامًا بالغًا بهؤلاء الضعفاء من اليتامى والأرامل والمساكين.

قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢].

وقال تعالى فى حق المخلصين: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ أى: ويطعمون الطعام ابتغاء وجه الله مع شهوتهم له وحاجتهم إليه... ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ فكان الجزاء لمن أطعم اليتيم ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾[٣] .... فيا له من أجر عظيم.

* بل لقد أخبر الحق (جل وعلا) بأن نبيين كريمين قد أقاما جدارًا لغلامين يتيمين.

ففى تلك الرحلة المباركة التى صَحِب فيها نبى الله (موسى) (الخضر)

(١) سورة النور: الآيات: (٢٣ - ٢٥).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٢٠).

(٣) سورة الإنسان: الآيات: (٨-١٢).

عليهما السلام[١]. فكان من بين الأحداث التى ذُكرت أنهما قاما ببناء جدار لغلامين يتيمين فى تلك المدينة فلما سأله موسى عليه السلام عن سبب ذلك قال: **﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾**[٢].

* **ولذا جاء الأمر من الله (جل وعلا): ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾**[٣].

وحرصًا من النبى ﷺ على مصلحة اليتيم فقد حض الأمة على الإحسان إلى الأرملة.. وذلك لأنها ليس عندها عائل يعولها وقد يكون عندها أطفال يتامى فقال ﷺ **«الساعى على الأرملة والمسكين كالمُجاهد فى سبيل الله، أو كالذى يصُومُ النهار ويقُومُ الليل»**[٤].

* بل لقد أخبر ﷺ أن الإحسان إلى اليتامى يُزيل قسوة القلب.

روى أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له ﷺ: «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يَلِنْ قلبك وتدرك حاجتك»[٥].

وفى رواية قال: «ادن اليتيم منك وألطفه وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك ويدرك حاجتك»[٦].

* بل أخبرنا النبى ﷺ أن المسح على رأس اليتيم يجعلنا نفوز بآلاف الحسنات.

---

(١) مع الاعتراف بأن العلماء قد اختلفوا فى ذلك: هل كان الخضر نبيًا أو كان عبدًا صالحًا والراجح - والله أعلم - أنه كان نبيًا - بدليل قوله: **﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾**.

(٢) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٣) سورة الضحى: الآية: (٩).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٣٥٣) كتاب النفقات، ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد.

(٥) **صحيح**: رواه الطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠).

(٦) **حسن**: رواه البيهقى والخرائطى فى مكارم الأخلاق وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٠).

* **عن أبى أُمامة أن رسول الله ﷺ قال: «من مسح رأس يتيمٍ لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يدُهُ حسناتٌ، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيمٍ عنده كنت أنا وهو فى الجَنة كهاتين»** وفرق بين أصبعيه السبابة والوُسطى[(١)].

* بل أخبر النبى ﷺ أن كافل اليتيم سيفوز بصحبته ﷺ فى الجنة.

قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا» - وأشار بالسبَّابة والوسطى وفرج بينهما -[(٢)].

وفى رواية: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره فى الجنة والساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله»[(٣)].

* **قال ابن بطال:** حقٌّ على من سمع هذا الحديث - يعنى قول الرسول ﷺ -: **«أنا وكافل اليتيم فى الجنة»** - أن يعمل به ليكون رفيق النبى ﷺ فى الجنة، ولا منزلة فى الآخرة أفضل من ذلك[(٤)].

* **وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنه تأتى امرأة تبادرنى، فأقول لها: ما لكِ، وما أنتِ؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتامٍ لى»**[(٥)].

* ومن أجل كل هذا الخير حضَّنا النبى ﷺ على أن نضم اليتامى إلينا ونُكرمهم فقال ﷺ: **«مَن ضَمَّ يتيمًا بين أبوين مُسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنهُ وجبت لهُ الجنةُ ألبتَّة»**[(٦)].

كما قال ﷺ مُرغبًا فى إنفاق المال على المسكين واليتيم، فقال ﷺ: **«... وإن هذا المال خضرةٌ حُلوةٌ، فنعم صاحبُ المُسلم ما أعطى منهُ المسكين،**

---

(١) رواه أحمد وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٩٠): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٦٠٠٥) كتاب الأدب.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٧٦).

(٤) فتح البارى (١٠/ ٤٥١).

(٥) رواه أبو يعلى وذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح (١٠/ ٤٣٦) بإسنادٍ لا بأس فيه.

(٦) **صحيح:** رواه أحمد وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٨٨٢).

والبتيم، وابن السبيل....» [١].

* وفى المقابل فلقد حذرنا النبى ﷺ من ظلم اليتيم وأكل ماله.

قال ﷺ : «**اجتنبوا السبع الموبقات** - وذكر منها - **وأكل مال اليتيم**» [٢].

ومن قبل ذلك فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [٣].

*هكذا كان النبى ﷺ حريصًا على اليتامى والأرامل والمساكين. . . ولا عجب فى ذلك فلقد كان النبى ﷺ يتيمًا وذاق مرارة اليُتم ولذلك كان يشعر بآلام اليتامى وأحزانهم.

*** قصة تملأ القلب نوراً:**

قال أحد السلف: كنت فى بداية أمرى مُكبًّا على المعاصى وشرب الخمر فظفرت يومًا بصبى يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام وأزلت شعثه وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبتُّ ليلة بعد ذلك فرأيت فى النوم أن القيامة قد قامت ودُعيت إلى الحساب وأُمر بى إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصى فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروننى سحبًا إلى النار وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربى حتى أشفع له إلى ربى فإنه قد أحسن إلىّ وأكرمنى . . .

فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك وإذا النداء من قِبل الله تعالى يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه.

قال: فاستيقظت وتُبت إلى الله عز وجل وبذلت جهدى فى إيصال الرحمة إلى الأيتام. فيا إخوانى هيا بنا نبذل جهدنا لإيصال الرحمة إلى الأيتام

(١) **صحيح**:رواه البخارى (١٤٦٥) كتاب الزكاة.

(٢) **متفق عليه**:رواه البخارى (٢٧٦٦) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٣)سورة النساء: الآية: (١٠).

فلعل الله أن ينفعنا بدعواتهم وشفاعتهم لنا يوم القيامة . . . فلنُسرع الخُطا إلى هذا الخير ولسان حال كل واحد منا: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[1].

النبى ﷺ وحق الجار

للجار منزلةٌ عظيمةٌ، ومكانة عليَّةٌ، يدلُّ على ذلك كثرةُ النُّصوص الواردة فى الحث على الإحسان إليه، والترغيب فى ذلك، ولنَقْتطف من تلك النُّصوص ما يلى:

* **قال الله سبحانه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ[2] وَالْجَارِ الْجُنُبِ[3]﴾[4].**

* **وعن ابن عُمرَ وعائشة رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصينى بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه[5]»[6].**

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما أنه ذُبحت له شاةٌ فى أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودى؟ أهديتم لجارنا اليهودى؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»**[7].

* **وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره»**. وفى رواية لمسلم: **«فليحسن إلى جاره»**[8].

* **وعنه أن النبى ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا**

---

(١) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٢) الجار ذى القربى: الذى بينك وبينه قرابة.

(٣) الجار الجنب: الذى ليس بينك وبينه قرابة.

(٤) سورة النساء : الآية: (٣٦).

(٥) أى: ظننت أنه سيبلغنى عن الله الأمر بتوريث الجار جاره. وفى هذا توكيدٌ عظيمٌ على الحثِّ على رعاية حقوقه.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) صحيح: رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (٨٩١).

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

يؤمن!» قيل: «من يا رسول الله؟!» قال: «الذى لا يأمن جاره بوائقه[١]»[٢].

وفى رواية: **«لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[٣].**

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قيل: «يا رسول الله! إن فلانة تصلى الليل، وتصوم النهار، وفى لسانها شىء، تؤذى جيرانها، سليطة». قال: **«لا خير فيها، هى فى النار».** وقيل له: «إن فلانة تصلى المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق بالأثوار[٤]، وليس بها شىء غيره، ولا تؤذى أحدًا». قال: **«هى فى الجنة».**

ولفظ الإمام أحمد: **«ولا تؤذى بلسانها جيرانها»[٥].**

ولقد شرع الإسلام للجار حقوقًا عظيمة منها:

*** الحق الأول: الإحسان إليه:**

*وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»[٦].**

*** الحق الثانى: أن يحب لجاره ما يحب لنفسه من الخير:**

أيها المؤمنون، إن من الإحسان إلى الجيران سلامة القلب عليهم، وحب الخير لهم، . . . قال رسول الله ﷺ: **«والذى نفسى بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه»[٧].**

*** الحق الثالث: أن يؤدى إليه كل حقوق المسلم على أخيه المسلم:**

فإن الجار أولى وأحق بها، فيحسن إليه من كل وجه، يعوده إذا مرض،

(١) البوائق: الغوائل والشرور، والمفرد: بائقة.
(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.
(٤) الأثوار: هو اللَّبن الجامد المستحجر.
(٥) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٥٦٠).
(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤٨) كتاب الإيمان.
(٧) متفق عليه: رواه البخارى (١٣) كتاب الإيمان، ورواه مسلم (٤٥) كتاب الإيمان.

ويشمـته إذا عطس، وينصحه بما يراه خـيرًا له، ويلبى دعوته، ويتفـقد أهله وأولاده فى حال غيابه أو سفره، وبعد مماته، ويتبع جنازته إذا مات، ويدعو له، ويأخذ بيده إلى الخير، إلى غير ذلك من الحقوق.

*** الحق الرابع: كف الأذى عنه:**

ففى الصـحيحيـن عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليـوم الآخـر فـلا يـؤذ جـاره**» ولهـمـا عنـه ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**».

قيل: من يا رسول الله؟.

قال: «**الذى لا يأمن جاره بوائقه**»[1].

أى: لا يأمن شره وخطره.

* ولقد ضرب رسول الله أروع الأمثلة فى كف الأذى عن الجار.

وعن أبى هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسـول الله ﷺ يشكو جاره فقال له: «**اذهب فاصبر**» فأتاه مرتين أو ثلاثًا.

فقال: «**اذهب فاطرح متاعك فى الطريق**».

ففـعل فجـعل الناس يمرون ويسـألونه فيـخبـرهم خبـر جاره فجـعلوا يلعنونه، فعل الله به، وفعل، وبعضهم يدعو عليه فجاء إليه جاره.

فقال: ارجع فإنك لن ترى منى شيئًا تكرهه[2].

*** الحق الخامس: احتمال الأذى:**

وأما خـامس الحقـوق الكبرى فهـو احتـمال الأذى منهم والصـبر على خطئهم والـتغافل عن إسـاءتهم، .... عن أبى ذر ﷺ قال: قـال رسول الله: «**إن الله عـز وجل يحب ثلاثة ويبـغض ثلاثة**»، وذكر فى الثـلاثة الذين

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٥٥٩).

يحبهم: «رجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو موت»(١).

*** الحق السادس: تعظيم حُرمة الجار وصيانة عرضه وعدم خيانته:**

* فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ما تقولون فى الزنا؟».

قالوا: حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ: «لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره».

قال: «ما تقولون فى السرقة؟».

قالوا: حرمها الله ورسوله فهى حرام.

قال: «لأن يسرق الرجلُ من عشرةِ أبيات أيسرُ عليه من أن يسرق من جاره»(٢).

*** الحق السابع: مواساته بالمال إذا احتاج أو افتقر:**

فينبغى له أن يتفقد حال جاره إذا كان محتاجًا، فيعطيه من المال حتى من غير أن يطلب، فذلك من حق المسلم على أخيه، وحق الجار أعظم.

* وحسب المؤمن الذى يتعاون مع جاره الفقير، أن يكون أهلاً لما يشير إليه هذا الحديث الشريف: «المسلم أخو المسلم: لا يَظلمه، ولا يُسلمه، من كان فى حاجة أخيه، كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»(٣).

*** الحق الثامن: مواساته بالطعام ولا سيما إذا كان فقيرًا:**

فليس من حسن الجوار أن يشبع الإنسان وجاره جائع، والنبى ﷺ

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٥٦٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٤٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

يقول: «**ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه**» (١). وكثير من الناس لا يعبأ بجيرانه، فيأتى إلى بيته بالأطايب، ولا يفكر فى جيرانه الفقراء. وهذا لا ينبغى. بل إذا صنع الإنسان طعامًا فينبغى له أن يعطى جاره منه، وذلك توددًا إليه، وتطييبًا لنفسه، وتدعيمًا للمودة، وقد قال ﷺ: «**إذا طبخ أحدكم قدرًا فليكثر مرقها، ثم ليناول جاره منها**» (٢).

*** الحق التاسع: مشاركته فى أفراحه وأحزانه:**

فإذا كان عند جاره مناسبة سارة فينبغى له أن يذهب إليه، وأن يشاركه ويقاسمه فرحه، ما لم يكن فيه معصية. وإذا ألَّت به نازلة فينبغى له أن يحضره، وأن يشاركه ويقاسمه حزنه، ويواسيه بالكلمة الصالحة، ويشد من أزره. وكل هذا من حق المسلم أصلاً على أخيه المسلم، والجار أولى بهذه الحقوق من غيره(٣).

*** الحق العاشر: النصح له، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:**

فقد يرى الجار من جاره منكرًا، أو يراه تاركًا لعمل من أعمال البر، أو نحو ذلك، فيجب عليه أن ينصحه، وأن يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، فإن حقه من ذلك أوكد من حق غيره. وكثير من الناس يرى جاره على معصية ومنكر فلا ينهاه، ولا يأمره بالمعروف. وهذا خيانة للجار، وتفريط فى حقه(٤).

*** الحق الحادى عشر: أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحول عنه:**

فإذا أراد أن ينتقل من داره فليعرضها على جاره قبل غيره، فقد يرغب

(١) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٥/ ٩٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٨٢).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٤/ ٥٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٧٦).

(٣) موسوعة الآداب الإسلامية (ص: ٣٠٠).

(٤) موسوعة الآداب الإسلامية (ص: ٣٠٠).

فى شرائها، وكذلك أى أرض أو عقار، وقد قال ﷺ: **«من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره»**(١)، وهذا أطيب لخاطره ولقلبه.

وإذا فرَّط الناس فى هذا الأمر فإنهم يفتحون بابًا للمشاحنات والمنازعات والعداوات، فالله المستعان.

النبى ﷺ وحق الضيف

ولقد حض النبى ﷺ الأمة كلها على إكرام الضيف من أجل الفوز بثواب إكرام الضيف ومن أجل أن تتآلف قلوب المسلمين.

* **قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته»**، قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: **«يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليك(٢)، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»**(٣).

وقال النبى ﷺ لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: «.....وإن لزورك(٤) عليك حقًّا»(٥).

ويقر النبى ﷺ سلمان الفارسى على قوله لأبى الدرداء: «وإن لضيفك عليك حقًّا»(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣٥٨).

(٢) نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله فتح البارى (١٠/ ٥٤٩) عن الخطابى قوله: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يتحفه ويزيده فى البر على ما بحضرته يومًا وليلة، وفى اليومين الأخيرين يقدم له ما يحضره فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٠١٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤٨) كتاب الإيمان.

(٤) الزور: هو الضيف، يقال: هؤلاء زور.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٩٧٤) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٦) أخرجه الترمذى بإسناد صحيح من حديث أبى جحيفة رضى الله عنه وفيه أن سلمان قال لأبى الدرداء رضى الله عنهما: إن لنفسك عليك حقًّا، ولربك عليك حقًّا، ولضيفك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذى حق حقه، فأتيا النبى ﷺ فذكرا ذلك فقال له: **«صدق سلمان»**. وأصل الحديث عند البخارى (بدون ذكر الضيف) (حديث ١٩٦٨، ٦١٣٩).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه **قال**: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدنى، قال: يارب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانًا مرض فلم تعده؟! أما علمت أنك لو عُدته لوجدتنى عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمنى، قال: يارب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقنى، قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندى»**[1].

*** وحتى الضيف الكافر له حق:**

وذلك لأن أحاديث النبى ﷺ المذكورة من قبل كحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[2]. . . . إلى غير ذلك من الأحاديث ليس فيها التقييد بكون الضيف مسلمًا، بل فيها الإطلاق، وقال عليه الصلاة والسلام: **«فى كل كبد رطبة أجر»**[3]. أما حديث: **«لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى»**[4] فهو محمول على طول الملازمة، فالمصاحبة تقتضى طول الملازمة، فلا ينبغى أن تكثر من مجالسة الفجار ولا الكفار والأشرار ولا ينبغى أن يكونوا من بطانتك ولا من خاصتك.

هذا وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ ضافه ضيف ، وهو كافر، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحُلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٣٦٣) كتاب المساقاة، ومسلم (٢٢٤٤) كتاب السلام.

(٤) **حسن**: رواه أبو داود، والترمذى، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ : بشاة فشرب حلابها، ثم أمر بأخرى فلم يستتمها، فقال رسول الله ﷺ : **«المؤمن يشرب فى معىً واحد، والكافر يشرب فى سبعة أمعاء»**(١).

ولك أن تقبل دعوة الكافر إذا دعاك لطعام وذلك لأن النبى ﷺ دعته يهودية إلى طعام فقبل النبى ﷺ دعوتها(٢)(٣).

النبى ﷺ وحقوق الخدم والعمال

أعز الإسلام الخدم والعمال ورعاهم وكرمهم، واعترف بحقوقهم لأول مرةٍ فى التاريخ قاصداً بذلك إقامة العدالة الاجتماعية وتوفير الحياة الكريمة لهم بعد أن كان العمل فى بعض الشرائع القديمة معناه الرقُّ والتبعية، وفى البعض الآخر معناه المذلة والهوان.

وكانت سيرة رسول الله ﷺ خير شاهد على عظمة النظرة الإسلامية للخدم والعمال، وكانت إقراراً منه ﷺ بحقوقهم، فقد دعا ﷺ أصحاب الأعمال إلى معاملتهم معاملة إنسانية كريمة، وإلى الشفقة عليهم، والبر بهم، وعدم تكليفهم ما لا يطيقون من الأعمال، فقال ﷺ : **«...إخوانكم خَوَلُكُم**(٤)**، جعلهُمُ اللهُ تحت أيديكُم، فمن كان أخُوهُ تحت يده فليُطعمهُ مما يأكُلُ، وليُلبسهُ مما يلبسُ، ولا تُكلفُوهم ما يغلبُهُم، فإن كلفتُمُوهُم فأعينُوهُم»**(٥). فجاء تصريح رسول الله ﷺ : **«إخوانُكمُ خَوَلُكُم»**. ليرتفع بدرجة العامل الخادم إلى درجة الأخ! ولتصبح هذه الضوابط العامة التى

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٦٣) كتاب الأشربة.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٦١٧) كتاب الهبة، ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

(٣) فقه الأخلاق (٢/ ٣٣٥: ٣٣٧).

(٤) خولكم: خدمكم، انظر: ابن حجر العسقلانى: فتح البارى (١/ ١١٥).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٠) كتاب الإيمان، ومسلم (١٦٦١) كتاب الأيمان والنذور.

توفر الحياة الكريمة لبنى الإنسان عمومًا.

وألزم كذلك صاحب العمل أن يُوفى للعامل والخادم أجره المكافئ لجُهده دون ظلم أو مماطلة، فقال ﷺ: **«أعطُوا الأجير أجرهُ قبل أن يجف عرقُهُ»**(١).

وحذر الرسول ﷺ من ظلمهم فقال ﷺ: **«من اقتطع حق امرئ مُسلم بيمينه فقد أوجب الله لهُ النار، وحرم عليه الجنة»**. فقال رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ فقال: **«وإن قضيبًا من أراك»**(٢).

ومن حقهم - أيضًا - أن تُحفظ حقوقهم المالية من الغبن، والظلم، والاستغلال؛ لذلك قال ﷺ في الحديث القدسى عن رب العزة سبحانه وتعالى: **«قال الله تعالى: ثلاثةٌ أنا خصمُهُم يوم القيامة.** - وذكر منهم - **ورجُلٌ استأجر أجيرًا فاستوفى منهُ ولم يُعطِ أجرهُ»**(٣). ليعلم كلٌ من ظلم عاملاً أو خادمًا أن الله رقيبٌ عليه وخصمٌ له يوم القيامة.

كما يجب على صاحب العمل عدم إرهاق العامل إرهاقًا يضرُّ بصحته ويجعله عاجزًا عن العمل، . . . . ولقد قال رسول الله ﷺ في ذلك: **«ما خفَّفت عن خادمك من عمله كان لك أجرًا فى موازينك»**(٤).

ومن الحقوق التى تُعتبر علامة مضيئة فى الشريعة الإسلامية حقُّ الخادم فى التواضع معه، وفى ذلك يُرغب الرسول ﷺ أُمته قائلاً: **«ما استكبر من أكل معهُ خادمُهُ، وركب الحمار بالأسواق، واعتقل الشاة فحلبها»**(٥).

ولأن حياته ﷺ كانت تطبيقًا لكل أقواله، فإن السيدة عائشة رضي الله عنها تروى

---

(١) ابن ماجه، وقال الألبانى: صحيح: انظر: مشكاة المصابيح (٢٩٨٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٣٧) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٢٢٧) كتاب البيوع.

(٤) ابن حبان عن عمرو بن حريث (٤٣١٤)، وأبو يعلى (١٤٧٢) وقال حسين سليم أسد: رجاله ثقات.

(٥) الأدب المفرد للبخارى (٢/ ٣٢١)، وقال الألبانى: حسن، انظر: صحيح الجامع (٥٥٢٧).

فتقول: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قطُّ بيده ولا امرأةً ولا خادمًا. . .»[(١)].

وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ يشهد شهادة حقٍّ وصدق فيقول: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقًا، فأرسلنى يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب - وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به نبىُّ الله ﷺ - قال: فخرجت حتى أَمُر على صبيانٍ وهم يلعبون فى السُّوق، فإذا رسول الله ﷺ قابضٌ بقفاى من ورائى، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «**يا أُنيسُ، اذهب حيثُ أمرتُك**». قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله. قال أنس رضي الله عنه: والله لقد خدمتهُ سبع سنين أو تسع سنين ما علمتُ قال لشىءٍ صنعتُ: لِمَ فعلت كذا وكذا؟ ولا لشىءٍ تركتُ: هلا فعلت كذا وكذا[(٢)].

وكان رسول الله ﷺ يهتمُ برعايةِ خدمه إلى الدرجة التى يحرص فيها على زواجهم. . . فعن ربيعة بن كعب الأسلمى، قال: كنتُ أخدم النبى ﷺ فقال لى النبى ﷺ: «**يا ربيعةُ، ألا تتزوجُ؟**» قال: فقلتُ: لا والله يا رسول الله، ما أريد أن أتزوج؛ ما عندى ما يُقيم المرأة، وما أحبُّ أن يشغلنى عنك شىء. قال: فأعرض عنى، ثم قال لى بعد ذلك: «**يا ربيعةُ، ألا تتزوجُ؟**» قال: فقلتُ: لا والله يا رسول الله، ما أريد أن أتزوج، وما عندى ما يُقيم المرأة، وما أحبُّ أن يشغلنى عنك شىء، فأعرض عنى. وقال: ثم راجعتُ نفسى، فقلتُ: والله يا رسول الله أنت أعلم بما يُصلحنى فى الدنيا والآخرة. قال: وأنا أقول فى نفسى: لئن قال لى الثالثة لأقولن: نعم. قال: فقال لى الثالثة: «**يا ربيعةُ، ألا تتزوجُ؟**» قال: فقلتُ: بلى يا رسول الله، مُرنى بما شئت، أو بما أحببت. قال: «**انطلق إلى آل فُلانٍ**». إلى حىٍّ من الأنصار. . .[(٣)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣١٠) كتاب الفضائل.

(٣) رواه أحمد، والحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطيالسى (١١٧٣).

وقد امتدت رحـمته ﷺ بخَدَمه لتشمل غـير المؤمنين به أصلاً، وذلك كما فعل مع الغلام اليهودى الذى كان يعمل عنده خادمًا، فقد مرض الغلام مرضًا شديدًا، فظل النبى ﷺ يزوره ويتعهده، حتى إذا شارف على الموت عـاده وجلس عند رأسـه، ثم دعـاه إلى الإسـلام، فنظر الغـلام إلى أبيـه متسائلاً، فقال له أبوه: أطِـع أبا القاسم. فأسلم، ثم فاضت رُوحه، فخرج النبى ﷺ وهو يقول: «**الحمدُ لله الذى أنقذهُ من النار**» (١).

هذه بعض حقوق الخدم والعمال التى أصَّلها النبى ﷺ بالقول والعمل في زمن لم يكن يعرف غير الظلم والقهر والاستبداد.

النبى ﷺ وحقوق المرضى وذوى الاحتياجات الخاصة

نظرة الإسلام ورعايتـه للمرضى وذوى الاحتياجـات نظرة خاصة، بداية من تخفيفه عليهم فـى بعض الالتزامات الشرعية، لقول الله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾ (٢)، وانتهاء ببثِّ الأمل فى نفوسهم ومراعاة حقوقهم الجسمانية والنفسية.

فها هو ذا النبى ﷺ كان إذا سمع بمريض أسـرع لعيادته فى بيته، مع كثرة همومه ومشاغله، ولم تكن زيارته هذه مُتكلفة أو اضطرارية، وإنما كان يشعر بواجبه ناحية هذا المريض.. كيف لا؟! وهو الذى جعل زيارة المريض حقًّا من حقوقـه؟! فقال ﷺ: «**حقُّ المُسلم على المُسلم خمسٌ**.. - وذكر منها - **وعيادةُ المريض**...» (٣).

فكان رسول الله ﷺ يهون على المريض أزمـته ومرضه، ويُظهر له - دون تكلُّف - مُواساته له، وحرصـه عليه، وحُبـه له، فيُسعد ذلك المـريض

(١) صحيح:رواه البخارى (١٣٥٦) كتاب الجنائز.

(٢)سورة النور: الآية: (٦١).

(٣) متفق عليه:رواه البخارى (١٢٤٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

وأهله... وفى ذلك يروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول: اشتكى سعد بن عبادة رضي الله عنه شكوى له، فأتاه النبيُّ ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فلما دخل عليه فوجده فى غاشية أهله(١)، فقال: «**قد قَضَى؟**».

قالوا: لا يا رسول الله. فبكى النبى ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبى ﷺ بكوا، فقال: «**ألا تسمعُون؟! إن الله لا يُعذبُ بدمع العين ولا بحزن القلب؛ ولكن يُعذبُ بهذا**(٢) - وأشار إلى لسانه - **أو يرحمُ**»(٣).

كما كان الرسول ﷺ يدعو للمريض ويُبشره بالأجر والمثوبة نتيجة المرض الذى لحق به؛ فيهون بذلك عليه الأمر، ويُرضيه به.

تروى أُمُّ العلاء رضي الله عنها(٤) **فتقول:** عادنى رسول الله ﷺ وأنا مريضة، فقال: «**أبشرى يا أُم العلاء، فإن مرض المُسلم يُذهبُ الله به خطاياه كما تُذهبُ النار خبث الحديد والذهب والفضة**»(٥).

وكان ﷺ حريصًا على أن يخفف عن المريض وألا يشق عليه.

وقد روى فى ذلك جابر بن عبد الله رضي الله عنهما **فقال:** خرجنا فى سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجَّه فى رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لى رخصة فى التيمُّم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء. فاغتسل فمات؛ فلما قدمنا على النبى ﷺ أُخبر بذلك، فقال: «**قتلُوهُ قتلهمُ اللهُ، ألا سألُوا إذ لم يعلمُوا؛ فإنما شفاءُ العى السُّؤالُ، إنما كان**

(١) غاشية أهله: أى الذى يلوذون به ويتكررون عليه. انظر: ابن حجر العسقلانى: فتح البارى (١/ ١٦٢).

(٢) يُعَذِّب بهذا: أى إن قال سُوءًا. أو يَرحمُ: أى إن قال خيرًا. انظر المصدر السابق.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٣٠٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٤) كتاب الجنائز.

(٤) أم العلاء: أسلمت وبايعت النبى ﷺ، وهى أم خارجة بنت زيد بن ثابت. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة (٦/ ٣٨٢)، وابن حجر العسقلانى: الإصابة ترجمة رقم (١٢١٦٨).

(٥) رواه أبو دواد، وقال الألبانى: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٧٨٥١).

يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب على جُرحه خرقةً، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده»(١).

بل إنه ﷺ كان يلبي حاجة المريض ويسير معه حتى يقضي حاجته، ولقد جاءته ذات مرة امرأة في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة. فقال: «**يا أُم فُلانٍ، انظُرِي أي السكك شئتِ؛ حتى أقضي لك حاجتك**». فخلا معها(٢) في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها (٣).

كما جعل النبي ﷺ للمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة الحق في التداوي؛ لأن سلامة البدن ظاهرًا وباطنًا مقصدٌ من مقاصد الإسلام؛ لذلك قال ﷺ للأعراب عندما سألوه عن التداوي: «**تداووا عباد الله، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع لهُ دواءً إلا الهرم...**»(٤). كذلك لم يكن يمانع أن تعالج المرأةُ المسلمة رجلاً من المسلمين؛ حيث جعل ﷺ رُفيدة - وهي امرأة من قبيلة أسلم - تُعالج سعد بن معاذ رضي الله عنه حين أصابه سهمٌ بالخندق، وكانت رضي الله عنها تداوي الجرحى، وتحتسبُ بنفسها على خدمة من كانت به ضيعةٌ من المسلمين(٥).

ثم ها هو ﷺ يتعامل مع عمرو بن الجموح رضي الله عنه تعاملاً راقيًا؛ رغم

---

(١) رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، والدارمي، وصححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود (٣٢٥).

(٢) أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية؛ فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها؛ لأن مسألتها مما لا يظهره. انظر: النووي: المنهاج (١٥/ ٨٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٢٦) كتاب الفضائل.

(٤) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه، وأحمد، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين. . ، وقال الألباني: صحيح. انظر: غاية المرام (٢٩٢).

(٥) البخاري: الأدب المفرد (١/ ٣٨٥)، وابن هشام: السيرة النبوية (٢/ ٢٣٩)، وابن كثير: السيرة النبوية (٣/ ٢٣٣).

كونه من ذوى الاحتياجات الخاصة، إلا أن ذلك لم يكن مانعًا له من وصوله إلى أعلى درجات التكريم؛ لـهمته العـالية، وبذله الواسع فى سـبيل الله، وكان عمـرو بن الجموح رجلاً أعـرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة - مثل الأُسـد - يشهـدون المشاهد مع رسـول الله ﷺ فلما كـان يوم أُحد أرادوا حـبسـه فأتى عـمرو بن الجـموح رسـول الله ﷺ فقـال: إن بَـنِّى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة. فقال رسـول الله ﷺ مخاطبًا عَمرًا رضي الله عنه: **«أما أنت فقد عـذرك الله فلا جهاد عليك»**. وقال لبنيه: **«ما عليكم ألا تمنعُوهُ، لعل اللهُ يرزقـه شهـادةً»**. فخـرج مع النبى ﷺ فقُـتل يوم أُحُد، ثم قال ﷺ عنه: **«والذى نفسى بيده! إن منكُم من لو أقسم على الله لأبَرَّهُ، منهُم: عمرُو بن الجمُوح، ولقد رأيتُهُ يطأُ فى الجنة بعرجته»**[١].

فكان ﷺ قـدوة وأسـوة لـلمـسلمـين فى تعـامـله مع المرضى وذوى الاحتياجات الخاصة... لذلك قال عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه: «إنا - والله - قد صحـبنا رسول الله ﷺ فى السفـر والحضر، وكان يعود مـرضانا ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»[٢][٣].

النبى ﷺ وحق الطريق

* الطريق .. هو المكان الـعام الذى يتـقـابل فـيـه الناس .. فيـشـمل السوق.. وغيره وقد اهتم الإسـلام الحنيف بالطريق ... حتى جعل إماطة الأذى عنه شُـعبـة من شُـعب الإيمان .. فـقال النبى الكريـم عليه الصـلاة

(١) ابن حـبان، وقـال شعـيب الأرناؤوط: إسناده جيـد، وابن سيـد الناس: عيـون الأثر (١/ ٤٢٣)، والصالحى الشامى: سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد (٤/ ٢١٤).

(٢) أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٣) أسوة للعالمين / د. راغب السرجانى (ص٨١-٨٦) بتصرف.

والسلام: «**الإسلام بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»(١) بل إنه جعل إماطة الأذى عنه صدقة من الصدقات . .

قال رسول الله ﷺ: «**كل سُلامَى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل فى دابته، فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة**»(٢) .

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه مَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَجَالِسنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «**إِنْ أَبَيْتُمْ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: «**غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلامِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ**»(٣) .

وهذه الحقوق ليست من باب الحصر، وإنما هى بعضها، وقد بيَّنت أحاديث أُخر حقوقًا للطريق غير هذه، فعُلم أن المذكورات التى فى الحديث ليست من باب الحصر.

*** الحق الأول: غض البصر:**

قال تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ. . . .** ﴾(٤) .

وقال ﷺ: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة:**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٥) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٠٧) كتاب الصلح، ومسلم (١٠٠٩) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٢١١) كتاب الحج.

(٤) سورة النور: الآيتان: (٣٠-٣١).

العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»(١) .

*** الحق الثانى: كف الأذى:**

ومن حقوق الطريق، كف الأذى وعدم إيذاء الناس فى أبدانهم أو أعراضهم. . وفى الحديث الذى رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبى ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده...**»(٢) .

*** الحق الثالث: رد السلام:**

ومن حقوق الطريق: رد السلام، وهو واجب لقوله ﷺ فى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : «**خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز**»(٣) .

*** الحق الرابع: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:**

*** عَنْ أَبِى سَعِيد الْخُدْرِىِّ رضي الله عنه قَالَ:** سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ **يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلسَانِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه وَذَلكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»**(٤) .

*** وعَنْ ابْنِ مَسْعُود رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِىٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِى أُمَّة قَبْلِى إلا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّته حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِه وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِه، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٦١٢) كتاب القدر، ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٠) كتاب الإيمان.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٢٤٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٤٩) كتاب الإيمان.

بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(١).

* **الحق الخامس: هداية السبيل**

لحديث أبى ذر الغفارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ أبواب الخير لكثيرة: التسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتُسمع الأصم، وتهدى الأعمى، وتدل المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك»(٢).

* **الحق السادس: إماطة الأذى عن الطريق:**

فإن ذلك من شُعب الإيمان، كما قال ﷺ : «**الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ....**» (٣) .

وقد ورد بيان عظيم الأجر لمن أماط الأذى عن طريق المسلمين حتى لا يؤذيهم، فقد قال ﷺ : «**مرَّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحينَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم. فأدخل الجنة**»(٤)، وقال ﷺ : «**لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى الناس**»(٥) .

* **الحق السابع: عدم قضاء الحاجة فى طريق الناس:**

فقضاء الحاجة فى قارعة الطريق مما عمَّت به البلوى.

ولقد نهى النبى ﷺ عن ذلك.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٠) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٩٧٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٥) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤) كتاب الآذان، ومسلم (١٩١٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٩١٤) كتاب البر والصلة الآداب.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قـال: «اتقـوا اللاعنين»، قالـوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: **«الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم»**(١).

قال الخطابى: المراد باللاعنين: الأمـران الجالبان للعن، الحـاملان الناس عليه والداعيـان إليه وذلك أن مَن فعلهما لُعن وشُـتم يعنى عادة الناس لعنه فلما صارا سببًا أسند اللعن إليهما.

وعن أبى سعـيد الحـميرى عن مـعاذ بن جـبل رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه: **«اتقوا الملاعن الثلاث البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل»** (٢).

*** الحق الثامن: المحافظة على نظافة الطريق:**

وذلك يكون بعـدم إلقاء النفـايات، والأوساخ، والنجاسـات فى ممرات الناس ومجالسهم وتجنب البول والغائط فى الطرقات، والأماكن العامة.

وكـذلك رفع الأطعمـة وفتـات الخبـز عن قـارعة الطريق . . . وإبعـاد الأوراق التى كـتب فـيهـا أسـماء كـريمـة، أو كلمات قـرآنيـة عن ممرات الناس. . . ولا مانع من حرقها لصونها من العبث.

* * *

(١) صحيح:رواه مسلم (٢٦٩) كتاب الطهارة.

(٢) حسن:رواه أبو داود، وابن ماجه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى إرواء الغليل (٦٢).

عناية النبي ﷺ بالأمة

عناية النبى ﷺ بالأمة (١)

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

فلقد وضع النبى ﷺ لأصحابه ولأمته من بعدهم منهجًا تربويًّا لتتربى عليه الأجيال كلها جيلاً بعد جيل.

* وها هى باقة عطرة من ملامح هذا المنهج التربوى الذى وضعه النبى ﷺ لتربية أصحابه وأمته من بعدهم:

(أ) عنايته ﷺ بالتربية الإيمانية

والمقصود بالتربية الإيمانية تنمية ما زيَّن الله تعالى به القلوب من حب الإيمان وتذوُّق حلاوته حتى يفيض ذلك على الجوارح نورًا وتوفيقًا، وهدايةً وتطبيقًا، ومن هذه العناية ما يلى:

١- كان ﷺ يُعلم أصحابه الأدب مع الله:

والمسلم ما كان مسلمًا ولا استحق هذا الاسم إلا بتأدُّبه مع الله سبحانه وتعالى؛ لأن الأدب مع الله عز وجل يفيض على النفس خضوعًا وإذعانًا وانتظامًا، وتوقيرًا لله وإجلالاً وإعظامًا، . . وأعظم أدب مع الله سبحانه

(١) بتصرف من كتاب (رسالة محمد ﷺ نور أضاء على العالم) للشيخ جمال عبد الرحمن (حفظه الله).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

وتعالى إفراده بالتوحيد والعبادة، بذلك أُمرنا، وعلى ذلك أُجرنا: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾(١).

٢- ويعلمهم ﷺ العبودية لله وحده:

لأن هذا هو حق التوحيد، . . . وقد قال جل وعلا: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فكلَّمه فى بعض الأمر فقال: ما شاء الله وشئت، فقال النبى ﷺ: «**أجعلتنى مع الله عدلاً**»؟. وفى رواية: «**ندًّا؟ قل ما شاء الله وحده**»(٣).

٣- ويعلمهم ﷺ اللجوء إلى الله سبحانه وقت الشدة:

فلما شكا إليه عثمان بن أبى العاص تسلُّط الشيطان عليه فى صلاته ووسوسته له فيها، فقال له: «**تعوَّذ بالله منه**». ففعل فأذهبه الله عنه.

٤- ويعرفهم ﷺ أنهم سيرون ربهم يوم القيامة ويكلمونه بلا ترجمان:

لأنه ليس شىء أحب وأمتع إلى أهل الجنة من رؤية ربهم وخالقهم؛ لأن كل مخلوق فى الجنة عظيم وجليل، والله تعالى أعظم من ذلك وأجلّ، لأنه وحده خالق الجمال وصانع العظمة.

عن صهيب رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة؛ يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون ألم تُبيض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيُكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل». ثم تلا هذه الآية: «﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٤)»(٥).

---

(١) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٢) سورة النحل: الآية: (٢).

(٣) صحيح: سنن النسائى الكبرى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (ح١٣٩).

(٤) سورة يونس: الآية: (٢٦).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٨١) كتاب الإيمان.

وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ : «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه تُرجمان ولا حجاب يحجبه**»(١) .

٥- ويعرفهم ﷺ بما يحدث للأموات فى البرزخ:

يكفى فى بيان فظاعة القبر ما قاله ﷺ : «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**»(٢) .

وقال : «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» . مرتين أو ثلاثًا(٣) .

٦- ويوضح لهم ﷺ أن من الموحدين من سيدخل النار بذنوبه، ثم يُخرجه إلى الجنة توحيده:

وذلك ليبشـر أهل التوحيد بالمصـير إلى الجنة، فمن مات لا يشرك بالله شيـئًا دخل الجنة، وفى نفس الوقت لينذر الذين أهملوا؛ فـتركـوا طاعات وركبوا خطيئات، لكى يتداركوا ما فات، وليصدق قول الله تعالى فى النبى ﷺ : ﴿شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾(٤) .

٧- ويعلمهم ﷺ حب الله ورسوله:

وذلك ليجـدوا حلاوة الإيمـان فى قلوبهم، لأن الله سبـحانه هو الذى تفضل عليهم فحبَّب إليهم الإيمان وزيَّنه فى القلوب.

قال ﷺ : « **ثلاث من كن فيـه وجد حلاوة الإيمـان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحـبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يُقذف فى النار**»(٥) .

٨- كما يعلمهم ﷺ أن يحبوا لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم:

فهذه علامة الإيمان وعلامة الحب فى الله، والإيثار ونبذ الشح .

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٧٤٤٣) كتاب التوحيد.

(٢) **حسن**: رواه الترمذى، وابن ماجه، وأحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٢٣).

(٣) **صحيح**: سنن أبى داود، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود.

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٤٥).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٦) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

٩- ويعرفهم ﷺ بأن الإيمان أحب العمل إلى الله تعالى:

وهل يسع المرء ألا يفعل ما يحبه ربه؟ بل أحب الأعمال إليه؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه **قال**: سُئل النبى ﷺ : أى الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**». قيل ثم ماذا؟ قال: «**جهاد فى سبيل الله**». قيل ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»[٢].

١٠- ويبين لهم ﷺ أعمال الإيمان وحلاوته:

وذلك ليعملوا بها فينالوا القرب من ربهم ويشملهم الله برحمته ورضوانه.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[٣].

١١- ويعلمهم ﷺ وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

وأنه من شُعَب الإيمان، فلا حياة لأمة لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر، وما استحقت الأمة الخيرية إلا به. قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٤].

قال أبو سعيد رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[٥].

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦) كتاب الإيمان، ومسلم (٨٣) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٩) كتاب الإيمان، ومسلم (٣٥) كتاب الإيمان.

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٤٩) كتاب الإيمان.

١٢- وكذلك يبين لهم النبى ﷺ أن من الإيمان النصح لكل مسلم:

فالنصيحة علامة إيمانٍ ودين وحب، والمؤمنون نَصَحة، والمنافقون غَشَشة.

عن جرير رضي الله عنه **قال:** «بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة والنُّصح لكل مسلم»(١).

١٣- وأن من الإيمان أيضًا حب الأنصار وحب عليّ رضي الله عنه:

عن علي رضي الله عنه قال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى ﷺ إليَّ أن: «**لا يحبنى إلا مؤمن، ولا يبغضنى إلا منافق**»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ : «**آية المنافق بغض الأنصار وآية المؤمن حب الأنصار**»(٣).

١٤- ويعلمهم ﷺ الأمانة وردِّ الأمانات إلى أهلها:

فردُّ الأمانات دليل عفة وشهامة وكرم ورجولة، والمؤمن لا يخون الله والرسول أبدًا، ولا يخون أماناته وهو يعلم.. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾(٤).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تَخُن مَن خانك**»(٥).

وعن أنس رضي الله عنه **قال:** ما خطبنا نبى الله ﷺ إلا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٥٧) كتاب البيوع، ومسلم (٥٦) الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٨) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٤) كتاب الإيمان.

(٤) سورة النساء: الآية: (٥٨).

(٥) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود.

(٦) مسند أحمد بن حنبل (١٢٤٠٦). وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبى هلال فقد روى له أصحاب السنن.

١٥- ويبين لهم ﷺ أن المعاصى تنقص الإيمان وتدخل النار إن شاء الله:

وذلك ليحافظ المرء على علاقته بربه ويتجنب أسباب سخطه جل وعلا، وليظل مقام العبد عند ربه محمودًا.

١٦- وينفى ﷺ الإيمان عن المتلبس بالمعصية حتى يدعها:

فليحذر أهل المعاصى أن يفاجئهم الموت حال عصيانهم، فإنما الأعمال بالخواتيم... فاللهم سلِّم سلِّم.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»**(١).

١٧- كما ينفى ﷺ الانتساب إلى أهل الإيمان زجرًا لمن عمل أنواعًا من المعاصى:

كحمل السلاح على المسلمين؛ وغشهم، ومن ضرب الخدود وشقَّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية، فمن فعل ذلك كله فليس منا.

كقوله ﷺ: **«ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب»**. إلخ.

١٨- ويطلق ﷺ اسم الكفر على بعض الأعمال لتنفيرهم منها:

ألا يردع المسلم ويزجره عن فعل هذه المعاصى أن سمَّاها الله ورسوله كفرًا؟ كتكفيرهم بعضهم بعضًا، والادعاء لغير الأب مع العلم، ومنها الاقتتال فيما بينهم، والطعن فى الأنساب، والنياحة على الميت، ونسبة الأمطار والزلازل إلى الطبيعة.

عن عبد الله أن النبى ﷺ قال: **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**(٢).

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٤٨) كتاب الإيمان.

١٩- ويخوفهم ﷺ من إيمان المستهترين والمسوفين:

فالساعة تأتى بغتة، وإذا جاءت ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾(١)، وأقرب من الساعة أجل الإنسان فهو مُدركه وملاقيه، وعندها أيضًا لا تنفع التوبة لمن جاءه الموت فقال: ﴿إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾(٢).

٢٠- وينفرهم ﷺ عما يحبط إيمانهم وأعمالهم وهو الشرك:

فالشرك أضر على العمل من الخل فى إفساد العسل، فهو مُحبط العمل ومُفسده ومُفنيه، وعلى العاقل أن يحافظ على عمله وجهده وتعبه.

٢١- ويبين لهم أن خلط الإيمان بالشرك يضيع الأمن فى الدنيا والآخرة:

فإذا سُئلت عن الشرك فقل ينسف الأعمال نسفًا... قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٣).

٢٢- ويحذرهم ﷺ من الموت على الشرك:

والأخطر من كل ما سبق أن يموت المرء على الشرك؛ لأنه بذلك خسر كل شىء ولا أمل فى المغفرة أبدًا، ولأن الله تعالى يوم القيامة لا يغفر لمشرك أبدًا... قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(٤)، وقال ﷺ: **«من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة؛ ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»**(٥).

٢٣- ويبين لهم ﷺ أن الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون:

فهذه مكافأة مستحقة لأهل الإيمان؛ لأنه لا شىء أعظم من الإيمان بالله ورسوله... فاللهم ثبتنا على الإيمان، وارزقنا الجنة.

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥٨).
(٢) سورة النساء: الآية: (١٨).
(٣) سورة الأنعام: الآية: (٨٢).
(٤) سورة النساء: الآية: (٤٨).
(٥) صحيح: رواه مسلم (٩٣) كتاب الإيمان.

٢٤- ويعلمهم ﷺ أن ينسبوا الفضل فى النعم إلى الله تعالى:

كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾(١) ، ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾(٢).

٢٥- ويعلمهم ﷺ أن يكونوا فى ذمة الله:

وذلك يتحقق بصلاة الصبح فى جماعة... فاحذر أن تؤذى من كان فى ذمة الله، فالله عز وجل يطلبك من ذمته.

٢٦- ويحذرهم ﷺ من الفتن ومما يخيفهم ويتهددهم ويحذرهم فتنة الدجال:

وهذا أيضًا مما ندين لرسولنا ﷺ به حبًّا وطاعة وتوقيراً وهو يحذرنا من الفتن لأنها شرٌّ مستطير، إذا كثرت فلا تُبقى ولا تَذر. كما يبين لهم تأثير الفتن على القلب وأنها تفسده.

٢٧- ويبشرهم ﷺ أن الإسلام يهدم ما قبله من الذنوب:

بمعنى زوال الذنوب ومحوها عمن تاب وأناب وأسلم وحَسُن إسلامه، وأن من آمن بالله ينفعه صالح عمله أيام جاهليته.

٢٨- ويزيل ﷺ من أنفسهم ما أشكل عليهم فى فهم الإيمان:

مثل الخواطر الشيطانية التى يقذفها الشيطان فى قلوبهم من الوسوسة، فبيَّن لهم أن من حدث معه شىء من ذلك فليستعذ بالله ولينتهِ عن الاسترسال فى محادثة الشيطان.

٢٩- ويبشر الغرباء حال غربتهم وغربة دينهم:

وهى بشرى بالجنة والكرامة لمن صبر على الغربة وقبض على دينه، فقد «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**».

---

(١) سورة النحل: الآية: (٥٣).

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٢).

٣٠- ويخوفهم ﷺ من عذاب الله تعالى:

ويعرض عليهم صوراً من عذاب العصاة فى النار، كما يخوفهم من طول يوم القيامة وأهواله مبينًا لهم منزلته ﷺ يومئذ.

٣١- ويعلمهم ﷺ أن من لم يؤمن به بعد سماعه به كفر بالله كاليهود والنصارى وغيرهم.

٣٢- ويبشرهم ﷺ بحفظ الله تعالى طائفة منهج الإيمان.

حتى ينزل فيهم عيسى ابن مريم فيحكم فى الناس بالإسلام أربعين سنة ثم يموت عليه السلام ويدفنه المسلمون.

٣٣- ويحافظ ﷺ على جماعتهم:

فيحذرهم التنازع الذى يؤدى إلى الفشل وذهاب الريح.

٣٤- ويربيهم ﷺ على الثبات على الإيمان.

وذلك بالصبر على البلاء. كما يربى الدعاة على عظم المهمة، ليتحملوا الأمانة والمسئولية دون تقصير.

٣٥- ويُعلم الدعاة استخراج حظ الشيطان وتعلم الحكمة والإيمان:

وذلك فى حديثه عن شق صدره واستخراج حظ الشيطان منه.

٣٦- ويُدخل ﷺ السرور إلى نفوسهم بتشبيههم بالصالحين، ويتواضع جم يحدثهم عن نفسه ليتألفهم ويتودد إليهم ﷺ.

٣٧- ويعلمهم ﷺ أن أمر الله ورسوله على الفور لا خيرة فيه ولا تراخ عنه، ويوجههم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة عند فساد الأمراء.

٣٨- ويعلمهم ﷺ الاسترجاع عند المصائب.

لأن المصيبة الشديدة ستكون الموت الذى هو رجوع إلى الله الحى، والاسترجاع هو أن يقولوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

٣٩- ويوصيهم ﷺ بما ينفعهم ويدعو لهم ويعلمهم أدب الدعاء.

(ب) عنايته ﷺ بالجانب العبادى والتعليمى فى التربية

والعبادة التى خلق الله لها الخلق، وأخذ عليهم بها الميثاق، وأرسل بها رسله وأنزل بها كتبه ولأجلها خُلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار: هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. . . ولذلك:

١- كان ﷺ يُرغب أصحابه فى القرآن الكريم؛ لأنه خير لهم من الدنيا وما فيها، «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[١].

٢- ويرغبهم ﷺ فى فعل الحسنات، ويعلمهم فعل الخيرات والاجتهاد فى الدعاء. «**أوصانى خليلى بثلاث ما أنا بتاركهن حتى أموت**»[٢].

٣- ويحثهم ﷺ على قيام الليل ويقول: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم**»[٣].

٤- ويدلهم على ما يصلحهم دنيا وآخرة كالتحاب فى الله، وإسباغ الوضوء وكثرة الخُطا إلى المساجد.

٥- ويرشدهم ﷺ إلى الفائدة العظيمة لذكر الله تعالى: كما فى حديث أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أُنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير من إنفاق الذهب والورِق (الفضة)، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى، قال: «**ذكر الله**».

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (١١٧٨) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٢١) كتاب صلاة المسافرين.

(٣) **حسن**: رواه الحاكم وصححه (١١٥٦)، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٦٢٤).

قال معاذ بن جبل: ما شىء أنجى من عذاب الله من ذكر الله[١].

٦- ويكون ﷺ لهم كالوالد معلمًا. نعم ليس محمد ﷺ أبا أحد من رجالنا، لكنه كالوالد فى حنانه ومسئوليته عن الأمة.

قال ﷺ: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه**»[٢].

٧- ويحذرهم من الجهل وعواقبه، ولذلك فرض عليهم العلم الشرعى فقال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[٣].

٨- ويفسر لهم ما أشكل عليهم فهمه وتفسيره، وهذا وارد كثيرًا، فهو المرجع والمعلم والرسول ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ**﴾[٤].

٩- ويعلمهم ﷺ آداب الذبح: كما فى حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: خصلتان سمعتهما من رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شىء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحدّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته**»[٥].

١٠- ويصحح ﷺ لهم المفاهيم؛ كمن نذر أن يتصدق بما لا يملك أو نذر أن يقف فى الشمس طول النهار. إلخ.

* * *

(١) **صحيح**: رواه الترمذى، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٤٩٣).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٣٤٦).

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩١٤) عن أنس.

(٤) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٩٥).

(ج) العناية بالجانب العاطفى والنفسى

العاطفة الإنسانية جزء فعَّال للتأثير فى صاحبها، ومراعاة هذا الجانب للتأثير فى الناس إلى جانب الخير مَطلبٌ شرعى. وكان رسولنا ﷺ قدوة فى ذلك، وقدرة على التأثير لاستثمار الجانب العاطفى لدى أصحابه فها هو ﷺ :

١- ينسبهم إليه إذا رأى جميل فعالهم. فيقول ﷺ : «**فلان منى وأنا منه**».

٢- ويعفو عن العظائم ليَسْلَم أصحابه.. فليس هدف النبى ﷺ عقوبة الناس ومجازاتهم وإنما هدفه أن يُسلموا لله رب العالمين، فتُعتَق رقابهم من النار، فمن كان على الشرك وتاب منه، تاب الله عليه، ولذلك كان يقول فى مثل هذه الحالات: «**الحمد لله الذى نجَّاه بى من النار**».

٣- ويحرص ﷺ على سلامتهم وما ينفعهم، فكان إذا أفزعهم شىء كان أسبقهم لاستجلاء خبره، يفديهم بروحه وبنفسه ﷺ .

٤- ويرحم ﷺ ضعيفهم ويُشبع جائعهم.

٥- ويقضى عنهم ديونهم. فهو الذى قال: «**من توفى وعليه دَينٌ فعلىَّ قضاؤه. ومن ترك مالاً فلورثته**»[(١)] .

٦- ويقرب بين الأرحام وينشر المودة بينهم ويدعو لهم.

٧- ويرفق ﷺ بالعبد المملوك، فيبين أن للمملوك طعامه وكسوته ولا يُكلَّف إلا ما يطيق، فإذا كلفوهم فليعينوهم، ولا يعذبوهم.

٨- ويجلس ﷺ معهم جلسة جماعية لتفقُّد السلوكيات، وذلك

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٩٧) كتاب الحوالات، ومسلم (١٦١٩) كتاب الفرائض.

لتحفيزهم وغرس روح المنافسة فى الصالحات.

٩- وينهاهم ﷺ عن استحلال أموالهم بينهم، كبيع الثمر قبل بدو صلاحه، لأنه ربما منع الله الثمرة فكيف يستحل الرجل مال أخيه؟

١٠- ويحثهم ﷺ على نفع الناس؛ وذلك بتبشيرهم بأن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس.

١١- ويعرفهم ﷺ بخيارهم من شرارهم ليفعلوا فعل الأخيار ويجتنبوا فعل الأشرار وعملهم.

١٢- ويأمرهم ﷺ برحمة الوالدين مبينًا لهم جزاء برهم، فالوالدان أوسط أبواب الجنة فمن شاء فليحفظ أو فليضيع.

١٣- ويبين لهم ﷺ منزلة الإصلاح بين الناس، فيخبر أن أجرها أعظم من درجة الصلاة والصيام والصدقة.

١٤- ولا يبيت عنده ﷺ المال حتى يقسمه عليهم، فالمال زينة وشهوة، فكان يُؤْثِرهم بما تشتهيه أنفسهم.

١٥- ويتفقد ﷺ أحوالهم، ويسأل عنهم إذا غابوا، وكان يُرى ذلك أكثر شيء عند صلاة الجماعة لكثرة حرصهم عليها، رضوان الله عليهم. فكان يعرف غياب أحدهم ولو عن صلاة واحدة.

١٦- ويربيهم ﷺ على رحمة عباد الله؛ لأن من لا يرحم الناس لا يرحمه رب الناس.. ويعلمهم الرفق بالناس، لأن الرفق زينة الأشياء، والعنف شينها.

١٧- ويبين ﷺ لهم حقوق الأزواج؛ حتى تستقيم الحياة الزوجية التى لا يصلح لها أبدًا شيء غير الهدى النبوى.

١٨- ويشفق ﷺ على المذنبين منهم، من ذلك فقد منع الناس أن يلعنوا العاصى حتى لا يعينوا الشيطان عليه فيكره إخوانه المسلمين، وربما تمادى فى غَـيِّه وضلاله.

١٩- ويرشـدهم ﷺ بالعبـارة الرقيـقة، خـاصة عند تعليم الجـاهل والمخطئ، فكان يبادرهم بالحكمة، وبالكلمة الطيبة الحـانية يرفع معنوياتهم، ويتجاوز عن عثراتهم.

٢٠- ويقلل ﷺ من عـتابهم، وبعد عـتابه إياهم يبشـرهم بتوبة الله عليهم، . . فإقالة العثرة وغفران الزلة أمر مطلوب ليستعيد المسلم علاقته بربه عز وجل.

٢١- ويجير على جـوارهم ويرفع الحرج عنهم، كيف لا وهو القائل: «**المسلمون على شروطهم**».

وقال ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم**»[١].

٢٢- ويعتذر ﷺ لمن دَعى عليهم ويسترضيهم، يظهر ذلك فى قوله: «**اللهم إنى أتخـذ عندك عـهداً لا تُخلفنيـه، فإنما أنـا بشر، فأى المؤمنـين آذيته أو سببتـه، أو لعنته أو جلدته؛ فـاجعلهـا له زكاة وصلاة وقُـربة تقربه بهـا إليك يوم القيامة**»[٢].

٢٣- ويخاف عليهم ﷺ من الشرور، ويقضى بينهم عند التنازع.

٢٤- ويوصيهم ﷺ بما فيه الخيـر لهم؛ كالالتفات حول أُمرائهم وإن قصروا، والسمع والطاعة فى المعروف.

٢٥- ويبشـرهم ﷺ بما عرفـه من خير لهم مـثل الجنة ومنازلهم عند الله سبحانه.

٢٦- وينبههم ﷺ على المنجيات والمهلكات، ويبكى حنانًا عليهم.

٢٧- ويبث فيهم الثقة والأمل بانتصار الإسلام، (عليه الصلاة والسلام).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧١٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٠١) كتاب البر والصلة.

(د) عناية النبى ﷺ بالجانب الشخصى (بناء الشخصية) عند أصحابه المؤمنين

١- كان ﷺ ينهاهم عن قول ما ليس لهم به علم، وعن التدخل فيما لا يعنيهم.

٢- ويعلمهم ﷺ طريقة التفكير والاجتهاد: مثلما استأذنه رجل أن يبيع الخمر بعدما حُرمت حيث أنه كان قد اشتراها بمال يتيم، فقال ﷺ: «**قاتل الله اليهود، لما حرم الله عليهم الشحوم جملوها ثم باعوها فأكلوا أثمانها**»(١).

٣- ويحرك ﷺ أفكارهم بالأسئلة الهامة كما سألهم بعد عودتهم من الحبشة فقال: «**ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟**».

٤- ويحذرهم ﷺ من اتِّباع العصاة؛ لأن فى اتباعهم الضلال والانحلال، وأن الهداية فى اتباعه ﷺ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾(٢)، ﴿**وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾(٣).

٥- ويعرفهم ﷺ بداء الأمم، وهو الحسد والبغضاء التى تَحلِق الدين.

٦- ولا غضاضة أن يبث إليهم همومه ﷺ، فكثيراً ما كانوا يرونه يبكى فيسألونه فيخبرهم عما أبكاه وأحزنه وأهمَّه.

٧- ويعلمهم ﷺ الولاء لأهل الإسلام، وذلك بالحب فى الله والبغض من أجل الله، والعطاء والمنع من أجله أيضاً.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٩١).

(٢) سورة النساء: الآية: (٣١).

(٣) سورة النور: الآية: (٥٤).

٨- كما يعلمهم ﷺ كيف يكونون عند الفتن. . فالفتن تعصف بالأمة، وتدع الحليم حيرانًا، وتهز أمن الناس واستقرارهم.

٩- ويزهدهم فى الدنيا بضرب الأمثال، مثلما ضرب للدنيا مثلاً بالجدى الميت الأسكّ، فكان هينًا عليهم، فأخبرهم أن الدنيا أهون على الله من هوان الجدى عليهم.

١٠- ويرغبهم ﷺ فى الصبر على البلاء؛ لأن الصبر من أعظم ما يوصل إلى الدرجات والمنازل العُلى.

١١- ويبين لهم ﷺ منزلة الدفاع عن النفس، فمن قاتل فقُتل دون ماله وعِرضه فهو شهيد.

١٢- ويدربهم ﷺ على الشجاعة والمغامرات، وقد حدث شىء من هذا يوم صحب الزبير معه حين وفد على الجن فى ديارهم يدعوهم إلى الله عز وجل.

١٣- ويوفِّى إليهم ﷺ بما وعدهم به، ويفرح لما فيه صلاحهم، فهو الذى علمنا ﷺ أن المرء لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

١٤- ويصبر عليهم ﷺ ويطيب خواطرهم، ويرضيهم ويعدل بينهم، كما حدث مع الأنصار عند تقسيم غنائم حنين، وكما صبر على الليثيين وكان لهم قصاص، فكان كلما أرضاهم يعودون غير راضين، فمازال يعطيهم ويرضيهم حتى قالوا: رضينا.

١٥- ويستأذنهم ﷺ فيما هو من حقوقهم، ومن أعظم ذلك أنه استأذن عائشة رضي الله عنها فى ليلتها أن تتركه يقوم لربه تلك الليلة، وكما استاذن نساءه وهو مريض أن يُمرَّض فى بيت عائشة فأذنَّ له:

١٦- ويجد المظلومون عنده السلوى والعزاء، حتى إنه لينصف المتضررة من زوجها، وينصفهم من نفسه ﷺ.

١٧- ويواسى أهل المصائب كما واسى عثمان وقد كان حزينًا لوفاة زوجته رقية رضي الله عنها ابنة رسول الله ﷺ ، فواساه بتزويجه من أختها أم كلثوم رضي الله عنها.

١٨- ويشجع ﷺ مواهبهم، فكان ﷺ يثنى على من قال خيراً، أو دعا إلى خير.

١٩- ويحذرهم ﷺ من العجز عن أمور مهمة منها:

أ- طرد الشيطان عند إتيان الأهل؛ وذلك بذكر الله عز وجل ودعائه.

ب- فعل السنن الرواتب.

جـ- كف الأذى والخروج من الفتن.

د- العفة وتجنُّب سؤال الناس.

هـ- ترك الضحك على الناس وإحراجهم.

(هـ) عناية النبى ﷺ بالجانب الأخلاقى

كان النبى ﷺ يعتنى بتربية أصحـابه على الأخلاق الكريمة والشمائل العظيمة، كيف لا وهو صاحب الخلق الكريم، المُزكّى من لَدُن حكيمٍ عليم. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

* **ولذلك كان ﷺ حريصًا على أن:**

١-يعلم أصحـابه آداب الأخوة، ويبـين حقـوق المسلم على أخيـه من تعظيم حرمته، وعدم تتبع عورته وعدم إيذائه باللسان أو اليد، كذلك عيادته إذا مرض واتباعه إذا مات، وتشميته إذا عطس فحمد الله، وإجابته إذا دعاه، ونصحه إذا استنصحه.

(١) سورة القلم: الآية: (٤).

٢- ويعلمهم ﷺ الإحسان إلى الناس ليُسلموا؛ لأن هذا من الخلق الحسن الذى به تتألف القلوب.

٣- كما يعلمهم حسن التقاضى، وذلك أن يكون بالمعروف وبدون رفع الصوت وإحراج الناس.

٤- ويكتفى بالتأنيب إذا أراد التأديب؛ لأنه لم يكن فظًّا ولا غليظًا ﷺ.

٥- وينهى ﷺ الخلاف بعدل وإنصاف.

٦- ويعلمهم ﷺ منزلة الخلق العظيم عند الله، .. فصاحبه أقرب الناس مجلسًا منه ﷺ يوم القيامة.

٧- ويحثهم ﷺ على إصلاح ذات البين، لقول الله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾[1]، فقال لهم ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟**» قالوا: بلى، قال: «**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هى الحالقة**»[2].

* * *

(١) سورة الأنفال: الآية: (١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٧٥٤٨) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٩٥).

حقوق النبى صلى الله عليه وسلم على أمته

حقوق النبى ﷺ على أمته

إن للحبيب ﷺ حقوقًا على أمته لا تُعد ولا تُحصى ومن بينها:

(١) الإيمان به ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١).

ويقول القاضى عياض -رحمه الله تعالى-: «والإيمان به ﷺ هو تصديق بنبوته ورسالة الله تعالى له وتصديقه فى جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك. بشهادة اللسان بأنه رسول الله ﷺ. فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان. تم الإيمان به عليه الصلاة والسلام والتصديق له»(٢).

وقال ﷺ فى الحديث الصحيح: «والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى أو نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(٣).

وقوله ﷺ: «لا يسمع بى أحد من هذه الأمة»، أى ممن هو موجود فى زمنى وبعدى إلى يوم القيامة فكلهم يجب عليه الدخول فى طاعته، وإنما ذكر اليهودى والنصرانى تنبيهًا على من سواهما؛ وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابًا فغيرهم ممن لا

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى/ للقاضى عياض (٢/ ٥٣٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٥٣) كتاب الإيمان.

كتاب لهم. أولى والله أعلم» اهـ(١).

(٢) محبته ﷺ دون غلو:

إن محبة الحبيب المصطفى ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان، وإذا استقرت شجرة المحبة الصادقة فى القلب آتت أُكلها كل حين وأثمرت كل أنواع الاتباع والاقتفاء للمحبوب ﷺ.

وحقيقة المحبة «أن يميل قلب المسلم إلى رسول الله ﷺ ميلاً يتجلى فيه إيثاره ﷺ على كل محبوب من نفس ووالد وولد والناس أجمعين. وذلك لما خصه الله تعالى من كريم الخصال وعظيم الشمائل، وما أجراه الله على يديه من صنوف الخير والبركات لأمته وما امتن الله على العباد ببعثته ورسالته إلى غير ذلك من الأسباب الموجبة لمحبته عقلاً وشرعًا»(٢).

الكون يتفاعل مع محبة النبى ﷺ

ولا عجب أن نجد الكون كله يتفاعل مع محبة النبى ﷺ فلقد جعل الله (عز وجل) للكون حسًّا وإدراكًا... فلقد قال للسماوات والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾(٥).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٢/ ٢٤٨).

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع/ عبد الرؤوف محمد عثمان (ص: ٤١، ٤٢).

(٣) سورة فصلت: الآية: (١١).

(٤) سورة النور: الآية: (٤١).

(٥) سورة الحج: الآية: (١٨).

وقال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾(١) .

جبل أُحد يحب النبى ﷺ وأصحابه

وها هو الحبيب ﷺ يمر يومًا هو وأصحابه أمام جبل أُحد وإذا بالحبيب ﷺ يقول لأصحابه: **«أُحد جبل يحبنا ونحبه»**(٢).

- بل وتتحول هذه الكلمات إلى واقع عندما صعد النبى ﷺ جبل أُحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ وإذا بالجبل يتفاعل مع محبة النبى ﷺ وأصحابه فيهتز فرحًا بالنبى ﷺ وأصحابه وإذا بالحبيب المصطفى ﷺ يقول له: **«اثبت أحد فإنما عليك نبى وصدِّيق وشهيدان»**(٣).

الصدِّيق ﷺ ومحبته للنبى ﷺ

وإن أعظم محبة كانت بين اثنين هى تلكم المحبة الغالية التى كانت بين النبى ﷺ وصاحبه أبى بكر ﷺ.. تلكم المحبة التى يعجز القلم عن وصفها فلقد بذل أبو بكر ماله ونفسه وكل ما يملك لخدمة دين الله (جل وعلا) ومحبة لرسول الله ﷺ .

لقد أحب أبو بكر ﷺ النبى ﷺ حبًّا ملك عليه لُبَّه وفؤاده وجوارحه، حتى إنه كان يتمنى أن يفدى النبى ﷺ بنفسه وولده وماله والناس أجمعين.

* * *

(١) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٨٨٩) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٣٦٥) كتاب الحج.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٣٦٧٥) كتاب المناقب.

محبة تفوق الخيال

عن محمد بن سيرين قال: «ذُكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه فكأنهم فضَّلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهما قال: فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر، خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: **«يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟»** فقال يا رسول الله أذكر الطلب[1]، فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد[2]، فأمشي بين يديك فقال: **«يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني»** قال نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من مُلمَّة[3]، إلا أن تكوني بي دونك .. فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ[4] لك الغار، فدخل واستبرأ حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الحجرة فدخل واستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله فنزل فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر».

حبيب حبيبي .. حبيبي

ومن باب قول القائل: حبيب حبيبي .. حبيبي.

فلقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفضل كل من كان يحبه النبي ﷺ حتى إنه فضَّل أسامة بن زيد على ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ لأن أسامة كان أحب إلى النبي ﷺ من ابن عمر.

(١) الطلب: المطاردين.

(٢) الرصد: الكمين.

(٣) ملمة: المصيبة.

(٤) أستبرئ: أستكشف.

فعن زيد بن أسلم أن عــمر بن الخطاب فضَّل المهــاجرين الأولين وأعطى أبناءهم دون ذلك، وفضَّل أسامة بن زيد على عبد الله بن عمر فقال عبد الله ابن عمر: فقال لى رجل: فضل عليك أمير المؤمنين من ليس بأقدم منك سنًّا ولا أفضل منك هجرة، ولا شــهد من المشاهد ما لم تشهد، قــال عبد الله: وكلمته فقلت: يا أمير المؤمنين فضلت علىَّ من ليس هو بأقدم منى سنًّا ولا أفضل منى هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم أشهد قال: ومن هو؟ قلت: أسامة بن زيد قال: صدقت لعــمر الله فعلت ذلك؛ لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رســول الله ﷺ من عــمــر، وأسامــة بن زيد كــان أحب إلى رسول الله ﷺ من عبد الله بن عمر فلذلك فعلت[(١)].

موقف لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه

عن على رضي الله عنه أنــه قــال: لما انجلى النــاس عن رســول الله ﷺ يوم أُحــد نظرت إلى القتلى فلم أرَ رســول الله ﷺ فيهم، فقلت: والله ما كــان ليفر وما أراه فى القتلى، ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ﷺ فما فى خير من أن أقاتل حتى أُقتل فكسرت جفن سيفى ثم حملته على القوم فأفرجوا لى فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم[(٢)].

حب الصحابة للنبى ﷺ ودفاعهم عنه

* لقد كان الواحد من أصحاب النبى ﷺ يتمنى أن يفديه بحياته وأن يبذل نفسه وماله وولده فداء لرسول الله ﷺ.

---

(١) رواه ابن سعد وهو صحيح لغيره.

(٢) أخرجه أبو يعلى (١/ ٤١٥)، وابن أبى عاصم فى الجهاد (٢/ ٦٤٣)، والضياء (٦٧٥)، وقال الهيثمى فى المجمــع (٦/ ١١٢): رواه أبو يعلى وفيــه محــمد بن مروان الــعقيلــى وثقه أبو داود وابن حــبان وضعفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

* حتى إن الواحـد منهم كان يُصدِّر كلامـه مع رسول الله ﷺ بتلك الكلمات: بأبى أنت وأمى يا رسول الله.

على بن أبى طالب رضي الله عنه يفدى النبى ﷺ ليلة الهجرة

ذكر ابن كثير فى «البداية والنهاية» اجتماع شياطين قريش فى دار الندوة، واستقر رأيهم على ما قاله أبو جهل بن هشام.

أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شابًّا جليداً نسيبًـا وسيطًا فينا، ثم نعطى كل فتًى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليـه فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فـإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه فى القـبائل جميعـها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالعقل - الدية - فعقلناه لهم.

فتفرق القـوم على ذلك وهم مُجمعون عليه، فـأتى جبرائيل رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه.

قال: فلما كانت عـتمة من الليل اجتمعـوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليـه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلى بن أبى طالب: **«نَمْ على فراشى، وتسجَّ ببُردى هذا الحضرمـى الأخضر، فنم فيه فإنه لن يَخلص إليك شىء تكرهه منهم»**[1].

وكان رسول الله ﷺ ينام فى بُرده ذلك إذ ينام.

حمى المغوار (على) الدعوة فى شخص نبـيها ﷺ ونام فى فراشه فى أصعب ليلة مرّت بهـا الدعوة . . . رجل ينام فى الفراش وهو يعلم أن على الباب رجالاً، لا يريدون إلا رأس النائم على الفـراش، فلما قلق به الفراش ليلة من أجل نبيه، أسعد الله فراشه بفاطمة بنت نبيه ﷺ التى تجلببت فى جلباب كمالها.

---

(١) رواه ابن كثير فى السيرة النبوية (٢/ ٢٢٩).

* **الزبير بن العوام رضي الله عنه ودفاعه عن النبى ﷺ :**

وفى يوم من الأيام سرت إشاعة بين الناس أن الرسول ﷺ قُتل فما كان من الزبير إلا أن أخذ سيفه وخرج على الناس كالإعصار المدمر يريد أن يتثبت من الخبر فلقيه الحبيب ﷺ فقال: «**ما لك يا زبير؟**».

قال: أُخبرت أنك أُخذت - قُتلت - فصلى عليه ودعا له ولسيفه.

وفى رواية: فقال النبى ﷺ : «**ما لك؟**».

قال: أُخبرت أنك أُخذت.

قال: «**فكنت صانعًا ماذا؟**».

قال: كنتُ أضربُ به من أخذك. فدعا له ولسيفه[١].

* **محمد بن مسلمة رضي الله عنه ودفاعه عن النبى ﷺ :**

ولقد بلغ (محمد بن مسلمة) رضي الله عنه درجة عالية فى الولاء والبراء، وذلك حينما ذهب إلى كعب بن الأشرف؛ ليقتله إرضاءً لله تعالى ولرسوله ﷺ . . على الرغم من أنه من قرابته.

عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من لكعب ابن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله**» فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله! أتحب أن أقتله؟

قال: «نعم» . . فذهب إليه ومعه مجموعة من الصحابة فقتلوا كعب بن الأشرف[٢].

فيا له من موقف يظهر فيه الولاء والبراء جليًّا واضحًا كالشمس فى رابعة النهار . . فهو يقتل قريبه من أجل أنه آذى الله ورسوله ﷺ .

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق فى مصنفه (١١/ ٢٤١)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (٤/ ٥٩٤)، والحاكم فى المستدرك (٣/ ٣٦٠، ٣٦١)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٥١٠) كتاب الرهن، ومسلم (١٨٠١) كتاب الجهاد والسير.

*** الصحابة يبذلون حياتهم دفاعًا عن النبى ﷺ فى يوم أحد:**

* وفى غزوة أُحد لما عصى الرماة أمر رسول الله ﷺ ونزلوا من على الجبل فانكشف المسلمون واستطاع المشركون أن يقتلوا سبعين رجلاً من أصحاب النبى ﷺ، ثم أرادوا بعد ذلك قتل النبى ﷺ فنادى النبى على أصحابه، وثبت مع النبى ﷺ نفرٌ قليل منهم: سعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو دجانة، وأبو طلحة الأنصارى رضي الله عنهم.

ولما سمع المشركون صوت النبى ﷺ وهو ينادى على أصحابه **«هَلُمَّ إلىَّ أنا رسول الله»** هاجموه وأرادوا أن يقتلوه فقام تسعة من أصحابه يدافعون عنه بكل حبٍّ وتفانٍ وبطولة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً (١).

*** سبعة من الأنصار يبذلون حياتهم دفاعًا عن النبى ﷺ:**

* **عن أنس رضي الله عنه قال:** إن رسول الله ﷺ **أُفرد يوم أُحد فى سبعة من الأنصار** ورجلين من قريش فلما رهقوه(٢)، قال: **«من يردهم عنا وله الجنة- أو- هو رفيقى فى الجنة»**، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، ثم رهقوه أيضًا، فقال: **«من يردهم عنًا وله الجنة، -أو- هو رفيقى فى الجنة»** فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك، حتى قُتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: **«ما أنصفنا أصحابنا»**(٣).

* **وكان آخر هؤلاء السبعة هو:** عمارة بن يزيد بن السكن قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط (٤) ... وبعد ما قُتل عمارة بن يزيد، لم يبق مع النبى ﷺ سوى طلحة وسعد رضي الله عنهما.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٧٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن إسحاق فهو صدوق حسن الحديث.

(٢) رهقوه: غشوه وقربوا منه وأدركوه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٩) كتاب الجهاد والسير.

(٤) وبعد لحظة فاءت إلى الرسول ﷺ فئة من المسلمين، فأجهضوا الكفار عن عمارة، وأدنوه من رسول الله ﷺ، فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ. ابن هشام (٢/ ٨١).

*** أوجب طلحة رضي الله عنه يوم أُحد:**

* وعن جابر قال: لما كان يوم أُحُد وولى الناس كان رسول الله ﷺ فى ناحية فى اثنى عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبى ﷺ : «مَن للقوم؟».

قال طلحة: أنا.

قال: «كما أنت».

فقال رجل: أنا.

قال: «أنت». فقاتل حتى قُتل، ثم التفت، فإذا المشركون فقال: «من لهم؟» قال طلحة: أنا.

قال: «كما أنت».

فقال رجل من الأنصار: أنا.

قال: «أنت». فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبى الله (طلحة)، فقال: «مَن للقوم؟» قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قُطعت أصابعه فقال: «حسّ».

فقال رسول الله ﷺ : «**لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون**» .. ثم رد الله المشركين(١).

وعند الطبراني: «**لو قلت: بسم الله لطارت بك الملائكة والناس ينظرون إليك**».

وعند النسائى والبيهقى فى الدلائل: «**حتى تلج بك فى جو السماء**».

وعند أحمد: فقال له النبى ﷺ : «**لو قلت بسم الله لرأيت يُبنى لك بها بيت فى الجنة وأنت حىٌّ فى الدنيا**»(٢).

---

(١) رواه الحاكم مختصراً (٣/ ٣٦٩) معرفة الصحابة، وله طرق، قال الألبانى فى الصحيحة رقم (٢١٧١): فالحديث حسن بمجموع هذه الطرق.

(٢) رواه أحمد فى فضائل الصحابة (١٢٩٤) وإسناده صحيح.

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاَّء وقى بها النبى يوم أُحد. وجُرح فى تلك الغزوة تسعًا وثلاثين، أو خمسًا وثلاثين، وشُلت أصبعه أى: السبابة والتى تليها [(١)].

وقال النبى ﷺ فيه يومئذ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيدٍ الله» [(٢)].

وروى أبو داود الطيالسى عن عائشة ؓ قالت: كان أبو بكر إذا ذُكر يوم أُحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة [(٣)].

*** أبو طلحة ؓ ودفاعه عن النبى ﷺ:**

لقد كان أبو طلحة ؓ ممن شهدوا بدرًا وأبلى فى تلك الغزوة بلاءً حسنًا.

وفى يوم (أُحد) كان من الأبطال الذين ثبتوا مع النبى ﷺ ودافع عنه بكل ما يملك.

* **عن أنس قال:** لما كان يوم أُحد، انهزم ناسٌ عن رسول الله، وأبو طلحة بين يديه مُجوبًا عليه بحجفة، وكان راميًا شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل، فيقول ﷺ: **«انثُرها لأبى طلحة»**، ثم يُشرف إلى القوم.

فيقول أبو طلحة: يا نبى الله! بأبى أنت، لا تُشرف، لا يُصيبك سهم، نحرى دون نحرك [(٤)].

*** كعب بن مالك ؓ يفدى النبى ﷺ بحياته:**

* **عن كعب بن مالك ؓ قال:** «لما كان يوم أُحد وصرنا إلى الشِّعب كنت أول من عرفته فقلت: هذا رسول الله ﷺ.

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٤٠٦٣) كتاب المغازى.

(٢) **صحيح:** رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٦).

(٣) فتح البارى (٧/ ٣٦١).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٠٦٤) كتاب المغازى، ومسلم (١٨١١) كتاب الجهاد والسير.

فأشار إلىَّ بيده أن اسكت، ثم ألبسنى لأمته[١]، ولبس لأمتى، فلقد ضُربت حتى جُرحت عشرين جراحة، أو قال: بضعة وعشرين جرحًا كل من يضربنى يحسبنى رسول الله ﷺ»[٢].

* فتأمل معى إلى فطنة وذكاء النبى ﷺ فى هذا الموقف الجليل.. وتأمل أيضًا تلك الصورة المشرقة من محبة هذا الصحابى الجليل للنبى ﷺ فهو يستعذب كل هذا الضرب من أجل أن يفدى النبى ﷺ.

*** سعد بن الربيع رضي الله عنه ووصيته الغالية للأنصار:**

قال زيد بن ثابت: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أُحد أطلب (سعد ابن الربيع) فقال لى: «**إن رأيته فأقرئه منى السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟**».

قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «**أخبرنى كيف تجدك؟**»، فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خَلُص إلى رسول الله ﷺ مكروه وفيكم عينٌ تطرف. وفاضت نفسه من وقته[٣].

*** الملائكة يدافعون عن النبى ﷺ:**

لا تعجب فقد قال الله - جل وعلا-: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٤].

---

(١) لأمته: درعه.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٦/ ١١٢): رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط ثقات، ورواه أبو نعيم فى الدلائل (٢/ ٤٨٢) من طريق ابن إسحاق، وقد صرح عنده بالسماع وسنده متصل، فالحديث صحيح.

(٣) رواه ابن هشام (٢/ ٩٤، ٩٥)، والحاكم (٣/ ٢٠١) وصححه ووافقه الذهبى.

(٤) سورة التحريم: الآية: (٤).

* ففى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت رجلين عن يمين رسول الله ﷺ، ويساره يوم أُحد عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد»[١].

*** أم عمارة رضي الله عنها تدافع عن النبى ﷺ :**

حتى المرأة المسلمة دافعت عن النبى ﷺ وأرادت أن تفديه بحياتها.

* خرجت الأسرة المؤمنة: أم عمارة وولداها عبد الله وحبيب وزوجها واندفع زوجها وأولادها يجاهدون فى سبيل الله، بينما ذهبت أم عمارة تسقى العطشى وتضمد الجرحى، ولكن ظروف المعركة جعلتها تُقبل على محاربة المشركين، وتقف وقفة الأبطال تدافع عن رسول الله ﷺ غير هيابة ولا وجلة، وذلك عندما تفرق الناس من هول ما أصابهم فى ذلك اليوم .. عندها أخذت سيفًا وترسًا ووقفت بجانب رسول الله ﷺ تقيه بنفسها [٢].

* وقاتلت أم عمارة، فاعترضت لابن قمئة فى أناس من المسلمين، فضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحًا أجوف، وضربت هى ابن قمئة عدة ضربات بسيفها، لكن كانت عليه درعان فنجا، وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحًا [٣].

*** زيد بن حارثة رضي الله عنه يختار النبى ﷺ على أبيه وعمه:**

إنه زيد الحب وأمه سُعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر، زارت قومها وزيد معها، فأغارت عليهم خيل لبنى القين فى الجاهلية فمروا على أبيات بنى معن فاحتملوا زيدًا وهو يومئذ غلام يفعة، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم ابن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له، فحج ناس من كعب فرأوا زيدًا فعرفهم وعرفوه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٥٤) كتاب المغازى، ومسلم (٢٣٠٦) كتاب الفضائل.

(٢) نساء مبشرات بالجنة (ص ٦٥).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٣٨).

فانطلقوا فأعلموا أباه فخرج حارثة وكعب بن شراحيل بفدائه، فقدما مكة فسألا عن النبى ﷺ فقيل: هو فى المسجد فدخلا عليه فقالا: يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العانى، وتطعمون الأسير، جئناك فى ابننا عندك فامنن علينا وأحسِن إلينا فى فدائه، فإنا سنرفع لك فى الفداء قال: **«ما هو؟»** قالوا: زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: **«فهلا غير ذلك؟»** قالوا: ما هو؟ قال: **«ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى اختار على من اختارنى أحداً»**. قالوا: قد زدتنا على النَصَف وأحسنت.

فدعاه فقال: **«هل تعرف هؤلاء؟»** قال: نعم، هذا أبى وهذا عمى قال: **«فأنا مَن قد علمت، ورأيت محبتى لك فاخترنى أو اخترهما»** فقال زيد: ما أنا بالذى أختار عليك أحداً أنت منى بمنزلة الأب والعم فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذى أختار عليه أحدًا أبدًا، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: **«يا من حضر اشهدوا أن زيداً ابنى يرثنى وأرثه»**. فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا.

فدُعى زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام فزوَّجه رسول الله ﷺ زينب بنت جحش فلما طلقها تزوجها النبى ﷺ فتكلم المنافقون فى ذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه فنزل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[1] الآية وقال: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾[2] فدُعى يومئذ زيد بن حارثة.

*** أبو أيوب رضي الله عنه... ومحبته للنبى ﷺ:**

إن الأنصار وإن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة، إلا أن كل واحد منهم

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥).

كان يتمنى أن ينزل الرسول ﷺ عليه، فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته: هَلُمَّ إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان يقول لهم: «**خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة**» فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوى اليوم فبركت ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً ثم التفتت ورجعت فبركت فى موضعها الأول فنزل عنها وذلك فى ديار بنى النجار أخواله ﷺ وكان من توفيق الله لها فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ فى النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصارى إلى رحله فأدخله بيته فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**المرء مع رحله**»، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته وكانت عنده(١).

وفى رواية البخارى قال نبى الله ﷺ: «**أى بيوت أهلنا أقرب؟**». فقال أبو أيوب: أنا يا رسول الله هذه دارى وهذا بابى قال: «**فانطلق فهيئ لنا مقيلاً**» قال: قوما على بركة الله(٢).

*** هكذا يكون الأدب مع رسول الله** ﷺ:

ولنترك المجال لأبى أيوب رضي الله عنه يحدثنا عن تلك الفرحة الشديدة التى ملأت عليه جوانحه وجوارحه لنزول النبى ﷺ عليه فى بيته.

عن أبى أيوب قال: لما نزل عَلَىَّ رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى السفل وأنا وأم أيوب فى العلو فقلت له: يا نبى الله، بأبى أنت وأمى إنى لأكره وأُعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل فقال: «**يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن تكون فى سُفل البيت**»(٣).

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٣٢٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٩١١) كتاب المناقب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٥٣) كتاب الأشربة.

وفى رواية أخرى: أن رسول الله ﷺ لما نزل على أبى أيوب فنزل النبى ﷺ أسفل وأبو أيوب فى العلو فانتبه ذات ليلة فقال: نمشى فوق رأس رسول الله ﷺ !!.. فتحول فباتوا فى جانب فلما أصبح ذكر ذلك للنبى ﷺ فقال النبى ﷺ «**أسفل أرفق بى**» فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفة أنت تحتها.. فتحول أبو أيوب فى السفل والنبى ﷺ فى العلو(١).

وعن أبى رهم أن أبا أيوب حدثه أن رسول الله ﷺ نزل فى بيتنا الأسفل وكنت فى الغرفة فأُهريق ماء فى الغرفة فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتتبع الماءِ ونزلت فقلت يا رسول الله لا ينبغى أن نكون فوقك انتقل إلى الغرفة.. فأمر بمتاعه فنقل ومتاعه قليل قلت: يا رسول الله كنت ترسل بالطعام فانظر فإذا رأيت أثر أصابعك وضعت فيه يدى.. يلتمس بركة الحبيب ﷺ (٢).

*** كل مصيبة بعدك جَلل يا رسول الله ﷺ :**

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء -يوم أُحد- والثناء على الله والتضرع إليه، انصرف راجعًا إلى المدينة، وقد ظهرت له نوادر الحب والتفانى من المؤمنات الصادقات، كما ظهرت من المؤمنين فى أثناء المعركة.

عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال: مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل!.... تريد صغيرة(٣).

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٠٥٣) كتاب الأشربة.

(٢) رواه أحمد (٢٣٠٥٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبى رهم السماعى.

(٣) رواه البيهقى بسند حسن.

*** المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ :**

بل وتتجلى المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ فى هذا الموقف الجليل. . . فلقد ضرب الصحابة الكرام أروع الأمثلة لأسمى مراتب الحب لرسول الله ﷺ .

فها هو ذلك المشهد المهيب لهذا الصحابى الجليل الذى يعلمنا درسًا فى الحب الصادق الذى ليس له نظير . . ها هو خُبيب بن عدى رضي الله عنه يصلبه المشركون فى مكة ويحتشدون حوله فى شماتة ظاهرة ويشحذ الرماة رماحهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر فى جنون ووحشية فالتفت إليهم خبيب رضي الله عنه قائلاً: دعونى أركع ركعتين فتركوه فصلاهما فلما سلَّم قال: والله لولا أن تقولوا أن ما بى جزع لزدت ثم قال: اللهم أحصهم عددًا واقتلهم بددًا ولا تُبق منهم أحدًا ثم قال أنشودته الخالدة:

لقد أجمع الأحزاب حولى وألَّبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمعِ

وقد قرَّبوا أبناءهم ونساءهم
وقُربت من جذع طويل ممنَّعِ

وقد خيرونى فى الكفر والموت دونه
فقد ذرفت عيناى من غير مجزعِ

إلى الله أشكو غربتى بعد كربتى
وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى

ولست أبالى حين أُقتل مسلمًا
على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلوٍ مُمزعِ

فاقترب منه أبو سفيان قائلاً: أيسرُّك أن محمداً عندنا تُضرب عنقه وأنك فى أهلك؟ فقال: لا والله ما يسرنى أنى فى أهلى وأن محمداً ﷺ فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه[١].

فيا ليت الواحد منا يكون شعاره: ما يسرنى أن أكون فى أهلى... وسُنة النبى ﷺ يصيبها أى شىء.

*** عروة بن مسعود يرى العجب من محبة الصحابة للنبى ﷺ:**

وهذا عروة بن مسعود، عندما ذهب يعرض على رسول الله ﷺ أمر قريش فى صلح الحديبية جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه فلما رجع إلى أصحابه فقال: أى قوم، والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إن رأيت مليكًا قط يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد محمداً.

فوالله ما تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدون إليه النظر تعظيمًا له[٢].

*** المشتاقون لصحبة النبى ﷺ فى الجنة:**

وها هى صور مضيئة لمن اشتاقت قلوبهم لصحبة النبى ﷺ فى جنة الرحمن (جل وعلا).

فقد جاء فى الحديث أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلىَّ من نفسى وإنك لأحب إلىَّ من ولدى وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتى فأنظر إليك وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين وأنى إذا دخلت الجنة خشيت

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٠٤٥) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

أن لا أراك فلم يرد عليه النبى ﷺ شيئًا حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾[(١)(٢)].

* **وفى الحديث الذى رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال:** بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد فلقينا رجلاً عند سُدة المسجد فقال: يا رسول الله! متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: «**ما أعددت لها؟**» قال: فكأن الرجل استكان ثم قال: يا رسول الله! ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكنى أحب الله ورسوله. قال: «**فأنت مع من أحببت**».

قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبى ﷺ: «**فإنك مع من أحببت**».

قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم[(٣)].

ونحن نُشهدك يا ربنا أننا نحب رسول الله ﷺ ونحب الصحابة رضي الله عنهم ونحب الصالحين فى كل زمان ومكان، ونرجو أن نُحشر معهم، وإن لم نعمل بمثل أعمالهم.

* وفى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى فراس ربيعة بن كعب الأسلمى خادم رسول الله ﷺ ومن أهل الصُّفة رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه، وحاجته فقال: «**سلنى**» فقلت: أسألك مرافقتك فى الجنة فقال: «**أوَ غير ذلك**» قلت: أسألك مرافقتك فى الجنة فقال: «**أو غير ذلك**» قلت: هو ذاك قال: «**فأعنِّى على نفسك بكثرة السجود**»[(٤)].

---

(١) سورة النساء: الآيتان: (٦٩، ٧٠).

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (١/١٥٢)، وفى الصغير (١/٥٣)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٧): رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدى وهو ثقة.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

تأمل معى أيها الأخ الحبيب كيف كانت همة هذا الصحابى الجليل عالية خفاقة.. فهو لم يطلب أى شىء من حطام الدنيا الزائل بل طلب أغلى وأعلى مطلوب ألا هو صحبة الحبيب المحبوب ﷺ فى جنة علام الغيوب (جل وعلا).

* **وعن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ مرَّ بين أبى بكر وعمر، وعبد الله قائم يصلى فافتتح سورة النساء يسجلها -يقرؤها قراءة مفصلة- فقال ﷺ: **«من أحب أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد»**(١) فأخذ عبد الله فى الدعاء فجعل رسول الله ﷺ يقول: «سَل تُعط» فكان فيما سأل: اللهم إنى أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ فى أعلى جنان الخلد، فأتى عمر «عبد الله» يبشره، فوجد أبا بكر خارجًا قد سبقه، فقال: إنك لسبّاقٌ بالخير(٢).

أجل والله.. إنها القلوب التى صدقت فى حبها للنبى ﷺ واشتاقت لصحبته فى الجنة كما كانت فى صحبته فى الحياة الدنيا.

بواعث محبة النبى ﷺ وأسبابها

لاشك أن كل محبوب فَلِحُبِه أسباب، وإذا كان رسولنا ﷺ نال درجات المحبة كلها واستحقها على سائر البشر، فما هو أسباب ذلك؟

* **السبب الأول:** أن هذا مراد الله تعالى؛ فإن الله تعالى يحبه ﷺ وملائكته ويصلون عليه، وأمرنا بحبه ﷺ وطاعته واتباعه والاقتداء به والصلاة والسلام عليه، ولابد من أن نوافق فى الحب ما يحبه الله تعالى فنحب حبيبه ﷺ.

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣٠١).

(٢) حسن: رواه أحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣٠١).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾(٣).

* **السبب الثاني**: أن محبته من شروط إيمان العبد ولا يصلح إيمان ولا دين بغير ذلك، قال ﷺ: «ثلاث من كُن فيه وجد حلاوة الإيمان....» منها: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»(٤).

وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٥).

فجعل الله تعالى طاعته شرطًا للإيمان، ولا طاعة بغير حب، إلا أن تكون نفاقًا، و﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾(٦).

ولذا قال النبي ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»(٧).

قال شيخ الإسلام: «إن قيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله»(٨).

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (٣١، ٣٢).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٣) سورة التحريم: الآية: (٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٦) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

(٥) سورة الأنفال: الآية: (١).

(٦) سورة النساء: الآية: (١٤٥).

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (١٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٤) كتاب الإيمان.

(٨) الصارم المسلول ص٢١١ .

* **السبب الثالث:** إخباره ﷺ لنا بأنه أولى بكل مؤمن من نفسه.

فعن جابر بن عبد الله ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ : **«أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك دَينًا أو ضياعًا (عيالاً) فإليَّ وعليَّ»**(١).

قال النووي في شرحه لمسلم: (أولى..): أى أرأف بهم وأعطف عليهم ولذلك أسعى فى تخليص ذمتهم مما تعلق بها من حقوق وتبعات.

وقوله ﷺ هذا موافق لقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(٢).

* **السبب الرابع:** شفقته على أمته وبكاؤه خوفًا عليها.

قال عبد الله بن مسعود ﵁: قال لى النبى ﷺ : **«اقرأ عليَّ»**. قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «نعم». فقرأتُ سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾**(٣)، قال: **«حسبُك الآن»**، فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان(٤).

فالنبى ﷺ كلما تذكر شهادته على أمته يوم القيامة؛ وكثير منهم صاحب معاصى وكبائر يبكي... قال ابن بطال: بكى رحمة لأمته؛ لأنه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملهم،... وعملهم قد لا يكون مستقيمًا، فقد يفضى إلى تعذيبهم. والله أعلم(٥).

ومن شفقته ﷺ على الأمة ما نراه فى قوله ﷺ :«مثلى كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى فى النار

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٦٧) كتاب الجمعة.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٦).

(٣) سورة النساء: الآية: (٤١).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٤٥٨٢) كتاب تفسير القرآن.

(٥) فتح البارى (٩/ ٩٩).

يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها»، قال: «فذلكم مثلى ومثلكم؛ أنا آخذ بحجزكم عن النار؛ هَلُمّ عن النار؛ فتغلبونى تقحَّمون فيها»(١).

فالذى يشفق علينا هذا الإشفاق ألا يستحق كل الحب والإجلال والتوقير؟!

* **السبب الخامس**: حرصه ﷺ على تعليمنا كالوالد لنا، . . . قال رب العزة جل وعلا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(٢).

وقد قال هو لأصحابه: «على رِسلكم أُعلمكم»(٣).

وقال أيضًا: «إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى»(٤).

وقال ﷺ: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أُعلمكم...»(٥).

* **السبب السادس**: كمال نصحه لأمته ودلالته للأمة على ما يصلحها:

فتارة يقول لهم: «ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟» وتارة يقول: «ألا أدلكم على أهل الجنة؟» وذلك ليعملوا بعملهم. وأخرى يقول لهم: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» ومرة يقول لهم: «ألا أدلكم على أفضل الصدقة»؟ وذلك ليفعلوها فينالوا خيرها. وتارة يقول لهم: «ألا أدلكم على كنز من كنوز الجنة؟» وهكذا لا يترك ﷺ شيئًا فيه خير قط إلا ويدل أمته عليه، فاللهم إنا نُشهدك على حبه، حبًّا يليق بمنزلته منك وقربه.

* **السبب السابع**: كمال رأفته ورحمته بأمته وحرصه عليها حتى كادت نفسه أن تذهب أسفًا على قومه ألا يكونوا مؤمنين، فكيف حبه لمن آمن منهم؟

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٤٨٣) كتاب الرقاق، مسلم (٢٢٨٤) كتاب الفضائل.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٦٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٤١) كتاب المساجد.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (١/ ٨).

قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(١)، وقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

* **السبب الثامن:** سعيه فى الشفاعة لأمته يوم القيامة.

عن أبى هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبى دعوة مُستجابة فتعجَّل كل نبى دعوته وإنى خبَّأتُ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة**»(٣).

* **السبب التاسع:** ما خصَّه الله تعالى وميَّزه من كريم الخصال ورفيع الأخلاق.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٤).

* **السبب العاشر:** خشيته ﷺ على أمته من الشرور، مثل انفتاح الدنيا عليهم وخروج زهرتها، وخوفه عليهم المنافق عليم اللسان، وخوفه عليهم الرياء وأضرار اللسان، والأئمة المضلين. ولذلك كان يكثر ﷺ أن يقول لهم: «**..ولكن أخشى عليكم..**». و«**أخوف ما أخافه عليكم..**». ونحو ذلك(٥).

(٣) ومن حقوق النبى ﷺ على أمته: طاعته ﷺ فى كل ما أمر:

قال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٧).

بل قد جعل الله جل وعلا طاعة الرسول ﷺ واتباعه عنوان محبته جل وعلا.

---

(١) سورة الشعراء: الآية: (٣).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٣٠٤) كتاب الدعوات، ومسلم (١٩٨) كتاب الإيمان.

(٤) سورة القلم: الآية: (٤).

(٥) رسالة محمد ﷺ (ص١٨٥-١٨٨) بتصرف.

(٦) سورة النساء: الآية: (٨٠).

(٧) سورة النساء: الآية: (٦٥).

قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾(١).

* يقول ابن كثير -رحمه الله-:

هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى، والدين النبوى فى جميع أقواله وأفعاله. اهـ(٢).

قال ﷺ: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعنى دخل الجنة؟ ومن عصانى فقد أبى»(٣).

وقال ﷺ: «من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله»(٤).

* وها هى أمثلة تثلج الصدور من طاعتهم للرسول ﷺ:

تذكر كتب الحديث أن أبا بكر كان ينفق على رجل فقير يسمى مسطح ابن أثاثة -وكانت أمه ابنة خالة الصديق- وكان مسطح ممن تكلم فى حادثة الإفك، فلما قال ما قال فى عائشة ﵂، ونزلت الآيات ببراءتها قال أبوبكر: والله لا أعد أنفق على مسطح أبدًا بعدما قال ما قال.

فنزل القرآن الكريم: ﴿وَلا يَأْتَلِ(٥) أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٦).

فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر فتلاها عليه، فوالله ما هو إلا أن سمعها

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (٣١، ٣٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٣٨).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٥٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨٣٥) كتاب الإمارة.

(٥) لا يأتل: لا يحلفوا والألية اليمين.

(٦) سورة النور: الآية: (٢٢).

حتى قال: بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى، والله لأردنَّ على مسطح ما كنت قطعته منه»(١).

* **وفى سنن أبى داود عن جابر ﷺ قال:** لما استوى رسول الله ﷺ يوم الجمعة قال: «اجلسوا» فسمع ذلك ابن مسعود فجلس على باب المسجد، فرآه رسول الله ﷺ فقال: **«تعال يا عبد الله بن مسعود»**(٢).

هكذا لم تسمح نفس ابن مسعود ﷺ أن يتأخر لحظة واحدة عن تنفيذ أمر النبى ﷺ فجلس على باب المسجد لما سمع أمره ﷺ.

* **وعن على بن أبى طالب ﷺ قال:** بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، قال: فلما خرجوا قال: وجد(٣) عليهم فى شىء فقال: أليس أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعونى؟

قالوا: بلى.

قال: فاجمعوا حطبًا . . . فجمعوا.

قال: أوقدوا نارًا، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهمَّ القوم أن يدخلوها، قال: فقال لهم شابٌ منهم: إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار، فلا تعجلوا حتى تلقوا النبى ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها.

قال: فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه.

فقال لهم: «لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا، إنما الطاعة فى المعروف»(٤).

* **وجاء فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال:** كان أبوطلحة ﷺ أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء(٥)،

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٥٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٧٧٠) كتاب التوبة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود (٩٦٦).

(٣) وجد: حزن وغضب.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٤٠) كتاب المغازى، ومسلم (١٨٤٠) كتاب الإمارة.

(٥) بيرحاء: قال النووى: هو حائط يسمى بهذا الاسم، وليس اسم بئر والحديث يدل عليه والله أعلم.

وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس: فلما نزلت هذه الآية ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(١).

جاء أبو طلحة إلي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله!، إن الله تعالى أنزل عليك: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب مالى إلىَّ بيرحاء وإنها صدقة لله تعالى، أرجو برها، وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول! الله حيث أراك الله.

فقال رسول الله ﷺ: «بخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله!، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه»(٢).

* وهذا حنظلة غسيل الملائكة خرج مع رسول الله ﷺ، كان عروسًا ليلة أُحد، فلما أصبح صلى الفجر مع رسول الله ﷺ ثم عاد إلى عروسه فجامعها، وبينما هو مع زوجه نادى منادى الجهاد، فلم يصبر حنظلة حتى يغتسل، رأى أنه من التخلف عن النداء أن يتأخر حتى يغتسل، فخرج وهو جُنب، فقاتل حتى قُتل، فرأى رسول الله ﷺ الملائكة تغسله بين السماء والأرض فقال لأصحابه: «**اسألوا أهله ما شأنه؟**» فسألوها فقالت: لقد كان جُنبًا، فلما سمع النداء رأى أنه لو تأخر حتى يغتسل ربما تخلف، فخرج إلى الجهاد وهو جنب فقال رسول الله ﷺ: «**من أجل ذلك غسلته الملائكة**»(٣).

هكذا كان هؤلاء الأبرار . . . لم يقفوا عند امتثال أمره واجتناب نواهيه،

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٤٦١) كتاب الزكاة، ومسلم (٩٩٨) كتاب الزكاة.

(٣) **حسن:** رواه الحاكم، والبيهقى فى السنن، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٢٦).

بل كانوا يتابعون أفعاله، ويلاحظون تصرفاته بحب وتقدير حرصًا على الاقتداء به، فإذا وجدوه يفعل شيئًا سارعوا إلى فعله وإذا رأوه ابتعد أو ترك شيئًا بادروا بالابتعاد عنه.

* **وإليكم بعض الأمثلة الرائعة الدالة على ذلك..**

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلى بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «**ما حملكم على إلقائكم نعالكم**».

قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا.

فقال رسول الله ﷺ: «إن جبريل أتانى فأخبرنى أن فيها قذرًا».

وقال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى فى نعليه قذرًا أو أذى فليمسحه وليُصلِّ فيهما» (١).

* **وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:** اتخذ النبى ﷺ خاتمًا من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبى ﷺ: «**إنى اتخذت خاتمًا من ذهب** - فنبذه وقال- **إنى لا ألبسه أبدًا**»، فنبذ الناس خواتيمهم (٢).

* **وأخرج البخارى من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال:** لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحب أن يُوجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**﴾ (٣) فوجه نحو الكعبة وصلى معه رجلٌ العصر، ثم خرج فمر على قوم من الأنصار فقال: هو يشهد أنه صلى مع النبى ﷺ وأنه قد وجه إلى الكعبة. فانحرفوا وهم ركوع فى صلاة العصر» (٤).

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦١).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٧٢٩٨) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٤٤).

(٤) **صحيح:** رواه البخارى (٧٢٥٢) كتاب أخبار الآحاد.

(٤) الانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر:

* **عن أبي هريرة** رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم»**(١).

* وهذا موقف صحابة النبي ﷺ من كعب بن مالك وصاحبيه الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك عندما نهى الرسول ﷺ عن كلامهم.

فلنترك كعبًا يحدثنا كيف كان موقفهم، . . . يقول كعب: ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال: فاجتنبنا الناس -أو قال: تغيروا لنا- حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي الأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم فكنت أخرج، فأشهد الصلاة، وأطوف في الأسواق، فلا يكلمني أحد.

ثم يقول: حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة -وهو ابن عمي، وأحب الناس إليّ- فسلمت عليه، فوالله ما رد عليّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته، فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم(٢). ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار(٣).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه **أنه قال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيان شفاء** فنزلت التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٨) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (١٣٣٧) كتاب الفضائل.

(٢) قال القاضي: لعل أبا قتادة لم يقصد بهذا تكليمه؛ لأنه منهي عن كلامه، وإنما قال ذلك لنفسه، لما ناشده الله، فقال أبو قتادة: مظهرًا لاعتقاده، لا لسمعه، ولو حلف رجل لا يكلم رجلاً، فسأله عن شيء؟ فقال: الله أعلم، يريد إسماعه وجوابه: حنث.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١٨) كتاب التوبة، ومسلم (٢٧٦٩) كتاب التوبة.

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢١٩).

فدُعى عمر فقُرئت عليه، قال: اللهم بيّن لنا فى الخمر بيان شفاء، فنزلت التى فى النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾[١].

فدعى عمر فقُرئت عليه، ثم قال: اللهم بيّن لنا فى الخمر بيان شفاء، فنزلت التى فى المائدة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٢]، فدُعى عمر فقُرئت عليه فقال: انتهينا.. انتهينا»[٣].

نزلت ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فكانت الإجابة الفورية انتهينا .. انتهينا.

ولنستمع ما يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: يوم أن حُرمت الخمر كنت ساقى القوم فى منزل أبى طلحة فنزل تحريم الخمر، فأمر مناديًا فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت؟، قال: فخرجت فقلت: هذا منادٍ ينادى: ألا إن الخمر قد حُرمت فقال لى: اذهب فأهرقها.

قال: فجرت (أى الخمر) فى سكك المدينة[٤].

(٥) الاتباع:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٥].

وقال ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[٦].

* **وقال ابن مسعود** رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا بيده ثم قال: **«هذا سبيل الله مستقيمًا»** وخط عن يمينه وشماله، ثم قال: **«هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»** ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ

(١) سورة النساء: الآية: (٤٣).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٩١).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترمذى (٣٢٥٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٤) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٩٨٠) كتاب الأشربة.

(٥) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

(٦) رواه البخارى تعليقًا فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (١٧١٨) كتاب الأقضية.

وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾(١)(٢).

يقول ابن القيم رحمه الله فى مقدمة «طريق الهجرتين وباب السعادتين»:

قال الجنيد بن محمد: الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبى ﷺ فإن الله عز وجل يقول: «وعزتى وجلالى لو أتونى من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك».

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وليختلجن رجال دونى فأقول: يا رب أصحابى فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقًا لمن بدل بعدى»(٣).

وهذا هو فاروق الأمة عمر رضي الله عنه: يأتى إلى الحجر الأسود فقبّله ثم قال: «إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»(٤).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم مستنًّا فليستن بمن قد مات فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة، فأولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم، فإنهم على الهدى المستقيم»(٥). اهـ.

(٦) تصديقه ﷺ فى كل ما أخبر:

وذلك لأن النبى ﷺ يخبر عن رب العزة.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾(٦).

---

(١) حسن: رواه أحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٦٦).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٨٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩١) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه البخارى (١٥٩٧) كتاب الحج.

(٥) أخرجه أبو عمر بن عبد البر فى «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٧)، والهروى ورقمه (٨٦) وفيه من طريق قتادة عنه فهو منقطع قاله الألبانى فى تخريج مشكاة المصابيح (ص: ١٩٣).

(٦) سورة النجم: الآيات: (١-٥).

فرسول الله ﷺ فى كل ما يخبره عن رب العزة صادق، صادق، بل ستعجبون أن صدق النبى ﷺ أقر به الكافر قبل المسلم، فلقد لقب المشركون فى مكة رسول الله ﷺ قبل البعثة بالصادق الأمين.

ولقد شهد الله جل وعلا بصدق نبيه ويا لها من شهادة! ولقد بيَّن الله أن نبيه لو زاد فى الوحى أو نقص منه أو جاء بشىء من عند نفسه فى دين الله لعجَّل الله له العقوبة فى الدنيا.

اسمع ماذا قال ربنا: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾(١).

بل لقد اعترف أبو جهل بصدق المصطفى ﷺ فقال للحبيب: إنا لا نكذبك بل نكذب ما جئت به من عند الله، فأنزل الله تعالى قوله: **﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾**(٢).

لقد وُضعت النبوة أمام اختبارات دقيقة حرجة وتبين فى كل الاختبارات صدق المصطفى ﷺ، وأنه لا ينطق عن الهوى.

تعلمون أن النبى ﷺ قد أخبر أن أبا لهب سيصلى نارًا ذات لهب: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾(٣). إخبار نبوى عن الرب العلى جل وعلا.

إذا قام أبو لهب يومًا وأعلن ولو بالكذب: أنه قد آمن بالله وبالمصطفى ﷺ لوضعت النبوة فى مأزق حرج.

ولكن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، فكما قال ربنا وبلغ نبينا مات أبو لهب على الكفر، ولم يفكر لحظة من لحظات حياته فى التوحيد والإيمان بالله؛

(١) سورة الحاقة: الآيات: (٤٤- ٤٧).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٣٣).

(٣) سورة المسد.

لنعلم أن الرسول ﷺ لا يتكلم فى دين الله إلا بوحى معصوم من عند الله جل وعلا. والرسول ﷺ الذى بلغ عما مضى وقع بالكمال والتمام على الوجه الذى أخبر به هو، . . . هو الذى أخبرنا عن الغيبيات التى لم تقع بعد والذى أخبر عما مضى ووقع، هو الذى أخبر بما سيقع وهو الصادق الذى لا ينطق عن الهوى.

وسيقع كل ما أخبر به المصطفى ﷺ بمثل ما حدث به؛ لأنه هو الذى لا ينطق عن الهوى.

ففى صحيح البخارى قال المصطفى ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله»(1).

وقال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما رجال معهم سياط كأذناب البقر» أى: كذيل البقرة - يضربون بها الناس.

والصنف الثانى: «نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها يوجد من مسيرة كذا وكذا»(2)، هل رأى النبى ﷺ الكاسيات العاريات؟

لا . . وها نحن نرى هذا الوصف النبوى الدقيق فى أيامنا كما أخبر الصادق المصطفى ﷺ: **«نساء كاسيات عاريات»** بمعنى أن المرأة كاسية ولكنها عارية؛ لأنها إما أن تلبس المرأة ثوبًا ضيقًا يُظهر مفاتن جسدها كأنها عارية بل تكون المرأة أشد فتنة من العارية.

وإما أن تلبس المرأة ثوبًا خفيفًا شفافًا يُظهر ثيابها الداخلية، فتظهر المرأة، وكأنها عارية.

(٧) تعظيمه وتوقيره والأدب معه ﷺ:

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(3).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦١٩) كتاب المناقب، (٦٦٣٠) كتاب الأيمان والنذور.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٣) سورة الفتح: الآيتان: (٨، ٩).

قال ابن عباس ﵄: تعزروه: تعظموه... وتوقروه: من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾(١).

وستعجبون أن صدر هذه الآيات قد نزل فى الخيرين الجليلين الكريمين الحبيبين أبى بكر وعمر ﵄.. نعم فى أبى بكر وعمر.

ففى صحيح البخارى عن ابن أبى مُليكة قال: «كاد الخيران أن يهلكا أبوبكر وعمر ﵄» رفعا أصواتهما عند النبى ﷺ حين قدم عليه ركب بنى تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس وأشار الآخر برجل آخر فقال أبوبكر لعمر: ما أردت إلا خلافى قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما فى ذلك فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية.

قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعنى: أبا بكر الصديق(٢).

وفى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك ﵁ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾.

يقول أنس: جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال: أنا من أهل النار واحتبس عن النبى ﷺ. فسأل النبى سعد بن معاذ، فقال: **«يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ أشتكى؟»** قال سعد: إنه لجارى وما علمت له بشكوى. قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أُنزلت هذه الآية، ولقد علمتهم أنى من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبى ﷺ فقال رسول الله: **«بل هو من أهل الجنة»**(٣).

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٤٨٤٥) كتاب التفسير.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (١١٩) كتاب الإيمان.

(٨) التحلى بأخلاق الرسول:

إذا كنت محبًا صادقًا للرسول ﷺ فتخلَّق بأخلاقه:

١- اترك الفُحش، وهو كل ما قبح وساء من قول أو فعل.

٢- اخفض صوتك، واغضض منه إذا نطقت وخاصة فى المجمعات العامة، كالأسواق والمساجد والحفلات وغيرها، ما لم تكن خطيبًا أو واعظًا.

٣- ادفع السيئة التى قد تصيبك من أحد بالحسنة، بأن تعفو عن المسيئ، فلا تؤاخذه، وتصفح عنه بأن لا تعاقبه ولا تهجره.

٤- ترك التأنيب والتعنيف لخادمك، أو زميلك أو ولدك، أو تلميذك أو زوجتك إذا قصَّر فى خدمتك.

٥- لا تُقصِّر فى واجبك، ولا تبخس حق غيرك، حتى لا تضطره إلى أن يقول لك: لِمَ فعلت كذا..؟ أو لِمَ لا تفعل كذا؟ لائمًا عليك، أو عاتبًا لك.

٦- اترك الضحك إلا قليلاً، وليكن جُل ضحكك التبسم.

٧- لا تتأخر عن قضاء حاجة الضعيف والمسكين والمرأة والمشى معهم فى غير تكبّر ولا استنكاف.

٨- مساعدة أهل البيت على شئون البيت، ولو كان حلب شاة أو طهى طعام أو غيره.

٩- البس أحسن الثياب التى عندك، لا سيما وقت الصلاة والأعياد والحفلات.

١٠- لا تتكبّر عن الأكل على الأرض، وأكل ما وُجدَ من الطعام، والاكتفاء بقليل الطعام.

١١- العمل ومشاركة العاملين، ولو بحفر الأرض، ونقل التراب، والسرور بذلك إظهاراً لعدم التكبّر.

١٢- عدم الرضا بالمدح الزائد، والإطراء المبالغ فـيه، والاكتفاء بما هو ثابت للعبد، وبما قام به من صفات الكمال والفضل والخير.
١٣- لا تنطق ببذاء ولا جفاء ولا كلام فاحش ولو مازحًا.
١٤- لا تقل سوءًا ولا تفعله.
١٥- لا تواجه أحدًا من إخوانك بمكروه.
١٦- لازم سلامة النطق، وحلو الكلام.
١٧- لا تكثر المزاح ولا تقل إلا الصدق.
١٨- ارحم الإنسان والحيوان حتى يرحمك الله.
١٩- احذر البخل، فهو مكروه من الله ومن الناس.
٢٠- نَم باكرًا، واستيقظ باكرًا للعبادة والاجتهاد والعمل.
٢١- لا تتأخر عن صلاة الجماعة فى المسجد.
٢٢- احذر الغضب ومـا ينتج عنه، وإذا غضبت فاستـعذ بالله من الشيطان الرجيم.
٢٣- الزم الصمت، ولا تُـكثر الكلام فهو مُسجل عليك.
٢٤- اقرأ القرآن بفهم وتدبر واسمعه من غيرك.
٢٥- لا ترد الطيب -العطر- واستعمله دائمًا لا سيما عند الصلاة.
٢٦- استعمل السواك فهو مفيد جدًّا، لا سيما عند الصلاة.
٢٧- كن شجاعًا وقل الحق ولو على نفسك.
٢٨- اقبل النصيحة من كل إنسان، واحذر ردَّها.
٢٩- اعدل بين زوجاتك وأولادك وفى كل أعمالك.
٣٠- اصبر على أذى الناس وسامحهم؛ حتى يسامحك الله.
٣١- أحب للناس ما تحب لنفسك.
٣٢- أكثر من السلام عند الدخول والخروج واللقاء وفى الأسواق.

٣٣- تقيد بلفظ السلام الوارد فى السنة وهو: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». ولا يُغنى عنه كلمة (صباح الخير، ومساء الخير) أو (أهلاً أو مرحبًا) ويمكن قولها بعد السلام.

٣٤- كن نظيفًا فى مظهرك ولباسك.

٣٥- غيِّر شيبك بالأصفر أو الأحمر واحذر السواد امتثالاً لأمر الرسول ﷺ.

٣٦- تمسَّك بسنن الرسول ﷺ حتى تدخل فى قوله ﷺ: **«إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن بما أنتم عليه أجر خمسين منكم»** قالوا: يا نبى الله أو منهم؟ قال: **«بل منكم»** (١).

اللهم ارزقنا العمل بكتابك، وسنة نبيك، وارزقنا حبه واتباعه وشفاعته (٢).

(٩) تبليغ دعوته وسُنته ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٤).

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «فالدعوة إلى الله تعالى هى وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل فى أممهم، والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أُنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس. وهكذا المبلغون عنه من أمته، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له، وقد أمر النبى ﷺ بالتبليغ عنه ولو

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وفى الأوسط، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٩٤).

(٢) قطوف من الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية/ محمد بن جميل زينو (ص: ١٣١ : ١٣٤) ط. دار الحرمين.

(٣) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

(٤) سورة فصلت: الآية: (٣٣).

آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حـديثًا، وتبليغ سنته إلى الأمـة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأن ذلك التبليغ يـفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقـوم به إلا ورثة الأنبيـاء وخلفاؤهم فى أممهم، جـعلنا الله منهم بمنِّه وكرمه.

ويكفى فى هذا قـول النبى ﷺ لعلى ولمـعاذ أيضًـا: «لأن يهـدى الله بك رجلاً واحـدًا خير لك من حـمر النعم»[1] . وقوله ﷺ : «من دعا إلى هدى فاتُبع عليه، كان له مثل أجر من اتبعه إلى عمله، إلى يوم القيامة»[2] .

وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم[3] .

وعن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[4] .**

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هـدى كان له من الأجر مـثل أجور من تـبعه لا يُنقـص ذلك من أجورهم شـيئًا، ومـن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»[5] .

(١٠) الدفاع عن النبى ﷺ :

وذلك بأن تدافع عن النبى ﷺ وعن سُنتـه -فى حيـاته- وتدافع عن سنة النبى ﷺ بعد وفاته.

* صور من دفاع الله (عز وجل) عن نبيه ﷺ :

* وها هى صور مشرقة من دفاع الله عز وجل عن نبيه وحبيبه محمد ﷺ .

فهو سبحانه الذى قال فى كتابه: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾[6] .

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٩) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

(٣) جلاء الأفهام: (٢٤٩ - ٢٥٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٩٣) كتاب الإمارة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

(٦) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

* بل وفى صلح الحديبية لما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبى ﷺ : يا رسول الله ألست نبى الله حقًّا؟ قال: «بلى» قال عمر: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قال عمر: فلِمَ نُعطى الدنية فى ديننا إذًا؟ فقال له رسول الله ﷺ : «إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى»(١).

- فالشاهد أن النبى ﷺ يعلم يقينًا أن الله ناصره.

*** الله عزوجل ينتقم لنبيه ﷺ من أبى جهل:**

* ففى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ - أى يسجد- قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعُزَّى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه فى التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه. قال: فقيل له: ما لك ؟ فقال: إن بينى وبينه خندقًا من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ : «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»(٢).

* ويقيض الله عز وجل لقتل أبا جهل: غلامين صغيرين دفعهما الحب الشديد لرسول الله ﷺ إلى أن يقتلا أبا جهل لأنه يسب رسول الله ﷺ .

* روى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف قال: إنى لفى الصف يوم بدر، إذ التفتُّ فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن، فكأنى لم آمن لمكانهما إذ قال لى أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم، أرنى أبا جهل. فقلت: يا ابن أخى، ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه، وقال لى الآخر سرًّا من صاحبه مثله. قال: فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين، حتى ضرباه وهما ابنا عفراء(٣).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٩٨٨) كتاب المغازى، ومسلم (١٧٥٢) كتاب الجهاد والسير.

*** أبو لهب وامرأته حمالة الحطب:**

* ولقد كان أبو لهب كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه.

وانظر إلى نموذج من نماذج كيد أبى لهب لدعوة الرسول ﷺ، التى عاداها من اليوم الأول للدعوة.

روى الإمام أحمد، عن ربيعة بن عباد من بنى الديل - وكان جاهليًّا فأسلم - قال: رأيت النبى ﷺ فى الجاهلية، فى سوق ذى المجاز، وهو يقول: **«يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»**.

والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب... يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب(١).

* وروى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل، فنادى: **«يا صباحاه»**.

فاجتمعت إليه قريش، فقال: **«أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مُصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقونى؟»**.

قالوا: نعم.

قال: **«فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد»**.

فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًّا لك.

فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾(٢)(٣).

*** هلاك أبى لهب:**

فانظر ماذا صنع الله بأبى لهب الذى عادى النبى ﷺ عداءً شديدًا.

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: رماه الله بالعدسة فقتلته، فلقد

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح السيرة النبوية (ص١٤٣).

(٢) سورة المسد: الآية: (١).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٩٧٢) كتاب تفسير القرآن.

تركه ابناه بعد موته ثلاثًا، ما دفناه حتى أنتن، وكانت قريش تتقى هذه العدسة، كما تتقى الطاعون، حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكما، ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه؟

فقالا: إنا نخشى عدوى هذه القرحة.

فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفًا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدارٍ، ثم رجموا عليه بالحجارة.

*** هلاك أم جميل (زوجة أبى لهب):**

قال ابن كثير عن أم جميل:

كانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه فى عذابه فى نار جهنم، ولهذا قال: ﴿**حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾ [1]، يعنى: تحمل الحطب فتلقى على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهى مهيأة لذلك، مستعدة له [2].

* ﴿**فِي جِيدِهَا**[3] **حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾.

قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأُنفقنَّها فى عداوة محمد، فأعقبها الله بها حبلاً فى جيدها من مسد النار.

وعن الثورى: هى قلادة من نار طولها سبعون ذراعًا. والجزاء من جنس العمل [4].

عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ جاءت امرأة أبى لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو

---

(١) سورة المسد: الآيتان: (٤، ٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٥).

(٣) الجيد: العنق.

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٦).

تنحيت لا تؤذيك بشىء.

فقال رسول الله ﷺ: «إنه سيحال بينى وبينها»، فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر، فقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك.

فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية (الكعبة)، ما نطق بالشعر ولا يتفوه به.

فقالت: إنك لمصدَّق.

فلما ولت قال أبو بكر رضي الله عنه: ما رأتك؟ قال ﷺ: «لا، ما زال ملك يسترنى حتى ولَّت»[1].

* فتأمل معى كيف كان هلاكها.

قال مُرة الهمدانى: كانت أم جميل تأتى كل يوم بإبالة[2] من الحسك[3] فتطرحه فى طريق المسلمين، فبينما هى حاملة ذات يوم حزمة أعيت، فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها[4]، خنقها الله بحبلها.

* **هلاك ابن أبى لهب:**

* قال ابن كثير: روى ابن عساكر فى ترجمة عتبة بن أبى لهب من طريق محمد بن إسحاق عن هبار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فتجهزت معهما، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينه فى ربه - سبحانه - فانطلق حتى أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد، هو يكفر بالذى دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى.

فقال النبى ﷺ: «اللهم، ابعث إليه كلبًا من كلابك».

ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه، فقال: يا بنى ما قلت له؟

فذكر ما قال له.

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٧).

(٢) الإبالة: الحزمة الكبيرة.

(٣) الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك تعلق بأصواف الغنم، وهو السعدان.

(٤) تفسير القرطبى (١٠/ ٧٣٣٠).

قال: فما قال لك؟

قال: قال: «**اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك**».

قال: يا بنى والله ما آمن عليك دعاءه[١].

وفى رواية عروة بن الزبير: أن عتبة بن أبى لهب وكان تحته بنت رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى الشام، فقال: لآتين محمدًا فلأوذينه.

فأتاه فقال: يا محمد، هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذى دنا فتدلى، ثم تفل فى وجه رسول الله ﷺ وردَّ عليه ابنته وطلقها، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك**».

وكان أبو طالب حاضرًا، فوجم لها وقال: ما كان أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة، فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره[٢].

فسرنا حتى نزلنا الشراة[٣]، وهى مأسدة[٤]، فنزلنا إلى صومعة راهب، فقال: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد، فإنها تسرح الأُسد فيها كما تسرح الغنم، فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كِبر سنى وحقى، وإن هذا الرجل قد دعا على ابنى دعوة والله ما آمنها عليه، فأجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابنى عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا فجاء الأسد فشم وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد؛ تقبَّض، فوثب فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة[٥]، ففضح[٦] رأسه، فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد.

---

(١) ابن كثير (٨/ ٤٢١)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤/ ٣٩): حسن.

(٢) القرطبى (٩/٦٢٥٣).

(٣) الشراة: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ. وفى اللسان: موضع تُنسب إليه الأسد. يقال للشجعان: ما هم إلا أسود الشرى، والشرى طريق فى سلمى كثير الأسد.

(٤) الأرض كثيرة الأسود.

(٥) أى ضربه ضربة.

(٦) أى: شدخه.

فانظر أخى يرحمك الله . . لما تفل فى وجه رسول الله ﷺ أتى الأسد، فشم وجهه، وفضح رأسه، لم يأكله من يديه أو رجليه، وإنما وجه بوجه.

*** عقبة بن أبى معيط:**

هذا الشقى الذى آذى رسول الله ﷺ ، وانفرد بما لم يفعله أحد، ووضع رجله على عنق أطهر الخلق رسول الله ﷺ ، فقُطعت عنقه جزاء وفاقًا.

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبى قال: لما أمر النبى ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يا محمد، من بين قريش؟

قال: «نعم، أتدرون ما صنع هذا بى؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عينىّ ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة، فألقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى»(1).

وذهب عقبة إلى مزبلة التاريخ، وأطيح بعنقه جزاء كفره وعناده وحسده للإسلام ورسوله ﷺ .

*** أُبَىّ بن خلف:**

* **قال ابن إسحاق:** كان أُبى بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة،

---

(1) ذكره الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٣/ ٣٠٥-٣٠٦)،وقال العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (٥/ ٤٠): قلت: وهذا مرسل . وجملة القول إنى لم أجد لهذه القصة إسنادًا تقوم به الحجة على شهرتها فى كتب السيرة وما كل ما يذكر فيها ويساق مساق المسلمات يكون على نهج أهل الحديث من الأمور الثابتات . نعم قد وجدت لقصة عقبة خاصة أصلاً فيما رواه عمرو بن مرة عن إبراهيم قال: أراد الضحاك بن قيس أن يستعمل مسروقًا. فقال له عمارة بن عقبة: أتستعمل رجلا من بقايا قتلة عثمان؟! فقال له مسروق: حدثنا عبد الله بن مسعود - وكان فى أنفسنا موثوق الحديث - أن النبى ﷺ لما أراد قتل أبيك قال: «من للصبية؟» قال: النار. فقد رضيت لك ما رضى لك رسول الله ﷺ . أخرجه أبو داود (٢٦٨٦) والبيهقى (٩ / ٦٥) من طريق عبد الله بن جعفر الرقى، قال: أخبرنى عبد الله بن عمرو بن زيد بن أبى أنيسة عن عمرو بن مرة. قلت: وهذا إسناد جيد رجاله ثقات كلهم رجال الشيخين.

فيقول: يا محمد، إن عندى العَوذَ، فرسًا أعلفه فى كل يوم فرقًا[1] من ذرة، أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ : **«بل أنا أقتلك إن شاء الله»**[2].

* قال ابن كثير: عن عروة بن الزبير قال: كان أُبى بن خلف أخو بنى جمح، قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال: **«بل أنا أقتله إن شاء الله»**. فلما كان يوم أُحد أقبل أُبى فى الحديد مُقنَّعًا، وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب ابن عمير أخو بنى عبد الدار يقى رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أُبى بن خلف من فُرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها بالحربة فوقع إلى الأرض عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه، وهو يخور خوار الثور.

فقالوا له: ما أجزعك، إنما هو خدش؟

فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : **«أنا أقتل أُبيًا»**.

ثم قال: والذى نفسى بيده، لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون.

* وفى رواية: أنه لما رجع إلى قومه، وقد خدشه الرسول ﷺ بالحربة خدشًا غير كبير، قال: قتلنى والله محمد.

قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله ما بك من بأس.

قال: إنه قد كان قال بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق علىَّ لقتلنى، فكان هذا الشقى هو الوحيد الذى قتله رسول الله ﷺ بيده الكريمة[3].

(١) بفتح الراء وإسكانها: مكيال يسع تسعة عشر منًا، وقيل: اثنا عشر منًا.
(٢) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة: أحد ١٦٢.
(٣) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة: أحد ١٦٣.

*** عبد الله بن قمئة:**

عن أبى سعيد الخدرى: أن عبد الله بن قمئة جرحه - أى: الرسول ﷺ - فى وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ﷺ.

فماذا كان جزاء هذا الشقى؟!

قال عبد الرحمن بن زيد بن جابر: إن الذى رمى رسول الله ﷺ بأُحد، فجرحه فى وجهه، قال: خذها منى وأنا ابن قمئة، فقال: «**أقمأك الله**»..

قال: فانصرف إلى أهله فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل، فدخل فيها فشد عليه تيسها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطع.

وفى الطبرانى من حديث أبى أمامة قال: رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أُحد، فشج وجهه وكسر رباعيته، فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ، وهو يمسح الدم عن وجهه: «**ما لك، أقمأك الله**». فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطَّعه قطعةً قطعةً.

وكان جزاؤه من جنس عمله.

فانظر رحمك الله .. لم يرسل الله عز وجل إلى ابن قمئة مَلَكًا لينتقم لنبيه ﷺ، وإنما سلط عليه تيسًا قطَّعه، وألقاه من فوق الجبل، لهوانه على الله.

*** الأرض تلفظ من أراد أن يخدع رسول الله ﷺ :**

ففى الصحيحين من حديث أنس بن مالك ؓ قال: كان رجلٌ نصرانيًّا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبى ﷺ فعاد نصرانيًّا فكان يقول: ما يدرى محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه. فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض

فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه(١).

* **الله يرسل صاعقة على رجل رفض الاستجابة لرسول الله ﷺ :**

فعن **أنس بن مالك** رضي الله عنه **قال**: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى؛ فقال: أيش ربك الذى تدعونى إليه؟! من حديد هو؟! من نحاس هو؟! من فضة هو؟! من ذهب هو؟!

فأتى النبى ﷺ فأخبره فأعاده النبى ﷺ الثانية، فقال مثل ذلك فأتى النبى ﷺ فأخبره فأرسله الثالثة فقال مثل ذلك فأتى النبى ﷺ فأخبره فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقته فقال رسول الله ﷺ : «**إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته**»، فنزلت هذه الآية: ﴿**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾(٢)(٣).

* **غضب الحيوانات من أجله ﷺ وانتقامها له:**

كان النصارى ينشرون دُعاتهم بين قبائل المغول من أجل تنصيرهم، وقد مكَّن لهم الطاغية هولاكو طريق الدعوة بسبب زوجته الصليبية (ظفر خاتون)، وذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفل مغولى كبير عُقد لسبب تنصُّر أحد أمراء المغول، فجعل واحد منهم يتنقص النبى ﷺ ويسبه، وكان هناك كلب صيد مربوط، فلما أكثر الصليبى الخبيث من ذلك زمجر الكلب ووثب عليه فخمشه فخلصوه منه بعد جهد، فقال بعض

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦١٧) كتاب المناقب.

(٢) سورة الرعد: الآية: (١٣).

(٣) رواه البزار فى كشف الأستار (٣/ ٥٤) بإسناد صحيح.

مَن حضر: هذا بكلامك فى حق محمد ﷺ، فقال: كلا، بل هذا الكلب عزيز النفس؛ رآنى أشير بيدى فظن أنى أريد أن أضربه، ثم عاد إلى ما كان فيـه من سب النبى ﷺ فـأطال، فـوثب الكلب مـرة أخـرى على عنق الصليبى وقلع زوره فمات من حينه، فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفًا من المغول (١).

(١١) ومن حقوق النبى ﷺ: الصلاة عليه ﷺ:

قال تعـالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (٢).

قال الإمـام القرطبى -رحـمه الله تعـالى- فى تفسـيره لهذه الآية الـكريمة: «هذه الآية شـرّف الله بها رسـوله ﷺ حياته ومـوته، وذكر منزلتـه منه، وطهّر بها سوء فعل من استصـحب فى جهته فكرة سوء، أو فى أمر زوجاته ونحـو ذلك. والصـلاة من الله رحـمتـه ورضـوانه، ومن الملائكة الدعـاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره».

• كيفية الصلاة عليه ﷺ:

١- عن أبى مسـعود البـدرى ﷺ قال: «أتانا رسول الله ﷺ، ونحن فى مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشـير بن سعد: لقد أمرنا الله تعالى أن نصلى عليك يا رسول الله، فكيف نصلى عليك؟

قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ: **«قولـوا: اللهم صلِّ على محمـد وعلـى آل محـمـد، كما صليت علـى آل إبراهيم وبارك على محـمد وعلى آل محمد، كـما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد... والسلام كما قد علمتم»** (٣).

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر (٣/ ٢٠٢).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٠٥) كتاب الصلاة.

*** فضائل وثمرات الصلاة على النبى ﷺ :**

الأولى: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

الثانية: موافقته سبحانه فى الصلاة عليه ﷺ ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله عليه ثناء وتشريف كما تقدم.

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلى مرة.

الخامسة: أنه يُرفع له عشر درجات.

السادسة: أنه يُكتب له عشر حسنات.

السابعة: أنه يُمحى عنه عشر سيئات.

الثامنة: أنه يُرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهى تُصاعد الدعاء إلى رب العالمين.

التاسعة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفردها.

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب كما تقدم.

الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.

الثالثة عشرة: أنها تقوم مقام الصدقة لذى العُسرة.

الرابعة عشرة: أنها سبب لقضاء الحوائج.

الخامسة عشرة: أنها سبب لصلاة الله على المصلى وصلاة ملائكته عليه.

السادسة عشرة: أنها زكاة للمصلى وطهارة له.

السابعة عشرة: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

الثامنة عشرة: أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

التاسعة عشرة: أنها سبب لرد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة والسلام على المصلى والمسلم عليه.

العشرون:أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه كما تقدم.

الحادية والعشرون:أنه سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

الثانية والعشرون:أنها سبب لنفى الفقر كما تقدم.

الثالثة والعشرون:أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ.

الرابعة والعشرون:نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ.

الخامسة والعشرون:أنها ترمى صاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها.

السادسة والعشرون:أنها تنجى من نتن المجلس الذى لا يُذكر فيه الله ورسوله ويُحمَد ويُثنَى عليه فيه، ويُصلَّى على رسوله ﷺ.

السابعة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذى ابتُدئ بحمد الله والصلاة على رسوله.

الثامنة والعشرون: أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط، وفيه حديث ذكره أبو موسى وغيره.

التاسعة والعشرون: أنه يُخرج بها العبد عن الجفاء.

الثلاثون: أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلِّى عليه بين أهل السماء والأرض؛ لأن المصلى طالب من الله أن يثنى على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلا بد أن يحصل للمصلى نوع من ذلك.

الحادية والثلاثون: أنها سبب للبركة فى ذات المصلى وعمله وعمره، وأسباب مصالحه، لأن المصلى داعٍ ربه أن يبارك عليه وعلى آله، وهذا الدعاء

مستجاب والجزاء من جنسه.

الثانية والثلاثون: أنها سبب لنيل رحمة الله له، لأن الرحمة إما بمعنى الصلاة كما قاله طائفة، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلا بد للمصلى عليه من رحمة تناله.

الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذى لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضاره فى قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه.

فهذا قلب المؤمن: توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محوٌ ولا إزالة.

قال معاذ بن جبل: «ما عمل آدمى عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله». . . . . وذكر رسوله ﷺ تبعٌ لذكره.

والمقصود: أن دوام الذكر سبب لدوام المحبة. فالذكر للقلب كالماء للزرع، بل كالماء للسمك لا حياة له إلا به.

الرابعة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبته للعبد، فإنها إذا كانت سببًا لزيادة محبة المصلى عليه له، كذلك هى سبب لمحبته هو للمصلى عليه.

الخامسة والثلاثون: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه، حتى لا يبقى فى قلبه معارضة لشىء من أوامره.

السادسة والثلاثون: أنها سبب لعرض اسم المصلى عليه ﷺ وذكره عنده كما تقدم قوله ﷺ : «**إن صلاتكم معروضة علىّ**»[1] .

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائى، وابن ماجه، والدارمى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢١٢).

وقوله: «**إن الله وكّل بقبرى ملائكة يبلغونى عن أمتى السلام**»(١). . . . وكفى بالعبد نبلاً أن يُذكر اسمه بين يدى رسول الله ﷺ .

السابعة والثلاثون: أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط، والجواز عليه، لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذى رواه عنه سعيد بن المسيب فى رؤيا النبى ﷺ : «**ورأيت رجلاً من أمتى يزحف على الصراط ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا، فجاءته صلاته علىّ فأقامته على قدميه وأنقذته**»(٢).

رواه أبو موسى المدينى وبنى عليه كتابه فى «الترغيب والترهيب» وقال هذا حديث حسن جدًا.

الثامنة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه، وشكر له على نعمته التى أنعم الله بها علينا، مع أن الذى يستحقه من ذلك لا يُحصَى علمًا ولا قدرة ولا إرادة، ولكن الله سبحانه لكرمه رضى من عباده باليسير من شكره وأداء حقه.

التاسعة والثلاثون: أنها متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله.

الأربعون: أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هى دعاء. ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان:

أحدهما: سؤاله حوائجه ومهماته، وما ينوبه فى الليل والنهار. فهذا دعاء وسؤال وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه.

الثانى: سؤاله أن يثنى على خليله وحبيبه ويزيد فى تشريفه وتكريمه وإثارة ذكره، ورفعه. . . ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك ورسوله يحبه،

---

(١) صحيح: رواه النسائى، والدارمى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٧٤).

(٢) ضعيف: ذكره الهيثمى فى المجمع، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (٢٠٨٦).

فالمصلى عليه ﷺ قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محاب الله ورسوله. . . فمن آثر الله على غيره، آثره الله على غيره.

وهاهنا نكتة حسنة لمن علَّم أمته دينه وما جاءهم به، ودعاهم إليه وحضّهم عليه، وصبر على ذلك، وهى أن النبى ﷺ له من الأجر الزائد على أجر عمله مثل أجور من اتبعه. فالداعى إلى سنته ودينه، والمعلم الخير للأمة إذا قصد توفير هذا الحظ على رسول الله ﷺ وصرفه إليه، وكان مقصوده بدعاء الخلق إلى الله التقرب إليه بإرشاد عباده، وتوفير أجور المطيعين له على رسول الله ﷺ مع توفيتهم أجورهم كاملة كان له من الأجر فى دعوته وتعليمه بحسب هذه النية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[١].

(١٢) الأدب معه ﷺ بعد موته:

لقد شدد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى ذلك الأمر تشديدًا عظيمًا وكان يعاقب من يرفع صوته فى المسجد النبوى الشريف بعد موت رسول الله ﷺ.

فعن السائب بن يزيد قال: كنت قائمًا فى المسجد فحصبنى[٢] رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فائتنى بهذين فجئتُهُ بهما.

قال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟

قالا: من أهل الطائف.

قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله ﷺ[٣]؟!!

وقال القاضى أبو بكر بن العربى: حُرمة النبى ﷺ ميتًا كحرمته حيًّا. .

---

(١) مختصر جلاء الأفهام (ص: ٦٩-٧٢).

(٢) حصبنى: أى رمانى بالحصباء.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٧٠) فى كتاب الصلاة.

وكلامه المأثور بعد موته كلامه المسموع فى لفظه ﷺ فإذا قُرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يُعرض عنه كما كان يلزمه (أو يجب عليه ذلك) فى مجلسه ﷺ .

انظر إلى أدب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله.

عن ابن أبى أُويس قال: كان مالك إذا أراد أن يحدث عن رسول الله ﷺ توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن فى الجلوس بوقار، وهيبة، ثم حدّث فقيل له فى ذلك فقال: أحب أن أُعظم حديث النبى ﷺ [١].

وعن معن بن عيسى قال: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب، فإذا رفع أحد صوته فى مجلسه زجره، قال: قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ [٢].

كيف ننصر رسول الله ﷺ ؟

إننى أريد أولاً أن نرجع إلى عهد النبى محمد ﷺ لنرى كيف بايعه الأنصار بيعة العقبة الثانية . . . فإنهم لما ذهبوا إليه، قالوا له: علام نبايعك يا رسول الله؟

فقال لهم ﷺ : «تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل وعلى النفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى أن تقولوا الحق ولا تخافوا فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت

(١) صفة الصفوة (٢/ ١٧٨) وحلية الأولياء (٦/ ٣٨٨).

(٢) تهذيب الكمال (١١/ ١١١).

عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة»[(١)].

* فهذه البيعة في عنق كل مسلم ومسلمة.

وأنت إذا نصرت الله ونصرت رسول الله ﷺ فاعلم أن الله سينصرك فقد قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[(٣)].

* ولكن لا بد أن تعلم أن النصر ليس هو النصر على العدو فحسب .. وإنما النصر الحقيقى أن تموت وأنت على الحق .. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(٤)].

* وأنا أذكر لك هذا المثال؛ لتعلم أن النصر الحقيقى ليس هو النصر على الأعداء فحسب بل هو أن تموت على الحق .... قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[(٦)].

ومع ذلك فلقد قُتل كثير من الأنبياء والمرسلين فهل خذل الله أنبياءه بأن تركهم ليُقتلوا؟

كلا .. بل إن الله أراد أن يجمع لهم مرتبة الشهادة مع مرتبة الرسالة.

* إذًا فعلينا أن نجدد بيعة العقبة فى قلوبنا وأن ننصر رسول الله ﷺ، وأن ننصر سُنته وشريعته وأن نتمسك بها حتى نموت على ذلك.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٣).

(٢) سورة محمد: الآية: (٧).

(٣) سورة الحج: الآية: (٤٠).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٥) سورة المجادلة: الآية: (٢١).

(٦) سورة غافر: الآية: (٥١).

ولذا فإنى أذكر لحضراتكم بعض الأشياء التى ننصر بها رسول الله ﷺ :

(١) مقاطعة أفكار الغرب ومعتقداته:

فقبل أن نتكلم عن المقاطعة الاقتصادية فلا بد أن نقاطع أفكارهم، فإنه ليس من المعقول أن نقاطع منتجاتهم ونحن نقلدهم فى عاداتهم وتقاليدهم وملابسهم وتسريحة شعرهم وطريقة كلامهم.

(٢) المقاطعة الاقتصادية:

لأن هؤلاء الناس يخافون على دنياهم كل الخوف . . ولذلك فأنا أوجه هذا النداء لرجال الأعمال المسلمين ولعامة المسلمين ليقاطعوا منتجات هؤلاء القوم.

فيا رجال الأعمال . . ويا تُجَّارنا الكرام . .

أبو بكر نصر الإسلام فى وقت الردة، والإمام أحمد نصر الإسلام فى وقت المحنة، وأنتم جاء دوركم، وحان وقتكم فى نصرة نبيكم ﷺ ، لابد أن تكون لكم مواقف حازمة، ومآثر رائعة غيرةً لنبيكم ﷺ .

يا رجال الأعمال . . أوقفوا كل التعاملات التجارية مع أى دولة تسيئ إلى رسولنا ﷺ ، حتى يتم الاعتذار علنيًّا ورسميًّا من تلك الصحف التى تسيئ إلى رسول الله ﷺ . . وتذكَّروا أن المال زائل، لكن المآثر باقية مشكورة فى الدنيا والآخرة، وأعظمها حب رسول الله ﷺ والانتصار له.

ولكم أسوة فى الصحابى الجليل عبد الله بن عبد الله بن أُبى ابن سلول، فى موقفه الحازم من أبيه، عندما آذى رسول الله ﷺ ، وكيف أنه أجبر أباه على الاعتذار لرسول الله ﷺ ، وإلا منعه من دخول المدينة، فى الحادثة التى سجلها القرآن الكريم: ﴿ **يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[١].

وثبت أن المنافق عبد الله بن أُبى ابن سلول تكلم على رسول الله ﷺ

---

(١) سورة المنافقون: الآية: (٨).

بكلام قبيح، حيث قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل، فعلم ولده عبد الله بذلك فقال لوالده: والله لا تفلت حتى تُقر أنك أنت الذليل ورسول الله ﷺ العزيز!!

الله أكبر .. هكذا يغضب الرجال لرسول الله، وهكذا ينتصر الأبطال لنبى الله!!

لم يأذن لوالده بدخول المدينة؛ حتى يقر بأنه هو الذليل ورسول الله ﷺ هو العزيز وقد فعل ..

لم يجامل والده!! لم يداهن من أجل قرابته!!

لم يتنازل عن الدفاع عن رسول الله من أجل مصالحه، فهو والده ومن ينفق عليه.

إنه الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، يصنع الأعاجيب!

فهل يستجيب رجال الأعمال لهذا الواجب فى الغيرة لنبيهم ﷺ ؟

وهل يكفُّون عن التعامل التجارى مع أى دولة تُسيئ لرسولنا ﷺ ؛ حتى يتم تقديم الاعتذار الرسمى، واشتراط عدم تكرار هذه الجريمة؟!

وأنتم أيها المسلمون .. أتعجزون عن مقاطعة منتجاتهم، غيرة لنبيكم ﷺ ؟!

حتى يعلم أولئك الأوغاد أن لرسول الله ﷺ أنصارًا، لا يرضون أن يُدنَّس جنابه، أو أن يُمسَّ عِرضه بسوء ودون ذلك حزُّ الرؤوس:

فإن أبى ووالده وعرضى

لعرض محمد منكم وقاء

فيا أمة الإسلام .. من ينتصر لرسول الله؟ من ينتصر لرسول الله؟

من ينتصر لمحمد ﷺ الذى ضحى بكل ما يملك من أجل أن يصلنا هذا الدين؟!

فكم أُوذى من أجلنا؟! كم طُرد من أرضه من أجلنا؟! أنعجز بعد هذا الجهد، وذاك النَّصَب، أن نقاطع منتجات هؤلاء الكفار؟! أو نكتب إلى سفارتهم خطابًا نعبر فيه عن غضبنا عما حصل من تلك الصحيفة!!

نعم أيها المسلمون .. آن لنا والله أن نقف وقفةً جادة، ونفجر غضبنا بالأفعال التى لا يمكن تجاهلها ..

تعالوا لنطعنهم فى شريانهم الرئيسى، وفى سر قوتهم، تعالوا نطعنهم فى اقتصادهم، دون أن نخسر شيئًا .. ونكون بذلك قد حطمنا جزءًا من كبريائهم، ولا يقل قائل كم سيكون حجم مقاطعتى، فإن المطلوب منك أن تبرئ ذمتك أمام الله تعالى .. يقول النبى ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم**»[1].

(٣) أن نتعلم سيرة الرسول ﷺ:

من خلال اقتناء كتاب فى السيرة؛ لنقرأه على أولادنا وأزواجنا وآبائنا وأمهاتنا؛ لنعرف كيف تعب النبى ﷺ وضحَّى من أجل أن نكون مسلمين فنزداد له حبًّا ﷺ.

- وأقترح على إخوانى وأخواتى هذا الكتاب الذى كتبته عن سيرة الرسول ﷺ .. واسم الكتاب: «سيرة الرسول ﷺ» وهو كتاب محقق وفى نفس الوقت سهل وبسيط ويجمع لكم السيرة كاملة بعيدًا عن الروايات الضعيفة .. وهو كتاب أثنى عليه - بفضل الله وحده - كل من قرأه من علماء مصر والمملكة العربية السعودية.

- وليس هذا من باب الترويج لسلعة تجارية؛ فالكتاب يتم توزيعه فى أكثر دول العالم - ولله الحمد - ولكن هذا من باب الدلالة على الخير.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٨٢١).

(٤) العودة إلى هدى رسول الله ﷺ وسنته:

إن سنة النبى ﷺ هى بمثابة طوق النجاة من هذه الفتنة التى تملأ الكون ولذا قال ﷺ : «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض**»(١).

* فلا بد أن نتعلم سنة النبى ﷺ ونعلمها لكل من حولنا لنسعد جميعًا فى الدنيا والآخرة . . وليسعد بنا النبى ﷺ عندما نلقاه على الحوض، فنشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

(٥) أن ندعو الكون كله إلى دين الله بخلق رسول الله ﷺ :

الكون كله الآن يسمع عن رسول الله ﷺ . . فهيا لنطرق على الحديد وهو ساخن فندعو الكون كله إلى دين الله . . ولكن بخُلق رسول الله ﷺ .

- ندعو الناس برحمة وحنان حتى لا نكون فتنة لمن حولنا فلقد قال الله تعالى لحبيبه ﷺ : ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(٢).

*ولنحذر جميعًا أن نقع فيما وقع فيه الغرب. . . فإذا سبُّوا فلا نَسُبُّ وإذا اعتدوا فلا نعتدى؛ لأننا نريد أن نُريهم أخلاق النبى ﷺ ؛ ليعلموا أن الإسلام هو الدين الحق الذى لا يقبل الله سواه. . وأن النبى ﷺ هو سيد ولد آدم الذى أرسله الله رحمة للعالمين.

* فلنتحرك من الآن لنصرة رسول الله ﷺ . . ولنجتهد قدر استطاعتنا فى أن نستخدم كل الوسائل التى تحت أيدينا فى دعوة الكون كله إلى دين الله. وذلك من خلال استخدام كل المواقع الإسلامية على

---

(١) صحيح: رواه الحاكم، والدارقطنى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الحديث حجة بنفسه (ص ٢٢).

(٢) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

الإنترنت، ومن خــلال توزيع الكتب والأشرطة التى تتكــلم عن رسول الله ﷺ ، وعن أخلاقه فعسى الله أن يجعلنا سببًا فى هداية هؤلاء الناس . .

وقد قال ﷺ -كما فى الـصحيحين-: **«ولأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَّعم»**(١).

* إننا نريد أن نرفع شعار سعد بن معاذ رضي الله عنه الذى رفعه فى يوم بدر.

فقال للنبى ﷺ : كأنك تريدنا نحن يا رسول الله ﷺ .

- نعم. . . النبى ﷺ يريدك أنت أيها الأخ الحبيب ويريدك أنت أيتها الأخت الفاضلة . . يريدنا أن ننصره وأن نــدعو الكون كله إلى هديه وسُنته وأن نُعرِّف الكون كله مَن هو رسول الله ﷺ .

* ولا ننسى أبدًا أن النبى ﷺ أخبــر أن الإسلام سيصل إلى مــشارق الأرض ومغــاربها ولن يترك الله بيت مــدر ولا بيت وبر إلا أدخله الله هذا الدين.

* فنسأل الله جل وعــلا أن يشرح صدور الناس للإسلام، واتِّبــاع سيد الأنام محمد بن عبد الله ﷺ .

* * *

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٧٠١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

شُبهات وردود

شبهات وردود

وعلى الرغم من مكانة الأنبياء والمرسلين (صلـوات ربى وسلامه عليهم) إلا أن بعض الذين طمس الله على قلوبهم مازالوا حـتى هذه اللحظة يُثيرون الشُّبهات حول النبى ﷺ بسبب جهلهم وحقدهم.

فما كان منهم إلا أن أطلقوا العنان لألسنتهم بالتُّهم الكاذبة فقلبوا الحقائق أباطيل وتناولوا سـيرته العطـرة بالتجـريح واتهمـوا أصحـابه ﷺ بالكذب والتدليس.

* ونحن لن نرد عليهـم من مَعين أخلاقـهم بل سنرد عليهم من مـعين أخلاقنا التى تعلمناها من سيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ الذى قال الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

* ولن نستطيـع الرد على كل الشبهـات التى أوردوها ولكن سنرد على الشبـهات المشهـورة فقط... على أن يكون هناك بحث مـتكامل - إن شاء الله - لنرد فيه على كل الشبهات التى يثيرها أعداء الإسلام.

* * *

---

(١) سورة القلم: الآية: (٤).

دفع الشبهات عن الحبيب المصطفى ﷺ [(١)]

وإذا كان البعض يتطاول على السنة النبوية، فإن الأمر لم يقف عند ذلك، وإنما تعدَّاه للتطاول على صاحب السُّنة ﷺ، وظهرت الوسائل الحديثة لنشر المعلومات «الإنترنت» فاستغلها هؤلاء للنَّيل من السُّنة، وصاحبها والإسلام عمومًا.

وبين يدى صفحات من الإنترنت منها ما هو لقسٍّ يُدعى (جيرى فالويل) وقبل الرد أوضح النقاط الآتية:

١- إن المسلمين لا يستطيعون مقابلة خطأ المسيحى أو اليهودى أو غيرهم فى رسول الإسلام بالخطأ فى عيسى أو موسى أو أى نبى أو أى دين، ذلك أن المسلمين يؤمنون بكل رسل الله، والإسلام لا يسمح لأى مسلم بالتجنِّى على الأنبياء، أو محاولة تشويه الأديان، وإنما يوجب عليهم الإيمان بكل رسل الله،... قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (٢).

٢- إن اعتراض أفراد على رسول الله محمد ﷺ اعتراض غير مقبول، ذلك أن رسول الله ﷺ اصطفاه الله وأرسله رحمة للعالمين، ومدحه ربنا فى القرآن الكريم، وفى التوراة، والإنجيل، واعترف بذلك المنصفون من اليهود والنصارى(٣)، ومدحه عارفوه من أهل زمانه، وأسلموا، وتفانوا فى نُصرته،

(١) بتصرف من كتاب (دفع الشبهات عن السنة والرسول)/ أ. د: عبد المهدى عبد القادر (حفظه الله).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٥).

(٣) راجع الاجتماع رقم (١٤٩) بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٩٦٥ بمدينة الفاتيكان. الفقرة الخاصة باحترام الكنيسة للمسلمين. وراجع: محمد رسول الله هكذا بشرت الأناجيل تأليف / بشرى زخارى ميخائيل ص١٢٠ ط عالم الكتب. وراجع كتاب «المسيح أمام المسلمين» د/ ميشال الحائك، أستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس.

وأثنى عليه المنصفون ممن درسوا سيرته بصدق، سواء من أمته أو من غير أمته[١].

٣- من المُسلَّمات عالميًّا أن كلام الإنسان لا يُقبل فى عدوه، وعليه فأعداء الإسلام، وأعداء رسول الله ﷺ كلامهم غير مقبول فى دائرة الإسلام عند عقلاء العالم، وإذا قبله المعادون فلا عبرة بكل ذلك.

٤- إنَّ تطاول البعض على رسول الله ﷺ ليس جديدًا وليس غريبًا، فكم تطاول الأشرار على الأنبياء، عذبوهم وقتلوهم، . . وشر هؤلاء موجود إلى الآن يتطاولون على الأخيار، ويؤذون الصادقين، فتطاولهم على رسول الله ﷺ ظاهرة صحية، تدل على حيوية دينه، وعظمة رسالته ﷺ.

٥- إن هؤلاء المتطاولين على رسول الله ﷺ يزجُّون بأُممهم إن كانت قوية فى الظلم والإفساد، وإن كانت ضعيفة إلى المزيد من الضعف والاستعباد، . . وواجب العقلاء إزاء ذلك إسكات هؤلاء ونصرة الحق.

٦- إن هؤلاء القُساة يصورون أنفسهم وكأنهم المسالمون المنصفون وواقعهم وكتاباتهم تثبت عكس ذلك، فأُناس يغالطون ويفترون إنما هم ليسوا على حق.

٧- إن هؤلاء المتطاولين على رسول الله محمد ﷺ . . الحق أمامهم أبلج، لكنهم يحيدون عنه، والرد عليهم نوع من بيان الحق لهم وللجميع، والحق أحق أن يُشهر ويُنصر.

من هنا كتبت هذا الرد، نصيحة للجميع، وإظهاراً للحق لطلابه.

والله الهادى إلى الصراط المستقيم.

* وسأضع بين أيديكم ما أورده القس (جيرى فالويل) من الشبهات ورد الدكتور (عبد المهدى عبد القادر) عليه. . جزاه الله خيراً.

---

(١) راجع كتاب «محمد عند علماء الغرب» للشيخ خليل ياسين.

الرد على القس (جيرى فالويل) ومن على شاكلته

*** أولاً: ادعاؤهم أن محمداً يقتل:**

يدَّعى القس جيرى فالويل: بأنه - ومن خلال كلام شيخ الأزهر - يظهر أن محمدًا رسول الإسلام إرهابى!!

وراح القس يقول: إن شيخ الأزهر قد عرَّف الإرهابى بأنه الذى يعتدى على أنفس الناس، ورسول الإسلام قد اعتدى على الكثير من أنفس الناس، وذكر من ذلك:

* **أولاً:** أخرج البخارى عن أبى قلابة عن أنس قال: قدم أناس من عُكل أو عُرينة فاجتووا المدينة، فأمرهم النبى ﷺ بلقاح، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا، فلما صحُّوا قتلوا راعى النبى ﷺ، واستاقوا النّعم، فجاء الخبر فى أول النهار، فبعث فى آثارهم، فلما ارتفع النهار جىء بهم، فأمر فقطع أيديهم وأرجلهم، وسُمرت أعينهم وأُلقوا فى الحرَّة يستسقون فلا يُسقون.

قال أبو قلابة: فهؤلاء سرقوا، وقتلوا، وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله. [فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٢/ ٣٣٥ رقم ٢٣٣، وفيه ذكر أرقام بقية رواياته فى صحيح البخارى].

يقول القس: المشكلة هى أن رسول الله الذى ينهى عن المثلة يقوم هو بنفسه فيمثل بهؤلاء القوم فيقطع أيديهم وأرجلهم ويُسمِّر أعينهم لأنهم قتلوا راعيه، ولو قال الراوى بأن هؤلاء القوم مثلوا بالراعى لكان للنبى عذر فى المعاقبة بالمثل، ولكن ذلك غير وارد.

*** وأقول لهذا القس وأشكاله:**

إن ادعاءك أن رسول الله ﷺ مثَّل بهم ادعاء كاذب، فرسول الله ﷺ لم يمثل بهم، وإنما اقتص منهم.

وقولك: ولو قال الراوى بأن هؤلاء القوم مثَّلوا بالراعى لكان للنبى عذر فى المعاقبة بالمثل ولكن ذلك غير وارد. . انتهى كلامك.

أقول: كلامك هذا عارٍ عن الصحة، خالٍ عن منهجية البحث العلمى، وكان اللائق وأنت تريد أن تتكلم فى حق نبى مرسل أن تتحلى بروح البحث العلمى، من الدقة والنزاهة، وكلامك عار عن الأمرين: ففى رواية هذا الحديث عند مسلم ٣/١٢٩٨ رقم ١٤ يقول أنس: إنما سمَّل النبى أعين أولئك لأنهم سمَّلوا أعين الرعاء. اهـ. والسمل والسمر بمعنى واحد هو فقء العين.

وقول أنس راوى الحديث هذا القول يُظهر خطأك.

إن رسول الله محمداً ﷺ لم يمثل بالقتلة، وإنما امتثل فيهم قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[1].

إن هؤلاء الذين قَدِموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، وأقاموا فى المدينة يكرمهم ويعتنى بشئونهم، هؤلاء حينما صحوا وتفردوا بالرعاة قتلوهم، ومثَّلوا بهم، وسرقوا الإبل!!!.

وليست جريمتهم ذلك فقط، وإنما جريمتهم الأساسية أنهم خرجوا على الدولة، وتمردوا على نظام الأمة، هذا الذى يسمى فى زماننا «الخيانة العظمى» ولذلك يقول أبو قلابة - راوى الحديث عن أنس - فهؤلاء سرقوا وقتلوا، وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله.

إن عقوبة هؤلاء كما قال الله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

وواضح من الروايات أن الجريمة كانت من الجميع، فكلهم خان، وكلهم

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٩٤).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٣٣).

قتل، وكلهم أخذ الإبل وهرب، بدليل أن القافلة التى أرسلها رسول الله ﷺ تبحث عنهم وجدتهم جميعًا، وأحضرتهم أجمعين.

ومما خفى على القس أو أخفاه على القارئ أن أحد الرعاء نجا، وهذا حمل الخبر بكامله إلى رسول الله ﷺ، وأيضًا فإن هؤلاء العُرنيين لم يقتلوا واحدًا وإنما قتلوا راعى إبل رسول الله ﷺ وقتلوا رعاء إبل الصدقة، ولذا جاء فى رواية هذا الحديث عند مسلم: «**ثم مالوا على الرعاة** فقتلوهم، وارتدوا عن الإسلام، وساقوا ذود رسول الله ﷺ».

*** ثانيًا: قوله: أن النبى ﷺ همَّ بإحراق قوم فى منازلهم:**

* ويستطرد القس فى ضلالاته، ويقول: إن رسول الله محمدًا ﷺ كان من إرهابه أنه هَمَّ بإحراق قوم فى منازلهم، وساق حديث هَمّ رسول الله ﷺ بتحريق المتخلفين عن صلاة الجماعة، لكنه ساقه من كتاب ليس مصدرًا للسنة، فأسوقه أنا من صحيح البخارى... فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيُحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذَّن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذى نفسى بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينًا أو مرماتين حسنتين لشَهِد العشاء**»(١).

وأقول: أى إرهاب فى هذا؟ إنه ﷺ لم يحرق أحدًا، ولم يُعنف أحدًا، ولم يذكر أحدًا باسمه، وإنما نفَّر من ترك الصلاة فى الجماعة، ويعبر ﷺ عن هذا التنفير بأنه هَمَّ أن يحرقهم... إن هذا الأسلوب يفيد أنه ﷺ يحذر من ترك الجماعة كل التحذير، وينفر منه كل التنفير، وذلك لِعظم مكانة الصلاة، وعظيم فضل الجماعة.

لقد قال ﷺ إنه هم، والهم أقل من العزم، أى أنه لا يرضى ترك

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٤) كتاب الأذان.

الجماعة، ويُغضبه ذلك، حتى أنه جال بخـاطره أن يحرقهم، لكنه - وهو الرسول المطاع - لم يعزم، ولم يحرق، فأين الإرهاب؟

لقد ترك لنا النبى ﷺ هذا الحديث، والذى فيه هذا الهم ليحـثنا كثيراً على عبادة الله على خـير وجه، فأردت أن تجعل هذا الحديث سـببًا لاتهام الرسول العظيم بالإرهاب، ونسيت أنه هم ولم يفعل، أما أنتم فتقتلون البشر بمئات الملايين بأقوى المتفجرات.

وأخـرى أيها القـسيـس فإن رسـول الله ﷺ لم يقل: «وأُحرقُـهم» وإنما قال: «**أحرق عليـهم بيوتهم**» والفرق بين التـعبـيرين عظيم، فالأول: يفـيد إحراق الناس، وهو لم يَقُله ﷺ.

والثانى: يفيد تحريق البيـوت على من فيها، مما يجعلهم يخرجون منها، وليس بلازم أن يُحرقُوا هم. وقد جـاء فى إحدى روايات هذا الحديث وهو حديث أسامة بن زيـد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لينتهين رجال عن ترك الجماعة أو لأحرقن بيوتهم**».

*** ثالثًا: اعتراضه على قتل (هبَّار بن الأسود):**

*** وقبل أن أرد عليـك سأورد الحديث... عن أبـى هريرة قال:** بعث رسول الله ﷺ سرية أنا فـيها، فقال لنا: «**إن ظفرتم بهبَّار بن الأسود، أو الرجل الذى سبق معه إلى زينب**» - قال ابن هشام: وقد سـمى ابن إسحاق الرجل، وقال: هو نافع بن عبد قيس - «**فحرقوهما بالنار**». قال: فلما كان الغد بعث إلينا، فقال: «**إنى كنت أمرتكم بتحـريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا الله، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما**»[1].

إن هبَّـــار بن الأسـود تعـرَّض لزينب بنت رســول الله ﷺ، وهى مهاجرة، فروَّعها حتى سـقطت من هودجها على صخرة، فأسقطت ما فى

(١) السيـرة النبويـة لابن هشام المجلد الأول ص٦٥٧، وأخـرجه البـخارى (٣٠١٦)، وهو فى مـجمع الزوائد (٩/ ٢١٢).

بطنها، وظلت تنزف حتى ماتت، فهل يرى القس [جيرى فالويل] أن الأمر بقتله إرهاب!! إن رسول الله ﷺ لم يأمر بقتل هبار وهو معتدل مستقيم، وإنما أمر بقتله لما اقترفه من إجرام... وكل دول العالم لها قوانين للعقوبات فيها النَّص على قتل مَن قتل، وكم من حاكم قتل جانيًا، ولا يُقال إن الحاكم إرهابى ولا مجرم، وإنما الإرهابى والمجرم هو الجانى.... ومع كل هذا فإن رسول الله ﷺ لم يمس هبار بن الأسود بأى أذى، فلم يقطع يديه ولا رجليه، ولا قتله!! فكيف تتهمه بالإرهاب!!

إننى أتساءل مع هذا القس: إنك تدَّعى أن رسول الإسلام إرهابى لأنه قطع أيدى وأرجل أناس، وقتل أُناسًا، وأنت لا تستطيع أن تذكر واحدًا من هؤلاء، فمن قطع رسول الله يديه؟ ومن قطع رسول الله رجليه، ومن قتله رسول الله؟ إنه ﷺ لم يقتل ولم يمثل - لقد عفا ﷺ عن هبَّار بن الأسود، الذى قتل زينب بنته، وقتل الجنين الذى كان فى بطنها!! كما عفا عن وحشى قاتل حمزة عمه ﷺ!! وعن مشركى مكة الذين أخرجوه، وحاولوا قتله لولا عناية الله وقتلوا بعض أصحابه، فلما فتح الله عليه مكة عفا عنهم، ولم يثأر منهم.

*** رابعًا: شبهة قتل الأسود العنسى الذى ادَّعى النبوة:**

والقس غضبان أن الصحابة قتلوا الأسود العنسى، ويدعى أنهم حملوا رأسه إلى رسول الله ﷺ فى المدينة، ويسوق خبرًا عن عبد الله بن الديلمى عن أبيه فيروز الديلمى قال: أتينا رسول الله ﷺ برأس الأسود العنسى الكذاب.

وأقول له: هذا الخبر شاذ، لا يُقبل فى مدرسة الإسلام، ونحن معشر المسلمين نتعامل مع النصوص وفق أصول علمية، فأخبار الثقات تُقبل، وأخبار الفاسقين لا تُقبل، وليس هذا عند أمة أخرى، فعلم نقد الأخبار سندًا

ومتنًا من خصوصيات أمة الإسلام.

إن الأسود العنسى أسلم، ثم ارتد، وهو من أول المرتدين، وخرج على دولة الإسلام، وراح يستولى على الحكم فى بلاد اليمن عُنوة وقسرًا، فاضطهد الكثيرين، ونهب الأموال. واستباح الدماء، وانتهك الأعراض. وممن قتلهم شهر بن باذان حاكم بلاد اليمن لرسول الله ﷺ ، قتله الأسود وأخذ زوجته زاذ رغم أنفها.

لقد كان الأسود رَجلاً قاسيًا غاية فى الإجرام، وَصَفَته (زاذ) هذه فقالت: ما يقوم لله على حق، ولا ينتهى له عن حرمة [كذا فى البداية ٦/٣٤٨] لقد اضطهد الناس فى دينهم، وادعى النبوة، وأرغم الكثيرين على اتباعه، وكانوا جميعًا يعلمون كذبه!!

ومن هنا عمل كل الناس على قتله، وانبرى لذلك فيروز الديلمى الرجل المسلم، وعاونته زاذ هذه السيدة التى كانت زوجة «شهر بن باذان» حاكم اليمن المسلم، وأبوه باذان كان أيضًا حاكم اليمن للفرس ثم أسلم.. وزاذ ابنة عم فيروز الديلمى، وفيروز ابن أخت النجاشى ملك الحبشة، فهما أسرة جمعت بين الدين والملك، ولقد تعاون معهم آخرون، وقتلوا الأسود لما ارتكبه من ظلم فاق كل تصور، فأى إرهاب فى هذا؟!!

لقد صادر الأسود حريات الناس، وقتل واغتصب، وأهلك عبادًا وبلادًا، فأى إرهاب فى قتله؟!!

*** خامسًا: أن رسول الله يعشق الانتقام:**

*** خامسًا:** ويدَّعى القس: أن رسول الله يعشق الانتقام!! ويستدل على ذلك بأنه حينما مثَّل المشركون بحمزة عمه ﷺ قال: **«والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك»**.

وأقول له: بداية فهذا الحديث ضعَّفه الحافظ ابن حجر فى الفتح

(٧/ ٣٧١). . وكذلك أقول له: لقد ظلمت نفسك أيها القس.

ومما يزيد من بشاعة ظلمك أنك ظلمت رسول الله ﷺ الذى قال الله فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١).

يا أيها القس، إن رسول الله ﷺ لم يمثل بأحد، وإنما عفا وصبر.

وتفصيل **القول**: إنه فى غزوة أحد، قتل المشركون من المسلمين سبعين رجلاً، ومبالغة فى القسوة مثّلوا بهؤلاء القتلى، فقطعوا أنوفهم، وآذانهم، وشقُّوا بطونهم، وشقوا بطن حمزة - عم رسول الله ﷺ - واستخرجوا كبده، ومضغتها هند بنت عتبة!!

ولما رأى رسول الله ﷺ والمسلمون ما فعله المشركون - من التمثيل بالقتلى - حزنوا كثيرًا، وتوعدوا أن يمثلوا بقتلى المشركين فى أقرب معركة.

وأتسأءل مع القس وأشياعه: لقد مثل المشركون بقتلى المسلمين، فهل إذا مثل رسول الله ﷺ والمسلمون بقتلى المشركين يكون إرهابًا؟

إن إخبار رسول الله ﷺ والمسلمين بأنهم سيقتصون من المشركين، هو طبيعة البشر، إلا أن هؤلاء يفوقون البشر فى أن لهم دينًا ينهاهم عن الإرهاب، «الإجرام»، ويأخذ بأيديهم إلى مكارم الأخلاق.

فعن أُبى بن كعب أنه أصيب من الأنصار يوم أُحد أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة فيهم حمزة، فمثلوا بقتلاهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا من الدهر لنُربين - لنزيدن - عليهم، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل لا يُعرف: لا قريش بعد اليوم، (مرتين)، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾(٢)، فقال النبى ﷺ: «**كُفُّوا عن القوم**». [دلائل النبوة للبيهقى

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٢) سورة النحل: الآية: (١٢٦).

٣/ ٢٨٩] وفى رواية أنه ﷺ قال: «نصبر يا رب نصبر»، ونهى عن المثلة.

وهكذا توعد رسول الله ﷺ الطغاة، وجاءت الآية توضح جواز القصاص، وأن العفو أفضل، فأخذ ﷺ والمسلمون بالعفو.

إنه ﷺ لم ينتقم، ولم يمثل بأحد، على الرغم من فعلة المشركين الشنعاء، وإنما عفا وصبر، وكم عفا وكم صبر، وكم عفا وكم صبر.

* **سادسًا: أن النبى ﷺ يسب ويلعن:**

* **سادسًا: ويضيف القس قائلاً:**

محمد يجلد ويسب ويلعن: ويستدل على ذلك بحديث أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اللهم إنما محمد بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإنى قد اتخذت عندك عهداً لن تُخلفنيه، فأيما مؤمن آذيته، أو سببته، أو جلدته، فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة»**[(١)].

وأقول لهذا القس: إن هذا الحديث ليس فيه أنه ﷺ جلد أحدًا أو سَبَّ أحدًا أو لعن أحدًا!!!

وإنما يُثبت الحديث قمة الورع له ﷺ، فإنه سأل ربه سبحانه وتعالى أنه لو حدث هذا فليكرم سبحانه هذا المسلم، ويجعل ما وقع من رسول الله كفارة وقربة وزكاة وطهورًا له، بمعنى أن ما وقع من رسول الله ﷺ لمسلم يجعله الله سببًا لمغفرة سيئات هذا المسلم، أو زيادة فى حسناته.

إنه ﷺ يخشى على أمته، فهو مستجاب الدعوة، ويخشى على نفسه فهو يخاف الزلة مهما دقَّت، حتى إنه يستغفر إذا غفل عن ذكر الله طرفة عين، ومن هنا فقبل أن يحدث شىء من ذلك دعا الله أن لا يستجيب دعوته على مسلم، وأن يجعل كل ما يصدر منه خيراً وبركة على هذا المسلم، وبذا

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٦١) الدعوات، ومسلم (٢٦٠١) كتاب البر والصلة.

يكون هذا المسلم رابحًا، ويكون رسول الله ﷺ أيضًا رابحًا، وربنا هو الغفور الرحيم، الحليم الكريم.

إن رسول الله محمدًا إنسان لا يُخرجه الغضب عن الحق وهو ﷺ لا ينتقم لنفسه، وإنما ينتقم إذا حدثت معصية، قالت عنه أم المؤمنين عائشة: ما انتقم ﷺ لنفسه قط إلا أن تُنتهك حرمة من حرمات الله.

وعليه فإيذاؤه ﷺ أحد المسلمين إنما مبعثه الغضب لله، حياء من الله أن تُرتكب معاصيه، وشفقة على المسلم الذى عصى أن تحل به عقوبة، وكل هذا خيرٌ وبرٌّ، طاعة لله، وشفقة على عباد الله.

ومن هنا قال العلماء فى شرح هذا الحديث: وفى الحديث كمال شفقته ﷺ على أمته، وجميل خلقه وكرم ذاته، حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم.

* سابعًا: يقول أن النبى ﷺ اغتصب صفية رضي الله عنها:

ويضع القس عنوانًا «الرسول يغتصب صفية».

وأقول: ما اغتصبها ﷺ، وإنما أكرمها غاية الإكرام، إن صفية بنت حُيى بن أخطب: زعيمٌ يهودى أساء إلى رسول الله ﷺ كثيرًا، وهو الذى تسبب فى اجتماع المشركين واليهود على رسول الله ﷺ فى غزوة الأحزاب، وحُيى من بنى النضير، وعندما أجلاهم رسول الله ﷺ سنة أربع، انتقل حُيى إلى خيبر، وكانت صفية متزوجة فى بنى خيبر، فلما وقعت فى السبى، أعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها، وكانت صفية سيدة عاقلة حكيمة، ولقد عاملها رسول الله ﷺ أكرم معاملة.

حدث أن اشتكت له ما قالته عائشة وحفصة، من أنهما أكرم على رسول الله منها: «نحن أزواجه وبنات عمه»، فقال ﷺ لها: **«ألا قلت: وكيف تكونان خيرًا منى وزوجى محمد، وأبى هارون، وعمى موسى!»**.

حَسُن إسلام صفية، وأخلصت لرسول الله ﷺ كثيرًا، واحترمها

رسول الله ﷺ كثيراً.

فأين الاغتصاب معشر النصارى؟

وأين الاغتصاب معشر المعترضين؟

*** ثامنا: زعمه أن الغزوات كانت من أجل السلب والنهب:**

* وها هو يتكلم عن الغزوات الإسلامية.

ويدَّعى أنها كانت للسلب والنهب، كانت بسبب الطمع فى الثراء السريع وسفك دماء الآمنين!! انتهى.

ومن له أدنى اطلاع على السيرة النبوية يظهر له بُطلان كلام هذا القس، وأنه محض افتراء وتزوير، فلقد طغى المشركون وتجبروا، وآذوا المسلمين كثيراً،.. عذبوهم وأخذوا أموالهم، وطردوهم من بلادهم، وخططوا للقضاء على رسول الله ﷺ، كما قال الله سبحانه: ﴿**يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ**﴾(١).

إن كل ناظر فى التاريخ يتساءل: لماذا ترك رسول الله ﷺ والمسلمون مكة؟

إنه بسبب إيذاء المشركين، والعجيب أنه لم يحدث من المسلمين أى إيذاء للمشركين؟

ويقول الله سبحانه: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ**﴾(٢).

لقد خططوا لقتله ﷺ، وتكرر ذلك عدة مرات، وكانت عناية الله سبحانه سبب نجاته ﷺ فى كل مرة.

ولما دعا ﷺ أهل المدينة إلى الإسلام، آمنوا به وبايعوه على الهجرة إليهم فهاجر، وتعامل مع اليهود أسمى معاملة، وعقد معهم معاهدة فى غاية السمو والرحمة.

---

(١) سورة الممتحنة: الآية: (١).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٣٠).

ونصوص هذه المعاهدة مدونة فى كثير من كتب الإسلام.

لقد سالم ﷺ لأبعد حدٍّ، فأصروا على قتاله!! فقاتلهم فنصره الله عليهم، وأخذ بعض الغنائم كنتيجة طبيعية للمعركة، فالمنتصر يغنم، ولا علاقة بين الغنيمة والظلم، فليس كل من يغنم ظالمًا، وإنما الظالم من يشعل الحروب.

إن محمدًا ﷺ لم يبدأ حربًا قط، وإنما يبدأ أعداؤه فيقاتل الاعتداء باعتداء مثله، فإذا انتصر لم يظلم، ولم يمثل، وإنما كان يحترم آدمية أعدائه، وماذا بعد قول الله تعالى له ولأمته: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1].

أى لا يحملنكم بغض قوم بسبب صدهم إياكم عن المسجد الحرام.

لا يحملنكم ذلك على أن تعتدوا، وإنما كونوا متعاونين على الطاعة والإنصاف، لا على المعصية والظلم.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

أى ولا يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا، إنه يجب عليكم العدل لأنه من تقوى الله.

لقد سار ﷺ بالسوية بين الناس إلا أن الآخرين لم يبادلوه سلمًا بسلم، وإنما أعلنوا عليه الحرب، فجاء المشركون إلى مدينته للقضاء عليه وعلى أمته!! ونقض اليهود المعاهدة، وأعلنوا أنهم أهل الدراية بالمعارك، وراحوا فجمعوا له الجموع من العرب واليهود فى أقوى تظاهرة عسكرية عرفتها جزيرة العرب!! فقابلهم ﷺ بجيش قليل فى عدده.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٢).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٨).

وكان ﷺ في حربه في غاية الإنصاف، وماذا بعد قول الله سبحانه: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(١)، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٢).

أمرنا ربنا سبحانه أن نقاتل من قاتلنا، أي أن أمة الإسلام لا تبدأ القتال، وينهانا سبحانه أن نعتدي على أحد، فإذا أعلن آخرون الحرب علينا قابلناهم بحرب، فإن مالوا للسلام فلنأخذ نحن بمبدأ السلام.

ويوصي ﷺ جيش الإسلام فيقول: **«اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله. اغزوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا»**(٣).

إنه يوصي أن يكون الغزو في طاعة الله، لا ظلم ولا بغي، **«ولا تغدروا»** أي ولا تنقضوا عهدًا، **«ولا تغلوا»** أي لا تأخذوا مالاً بغير حق.

هكذا يوجه ﷺ جيش الإسلام، يوصيهم أن يكونوا عادلين منصفين.

إنه الرسول الذي أرسله الله رحمة للعالمين، أي رحمة لكل المخلوقات. تمر عليه جنازة فيقوم لها، فيقول أصحابه له: إنها جنازة يهودي، فيقول: **«أليست نفسًا؟»**.

ولقد سارت الأمة على هديه ﷺ، . . . فها هو أبو بكر الصديق يوصي قائد جيش المسلمين، فيقول له: لا تقطع شجرًا مثمرًا، ولا تخرب عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، ولا تعقرن نخلاً ولا تحرقه.

ويمر عمر بن الخطاب على قوم من النصارى قد أصيبوا بالجذام فيأمر لهم بعطاء «معاش» من بيت مال المسلمين.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٩٠).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٦١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

* **تاسعًا: أن النبى ﷺ اعتدى على الحريات حينما غزا مكة:**

ويدَّعى القس جيرى فالويل أن رسول الله محمدًا ﷺ اعتدى على الحريات حينما غزا مكة.

وأقول: إن أهل مكة هم الذين آذوا رسول الله ﷺ، وخططوا مرارًا لقتل رسول الله ﷺ . . . قال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾(١)، وآذوا المسلمين وأخرجوا رسول الله والمسلمين من مكة، دون ذنب إلا أنهم قالوا: «لا إله إلا الله». . قال تعالى: ﴿**يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ**﴾(٢).

ولم يكن كل أهل مكة قُساة ولا أشرارًا، وإنما كان فيهم قلة من القساة قادوا الآخرين للحرب على الإسلام، فلما قوى الإسلام جاء إلى مكة فاتحًا، ليحرر الضعفاء من اضطهاد القساة، وليوفر الحرية الدينية للناس، وليحقق قول الله تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾(٣). وعليه فلم يكن رسول الله ﷺ معتديًا على الحريات وإنما كان يوفر الحريات.

لقد فتح الله مكة للرسول وللمسلمين، فما أعملوا سيفًا، ولا حرص رسول الله على قتل أحد، وإنما قال مقولته المشهورة: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» وقال: «**من أغلق باب بيته فهو آمن، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن**».

إن الإسلام لا يعرف الإكراه فى الدين، وأهل مكة يعرفون أن الإسلام حق وأن محمدًا صادق، وما منعهم من الإسلام إلا العصبية فجاء الإسلام ليعالج هذه العصبية فى نفوس المستكبرين، وكان قبل ذلك قد أصغى بعض هؤلاء للحق فأسلموا. . من أمثال عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد،

(١) سورة الأنفال: الآية: (٣٠).
(٢) سورة الممتحنة: الآية: (١).
(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

وعمرو بن العاص، وغير هؤلاء كثير.

*** عاشراً: أنه ﷺ قام بغزوة حنين من أجل القتل والغنائم:**

ثم يقول القس: قام محمد بغزوة حنين، وغنم غنائم ولم يكتف بذلك فشهوة القتل وسفك الدماء كانت متأصلة فيه، وحبه للمال والغنائم لم يكن له حدود.

وأقول: إنه ﷺ قام بغزوة حنين ليوفر للناس الحرية الدينية، وكان فى غاية الصفح والعفو.. وتطاولك على هذا النبى المعصوم إنما هو الكذب والبغى والظلم، تتستر فيه بالظلم الشائع فى هذه الفترة من التاريخ والله يقول: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (1).

إنه ﷺ لم تكن فيه شهوة قتل، وإنما ما طُلب منه العفو إلا عفا.

وفى أقسى المواقف يعفو.. قتل وحشى عم رسول الله حمزة وحرضته هند بنت عتبة على ذلك، وقدر عليها فما قتل وإنما صبر فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين.

لقد رفع أحد المشركين السيف عليه ﷺ يريد قتله، فذكر الله فوقع السيف من يد المشرك فأخذه ﷺ لكنه لم يقتله وعفا عنه.

أما ادعاؤك الظالم: أنه ﷺ كان حب المال والغنائم عنده ليس له حدود.

فأقول: لا وألف لا. إنه ما أراد المال ولا أراد الغنائم، والدليل على ذلك ما يلى:

*** عن عمرو بن عبسة ﷺ قال:** صلى بنا رسول الله ﷺ إلى بعير من المغنم، فلما صلى أخذ وبرة من جنب البعير، ثم قال: «**لا يحل لى من غنائمكم مثل هذا، إلا الخُمس، والخُمس مردود فيكم**» (2).

---

(1) سورة الشعراء: الآية: (٢٢٧).

(2) **صحيح:** رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٦٦١).

* وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال النبى ﷺ : «غزا نبى من الأنبياء[١]، فقال لقومه: لا يتبعنى رجل ملَك بُضع امرأة[٢]، وهو يريد أن يبنى بها[٣]، ولمَّا يبن بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا رجل اشترى غنمًا، أو خلفات وهو ينتظر ولادها، .. فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور[٤] اللهم احبسها علينا، فحُبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم، فجاءت - يعنى النار - لتأكلها فلم تطعمها[٥]، فقال: إن فيكم غُلولاً، فليبايعنى من كل قبيلة رجل، فلزقت يدُ رجُل بيده. فقال: فيكم الغلول فلتبايعنى قبيلتُك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده. فقال: فيكم الغُلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعها، فجاءت النار فأكلتها».

* فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا، ثم أحل الله لنا الغنائم، . . . رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا»[٦].

إنه ﷺ يتحدث عن أحد الأنبياء السابقين، يبين شيئًا من فطانته وما مَنَّ الله به على هذا النبى حتى إن الشمس تُحبس ليكمل ما أُمر به.

وحينما يتكلم نبينا محمد ﷺ عن حِلِّ الغنائم لنا، يتكلم بكل تواضع، وبكل خلق حسن، ويبين أن حِلّ الغنائم لنا إنما هو بسبب ضعفنا وعجزنا. إنه لا يتعالى، لا يتمايز، لا يتكبر، وهذا لكرم خلقه ﷺ، وهو يبين أن الله سبحانه أحل الغنائم لأمة الإسلام دون غيرها من الأمم، وأن الغنائم! إنما هى للمجاهدين ولضعفة الأمة، وعليه فلا يصح أن يتطاول متطاول عليه ﷺ، فيدَّعى أن حب المال والغنائم عنده ليس له حدود.

---

(١) هو يوشع بن نون، غزا أريحا وهو بيت المقدس.

(٢) عقد عقد الزواج على امرأة.

(٣) تزف إليه ويدخل بها.

(٤) إنك مأمورة بالغروب، وأنا مأمور بفتح القرية قبل الغروب.

(٥) أى لم تذقها، وذلك لأن بعضهم كان قد سرق من الغنيمة، والسرقة من الغنيْمة تسمى: غُلول.

(٦) ذكره فى جامع الأصول (٢/ ٧١٤)، نقلاً عن البخارى فى المزارعة باب المزارعة بالشطر (٥/ ١٠) ومسلم (١٥٥١).

ثم إنى أتساءل مع هؤلاء الجُرءاء على خاتم رسل الله: ماذا تقولون فى قوله ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»[١] إنه لم يُرد المال، ولم يطمع فى الغنائم، كيف وهو ﷺ القائل: «**ما لى وللدنيا؟**»[٢]. ونام ﷺ على حصير فقام وقد أثَّر فى جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وِطاءً[٣]، فقال: «**ما لى وللدنيا، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها**»[٤].

إننى لو شئت لذكرت لهؤلاء الهمَّازين الكثير من النصوص التى تبين زهده ﷺ فى الدنيا.

*** الحادى عشر: أن النبى ﷺ أجبر الروم فى غزوة تبوك على دفع الإتاوة:**

ويقول القس: إن رسول الله ﷺ قام بغزوة تبوك، وأجبر أهلها على دفع الجزية - الإتاوة بلغة العامة.

وأقول: إن رسول الله ﷺ ما بدأ بالشر، وإنما هم الذين بدأوه بالشر، فهم الذين قتلوا رسوله إليهم (الحارث بن عمير الأزدى) وكان ﷺ بعثه بكتاب إلى عظيم بُصرى[٥].

وهم - أى الروم - هم الذين جمعوا جموعهم لغزوه ﷺ[٦]، فعلم بذلك فقابلهم، ولما علموا بقدومه ﷺ وجيشه تفرقوا وعجزوا عن المقابلة، فعقد صلحًا مع كثير من القبائل، وأخذ منهم الجزية مقابل تأمينهم والدفاع عنهم، ومقابل الأعباء التى يتحملها عنهم، وهى نظير الزكاة المفروضة على المسلم.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٧٢٨) كتاب الفرائض، ومسلم (١٧٥٧) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٦١٣) كتاب الهبة وفضلها.

(٣) فراشًا لينًا.

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

(٥) الطبقات الكبرى (٢/ ١٢٨).

(٦) الطبقات الكبرى (٢/ ١٦٥).

وينخلع القس من أخلاق الكلمة فيقول: وكان - أى رسول الله ﷺ - قد أعد جيشًا ضخمًا لغزو سوريا - الشام - ووضع فيه كبار صحابته السفاحين.

وأقول: طاوعك قلمك أن تتهم الصحابة الكرام بالسفاحين، فبِمَ نَصِف من قاموا بالحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، والحربين العالميتين، وماذا نقول فيمن يرتكبون المجازر فى حق الإنسانية، ويدمرون البيئة، ويشردون الآمنين؟

إن صحابة رسول الله ﷺ أثنى عليهم ربنا، . . فلا قيمة لكلام مخلوق فيهم. وأثنى عليهم نبينا، فلن نقبل جرحًا فيهم، وأنتم بالأساس مجروحون، وكلامكم غير مقبول.

إن الله تبارك وتعالى قال فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٢).

وقال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» (٣).

وقال ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» (٤).

إننا معشر المسلمين نعرف قدر نبينا وأصحابه.

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٠٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٣٦٥١) كتاب الشهادات، ومسلم (٢٥٣٣) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) **صحيح:** رواه البخارى (٣٦٧٣) كتاب المناقب.

* **الثانى عشر: أن الصحابة أجبروا المصريين على الإسلام:**

ثم يضع القس عنوانًا طائشًا نَصُّـه: هكذا أجبروا المصريين على الإسلام.

وأقول له: ليتك تراجع كلام العلامة الفرنسى جوستاف لوبون فى كتابه «حضارة العرب»[١] إذ يقول: وقد ذكرنا ما كان عليه عمرو بن العاص من الحذق والمهارة نحو سكان مصر، فهو لم يتعرض إلى ديانتهم ولا إلى نُظُمهم ولا عاداتهم، ولم يطالبهم بغير جزية سنوية قدرها خمسة عشر فرنكًا عن كل رأس مقابل حمايتهم، فرضى المصريون بذلك شاكرين.

* **وهناك شُبهات أخرى أحببت أن أوردها وأورد الرد عليها... وإليكم بعضها:**

* **شبهة انتشار الإسلام بحدِّ السيف:**

ومن الشبهات التى يرددها أعداء الإسلام ومُنكرو السنة: أنهم يدَّعُون أن الرسول ﷺ كان رجلاً عنيفًا يحبُّ إراقة الدماء، وأن الإسلام انتشر بالسيف، وأن معتنقى الإسلام لم يدخلوا فيه طواعية ولا اختيارًا، وإنما دخلوا فيه بالقهر والإكراه.

والحقيقة أن جوهر الإسلام وخبر التاريخ يكذبان هذه الفرية، ويستأصلونها من جذورها، وقد شهد أبو سفيان زعيم قريش - وهو رجل حارب رسول الله ﷺ سنوات عديدة، ولم يؤمن إلا بعد أكثر من عشرين سنة من الإعراض والصد - شهد لرسول الله ﷺ بقوله: «لقد حاربتُك فنعم المحارب كُنت، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت»[٢].

وفى قاعدة أساسية صريحة بالنسبة للحرية الدينية يقول تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[٣]، فلم يأمر الرسول ﷺ - والمسلمون من بعده - أحدًا باعتناق الإسلام قَسرًا، كما لم يُلجئوا الناس للتظاهر به هربًا من الموت أو

---

(١) ص (٢١٣).

(٢) الصفدى: الوافى بالوفيات (١/ ٢٢٤٠).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

العذاب؛ إذ كيف يصنعون ذلك وهم يعلمون أن إسلام المُكره لا قيمة له فى أحكام الآخرة، وهى التى يسعى إليها كل مسلم؟!

وقد جاء فى سبب نزول الآية السابقة: أنه كان لرجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف ابنان مُتنصران قبل مبعث النبى ﷺ، ثم قَدِما المدينة فى نفر من النصارى يحملون الزيت، فلزمهما أبوهما، وقال: «لا أدعكما حتى تُسلما». فأبيا أن يُسلما؛ فاختصموا إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، أيدخل بعضى النار وأنا أنظر؟! فأنزل الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الآية، فخلى سبيلهما[١].

وقد جعل الإسلام قضية الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة بمشيئة الإنسان نفسه واقتناعه الداخلى فقال سبحانه: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٢]، ولفت القرآنُ نظر النبى ﷺ إلى هذه الحقيقة، وبيَّن له أن عليه تبليغ الدعوة فقط، وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام، فقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وقال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[٤]، وقال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[٥] ومن ذلك يتضح أن دستور المسلمين يرفض رفضًا قاطعًا إكراه أحد على اعتناق الإسلام[٦].

وتطبيقًا لهذه الحقيقة فقد ثبت أن المسلمين أسروا فى سرية من السرايا سيد بنى حنيفة: ثمامة بن أُثال الحنفى، وهم لا يعرفونه، فأتوا به إلى رسول الله ﷺ فأبقاه عنده ثلاثة أيام، وكان فى كل يوم يعرض عليه الإسلام

(١) انظر: الواحدى: أسباب نزول القرآن ص٥٢، ٥٣، والسيوطى: لباب النزول ص٣٧ .

(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٩).

(٣) سورة يونس: الآية: (٩٩).

(٤) سورة الغاشية: الآية: (٢٢).

(٥) سورة الشورى: الآية: (٤٨).

(٦) انظر: محمود حمدى زقزوق: حقائق إسلامية فى مواجهة حملات التشكيك ص٣٣ .

عرضًا كريمًا، فيأبى ويقول: إن تسأل مالاً تُعطَه، وإن تقتُل تقتُل ذا دمٍ، وإن تُنعم تُنعم على شاكرٍ. فما كان من النبى ﷺ إلا أن أطلق سراحه، فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد؛ فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا اللهُ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يا محمد: والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إلىَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلىَّ، والله ما كان من دين أبغض إلىَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلىَّ، والله ما كان من بلدٍ أبغض إلىَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلىَّ، وإن خيلك أخذتنى، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشَّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قَدِم مكة قال له قائل: أصبوت؟! فقال: لا، ولكنى أسلمتُ مع رسول الله ﷺ، ولا - والله - لا يأتيكم من اليمامة حبةُ حنطة حتى يأذن فيها رسول الله [١].

فقد أسلم ثمامة دون ضغط أو إكراه، بل إن إسلامه وُلد قويًّا إلى الدرجة التى دفعته إلى مقاطعة قريش من أجل أنها تحارب رسول الله ﷺ مُضحيًا بذلك بثروة هائلة كانت تأتيه من تجارته معها، ومُضحيًا كذلك بعلاقات اجتماعية مهمة مع أشراف قريش.

وعقلاً فإن من أُكره على شىء لا يلبث أن يتحلل منه إذا وجد الفرصة سانحة لذلك، بل ويُصبح حربًا على هذا الذى أُكره عليه.. إلا أن التاريخ لم يُثبت مثل هذا؛ وإنما ثبت أن من كان يُسلم لم يتوانَ للحظة واحدة فى الدفاع عن هذا الدين الذى أَسَر لُبَّه بكل ما يملك، وأقرب منه أن الإحصائيات الرسمية لتدُلُّ على أن عدد المسلمين فى ازدياد، على الرغم من كل ما ينالهم من اضطهاد وما يتعرضون له من عوامل الإغراء!

ولو قمنا بإحصاء عدد الذين ماتوا فى كل الحروب النبوية - سواء من

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٧٢) كتاب أبواب المساجد، ومسلم (١٧٦٤) كتاب الجهاد والسير.

شهداء المسلمين، أو من قتلى الأعداء - ثم قمنا بتحليل لهذه الأعداد، وربطها بما يحدث فى عالمنا المعاصر، لوجدنا عجبًا! لقد بلغ عدد شهداء المسلمين فى كل معاركهم أيام رسول الله ﷺ - وذلك على مدار عشر سنوات كاملة - ٢٦٢ شهيدًا تقريبًا، وبلغ عدد قتلى أعدائه ﷺ حوالى ١٠٢٢ قتيلاً[١]، وبذلك بلغ العدد الإجمالى لقتلى الفريقين ١٢٨٤ قتيلاً فقط!

وحتى لا يتعلل أحدٌ بأن أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة؛ ولذا جاء عدد القتلى على هذا النحو، فإننى قمتُ بإحصاء عدد الجنود المشتركين فى المعارك، ثم قمتُ بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد المقاتلين، فوجدتُ ما أذهلنى! أن نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ ١٪ فقط، بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين بالنسبة إلى أعداد جيوشهم ٢٪! وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هى ١,٥٪ فقط!

إن هذه النسب الضئيلة فى معارك كثيرة - بلغت خمسًا وعشرين أو سبعًا وعشرين غزوة، وثمان وثلاثين سرية[٢]، أى أكثر من ثلاث وستين معركة - لمن أصدق الأدلة على عدم دموية الحرب فى عهده ﷺ .

ولكى تتضح الصورة بشكل أكبر وأظهر فقد قمتُ بإحصاء عدد القتلى فى الحرب العالمية الثانية - كمثال لحروب (الحضارات) الحديثة - فوجدتُ أن نسبة القتلى فى هذه الحرب الحضارية بلغت ٣٥١٪!!! فالأرقام لا تكذب؛ فقد شارك فى الحرب العالمية الثانية ١٥,٦٠٠,٠٠٠ جندى (خمسة عشر

---

(١) اعتمدتُ فى حصر الأرقام على ما ورد أولاً فى كتب الصحاح والسنن والمسانيد، ثم على روايات كتب السيرة بعد توثيقها، كسيرة ابن هشام، وعيون الأثر، وزاد المعاد، والسيرة النبوية لابن كثير، وتاريخ الطبرى، وغيرهم.

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية (٤/ ٤٣٢)، ابن قيم الجوزية: زاد المعاد (١/ ١٢٥)، وابن حزم: جوامع السيرة (١/ ١٦).

مليونًا وستمائة ألف)، ومع ذلك فعدد القتلى بلغ ٥٤,٨٠٠,٠٠٠ قتيل (أربعة وخمسين مليونًا وثمانمائة ألف)!! أى أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش المشاركة! وتفسير هذه الزيادة هو أن الجيوش المشاركة جميعًا - وبلا استثناء - كانت تقوم بحروب إبادة للمدنيين، وكانت تُسقطُ الآلاف من الأطنان من المتفجرات على المدن والقرى الآمنة؛ فتُبيد البشر، وتُفنى النوع الإنسانى، فضلاً عن تدمير البِنى التحتية، وتخريب الاقتصاد، وتشريد الشعوب! لقد كانت كارثة إنسانية بكل المقاييس!

وأيسر من أن نستقصى الحروب وأسبابها فى صدر الإسلام لنعى تلك الحقيقة، أن نُلقى نظرة عامة على خريطة العالم فى الوقت الحاضر لنعلم أن السيف لم يعمل فى انتشار هذا الدين؛ فإن البلاد التى قلَّت فيها حروب الإسلام هى البلاد التى يُقيم فيها اليوم أكثر مسلمى العالم، وهى بلاد إندونيسيا والهند والصين، وسواحل القارة الإفريقية، وما يليها من سهول الصحارى الواسعة؛ فإن عدد المسلمين فيها قريب من ثلاثمائة مليون، ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأبناء تلك البلاد إلا القليل الذى لا يُجدى فى تحويل الآلاف عن دينهم بالملايين، ونقارن بين هذه البلاد والبلاد التى اتجهت إليها غزوات المسلمين لأول مرة فى صدر الدعوة الإسلامية، وهى بلاد العراق والشام، فإن عدد المسلمين فيها اليوم قلما يزيد على عشرة ملايين، يعيش بينهم من اختاروا البقاء على دينهم من المسيحيين واليهود والوثنيين وأشباه الوثنيين (١).

يقول المؤرخ الفرنسى جوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام فى عهده ﷺ وفى عصور الفتوحات من بعده: «قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تُفرض بالقوة، ولم ينتشر الإسلام -

(١) عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص١٦٩، ١٧٠ .

إذن - بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التى قهرت العرب مؤخرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار فى الهند - التى لم يكن العرب فيها غير عابرى سبيل - ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها(١)، ولم يكن الإسلام أقل انتشارًا فى الصين التى لم يفتح العرب أى جزء منها قطٌّ...»(٢).

فالإسلام إذن إنما غزا القلوب وأسر النفوس.. وإن كان بإمكان السيف أن يفتح أرضًا.. فليس بإمكانه أن يفتح قلبًا!(٣).

*** وهناك وقفة أخرى مع حديث: «أُمرت أن أقاتل الناس»:**

يدَّعى منكرو السنة النبوية أن حديث: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»(٤) يدعُون أن هذا الحديث يتعارض مع الآيات القرآنية التى تفيد حرية الإنسان الدينية، والتى منها:

قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(٥).

وقوله سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٦).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٧)، وغير ذلك من الآيات التى فى هذا الموضوع.

---

(١) كان هذا فى وقت كتابة غوستاف لوبون كتابه، أما فى عام ٢٠٠٨م فبلغ المسلمون فى الهند ٢٣٨ مليون نسمة.

(٢) جوستاف لوبون: حضارة العرب ص١٢٨، ١٢٩.

(٣) أسوة للعالمين (ص٣٣٥-٣٣٩).

(٤) **صحيح:** رواه البخارى (٢٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٢) كتاب الإيمان.

(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٦) سورة الكهف: الآية: (٢٩).

(٧) سورة يونس: الآية: (٩٩).

وهم - منكرو السنة - إذ يدَّعُون أن هذا الحديث يتعارض مع هذه الآيات فإنهم يرتبون على ذلك أنه حديث موضوع!! على الرغم من أنه فى البخارى ومسلم. ويزيدون بأن القول به إنما هو تطرف وإرهاب.

وأقول لهم: إن هذا الحديث لا يتعارض مطلقًا مع أى آية من القرآن الكريم، وإنما يتفق مع الآيات القرآنية فى أن القتال إنما شُرِع لتوفير الحرية الدينية للناس، ولإزاحة العقبات التى تعرقل وصول الحق إلى كل الناس، ولإشاعة الحق بين أفراد البشرية، . . . إن الحق له أعداء جاء هذا الحديث ليردعهم، وليوفر مناخ الحرية الدينية لكل الناس.

وأجيب تفصيلاً:

*** فأقدم مقدمتين، أولاً:**

١- قوله ﷺ : «**أمرت أن أقاتل**» هذا من القتال لا من القتل، والفرق كبير، فالقتال بذل الطاقة فى صرف العدو عن إيذائى، أما القتل فهو القضاء على العدو، والأول هو الذى هنا.

٢- قوله ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس**» ليس المراد كل الناس، وهذا أمر بديهى، فهو ﷺ والمسلمون معه من الناس، وعليه فهذا اللفظ ليس على إطلاقه، وقد جاء فى رواية لهذا الحديث: «**أمرت أن أقاتل المشركين حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله... الحديث**»[١].

*** ثم أُفصل ثانيًا فأقول:**

إن رسول الله ﷺ يقول: (ما معناه) أمرنى ربى أن أقاتل المشركين الذين يحرمُون الناس حريتهم الدينية، . . أمرنى ربى أن أقاتلهم حتى يصبح الدين الإسلامى شائعًا ذائعًا، لا يمنع أحدٌ أحدًا عنه، وبعد ذلك فليعتنق الإنسان ما شاء من الدين.

---

(١) **صحيح**: رواه النسائى ، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٤٠٨).

إنه حديث يتفق مع آيات القتال كلها كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[٣]، أى قاتلوهم حتى لا يُكرَه أحدٌ على دين لا يرتضيه، وحتى يكون دين الله هو الظاهر العالى المعلوم.

والآيات والأحاديث التى فى هذا الموضوع كلها تبين أن القتال فى الإسلام إنما هو لنصرة الحق، كما فى حديث الذى سأل رسول الله ﷺ قائلاً: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر[٤]، والرجل يقاتل ليُرى مكانه[٥]، فمن فى سبيل الله؟ فقال ﷺ: **«من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»**[٦].

ومعنى: «كلمة الله» دعوة الله إلى الإسلام[٧]، ومعنى **«فى سبيل الله»** فى طاعة الله تعالى. فمن قاتل لإظهار الإسلام، فهذا الذى قتاله طاعة لله سبحانه.

إن غير المسلمين يؤذون المسلمين فى دينهم، وهذا ثابت فى كل الأعصار، فجاءت آيات القتال وأحاديثه لتحرض المؤمنين على الوقوف فى وجه الظلم، كى تنكسر شوكة الطغاة، ويتقلص ظلم القساة، ويشيع الإسلام بين الناس كما أوحاه الله، وبعد ذلك فليعتنق الإنسان ما شاء من الدين.

إن مُنكرو السنة يصورون الحديث، وكأن رسول الله ﷺ يقول: أُمرت

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٧٣).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٩٣).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٣٩).

(٤) أى ليُذكر بين الناس بالشجاعة.

(٥) أى رياء.

(٦) **صحيح**: رواه البخارى (٢٨١٠) كتاب الجهاد والسير.

(٧) فتح البارى شرح حديث رقم (٢٨٠) جـ ٦ ص ٢٨ .

أن أقاتل الناس حتى يُسلم الجميع، يسلمون طوعًا أو كرهًا. وهذا التصوير خطأ وضلال، فالإسلام ليس قائمًا على الإكراه، وإنما القتال غايته أن يعلم الناس حقيقة الإسلام من الشهادتين، وأن يعلموا أصوله من صلاة وصيام، ثم لهم الحرية الكاملة، فمن شاء أسلم لا يستطيع أحد أن يمنعه، ومن شاء لم يسلم ليس لأحد أن يُرغمه.

وهكذا يوفر هذا الحديث وما فى موضوعه كامل الحرية الدينية لكل إنسان، إنه يزيح الموانع عن الحق، والواقفين فى وجه الصدق، يدعوهم للإنصاف فإن استجابوا فلا عليهم، وإن لم يستجيبوا قاتلهم، ليوفر الحرية لأتباعهم من المقهورين.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكتب التاريخ.. كل ذلك يشهد أن الإسلام لا يُكرهُ أحدًا على الدخول فيه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ويشهد أن الكفر ماضٍ فى قتال المسلمين من أجل صدهم عن دينهم، وتوصى الآيات المسلمين بالتصدى للكفرة حتى يتمكن المسلمون من مزاولة دينهم بكل كمال، ويتمكن من أراد الإسلام أن يسلم. يقول ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(١)، ويقول سبحانه: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(٢)، ويقول سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٣)، ويقول سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٤)، هكذا تبين الآيات أن الكافرين سيبذلون كل ما فى وسعهم

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٣٦).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢١٧).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٣٢).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٩٠).

فى منع الناس من الإسلام، وإخراج المسلمين من الإسلام، وتوجب الآيات على المسلمين أن يردُّوا لكن بالإنصاف والعدل، عليهم أن يدافعوا عن دينهم لكن ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

والتاريخ على طوله يشهد بذلك، فلم يسجل التاريخ أن رسول الله ﷺ قاتل جماعة ليحملهم على الإسلام، وإنما حاربه الكثيرون فحاربهم، وعندما انتصر عليهم لم يُكره أحدًا على الإسلام، وإنما أقام الحق والعدل.

جاوره اليهود فى المدينة، فما أكره أحدًا منهم على الإسلام!!

وكم أثاروا على الإسلام من افتراءات!!

وكم آذووا الرسول والمسلمين!!

تجرءوا على إنكار ما جاء فى كتبهم!!

وتجرءوا فأخطأوا فى حق الله سبحانه وتعالى[(١)].

وكان على أطراف الجزيرة كثير من النصارى، وفدوا إليه ﷺ وتناقشوا معه، وهو ممتثل قول الله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[(٢)].

وَفَدَ إليه ﷺ وفد نجران فأحسن استقبالهم، وكانوا يتحدثون فيما بينهم بأنه رسول الله، وأنه كما جاء وصفه فى كتبهم، . . استقبلهم ﷺ فى مسجده، وأرادوا الصلاة فسمح لهم فصلوا فى مسجده، وما أرادوا بذلك إلا اختبار احترامه لبقية الأديان، وتحدثوا معه كثيرًا، وعادوا إلى بلادهم وهم على دينهم ما أكرههم على الإسلام، ولا عاب شيئًا فيهم، على الرغم من تطاولهم على الإسلام[(٣)]!!

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام المجلد الأول ص٥٤٣ إلى ص٥٧٢ .

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٤٦).

(٣) راجع السيرة النبوية لابن هشام المجلد الأول ص٥٧٣ فما بعدها.

وهكذا يتضح أن الحديث لا إرهاب فيه ولا تطرف، وإنما يمنع تطرف القساة وإرهابهم الناس أن يسلموا. إنه حديث يمنع القُساة أن يحرموا الناس من الدخول فى الإسلام. إنه يوفر الحرية الدينية لكل الناس.

وهذا الحديث يعالج التطرف من زاوية أخرى، فهو ينهى المسلم عن العدوان على من نطق بالشهادتين، إنه ينهى عن تكفير الآخرين بأمور باطنة، ويعترف بالإسلام بناء على الأمور الظاهرة.

ولذلك ذكر العلماء هذا الحديث مع حديث أسامة بن زيد قال: «بعثنا رسول الله ﷺ سرية إلى الحُرقات(١) فنذروا (٢) بنا فهربوا فأدركنا رجلاً فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فضربناه حتى قتلناه، فذكرتُه للنبى ﷺ فقال: **«من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟»** فقلت: يا رسول الله إنما قالها مخافة السلاح. قال: **«أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا، من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة»**، فما زال يقولها حتى وددت أنى لم أُسلم إلا يومئذ»(٣).

إن حديث: «أُمرت أن أقاتل الناس» وحديث: **«أفلا شققت عن قلبه»** ذكرهما أبو داود وابن ماجه فى باب واحد، مما يدل على أن من أظهر الإسلام ولو بالشهادتين فقط يُعامل معاملة المسلم، ولا يصح أن يتنكر لهذا القدر الذى أظهره، لا يصح أن نبحث عن السرائر فهى موكولة إلى الله سبحانه، وإنما الأحكام على الظاهر.

• شبهة أن النبى ﷺ يقر العبودية:

يُثير البعض شبهة أن النبى ﷺ يُرغِّب فى مِلك اليمين، وقد أقره ﷺ عندما سمح لجنوده باسترقاق من يُؤسَر فى الحرب.

والحقيقة التى لا جدال فيها أن النبى ﷺ يُعتبر المحرر الأول للعبيد؛

(١) الحُرَقات: قبائل من جهينة.

(٢) أى علموا.

(٣) رواه أبو داود ، وهو عند مسلم (٩٦/١٥٨) كتاب الإيمان من طرق.

وقبل الحديث عن جهده ﷺ فى تحرير العبيد لا بُد أن نعرف مدى ترسخ هذا الأمر فى الجزيرة العربية وفى العالم قبل مبعثه ﷺ ، لنعلم أنه لم يكن من الممكن أبدًا أن يُصدر رسول الله ﷺ قانونًا مفاجئًا يمنع به شيئًا انتشر لهذه الدرجة ولعدة قرون.

ففى الجزيرة العربية: ما فَتِئت الحرب تشتعل بين حين وآخر بين القبائل العربية بدافع العصبية والقبلية، ومما لا شك فيه أنه كان لهذه الحروب المستمرة نتائج وبيلة على الفريق المنهزم؛ وذلك لما يترتب على الهزيمة من سبى النساء والذرية والرجال إن قُدر عليهم، وقد يتم قتلهم، أو استرقاقهم وبيعهم عبيدًا، ولم يكن هناك ما يُسمى بالمن عليهم أو إطلاق سراحهم دون مقابل، وكانت الحروب تمثل أحد الروافد الأساسية لتجارة العبيد التى كانت إحدى دعامات الاقتصاد فى الجزيرة العربية.

أما الدولة الرومانية فلم يكن العبيد فيها بأفضل حال لدرجة أن الفيلسوف أفلاطون نفسه صاحب فكرة المدينة الفاضلة كان يرى أنه يجب ألا يُعطَى العبيدُ حق المواطنة... أما الدولة الفارسية فكان المجتمع مُقسمًا إلى سبع طبقات أدناهم عامة الشعب، وهم أكثر من ٩٠٪ من مجموع سكان فارس، ومنهم العمال والفلاحين والجنود والعبيد، وهؤلاء ليس لهم حقوق بالمرة، لدرجة أنهم كانوا يُربَطون فى المعارك بالسلاسل؛ كما فعلوا فى موقعة الأُبلة[1] أولى المواقع الإسلامية فى فارس بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه.

هكذا كانت مشكلة العبودية قبل الإسلام، وعندما جاء الرسول ﷺ برسالته الخاتمة وضع مبدأين مهمين لإلغاء العبودية والرق، هما: تضييق الروافد التى كانت تمدُّه وتُغذيه وتضمن له البقاء، وتوسيع المنافذ التى تؤدى

---

(١) الأُبلَّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة، وقد سار إليها خالد بن الوليد، والتقى بالفرس فى موقعة تُسمى ذات السلاسل وانتصر المسلمون وكان عددهم ١٨ ألف مجاهد على ستين ألف فارسى، انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان (١/ ٤٣).

إلى العتق والتحرُّر.

وكانت سيرته ﷺ خير تطبيق لهذين المبدأين؛ حيث بدأ ﷺ حث المجتمع الإسلامى الناشئ على تحرير العبيد واعدًا إياهم بالجزاء العظيم فى الآخرة.. فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من أعتق رقبةً أعتق الله بكُلِ عُضو منها عُضواً من أعضائه من النار حتى فرجهُ بفرجه»**(١).

كما حثَّ النبى ﷺ على عتق العبيد تكفيرًا عن أى ذنب يأتيه الإنسان؛ وذلك للعمل على تحرير أكبر عدد ممكن منهم، فالذنوب لا تنقطع، وكل بنى آدم خطاء، فيقول ﷺ: **«أيما امرئٍ مُسلمٍ أعتق امرءاً مسلمًا كان فكاكهُ من النار؛ يُجزِئُ كُلُّ عُضو منهُ عُضواً منهُ، وأيما امرئٍ مُسلم أعتق امرأتين مُسلمتين كانتا فكاكهُ من النار؛ يُجزِئُ كُلُّ عُضو منهُما عُضواً منهُ، وأيما امرأة مُسلمة أعتقت امرأةً مسلمةً كانت فكاكها من النار؛ يُجزِئُ كُلُّ عُضوٍ منها عُضواً منها»**(٢). وكان الرسول ﷺ القدوة فى ذلك؛ حين أعتق مَن عنده من العبيد.

بل وكانت وصاياه الإنسانية بالعبيد مفتاحًا من مفاتيح تأهيل المجتمع لتقبُّل تحريرهم وعتقهم،.. فحضَّ أولاً ﷺ على المعاملة الحسنة لهم، حتى لو كان ذلك فى الألفاظ والتعبيرات، فتراه يقول ﷺ: **«لا يقُولن أحدُكُم: عبدى وأمتى. كُلُّكُم عبيدُ الله، وكُلُّ نسائكم إماءُ الله، ولكن ليقُل: غُلامى وجاريتى، وفتاى وفتاتى»**(٣). بل وأوجب ﷺ إطعامهم وإلباسهم من نفس طعام ولباس أهل البيت وألا يُكلَّفوا ما لا يطيقون... فيروى جابرُ بن عبد الله رضي الله عنه فيقول: كان النبى ﷺ يوصى بالمملوكين خيرًا، ويقول: **«... أطعمُوهُم مما تأكُلُون، وألبسُوهُم من لبُوسكُم، ولا تُعذبُوا خلق الله عز وجل...»**(٤). وغير

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥١٧) كتاب كفارات الأيمان، ومسلم (١٥٠٩) كتاب العتق.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٠٩) كتاب العتق.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٥٢) كتاب العتق، ومسلم (٢٢٤٩) كتاب الألفاظ.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٦٦١) كتاب الأيمان، والبخارى: الأدب المفرد (١/ ٧٦) واللفظ له.

ذلك من الحقوق التى جعلت من العبد كائنًا إنسانيًا له كرامة لا يجوز الاعتداء عليها.

ثم ترتقى وصاياه لتنقل المجتمع إلى مرحلة التحرُّر الواقعى، فجعل ﷺ عقوبة تعذيبهم وضربهم العتق والتحرُّر، .. فيُروى أن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما كان قد ضرب غلامًا له، فدعاه فرأى بظهره أثرًا، فقال له: أوجعتُك؟ قال: لا. قال: فأنت عتيق. قال: ثم أخذ شيئًا من الأرض، فقال: ما لى فيه من الأجر ما يزن هذا، إنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«من ضرب غُلامًا لهُ حدًّا لم يأته، أو لطمهُ؛ فإن كفارتهُ أن يُعتقهُ»**[1].

وجعل ﷺ أيضًا التلفُّظ بالعتق من العبارات التى لا تحتمل إلا التنفيذ الفورى، فقال ﷺ : **«ثلاثٌ جِدُّهُن جِدٌّ وهزلُهن جِدٌّ: الطلاقُ والنكاحُ والعتاقُ»**[2].

كما جعله الشرعُ وسيلة من وسائل التكفير عن الخطايا والآثام، مثل وجوب العتق بسبب القتل الخطأ، وكذلك الحنث فى اليمين، والظهار، والإفطار فى رمضان عمدًا، وغير ذلك، ثم جاءت سيرته خير تطبيق لهدى الشرع، ... فعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ، فقال: هلكتُ يا رسول الله. قال: **«وما أهلكك؟»**. قال: وقعتُ على امرأتى فى رمضان. قال: **«هل تجدُ ما تُعتق رقبةً؟»**. قال: لا. قال: **«فهل تستطيعُ أن تصُوم شهرين مُتتابعين؟»**. قال: لا. قال: **«فهل تجدُ ما تُطعمُ ستين مسكينًا؟»**. قال: لا. قال: ثم جلس، فأُتى النبىُّ ﷺ بعَرَقٍ[3] فيه تمرٌ. فقال: **«تصدق**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٥٧) كتاب الأيمان.

(٢) حسن: رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٢٧).

(٣) العَرَق: المكتل والجراب والوعاء المنسوج من الخوص، انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة عرق (٢٤/١٠).

بهذا». قال: أفقر منا؟! فما بين لابتيها[١] أهلُ بيتٍ أحْوجُ إليه منا.

فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت أنيابُه، ثُمَّ قال: «اذهب فأطعمه أهلك»[٢].

بل وأكثر من ذلك؛ حيث جعل عتقهم من مصارف الزكاة؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ﴾[٣]، ولننظر ماذا فعل ﷺ مع سلمان الفارسى رضي الله عنه؛ لندرك عظمة تطبيقه لهذا المبدأ الإسلامى، فها هو ذا سلمان الفارسى رضي الله عنه يُعلنُ إسلامه أمام النبى ﷺ، فيقول له ﷺ: «.. اذهب فاشترِ نفسك».

فيقول سلمان الفارسى رضي الله عنه: فانطلقتُ إلى سيدى، فقلت: بعنى نفسى؟ قال: نعم، على أن تُنبت لى مائة نخلة، فإذا أنبتت جئنى بوزن نواة من ذهبٍ.

فأتيتُ رسول الله ﷺ، فأخبرتُه، فقال لى رسول الله ﷺ: «اشترِ نفسك بالذى سألك، وائتنى بدلوٍ من ماء البئر الذى كُنت تسقى منها ذلك النخل».

قال: فدعا لى رسول الله ﷺ فيها، ثم سقيتُها، فوالله لقد غرستُ مائة نخلة، فما غادرت منها نخلةٌ إلا نبتت، فأتيتُ رسول الله ﷺ، فأخبرتُه أنَّ النخل قد نبتن، فأعطانى قطعةً من ذهبٍ، فانطلقتُ بها فوضعتُها فى كفة الميزان، ووضع فى الجانب الآخر نواةً، فوالله ما استقلت قطعةُ الذهب من الأرض، قال: وجئت رسول الله ﷺ فأعتقنى[٤].

---

(١) لابتيها: أى المدينة، ويعنى حرتيها من جانبيها وهى الأرض التى قد ألبستها حجارة سود، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة لوب (١/ ٧٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٠٠) كتاب الهبة وفضلها، ومسلم (١١١١) كتاب الصيام.

(٣) سورة التوبة: الآية: (٦٠).

(٤) الحاكم (٦٥٤٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد والمعانى قريبة من الإسناد الأول. والطبرانى: المعجم الكبير (٦٠٧٣) واللفظ له، وقال الهيثمى: رواه الطبرانى وفيه عبد الله بن عبد القدوس التميمى ضعفه أحمد والجمهور ووثقه ابن حبان وقال: ربما أغرب، وبقية رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٣١٦).

ومكَّن الإسلامُ العبيد من استعادة حُريتهم بالمكاتبة، وهى أن يُمنح العبدُ حُريته مقابل مبلغ من المال يتفق عليه مع سيده، وأوجب أيضًا إعانته؛ لأن الأصل هو الحرية، أما العبودية فطارئة، فكان الرسول ﷺ القدوة فى ذلك؛ حيث أدَّى عن جُويرية بنت الحارث رضي الله عنها ما كُوتبت عليه وتزوجها، فلما سمع المسلمون بزواجه منها أعتقوا ما بأيديهم من السبى، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ.

فأُعتق بسببها أهل مائة أهل بيت من بنى المصطلق(١).

ورغَّب النبى ﷺ فى عتق الأَمة وتزوُّجها، . . . فيُروى عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما رجُلٍ كانت عندهُ وليدةٌ فعلَّمها فأحسن تعليمها، وأدَّبها فأحسن تأديبها، ثُم أعتقها وتزوجها فلهُ أجران...**»(٢). لذلك نجده ﷺ يعتق السيدة صفية بنت حُيى بن أخطب رضي الله عنها، ويجعل عتقها صداقها(٣).

أما الاسترقاق عن طريق الحرب التى يثيرها أعداء الإسلام فقد ضيَّق النبى ﷺ مدخل الاسترقاق عن طريق الحرب فوضع نظامًا للأسرى لم يُعرف من قبل إلا فى الإسلام؛ فاشترط لاعتبار الأسرى أرقَّاء أن يضرب الإمامُ عليهم الرقَّ، وقبل أن يضرب الإمام عليهم الرق يمكن أن تتم نحوهم التصرُّفات التالية: تبادل الأسرى؛ وذلك بردِّ عدد من الأسرى مقابل عدد من أسرى المسلمين، أو قَبُول الفداء؛ وذلك بإطلاقهم نظير مقابل مادى أو أدبى كما فعل ﷺ فى أسرى (بدر)؛ فأطلق بعضهم مقابل مال، وجعل إطلاق بعضهم نظير تعليمهم لبعض المسلمين القراءة والكتابة.

---

(١) الصالحى الشامى: سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢١٠)، والسهيلى: الروض الأنف (٤/ ١٨)، وابن كثير: السيرة النبوية (٣/ ٣٠٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٠٨٣) كتاب النكاح.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٤٧) كتاب العتق، ومسلم (١٥٤) كتاب النكاح.

رغم أن الاسترقاق فى الحرب كان عُرفًا عامًا فى كل الحروب، فكان الأعداء يسترقون المسلمين إذا وقعوا فى أسرهم. . . . ، لقد حدث ذلك مثلاً مع زيد ابن الدثنة وكذلك مع خبيب بن عدى رضي الله عنه(١)، ولو لم يقابل الإسلام أعدائه بمثل ما يفعلوه لاجترؤوا عليه، ومع ذلك فالإسلام يقبل أن تتفق كل الأطراف المتصارعة على عدم الاسترقاق، فلا تفعله فى نظير ألا يفعلوهم كذلك.

وهكذا كان الإسلام فى قضية تحرير العبيد حكيمًا ومتوازنًا فى تشريعه، فبقدر ما ضيق منافذ الاسترقاق بقدر ما وسع منافذ التحرير بأسلوب متدرج يناسب الواقع الذى ظهر فيه الإسلام(٢).

* **شبهة أن النبى ﷺ أخذ القرآن عن اليهود والنصارى:**

* ومن الشبهات التى أثارها بعض أعداء هذا الدين: أن النبى ﷺ لم يُوحَ إليه بشىء وإنما أخذ هذا القرآن عن بعض اليهود والنصارى الذين كانوا ينتشرون فى بعض مناطق الجزيرة العربية.

* والواقع أن هذه الشبهة مليئة بالثغرات التى نرى أنه لا يجوز لصاحب العقل أن يقبلها؛ لكثير من الأسباب منها:

* **أولاً:** أن سيرة النبى ﷺ وتاريخ حياته معروف أكثر من أى شخصية أخرى فى الزمن القديم، وأن أخباره تعرضت لتدقيق وتوثيق كبيرين؛ جعل من الميسور على أى أحد أن يعرف مدى صحة أو ضعف الاحتمال القائل بوقوع الرواية.

* **ثانيًا:** الصحيح الثابت من سيرته ﷺ أنه لم يكن يقرأ ولا يكتب منذ وُلد وحتى توفى، وهى من ضرورات التعلُّم والأخذ، لا سيما إذا كان هذا فى تعاليم دينية، ومن ضرورات التعلُّم والأخذ - أيضًا - أن يتردد

---

(١) ابن حجر العسقلانى: الإصابة فى تميز الصحابة (٢/ ٢٦٣).

(٢) أسوة للعالمين (ص٣٤٠-٣٤٤).

الطالب على المعلم، ولا نرى فى سيرة النبى ﷺ أخبارًا صحيحة ولا حتى ضعيفة تُفيد بأنه كان يتردد على أى مكان، ولا على أى شخص على وجه العادة، خاصة وأنه لم ينفرد فى رحلته التجارية الأولى عن عمه، ولم ينفرد كذلك عن ميسرة غلام خديجة ﵂ الذى ذهب معه إلى بُصرى (الشام).

* **ثالثًا:** الرحلة التى قام بها ﷺ حين كان غلامًا مع عمه، فقابل فيها الراهب النسطورى، لم يكن عمره يتجاوز اثنى عشر عامًا، فكيف لغلام فى هذه السن، ومع اختلاف اللغة - فإنه ﷺ لم يتكلم بغير العربية وقد كان الراهب نسطوريًّا سريانيًا - وفى هذا اللقاء الوحيد أن يأخذ عنه شيئًا؟! ثم ما تفسير بقائه كل هذه السنين لم يتغير له حال حتى يجهر بها بعد ثمانية وعشرين عامًا - أكثر من ربع قرن - ويتحمل فى سبيلها كل ذلك العذاب.

* **رابعًا:** ثم ما تفسير أن يكون الكلام المنطوق بهذا القدر من البلاغة والفصاحة التى يتحدى بها العرب وهم المبرزُون فيها؟ هذا والراهب لا يعرف العربية أصلاً؟ ومع ذلك فقد شهد لبلاغة القرآن حتى من لا يتقن العربية ولا يحبُّ الإسلام.

ومن هنا جاءت الآية التى تردُّ على أمثال القائلين بهذه الشبهة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ (١).

* **خامسًا:** لم يطرح أحد من المشركين فى سياق مواجهة النبى ﷺ مثل هذه الأمور، وهى لو كانت ذات قيمة وقدر، أو لو كان ثمة شبهة فى التقائه بأحد أهل العلم بالكتاب، أو أمثالها من تصرفات قد تُثير الشبهة لذكروها وهاجموه بها، والواقع أنهم لم يفعلوا، إلا مرة يتيمة - وهم فى مرحلة التخبُّط - ومحاولة إيجاد أى تهمة.

---

(١) سورة النحل: الآية: (١٠٣).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾(١) ، ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾(٢) ، بل إنهم لجئوا إلى أهل الكتاب؛ لكى يُقيِّمُوا لهم هذا الذى أتى به محمد ﷺ .

* **سادسًا:** لم يزعم أحد أن النبى ﷺ قد أخذ منه شيئًا. . لا بَحيرا ولا غيره من أهل الكتاب المنتشرين فى الجزيرة العربية، بل لقد عمل أهل الكتاب على إحراجه ونُصرة قومه المشركين عليه؛ فيستغلون ما عُرف عنهم من العلم بالكتاب ثم يقولون: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾(٣) ، وأحيانًا كان يلجأ إليهم المشركون فيعطونهم أسئلة لا يعرفها إلا نبىٌّ، مثلما ذهب النضر بن حارث وعقبة بن أبى معيط إلى يهود المدينة، فقصَّا عليهم نبأ محمد ﷺ ، فقال لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث؛ فإن أخبركم بهن فهو نبى مُرسَل، وإن لم يفعل فالرجل مُتقوِّل: سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول -أى: أهل الكهف - ما كان من أمرهم؛ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها - أى: ذى القرنين - ما كان نبؤه، وسلوه عن الرُّوح ما هى؟ فإذا أخبركم بذلك - أى: بحقيقة الأولَين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله - فاتبعوه فإنه نبى(٤) .

* **سابعًا:** أليس يبدو زعمًا سخيفًا وساذجًا وجود رجل عالم متبحرٍ قادر على ابتكار مثل هذه التعاليم الرائعة والسابقة لعصرها، ثم يكون على هذا القدر من الخفاء والزهد فى الدنيا مع الحرص على توصيل ما عنده للناس، ولو عبْر رجل عربى.

(١) سورة الفرقان: الآية: (٤).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٥).

(٣) سورة النساء: الآية: (٥١).

(٤) السيرة الحلبية (١/ ٤٩٩)، وابن هشام: السيرة النبوية (٢/ ١٣٩)، وابن كثير: السيرة النبوية (١/ ٤٨٣، ٤٨٤).

ثم أليس الأغرب أن يُوجد رجل يتمتع بكل هذه القدرات والمواهب الإدارية والقيادية، وهو فى الذروة من شرف النسب والحب والتقدير، ثم يدَّعى النبوة فتُحصى عليه حركاته وسكناته ويُتربص به، ثم يستطيع أن يُواصل الأخذ والتلقى؟ ثم بعدئذٍ لا يعترف بالفضل فلا يُرجع الأمر إلى أهله؟

* **ثامنًا:** لقد كان القرآن ينزل مُفرقًا مُنجَّمًا بحسب الحوادث الجارية، وقد استمر نزوله عبر ثلاثة وعشرين عامًا، ثم جُمع بعد وفاة النبى ﷺ فى كتاب واحد؛ أى: إن القرآن لم يكن كتابًا خرج بعد فترة من التأليف، بل كان واقعًا حيًّا، وآياتٍ تزداد فى كل يوم، وهذا فى حد ذاته ينفى مسألة التلقِّى من أحد.

* **تاسعًا:** ما ثبت عنه بطرق عديدة صحيحة من أن الوحى كان أحيانًا يأتيه ﷺ **«مثل صلصلة الجرس؛ وهُو أشدُّهُ على، فيُفصَم عنى وقد وعيتُ عنهُ ما قال»** [1]. حتى إن السيدة عائشة ﵂ تروى أنها كانت تراه فى اليوم شديد البرد وجبينه يتفصد عرقًا [2]، وهذه حالات لا يمكن اصطناعها أو تمثيلها.

* **عاشرًا:** لقد أدان القرآن الكريم بوضوح ما فعله أهل الكتاب من قسوة قلوبهم، وتحريفهم لكتبهم، وعدم اتباعهم للنبى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل، ونفى عقائد محورية فيما انتهت إليه الديانتان اليهودية والنصرانية؛ مثل القول ببنوة عُزير والمسيح لله - تعالى الله عما يقولون عُلوًّا كبيرًا - ومثل عقيدة الصلب عند النصارى، ومثل عقيدة التفوق على البشر عند اليهود، وكثير من الاختلافات الأساسية الأخرى، فهنا افتراق واضح ودليل على تجاوز ما انتهت إليه الديانات من قناعات وعقائد وأفكار.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١) كتاب بدء الوحى، ومسلم (٢٣٣٣) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢) كتاب بدء الوحى.

ثم إن القرآن الكريم نفسه يدعو للاقتراب من أهل الكتاب واعتبارهم أقرب إلى المؤمنين من المشركين والكفار، وأحلَّ الزواج منهم وأكل ذبائحهم، واعترف بنبوة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان واليسع وموسى وعيسى، وتحدث عنهم بكل إجلال، كما تحدث عن معجزة المسيح وعن براءة أمه العذراء البتول، فهنا التقاء كبير ودعوة للتقارب؛ إن هذا ليس سلوك ناقل أو متبع لشىء كان موجودًا أو تم تلقينه له، ولكنها مواقف واعية وواضحة وصلبة، ومتجاوزة للزمان والمكان.. وفى هذا السياق نذكر قول المفكر الإنجليزى لايتنر[1]: «بقدر ما أعرف من دينَى اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد ﷺ ليس اقتباسًا؛ بل قد أُوحى إليه به»[2].

* **الحادى عشر:** ما أثبته الدكتور موريس بوكاى - وهو الفرنسى غير العربى الذى لم يكن مسلمًا ولم يحاول أن يكون - حين درس معارف العلم الحديث فى ضوء المعطيات التى تُقدمُها الكتب المقدسة الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن، ففوجئ بأن الرواية القرآنية هى الوحيدة التى لا تذكر أى شىء يتعارض مع المعارف العلمية الحديثة، بعد ألف وأربعمائة عام من نزوله، بشكل لا يمكن أن يكون من عمل البشر، فحتى إذا كان محمد ﷺ قد اطلع على هذه الكتب السابقة، فإنه لا مجال للقول بأنه قادر فى هذا الزمن على إجراء هذه العملية الانتقائية للمعلومات، وإبقاء الصحيح منها ورفض المغلوط[3][4].

---

(١) لايتنر: باحث إنجليزى، حصل على أكثر من شهادة دكتوراه فى الشريعة والفلسفة واللاهوت، وزار الأستانة عام (١٨٥٤م)، كما طَوَّف بعددٍ من البلاد الإسلامية، والتقى برجالاتها وعلمائها.

(٢) لايتنر: دين الإسلام، ص(٤، ٥).

(٣) انظر: كتاب الدكتور موريس بوكاى: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة فى ضوء المعارف الحديثة.

(٤) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين).

* **شبهة تكذيبهم لمعجزات النبي ﷺ :**

إن جوابنا عن كل سؤال يثيره المشغبون حول المعجزات التى أيَّد الله بها رسوله ﷺ يتمثل فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وفى قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾(٢).

وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾(٣).

وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٤).

فالله - سبحانه وتعالى - يُكرم أنبياءه بما يشاء، ويؤيدهم بما يُريد من المعجزات.

- أيَّد الله عز وجل نبيه نوحًا - عليه السلام - بإرسال الطوفان على قومه الذين ظلموه وكذبوه وعاندوه، فأهلكهم وسلَّمه!!.

- أُلقى إبراهيم - عليه السلام - فى النار، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا!!.

- فُدى إسماعيل عليه السلام بذبحٍ عظيم!!.

- وموسى الكليم عليه السلام أُيد بالعصا التى تتحول إلى حية تسعى!! والتى ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطور العظيم. والتى ضرب بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينًا، والتى ضرب بها الحجر الذى فرَّ بثوبه فأثرت فى الحجر!!.

- أُيد موسى عليه السلام بمعجزة أخرى وهى خروج يده من جيبه بعد إدخالها فيه بيضاء من غير سوء، وتلك آية أخرى.

- أُيد عيسى (عليه السلام) بطائفة من الآيات والمعجزات.. فعيسى عليه السلام، كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويُحيى الموتى -بإذن الله-.

---

(١)سورة البقرة: الآية: (٢٠).

(٢)سورة هود: الآية: (١٠٧).

(٣)سورة الحج: الآية: (١٨).

(٤)سورة يس: الآية: (٨٢).

- ويخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرًا - بإذن الله -.

- ولقد أنطقه الله فى المهد، وكلم الناس.

- وداود عليه السلام ألان الله له الحديد، وسبَّحت معه الجبال وكذا الطير.

- وهذا سليمان عليه السلام سُخرت له الريح تجرى بأمره رُخاءً حيث أصاب، والشياطين كل بنَّاءٍ وغواص، وآخرين مقرنين فى الأصفاد.

- وصالح - عليه السلام - خرجت له ناقة عظيمة - بإذن الله - من بطن صخرة.

- وأيوب عليه السلام ضرب برجله الأرض، فخرج ماء مغتسل بارد وشراب، فاغتسل وشرب، فشفاه الله وعاد أجمل ما كان وأحسن ما كان.

إلى غير ذلك من المعجزات والآيات.

والله على كل شىء قدير.

* **فإذا قال قائل:** كيف نبع الماء من بين أصابع النبى ﷺ؟

فجوابنا: إن الله على كل شىء قدير!!.

وكذا فهو نفس الجواب إذا سألنا سائل: كيف يحن الجذع لرسول الله ﷺ؟ وكيف يُسلِّم عليه الحجر؟ ويُقبل إليه الشجر؟ وينشق فى زمنه القمر؟

جوابنا: إن الله يفعل ما يشاء، والله على كل شىء قدير.

وليس بعزيز على الله أن يؤيد نبيه ﷺ بمثل ذلك، بل وبأعظم من ذلك.

وكذا فهو نفس الجواب عن سؤال السائل: كيف يُسَرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى بعض ليلة؟ وكيف يُعرج به إلى السموات؟!!

وكذا فهو نفس الجواب عن سؤال قد يُطرح: كيف يُشَق صدره؟ وكيف يُبارَك له فى الطعام القليل والماء القليل حتى يكفى طعام الاثنين مائة شخص؟!!

وكيف يمسح على رِجل شخص كسيرة فيعافيه فى الحال؟!!

فدومًا... الله على كل شىء قدير!!

والله يفعل ما يشاء.

إن بعض الكُتَّاب الموسومين بالإسلاميين يستحى بعضهم أن يتحدث عن معجزات النبى ﷺ ويقول: كيف أواجه الغرب الكافر بمثل هذا؟

يقول: كيف أواجه الغرب الكافر بأن الماء قد نبع من بين أصابع النبى محمد ﷺ؟

يقول: كيف أواجه الغرب الكافر بأن النبى ﷺ نادى على نخلة فأتت تشق طريقها حتى وقفت بين يديه - صلوات الله وسلامه عليه -؟

يقول: كيف أواجه الغرب بأن جذعًا قد حَنَّ للنبى ﷺ؟ ذلكم الجذع الذى كان النبى ﷺ يقف عليه ويخطب، فلما صُنع له المنبر نزل من على الجذع وصعد المنبر، فأنَّ الجذع أنينًا وحَنَّ حنينًا إلى أن نزل النبى ﷺ فاحتضنه وأسكته كما يُسكَّت الصبى الصغير أمام الناس كلهم.

فيقول المُناظر: كيف أواجه الغرب الكافر بذلك؟

أما جوابنا الأصيل فهو: إن الله على كل شىء قدير.

فالذى يجعل الجذع ينطق هو الله، والذى يجعله يسكن هو الله، والذى يجعل الماء ينبع من بين الأصابع هو الله، والذى قال لأيوب - عليه السلام -: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾[1] أى اضرب الأرض برجلك، فتفجرت الأرض ينابيع، والضرب بالرجل ماذا عساه أن يُجدى؟ إنه لا يجدى بشىء ولا ينفع بشىء،

---

(١) سورة ص: الآية: (٤٢).

لكن جعل الله الماء يتفجر، جعله الله مغتسلاً باردًا وشرابًا.

وهو الذى جعل الرُّطَب الجَنى يتساقط على مريم - عليها السلام -، وقد أُمرت أن تهز إليها بجذع النخلة، وماذا عساه أن ينفع هزُّها بيديها لجذع النخلة؟ لكنه سبب أُمرت به، والذى جعل الرطب الجنى يتساقط هو الله.

وماذا عساها أن تنفع عصا موسى لما ضرب بها البحر، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، ولما ضرب بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشر عينًا، وعندما ضرب بها الحجر الذى هرب بثوب موسى فتوقف الحجر بسبب الضرب، وظهرت به آثار العصا، ما الذى مكّن له ذلك وأيَّده بذلك؟

إنه الله وحده!!! وماذا عسى أن تصنع يد داود - عليه السلام - مع الحديد الذى ألانه الله له؟!!

وكذلك ماذا صنع سليمان حتى أسال الله له عين القِطر - أى تفجرت له عين النحاس -.

كل ذلك حدث بقدرة الله.

فجواب المسلم منا عن مثل هذه المعجزات وغيرها: «إن الله على كل شىء قدير».

قد يأتى كافر ساخر مجرم أثيم يسخر من هذه المعجزات، ولكن جواب الطفل من المسلمين الذى لُقن الإيمان وعلمه: إن الله على كل شىء قدير.

فالذى رزق مريم - عليها السلام - بفاكهة الشتاء صيفًا، وفاكهة الصيف شتاءً، والذى أحيا الأموات على يد المسيح عيسى عليه السلام قادر على ما ذُكر، وقادر على أعظم مما ذُكر. ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

فلذا فلا نستحى أبدًا، ونحن نتحدث عن معجزات نبينا محمد ﷺ، وعمَّا أيَّده الله به من انشقاق القمر وإذعان الأشجار إليه، وتسليم الأحجار عليه، وشفاء المرض العاجل على يديه، لا نستحى أبدًا ونحن نذكر ذلك،

---

(١) سورة يس: الآية: (٨٢).

فربنا - جل وعلا - على كل شيء قدير.

نقول ذلك ونعلنها للناس: اشهدوا بأنَّا مسلمون، لا نتوارى بديننا، ولا نختفى بديننا بل نُظهر شريعتنا كما أمرنا ربنا، وكما أمرنا نبينا - عليه الصلاة والسلام -.

ففى رسالته ﷺ إلى هرقل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(1).

اعلنوها أيها المسلمون، قولوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(2).

وكما قال ربكم سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(3)(4).

* شبهة: تعدُّد زوجات النبى ﷺ:

أقول: إن النبى ﷺ لم يكن هو أول من أحدث تعدد الزوجات بل كان أمر التعدد مشتهرًا بين الأنبياء من قبله.

* فها هو إبراهيم (عليه السلام) كان متزوجًا من سارة وهاجر.
* وها هو أيوب (عليه السلام) كان متزوجًا بأربع نسوة.
* وها هو داود (عليه السلام) كان متزوجًا بسبع نسوة.
* بل ها هو سليمان (عليه السلام) قد تزوج بألف امرأة... سبعمائة منهن حرائر من بنات السلاطين وثلاثمائة جوارى.

ولقد أخبر النبى ﷺ بقول سليمان عليه السلام حين قال: «لأطوفن الليلة

---

(1) سورة آل عمران: الآية: (٦٤).

(2) سورة آل عمران: الآية: (٨٤).

(3) سورة الأنعام: الآيتان: (١٦٢-١٦٣).

(4) شبهات حول الإسلام / الشيخ مصطفى العدوى (١٣٨ : ١٤٤).

على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد فى سبيل الله»[(١)] .

* بل هيا لننظر سويًّا إلى تاريخ الأمم السابقة مع التعدد.

يقول المستشرق الفرنسى المسلم ناصر الدين دينيه فى كتابه «محمد رسول الله ﷺ» (الواقع يشهد بأن تعدد الزوجات شىء ذائع فى سائر أرجاء العالم، وسوف يظل موجودًا مهما تشددت القوانين فى تحريمه)[(٢)] .

عُرف التعدد فى شريعة حمورابى ووُجد منقوشًا فى أحد الأحجار الأثرية فى مدينة «صور». قانونه فى تنظيم الأسرة وكان من أهم ما فيه مادة تجيز التعدد. وكذا عُرف التعدد فى اليونان وعند الرومان والآشوريين والهنود البرهمين والمصريين والإيرانيين وعرف عن الصقالبة والسلافيين التى تنتمى إليها روسيا وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا.

كما أنه تفشَّى فى أوروبا عند «الفولو» فى زمن «سيزار»، وأباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد الإسلام «كشرلمان» ملك فرنسا الذى كان معاصراً للخليفتين المهدى والرشيد العباسيين[(٣)] .

*** العرب فى الجاهلية:**

كان التعدد معروفًا عندهم ولم تكن له ضوابط معينة ولا حدود معروفة فجاء الإسلام وهذَّبه وحدَّده وبيَّن أسسه وشروطه.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه، فأمره النبى ﷺ «أن يتخير أربعة منهن»[(٤)] .

* بل أنا أدعو الكون كله لنتأمل سويًّا كيف كانت تلك المراحل الخمس التى عاشها النبى ﷺ .

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٤٢٤) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٢) المرأة بين الفقه والقانون لمصطفى السباعى.

(٣) محاسن تعدد الزوجات لهاشم بن حامل الرفاعى.

(٤) قال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح.

١- ظل النبى ﷺ حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره بلا زوجة.

٢- تزوج النبى ﷺ أمنا خديجة ﵂ وهى أسنّ منه بخمسة عشر عامًا.. بل وتزوجت قبله مرتين.

وظل معها النبى ﷺ خمسًا وعشرين عامًا ولم يتزوج عليها أبدًا مع أن هذه الفترة كانت هى فترة الشباب والقوة والشهوة.

٣- لما ماتت خديجة ﵂ ظل النبى ﷺ بعدها ثلاث سنوات بلا زواج.

٤- بعدما بلغ النبى ﷺ الثالثة والخمسين من عمره تزوج من سودة بنت زمعة ﵂ وهى امرأة كبيرة فى السن يقارب سنُّها سن خديجة ﵂.

٥- لم يبدأ فى التعدد إلا بعدما بلغ من العمر خمسًا وخمسين سنة أى بعدما بلغ سن الشيخوخة.. وكانت جميع زوجاته أرامل ما عدا عائشة ﵂.

فلو كن يريد الشهوة لتزوج وهو فى ريعان الشباب.

وقد ذكرت لكم فى معجزاته (بالأدلة الصحيحة) أن قوة النبى ﷺ كانت تساوى قوة أربعة آلاف رجل.

فهل هناك عاقل يتهم النبى ﷺ بعد ذلك بأنه كان شهوانيًّا وأنه تزوج من أجل الشهوة.

الحكمة من تعدُّد زوجات النبى ﷺ

* **ومع كل هذا قد يقول قائلاً:** ما زال السؤال باقيًا: ما الحكمة من تعدد زوجات النبى ﷺ ؟

- **وسيأتى الجواب بكل بساطة وسهولة:**

إن الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ كثيرة ومتشعبة، ويمكننا أن نُجملها فيما يلى: (١)

---

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول/ للشيخ الصابونى - نقلاً عن تنزيه سيد الأنبياء عن مطاعن السفهاء/ د. ياسر عبد القوى.

* أولاً: الحكمة التعليمية.
* ثانيًا: الحكمة التشريعية.
* ثالثًا: الحكمة الاجتماعية.
* رابعًا: الحكمة السياسية.

*** أولاً: الحكمة التعليمية:**

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هى تخريج بضع معلمات للنساء، يعلمنهن الأحكام الشرعية. فالنساء نصف المجتمع، وقد فُرض عليهن من التكاليف ما فُرض على الرجال... وقد كان الكثيرات منهن يستحين من سؤال النبى ﷺ عن بعض الأمور الشرعية، وخاصة المتعلقة بهن، كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية، وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم عن بعض هذه المسائل كما كان من خلق الرسول ﷺ الحياء الكامل، وكان - كما تروى كتب السنة أشد حياء من العذراء فى خِدرها... فما كان عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة، بل كان يُكنِّى فى بعض الأحيان، ولربما لم تفهم المرأة عن طريق «الكناية» مراده عليه السلام.

تروى السيدة عائشة ﵂ أن امرأة من الأنصار، سألت النبى ﷺ عن غُسلها من المحيض، فعلَّمها ﷺ كيف تغتسل، ثم قال لها: «**خذى فرصة مُمسكة**» أى قطعة من القطن بها أثر الطِّيب «**فتطهرى بها**»..... قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: «**تطهرى بها**»، قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ قال: «**سبحان الله تطهرى بها**».

قالت عائشة ﵂: فاجتذبتها من يدها، فقلت لها: ضعيها فى مكان كذا وكذا، وتتبعى بها أثر الدم[1]، وصرحت لها بالمكان الذى تضعها فيه.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٤) كتاب الحيض، ومسلم (٣٣٢) كتاب الحيض.

فكان صلوات الله وسلامـه عليه يستحى من مثل هـذا التصريح وهكذا كان القليل أيضًا من النساء من تستطيع أن تتغلب على نفسها وعلى حيائها، فتجاهر النبى ﷺ بالسؤال عما يقع لها.

فآخذ مثلاً لذلك حديث (أم سلمة) المروى فى الصحيحين وفيه تقول: «جاءت أم سُليم (زوج أبى طلحة) إلى رسول الله ﷺ فـقالت له: يا رسول الله إن الله لا يستـحى من الحق... هل على المرأة من غُسل إذا هى احتلمت؟ فـقال لها النبى ﷺ: **«نعم إذا رأت الماء»**. فقـالت أم سلمة: لقد فضـحت النساء، ويحك أوَ تحتلم المرأة؟ فأجابها النبى الكريم بقوله: **«إذًا فبِمَ يشبهها الولد؟»**»[1].

وهكذا مثل هذا الأسئلة المحرجة، كان يتولـى الجواب عنها فيـما بعد زوجاته الـطاهرات... ولهذا تقـول السيدة عـائشة رضي الله عنها: «رحم اللـه نساء الأنصار، ما منعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين»[2]. وكانت المرأة منهن تأتى إلى السيـدة عائشة فى الظلام لـتسألهـا عن بعض أمور الدين، وعن أحكام الحيض والنـفاس والجنابة وغيـرها من الأحكام، فكان نسـاء الرسول خـير معلمات موجهات لهن، وعن طريقهن تفقه النساء فى دين الله.

ثم إنه من المعلوم أن السنة المطهرة ليست قـاصرة على قول النبى ﷺ فحسب، بل هى تشمل قوله، وفعله، وتقريره... وكل هذا من التـشريع الذى يجب على الأمة اتباعه... فمن ينقل لنا أخباره وأفـعاله عليه السلام فى المنزل غـيـر هؤلاء النسوة الـلواتى أكرمـهن الله فكن أمـهـات المؤمنين وزوجات لرسوله الكريم فى الدنيا والآخرة؟

لا شك أن لزوجاته الطاهرات رضـوان الله عليهن أكبـر الفضل فى نقل جميع أحواله وأطواره، وأفعاله المنزلية عليه أفضل الصلاة والتسليم.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٣١٣) كتاب الحيض.

(٢) التمهيد لابن عبد البر.

ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات مُعلمات ومُحدثات نقلن هديه عليه السلام، واشتـهرن بقـوة الحفظ والنبـوغ والذكاء. ومن أوضح الأمـثلة عائشة رضي الله عنها.

*** ثانيًا: الحكمة التشريعية:**

وهذه الحكمة ظاهرة تُدرَك بكل بساطة، وهى أنها كانت من أجل إبطال بعض العادات الجاهلـية المستنكرة، ونضرب مـثلاً (بدعة التـبنِّى) التى كان يفعلها العـرب قبل الإسلام، فقد كانت دينًا مـتوارثًا عندهم. يتبنى أحدهم ولدًا ليس من صُـلبه، ويجعله فى حكم الولد الصلبى، ويتخذه ابنًا حقيقيًّا له حكم الأبناء من النسب فى جميع الأحوال، فى الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح، وإلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه وكان دينًا تقليديًّا متبعًا فى الجاهلية.

وما كان الإسلام ليقرهم على باطل، ولا ليتركهم يتخبطون فى ظلمات الجهالة، فمهَّد لذلك بأن ألهم رسـوله ﷺ أن يتبنى أحد الأبناء وهو زيد ابن حارثة رضي الله عنه وذلك قبل البـعثة النبوية. وبعد ذلك زوَّجـه (عليه السلام) بابنة عـمته (زيـنب بنت جحش الأسـدية رضي الله عنها) وقد عـاشت معـه مدة من الزمن، ولكنها لـم تطل فقد سـاءت العلاقة بـينهما فكانت تغـلظ له القول وترى أنها أشرف منه لأنه كان عبدًا مملوكًا قبل أن يتبناه الرسول ﷺ وهى ذات حسب ونسب. ولحكمة يريدها الله طلق زيد زينب وأمر رسوله ﷺ أن يتزوجهـا ليُبطل (بدعة التبنى) ويقيم أسس الإسـلام ويأتى على الجاهلية من قواعدها.

*** ثالثًا: الحكمة الاجتماعية:**

وهذه تظهـر بوضوح فى تزوُّج النبى ﷺ بابنة الـصدِّيق الأكبـر (أبى بكر) رضي الله عنه ووزيره الأول... ثم بابنة وزيره الثانى الفاروق (عمر) رضى الله

عنه وأرضاه. . . ثم باتصاله عليه السلام بقريش اتصال مصاهرة ونسب، وتزوّجه العديد منهن، مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق، وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقى حول دعوته فى إيمان، وإكبار، وإجلال.

لقد تزوج النبى ﷺ بالسيدة (عائشة) بنت أحب الناس إليه وأعظمهم قدرًا لديه، الذى كان أسبق الناس إلى الإسلام، وقدم نفسه وروحه وماله، فى سبيل نصرة دين الله، والذَّود عن رسوله، وتحمل ضروب الأذى فى سبيل الإسلام - حتى قال عليه السلام مشيدًا بفضل أبى بكر: **«ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله تعالى بها يوم القيامة.... وما نفعنى مال أحد قَط ما نفعنى مال أبى بكر. وما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة إلاّ أبا بكر فإنه لم يتلعثم، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله»**[1][2].

فلم يجد رسول الله ﷺ مكافأة لأبى بكر فى الدنيا، أعظم من أن يُقر عينه بهذا الزواج بابنته، ويصبح بينهما (مصاهرة) وقرابة تزيد فى صداقتهما وترابطهما الوثيق.

كما تزوج صلوات الله وسلامه عليه بالسيدة (حفصة بنت عمر) رضي الله عنها فكان ذلك قرة عين لأبيها عمر على إسلامه وصدقه وإخلاصه وتفانيه فى سبيل هذا الدين. . وعمر هو بطل الإسلام الذى أعز الله به الإسلام والمسلمين ورفع به منار الدين، فكان اتصاله عليه السلام به عن طريق المصاهرة، خير مكافأة له على ما قدم فى سبيل الإسلام، وقد ساوى ﷺ بينه وبين وزيره الأول أبى بكر فى تشريفه بهذه المصاهرة، فكان زواجه بابنتيهما أعظم شرف لهما، بل أعظم مكافأة ومنة، ولم يكن بالإمكان أن

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٦١).

(٢) له طرق بمعناه فى مسلم وابن ماجه وأحمد وابن حبان.

يكافئهما فى هذه الحياة بشرفٍ أعلى من هذا الشرف، فما أجلّ سياسته وما أعظم وفاءه للأوفياء المخلصين.

كما يقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلى رضي الله عنهما بتزويجهما بناته.... وهؤلاء الأربعة هم أعظم أصحابه، وخلفاؤه من بعده فى نشر ملته، وإقامة دعوته، فما أجلّها من حكمة، وما أكرمها من نظرة.

*** رابعًا: الحكمة السياسية:**

لقد تزوج النبى ﷺ ببعض النسوة، من أجل تأليف القلوب عليه، وجمع القبائل حوله.... فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة، أو عشيرة، يصبح بينه وبينهم قرابة و(مصاهرة) وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نُصرته وحمايته... ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك لتتضح لنا الحكمة، التى هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج.

١- تزوج النبى ﷺ بالسيدة (جويرية بنت الحارث) ابنة سيد بنى المصطلق وكانت قد أُسرت مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر، أرادت أن تفتدى نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشىء من المال فعرض عليها أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك فتزوجها فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا؟ (أى أنهم فى الأسر)، فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم، فلما رأى بنو المصطلق هذا النُّبل والسمو، وهذه الشهامة والمروءة أسلموا جميعًا، ودخلوا فى دين الله، وأصبحوا من المؤمنين..

فكان زواجه ﷺ بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها، لأنه كان سببًا لإسلامهم وعتقهم، وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.

*** أخرج البخارى فى صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:**

«أصاب رسول الله ﷺ نساء بنى المصطلق، فأخرج الخُمس منه ثم

قسمه بين الناس، فأعطى الفرس سهمين والرجل سهمًا، فوقعت (جويرية بنت الحارث) فى سهم ثابت بن قيس، فجاءت إلى الرسول فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت، وقد كاتبنى ثابت بن قيس على تسع أواقٍ، فأعنِّى على فِكاكى، فقال عليه السلام: **«أوَ خيرٌ من ذلك؟»**، فقالت: ما هو؟ فقال: **«أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك»**...... فقالت: نعم يا رسول الله. فقال ﷺ: **«قد فعلت»**[(١)].

وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يُسترقون؟ فأعتقوا ما كان فى أيديهم من سبى بنى المصطلق، فبلغ عتقهم مائة بيت، بتزوجه عليه السلام بنت سيد قومه، وتحقق الأمل البعيد المنشود من ورائه فأسلمت القبيلة كلها بإسلام جويرية، وأسلم أبوها الحارث وعاد هذا الزواج على المسلمين بالبركة والقوة والدعم المادى والأدبى معًا للإسلام والمسلمين.

أصبحت جويرية بنت الحارث زوجة لسيد المرسلين وأُمًا للمؤمنين، فكانت رضي الله عنها عالمة بما تسمع، وعاملة بما تعلم، فقيهة عابدة، تقية ورعة، نقية الفؤاد، مضيئة العقل، مشرقة الروح، تحب الله ورسوله وتحب الخير للمسلمين.

وكانت رضي الله عنها تروى من حديث رسول الله ﷺ، ناقلة لحقائق الدين من خزائنها عند من تنزلت عليه ﷺ، يرويه عنها سدنة العلم من علماء الصحابة رضي الله عنهم، لينشروه فى المجتمع المسلم علمًا وعملاً، وفى عامة المجتمع الإنسانى دعوة وهداية»[(٢)].

٢- زواجه ﷺ **«بصفية بنت حُيى بن أخطب»** رضي الله عنها - وكانت صفية رضي الله عنها قد أُسرت فى غزوة خيبر بعد قتل زوجها ووقعت (كما فى صحيح البخارى) فى سهم أحد أصحاب النبى ﷺ وهو دحية الكلبى رضي الله عنه فجاء

---

(١) حسن: رواه أبو داود، وأحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح أبى داود.

(٢) محمد رسول الله / لمحمد صادق عرجون.

زجل إلى النبى ﷺ فذكر له شأنها وقال: أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير، إنها لا تصلح إلا لك، فقال: «**ادعو بها**»، فلما نظر إليها قال لدحية: «**خذ جارية من السبى غيرها**»، ففعل وخيَّرها النبى ﷺ بين أمرين:

(أ) إما أن يعتقها ويتزوجها ﷺ.

(ب) وإما أن يُطلق سراحها فتلحق بأهلها.

فاختارت ﵂ أن يعتقها وتكون زوجة له، وذلك لما رأته من جلالة قدره وعظمته، وحسن معاملته، وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس.

وبهذا الزواج الاختيارى أصبحت صفية بنت حُيى بن أخطب (سيد يهود بنى النضير وألد أعداء النبى ﷺ) إحدى أمهات المؤمنين، تتساوى فى جميع الحقوق مع عائشة بنت أبى بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وكل زوجات النبى ﷺ (١).

* تفنيد تهمة خبيثة(٢):

هذا الزواج جعل بعض مرضى النفوس (وخاصة أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم) يتهمون الرسول ﷺ بأنه ما استرجع صفية وتزوجها إلا بدافع رغبة جسدية. بينما الحقيقة التى يؤكدها السياق أن الدافع لجعل النبى ﷺ صفية زوجة له أسمى وأشرف من ذلك، وهو أن صفية بنت ملك وزوجة ملك، ومثلها لا يُوهَب كما توهَب السبايا الأُخريات. ولهذا استرجعها النبى ﷺ من دحية ﵁، مما يدل على الباعث الإنسانى النبيل الذى فيه تكريم لهذه السيدة العظيمة فى قومها، وذلك حسب القاعدة الإسلامية الشريفة «أكرموا عزيز قومٍ ذَلَّ».... وليس أكرم لها وأجبر لخاطرها من أن تكون زوجة النبى ﷺ بدلاً من أن تكون مملوكة عند رجل من عامة الناس.

---

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ للصابونى.

(٢) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

وباعث آخر «للرد على مرضى النفوس» ألا وهو مواساة هذه السيدة العظيمة في قومها وإعزازها وتكريمها.

روى الواقدى عن أُبى بن أبى سبرة عن أبى حرملة عن أخته أم عبد الله عن ابنة القين المزنى قالت: كنت آلف صفية من بين أزواج النبى ﷺ وكانت تحدثنى عن قومها وما كانت تسمع منهم ثم ذكرت حديثًا طويلاً إلى أن قالت، فقالت صفية: فسُبيت فى حصن النزار قبل أن ينتهى رسول الله ﷺ إلى الكتيبة (أحد الأودية فى الشطر الثانى لخيبر) فأرسل بى إلى رَحْله ثم جاءنا حين أمسى فدعانى، فجئت وأنا مُقنَّعة حيية فجلست بين يديه فقال: **«إن أقمتِ على دينك لم أُكرهك وإن اخترتِ الله ورسوله فهو خير لك»**، فقالت: أختار الله ورسوله والإسلام... فأعتقنى الرسول ﷺ وتزوجنى[1].

وعن صفية رضي الله عنها أنها قالت: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما أحدٌ أكره إلىَّ منه، قَتل أبى وزوجى وقومى، فقال: **«يا صفية أما إنى أعتذر إليك مما صنعت بقومك إن قومك صنعوا كذا وكذا»**، (وأخذ يعدد الأسباب التى حملته على أن يفعل بهم ما فعل)، قالت صفية: وما زال يعتذر إلىَّ حتى ذهب ذلك من نفسى، فما قمت من مقعدى ومن الناس أحد أحب إلىَّ منه ﷺ ثم قالت: «ما رأيت أحدًا قط أحسن خُلقًا من رسول الله ﷺ»[2].

فلو لم يكن باعث استرجاع صفية من دحية الكلبى هو باعث إنسانى شريف ما خيَّرها النبى ﷺ - بعد أن حررها من الأسر - بين أن تعود إلى أهلها حُرة مُعززة مكرمة وبين أن يتزوجها لتكون إحدى أمهات المؤمنين.

---

(١) مغازى الواقدى.

(٢) السيرة الحلبية.

ولو أراد ﷺ أخذهـا لنفسه جـارية سرية لـفعل، ولا يمكن أن يجد طاعن أى مجال للطعن فى تصرفه ﷺ لأن قوانين الحرب المتفق عليها بين جميع الشعوب والأمم والتى عمل بها الإسلام وطبقها (كعمل حربى مقابل) فى ذلك العصر تبيح للنبى ﷺ أن يعامل صفية كنوع من الرقيق فيتخذها لنفسه جارية دونما أخذ موافقتها لأنها أسيرة حرب تعتبر مملوكة بموجب قانون الحرب الدولى المعمول به فى ذلك العصر[١].

ولكن النبى ﷺ تكريمًا لهذه السيدة العظـيمة فى قومـها أَبَى إلا أن يخـصها مـن بين جمـيع السبـايا بإعطائها مطلق الحـرية فى أن تخـتار أى السبيلين تريد بمحض إرادتهـا: العودة إلى عشيرتها مع البـقاء على دينها أو الدخول فى الإسلام لتكون زوجة الرسول عليه السلام لا فرق بينها وبين ابنة أبى بكر فى الحقوق والواجبات فاختارت الزواج بمحض اختيارها.

وكان الـنبى ﷺ يبالغ فى إكـرام هذه السيـدة ﵂ ويراعى شعـورها لعلمه بما هى عليـه من حساسية وشـعور مُرهَف، كامرأة عزيزة فـى قومها فقدت الوالد والزوج (كلاهما مَلِكٌ على قومه).

فقد كانت صفية نفسهـا تتحدث عن هذه المعاملة النبيلة والمواساة النابعة من أشرف قلب، فقد قالت: كنت ألقى من أزواج النبى ﷺ.

يفخـرن علىَّ، يقلن: يا ابنة الـيهـودى وكنت أرى رسـول الله ﷺ يلطف بى ويكرمنى، فدخل علىَّ يومًا وأنا أبكى فقال: «ما لك؟»، فقلت: أزواجك يفـخرن علىَّ ويقلن: يا ابنة اليـهودى قـالت: فرأيت رسـول الله ﷺ قد غـضب ثم قال: «**إذا تعـالوا لك أو فـاخروك فـقـولى: أبى هارون وعمى موسى**»[٢]. وفى رواية: «**وزوجى محمد ﷺ**».

---

(١) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

(٢) مغازى الواقدى.

٣- وكذلك تزوج عليه السلام بالسيدة أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) وأبو سفيان كان فى ذلك الحين حامل لواء الشرك، وألد الأعداء لرسول الله ﷺ وقد أسلمت ابنته فى مكة، ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فرارًا بدينها، وهناك مات زوجها فبقيت وحيدة فريدة، لا مُعين لها ولا أنيس، فلما علم الرسول الكريم بأمرها أرسل إلى (النجاشى) ملك الحبشة ليُزوجه إياها فأبلغها النجاشى ذلك فَسُرَّت سرورًا لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه وتعالى، لأنها لو رجعت إلى أبيها وأهلها لأجبروها على الكفر والردة، أو عذبوها عذابًا شديدًا، وقد أصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة، ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجها النبى المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ولما بلغ (أبا سفيان) الخبر أقر ذلك الزواج وقال: «هو الفحل لا يُقدع أنفه» فافتخر بالرسول ولم ينكر كفاءته له، إلى أن هداه الله تعالى للإسلام[1].

ومن هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة من تزوجه عليه السلام بابنة أبى سفيان، فقد كان هذا الزواج سببًا لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين، سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة. مع أن أبا سفيان كان وقت ذلك من ألد بنى أمية خصومة لرسول الله ﷺ، ومن أشدهم عداء له وللمسلمين، فكان تزوجه بابنته سببًا لتأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته... كما أنه ﷺ اختارها لنفسه تكريمًا لها على إيمانها لأنها خرجت من ديارها فارَّة بدينها،... فما أكرمها من سياسة وما أجلّها من حكمة!![2].

* ومع كل هذا كان لابد أن نعلم أن النبى ﷺ كان لا يفعل شيئًا إلا بوحى من الله (جل وعلا).. فإن كان قد تزوج أكثر من واحدة فكل ذلك كان بوحى وبأمر من الله (جل وعلا) وما كان للنبى ﷺ أن يعصى ربه

(١) موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

(٢) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول عليه السلام للصابونى.

أبدًا سواءً ظهرت له الحكمة من وراء هذا الفعل أم لم تظهر فهو أعبد الناس وأخشى الناس وأتقى الناس لله (جل وعلا).

* وفوق ذلك فقد أباح الله لسائر المؤمنين بأن يتزوج الواحد منهم امرأة أو اثنتين أو ثلاثة أو أربعة.

وقد يحدث أن يتزوج رجل أربعة من النساء ثم يطلقهن ويتزوج بأربعة من النساء... أما النبي ﷺ فقد نهاه الله (جل وعلا) عن الزواج بعد نسائه الأُول، فقال تعالى: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: نُهي رسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نسائه الأُول شيئًا[2].

فلم يكن التعدد ميزة شخصية للنبي ﷺ وإنما كان ذلك لخدمة الإسلام ولتبليغ شرع الله وسُنة رسول الله ﷺ للأمة.

*** شبهة: زواجه من أمنا عائشة رضي الله عنها وهي صغيرة السن:**

وأما عن الشبهة التي أثاروها عن النبي ﷺ... وهي أنه تزوج من أمنا عائشة رضي الله عنها وهي في التاسعة من عمرها فسوف نرد عليهم في النقاط الآتية:

(١) أن النبي ﷺ لا يفعل أي شيء من تلقاء نفسه وإنما يفعل ما يأمره الله به فقد قال عنه الحق (جل وعلا): ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[3].. فقد جاءه الأمر من الله بزواجها.. بل وأرسل إليه جبريل (عليه السلام) بقطعة من حرير وفيها صورة عائشة رضي الله عنها وأخبره أنها ستكون زوجته في الدنيا والآخرة.

عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أُريتك في المنام ثلاث ليالٍ،**

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٢).

(٢) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠/ ٢٩٧).

(٣) سورة النجم: الآية: (٣).

جاء بك المَلَك في سَرَقَة (من) حرير[١]، فيقول: هذه امرأتك. فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه. فأقول: إن يَكُ هذا من عند الله يُمضه»[٢].

وعن ابن أبي مليكة عن عائشة: أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: «هذه زوجتك في الدنيا والآخرة»[٣].

(٢) أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما خطبها الرسول ﷺ لم يكن هو أول المتقدمين لخطبتها، بل سبقه لخطبتها جُبير بن المطعم بن عدي، وعلى هذا فالسيدة عائشة رضي الله عنها كانت في عمر الزواج وكانت تطيقه، ولا غرو إذن أن يخطبها النبي ﷺ.

(٣) أن الزواج المبكر كان منتشرًا في عهد النبي ﷺ.. بدليل أن حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها كانت قد تزوجت قبل النبي ﷺ وهي في الثانية عشرة من عمرها... وكذلك تزوجت صفية بنت حُيي بن أخطب رضي الله عنها وهي في الحادية عشرة من عمرها.

بل حتى في زماننا هذا كانت الفتاة في مصر في أوائل القرن العشرين تتزوج وهي تبلغ من العمر الرابعة عشر أو الخامسة عشر من عمرها.

(٤) إن هذا الزواج كان أصلاً باقتراح من السيدة خولة بنت حكيم رضي الله عنها على الرسول ﷺ؛ وذلك لتوكيد الصلة مع أحب الناس إليه، وهو أبوها أبو بكر الصديق رضي الله عنه... وهو دليل ثانٍ على أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت في سن الزواج.

(٥) إن قريشًا - التي كانت تتربص بالرسول ﷺ الدوائر لتأليب الناس عليه، والتي لم تترك مجالاً للطعن فيه إلا سلكوه، ولو كان زورًا

---

(١) السرقة بفتح السين والراء والقاف: هي القطعة، وفي مطبوعة دمشق «خرقة» وهي عند ابن حبان كما في «الفتح» (٩/ ١٥٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٩٥) كتاب مناقب الأنصار، ومسلم (٢٤٣٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) رواه الترمذي (٣٨٨٠) كتاب المناقب، وقال الأرناؤوط: ورجاله ثقات.

وافتراءً - لم تُدهش حين أُعلن نبأ المصاهرة بين أعز صاحبين وأوفى صديقين، بل استقبلته كما تستقبل أى أمر طبيعى.

(٦) أثبت التاريخ بعد ذلك أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت ناضجة تمام النضج؛ حيث استوعبت سيرة الرسول ﷺ بذكاء، وكانت سريعة التعلم جداً، بل صارت من أكثر المسلمين والمسلمات علمًا، وكانت ردودها على رسول الله ﷺ واستفساراتها تدلُّ على كمال عقلها، وسعة اطلاعها، وقوة ذكائها، ولا يكون ذلك لطفلة ليس لها فى أمور الزواج.

على أنه يجب الانتباه إلى فروق العصر وظروف الإقليم، وكيف أن نضوج الفتاة فى المناطق الحارة يكون مبكرًا جدًّا عنه فى المناطق الباردة[(١)] .

(٧) أن النبى ﷺ أراد أن يرتبط بأبى بكر ردًا لجميل أبى بكر رضي الله عنه .

(٨) أن تنوع السن كان مطلوبًا فى زيجات النبى ﷺ حتى نعرف كيف تعامل النبى ﷺ مع الصغيرة والكبيرة فنفعل مثله لأنه أسوتنا وقدوتنا.

(٩) أن النبى ﷺ تزوجها فى السنة الثانية للهجرة... وكان ذلك فى بداية التشريع.. فكان لابد من وجود فتاة صغيرة داخل بيت النبى ﷺ .

تسأل كثيرًا وتعرف كثيرًا لتنقل ذلك كله إلى الأمة.

ولذلك فمن حكمة الحق (جل وعلا) أن أمنا عائشة لم تُنجب حتى لا تنشغل بأطفالها.. فتصبح متفرغة لطلب العلم وتعليم الأمة ولذا فقد تزوجها النبى ﷺ وهى فى التاسعة من عمرها وتوفى وهى فى الثامنة عشرة من عمرها.. وعاشت بعد وفاة النبى ﷺ سبعًا وأربعين سنة تُعلم الأمة.

(١٠) أن هذه الشبهة لم تظهر إلا منذ خمسين سنة تقريبًا... فلو كانت شبهة لظهرت منذ عهد النبى ﷺ .

---

(١) أسوة للعالمين (ص٣٣٤-٣٣٥) بتصرف.

*** شبهة: أن بيوت المسلمين خربت لما أباح لهم النبى ﷺ الطلاق!!!**

* ونقول لهؤلاء الذين أثاروا هذه الشبهة:

ما العمل إذا تزوج رجل امـرأة يظنها صالحة فوجدها غـير ذلك؟ يظنها أمينة فوجدها خائنة؟

ماذا يصنع المسكين؟!

وماذا تصنع المسكينة التى ابتُليت بـزوج تظنه صالحًا، فوجدته فـاسقًا؟، تظنه رحيمًا رفيقًا فوجدته ظالمًا غشومًا؟

هل يعيش الصالح وتعيش الصالحة أبد الدهر فى نكدٍ وتعاسة؟! أم ماذا تصنع؟!

إن الأوربيـين.. منهم من منع الطلاق، فـتـفـشت فـيـهم الفـواحش والرذائل، واختلطت عندهم الأنساب.

أما فى شرعنا؛ فلقد قال ربنا: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾(1).

ثم إن هذا الطلاق لا يُصار إليه فى كل الأحوال، ولا يُرشد إليه فى كل الأوقات؛ وذلك لأنه لغير الحاجة مكروه كراهية شديدة.

فـرسولنا ﷺ قـال: «**إن إبليس يضعُ عـرشهُ على الماء، ثُم يبعـثُ سراياهُ، فأدناهُم منهُ منزلةً أعظمُهُم فتنةً، يجيءُ أحدُهُم فيقُولُ: فعلتُ كذا، وكذا، فيقُولُ: ما صنعت شيئًـا!! قال: ثُم يجيءُ أحدُهُم فيقُولُ: ما تركـتُهُ حتى فرقتُ بينهُ وبين امرأته، قال: فيُدنيه منهُ ويقُولُ: نِعم أنت**»(2).

فـاللجـوء إلى الطلاق يكون لاخـتـيـار أخف المفـسـدتين واتقـاء أعظم الضررين،... إلى غير ذلك من الأسباب، وإلا فهو مكروه.

وقد أوصى الخليل إبراهيم - عليه السلام - ولده إسماعيل أن يُغير عتبة بابه - أى: أن يطلق زوجته -.

---

(1) سورة النساء: الآية: (130).

(2) **صحيح**: رواه مسلم فى (طرق حديث 2813) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

وقد يقول قائل: لماذا من طلق امرأته ثلاثًا، لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره؟

فأقول ملتمسًا توفيق الله: إن الذى طلق امرأته ثلاثًا قد دلَّل بطلاقه هذا على سوء المعاشرة بينهما، إما منه، وإما منها، وذلك لتكرار هذا الطلاق!!

فإذا تزوجت - بعد هذه التطليقات الثلاث - رجلاً آخر فقد تتناسب خصالها مع خصاله، وطباعها مع طبائعه، فالأرواح جنود مجندة، ولعلها تجد فيه ما لم تجده فى الزوج الأول، فتقر عينها به، وتستقيم له بعد أن كانت ناشزًا مع الأول.

وكذا الزوج إذا تزوج غيرها، لعله يجد فى زوجته الثانية ما لم يجده فى الزوجة الأولى من الخصال وغيرها، فيستقيم معها وتستقيم معه!! نعم قد يكون هذا.

وقد لا يكون. بأن تكون المرأة التى طُلقت ثلاثًا كانت تظن فى الرجال أمرًا معينًا لم تجده فى الأول، فلما لم تجده فى الثانى وطُلقت منه اعتذرت وندمت على ما صدر منها مع زوجها الأول، فترجع مستقيمة طائعة - إذا شاء الله ذلك -!!.

والزوج كذلك، قد يظن أن النسوة تجتمع فيهن خصال الخير، ويرى أن خصلة من خصال الخير قد تخلفت عن الزوجة الأولى، ثم لما تزوج الثانية وجد عددًا من خصال الخير قد تخلفت فيها، فيعلم حينئذ أن النساء لا تخلو من بعض العيوب شأنها فى ذلك شأن الرجال... فيعيد نظره فى المسائل بعد ذلك!! «ولا يفرك مُؤمنٌ مُؤمنةً، ولا يبخسُها حقها».

إلى غير ذلك من الالتماسات التى قد تُلتمس.

لكن، وكما قلت آنفًا: إن الجواب الأصل: أن الله عز وجل أمرنا فأتمرنا، وقلنا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير!![1].

* * *

(١) شبهات حول الإسلام (ص١١١ - ١١٥) بتصرف.

روحى فداك يا رسول الله

وبعد هذا البحث القصير الذى لا يليق بقدر ومكانة رسولنا وحبيبنا وأسوتنا وقدوتنا ﷺ أقول له:

يا رسول الله: والله لو جلست أكتب عنك وعن شمائلك وفضائلك من الآن وحتى آخر لحظة من حياتى ما استطعت أن أوفيك حقك...... لكنه جهد المُقلّ.

فلقد أحببت من خلال هذه الرسالة الصغيرة أن يعرف العالم كله من هو رسول الله ﷺ .. فوالله لو عرفوك لأحبوك واتبعوك.

ولا أملك فى نهاية رسالتى إلا أن أقول: عُذراً يا رسول الله إن قَصَّرت ولم أستطع أن أُوفِّيك حقك فإنه لا يعرف قدرك ومكانتك إلا الخالق (جل وعلا).

* يا رسول الله: هذه رسالتى التى أرجو الله (جل وعلا) أن ألقاك بها على حوضك فأقدمها لك فتسقينى من يدك الشريفة شربة هنيئة مريئة لا أظمأ بعدها أبداً.

* صلوات الله وسلامه عليك وعلى آل بيتك يا رسول الله .

* * *

دعوة مستجابة

* أخى الحبيب .. أختى الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتيب المتواضع سائلاً ربى - عز وجل - أن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله فى ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان فى هذا الكتيب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهو أو خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان . . والله ورسوله ﷺ منه براء. . وأعوذ بالله أن أذكّركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل علىَّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

* روى مسلم أن النبى ﷺ قال: **«من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثله»**(١).

* جزى الله خيراً كل من قرأ هذا الكتاب وتعلَّم منه شيئًا وعلَّمه لمن حوله.

* سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . . . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

أبو عمار

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

الفهرس

الموضوع الصفحة

* إهداء واعتراف لأصحاب الفضل ٥
* بين يدى الكتـاب ٦

قدر ومكانة النبى ﷺ عند ربه (جل وعلا)

(١) عمـوم اعتناء الله (عـز وجل) به ﷺ ١٢
(٢) رعاية الله تعالى له ﷺ من الصغر ١٣
(٣) تطهيـر قلب النبى ﷺ من حظ الشيطان ١٦
(٤) ملء قلب النبى ﷺ إيمانًا وحكمة ١٩
(٥) اختياره واصطفـاؤه للرسالة والنبوة ١٩
(٦) رفعُ الله تعالى قدره وتثقيل وزنه بأمته ٢٠
(٧) تشريفه ﷺ بإنزال القرآن عليه ٢٠
(٨) أخذ الميثاق على الأنبياء بأن يؤمنوا بالنبى ﷺ وينصروه .. ٢١
(٩) أن الله (عز وجل) أقسم بـحياة النبى ﷺ ٢١
(١٠) أن أمته لا تجتمع على ضلالة ٢٢
(١١) أن الله (عز وجل) أثنى عليه باسمين من أسمائه ٢٢
* مظاهر الثناء على النبى ﷺ فى هذه الآيـة الكريمة ٢٣
(١٢) عصمة الرسول ﷺ من الشيطان ٢٤
(١٣) عصـمة الرسـول ﷺ من القتل ٢٤
(١٤) رؤية الله (عز وجل) له ﷺ (رؤية خـاصة) ٢٥
(١٥) ولاية الله (عـز وجل) له ﷺ ٢٦
(١٦) معية الله (عز وجل) له ﷺ ٢٧
(١٧) جعله ﷺ خاتم الـنبيين ٢٧

(١٨) إمامته لأنبياء الله ورسله بأمر الله سبحانه ليلة الإسراء بالمسجد الأقصى ٢٩
(١٩) تفضيله على الأنبياء بست فضائل أو سبع أو أكثر ٢٩
(٢٠) أمر الأمة بتوقيره وعدم رفع الصوت فوقه ﷺ ٣٠
(٢١) حفظ عرضه ﷺ من السبِّ واللعن ٣١
(٢٢) الصلاة عليه ﷺ ٣١
(٢٣) ذم الله سبحانه من سمع اسم النبى ﷺ ولم يصلِّ عليه ٣٢
(٢٤) تزكية الله (جل وعلا) لنبيه ﷺ ٣٢
١- تزكية فطرته ﷺ ٣٢
٢- تزكية قلبه ﷺ ٣٣
٣- تزكية لسانه ﷺ ٣٣
٤- تزكية بصره ﷺ ٣٤
٥- تزكية خلقه ﷺ ٣٥
٦- تزكية صدقه ﷺ فى التبليغ عن ربه ٣٦
٧- تزكية من علَّمه ﷺ ٣٧
* بعض فوائد الآية الكريمة ٣٧
٨- تزكية ما أوحى إليه ﷺ من كل وجه ٣٨
٩- تزكية همته ﷺ فى الدعوة (على لسان مشركى مكة) ٣٨
١٠- تزكية دعوته ﷺ ووصفُه بالسراج المنير ٣٩
١١- تزكية دعوته ﷺ على لسان الكافرين ٤٠
١٢- تزكية كل أحوله ﷺ ٤٠
١٣- قيامه ﷺ بالدعوة على أكمل وجه ٤١
(٢٥) تسلية الله (عز وجل) لرسوله ﷺ ٤١
١- وعده النصر على عدوه ٤٢
٢- إخباره بتعذيب أعدائه فى الدنيا والآخرة ٤٢

٣- بذكر استهزاء الكفار لمن قبله من الرسل ٤٢
٤- بذكر أسبـاب تولى الكفار وتكذيبهم ٤٣
(٢٦) رفع ذكره ﷺ ٤٣
* كلام بعض العلماء عن معنى رفع الذكر ٤٣
(٢٧) أن الله (عـز وجل) أرسله إلى الإنس والجن ٤٥
(٢٨) سماع الله لتلاوته ﷺ ٤٥
(٢٩) أن الله (عز وجل) وقَّره في ندائه ٤٦
(٣٠) أقسم بالضحى والليل أنه ما أهمل نبيه ﷺ ٤٧
(٣١) النبى ﷺ خليل الله ٤٧
(٣٢) أن أمته هى السابقـة يوم القيامة ٤٨
(٣٣) الوعد بنصره ﷺ فـى الدنيا والآخرة ٤٩
(٣٤) أن الله أحلَّ له ﷺ ولأمتـه الغنائم ٤٩
(٣٥) كفـاية الله له ﷺ ٤٩
١- كفايته شرعًا ٥٠
٢- كفايته قدرًا ٥١
* شاهد ثان على كفايته ﷺ قدرًا ٥١
* شاهد ثالث على كفايته قدرًا ٥٢
٣- كفايته شرعًا وقدرًا ٥٢
(٣٦) إرضاؤه ﷺ ٥٣
أولاً: إرضاؤه ﷺ فى الدنيا ٥٣
ثانيًا: إرضاؤه ﷺ فى الآخرة ٥٤
(٣٧) زَوَّجـه ربُّه مـن فـوقِ سبع سماوات ٥٤
(٣٨) يبيت ﷺ يُطعمه ربُّه ويسقيه ٥٥
(٣٩) الأمر بالصدقة بين يدى نجواه ﷺ ٥٦
(٤٠) تعظيم المكان بإقامته ﷺ فيه ٥٦
(٤١) جعل صلاته واستغفاره ﷺ رحمة للمؤمنين ٥٧

(٤٢) من استهزأ به ﷺ كَفَر ٥٩
(٤٣) كماله وعصمته ﷺ ٥٩
(٤٤) أن الله (عز وجل) غفر له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر ٦٠
(٤٥) إسلام قرينه ﷺ ٦١
(٤٦) أمر المؤمنين بتقديمه ﷺ على أنفسهم ٦٢
(٤٧) تشريف الله تعالى له بإعطائه الكثير من أسمائه الحسنى.. ٦٢
(٤٨) تخصيص ملائكة سيَّاحة فى الأرض تُبلغه سلام أمته ٦٤
(٤٩) النبى ﷺ كليم الله ٦٥
(٥٠) تأييد الله تعالى له ﷺ بالمعجزات وتثبيته بالآيات ... ٦٥
(٥١) أن معجزته ﷺ باقية ٦٥
(٥٢) تتابع الوحى عليه قبل موته ﷺ ٦٦
(٥٣) نعيه وتوديعه ﷺ فى القرآن ٦٧
(٥٤) أن النبى ﷺ اختبأ دعوته شفاعة لأمته ٦٧
(٥٥) أن الله تعهَّد بحفظ كتابه ٦٨
(٥٦) تثقيل موازينه ﷺ يوم القيامة ٦٩
(٥٧) أنه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة ٦٩
(٥٨) أن أمته ﷺ أمة شاهدة يوم القيامة ٧٠
(٥٩) أنه ﷺ يوم القيامة أول شافع وأول مُشفع ٧٠
(٦٠) أن الله (عز وجل) سيُدخل من أمته سبعين ألفًا بغير حساب ولا عذاب ٧١
(٦١) أن أمته ثُلثى أهل الجنة.. وأعمالهم فى ميزانه ﷺ ... ٧٣
(٦٢) أن الله (عز وجل) أعطاه نهر الكوثر ٧٣
(٦٣) أنه ﷺ صاحب أعلى درجة فى الجنة (الوسيلة) ٧٤

من أخلاق الرسول ﷺ

* النبى ﷺ كان خُلقه القرآن ٧٩
* الله (جل وعلا) يأمر عباده بحسن الخلق ٨٣

* النبى ﷺ يحض الأمة على حُسن الخلق ٨٥
* فقه الأخلاق ٨٦
* **فوائد وثمرات حسن الخلق** ٨٨
* حُسن الخلق من أفضل ما يُقرب العبد إلى الله ٨٨
* أنه طاعة لرسول الله ﷺ ٨٩
* أنه سبب لمحو السيئات ٨٩
* أنه سبب لعفو الله وجالبٌ لغفرانه ٨٩
* أنه سبب للفوز بمحبة الله (جل وعلا) ٨٩
* أنه سبب للفوز بمحبة رسول الله ﷺ ٨٩
* أنه من خير أعمال العباد ٩٠
* أن صاحبه يوصف بالخيرية ٩٠
* أن حسن الخلق سبب لتعمير الديار وزيادة الأعمار ٩٠
* صاحب الخُلق الحسن يألف الناس ويألفه الناس ٩٠
* حُسن الخلق يُصلح ما بين الإنسان وبين الناس ٩١
* بالخُلق الحسن يكثر الأحباب ويقلّ الأعداء ٩١
* حسن الخلق يُحول العدو إلى صديق ٩١
* أنه دليل على كمال إيمان العبد ٩١
* أنه سبب لتأييد الله ونصره لعباده ٩١
* سبب لتحريم جسد العبد على النار ٩٢
* حسن الخلق أثقل شيء فى الميزان يوم القيامة ٩٣
* من أسباب دخول الجنة ٩٣
* من أسباب الارتقاء فى درجات الجنة ٩٣
* النبى ﷺ يضمن له بيتًا فى أعلى الجنة ٩٣
* أن صاحبه يكون قريبًا من النبى ﷺ فى الجنة ٩٤
* **صدقه** ﷺ ٩٤
* مظاهر الصدق فى حياة النبى ﷺ ٩٥

* **الرحمة فى حياة النبى ﷺ** ١٠١
* صور من رحمته ﷺ ١٠١
* رحمته ﷺ بالأطفال ١٠٦
* رحمته ﷺ بالمذنبين والمخطئين ١٠٨
* رحمة النبى ﷺ بالمشركين ١١١
* رحمته ﷺ بالحيوان ١١٣
* **العدل فى حياة المصطفى ﷺ** ١١٦
* وهذه صورة لعدل النبى ﷺ بين أصحابه ١١٧
* وهذه صورة مشرقة لعدله بين أزواجه ١١٩
* بل هذا عدله ﷺ مع المشركين ١١٩
* النبى ﷺ يدعو الكون كله للعدل ١٢١
* **كرمه ﷺ** ١٢٢
* **النبى ﷺ يحمل البشرى لكل من حوله** ١٢٩
* **بكاء النبى ﷺ** ١٣٠
* كان بكاء النبى ﷺ فى ثلاثة أحوال ١٣٠
* **أولا: بكاؤه عند فراق الأحباب** ١٣١
* وفاة أمه (عليه الصلاة والسلام) ١٣١
* وفاة جده عبد المطلب ١٣٢
* عام الحزن ١٣٣
* وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ ١٣٤
* وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ١٣٤
* وفاة حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ ١٣٥
* حزن النبى ﷺ على قواده الثلاثة فى سرية مؤتة ١٣٥
* حزن النبى ﷺ على جعفر رضي الله عنه ١٣٥
* حزن النبى ﷺ على زيد بن حارثة ١٣٦
* **ثانيا: بكاء النبى ﷺ عند هجر الأوطان** ١٣٦

* خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة ١٣٨
* **ثالثًا: بكاء النبى ﷺ من خشية الله (جل وعلا)** ١٣٨
* **رفق النبى ﷺ** ١٣٩
* **خوف النبى ﷺ من المظالم** ١٤٢
* **صور من مزاح النبى ﷺ** ١٤٣
* **النبى ﷺ ونعمة الرضا** ١٤٧
* النبى ﷺ يعلم الأمة الرضا بقضاء الله (جل وعلا) ١٤٨
* صور من تواضع النبى ﷺ ١٤٩
* النبى ﷺ ونعمة الوفاء ١٥٤
* صور مضيئة من وفائه ﷺ ١٥٥
* وفاء النبى ﷺ لأصحابه ﷺ ١٥٦
* وفاء النبى ﷺ لأبى بكر رضي الله عنه ١٥٦
* وفاء النبى ﷺ لأمته ١٥٧
* وفاء النبى ﷺ لعمه أبى طالب ١٥٩
* وفاء النبى ﷺ لخديجة رضي الله عنها ١٥٩
* **يقين النبى ﷺ وتوكله** ١٦٠
* **النبى ﷺ وخشيته من الله (جل وعلا)** ١٦٢
* عائشة رضي الله عنها تحكى كيف كانت خشية النبى ﷺ ١٦٣
* **حياء النبى ﷺ** ١٦٥
* النبى ﷺ يحض الأمة على التحلى بخلق الحياء ١٦٦
* **زهد النبى ﷺ** ١٦٧
* وهذا حاله ﷺ عند الموت ١٦٩
* **قوة النبى ﷺ وشجاعته** ١٧١
* **اصبر كما صبر النبى ﷺ** ١٧٥
* **لا تستسلم للخوف** ١٧٧
* **صور مشرقة من عفو النبى ﷺ** ١٧٧

ذِكر النبى ﷺ فى الكتب السابقة

*بشارات النبى ﷺ فى كتب الأولين ١٨٤
*بشارة النبى ﷺ فى الكتب السـابقة ١٨٥
*بشارات النبى ﷺ فى الإنجيل ١٨٩

شهادات على صدق نبوة النبى ﷺ

(١) شهادة الله (جل وعلا) ٢٠١
(٢) الآيات التى يُجريها الله على يديه ﷺ ٢٠٥
(٣) شهادة زوجاته رضي الله عنهن ٢٠٦
(٤) شهادة الصحابة رضي الله عنهم ٢٠٨
(٥) عشارية هرقل ٢١٠
(٦) الداخلون فى الإسلام ٢١٥
(٧) شهادة المُنصفين من الغربيين ٢١٥
(٨) عدم استغلاله الفرص للتعالى ٢١٨
(٩) انتفاء الغرض الشخصى ٢٢٠
(١٠) الإعجاز العلمى ٢٢٢
(١١) تأليف قلوب العرب ٢٢٣
(١٢) أُمى يُعلّم العالم ٢٢٤
(١٣) إخـباره بالغـيب ٢٢٥

قطوف وشذرات من حياة النبى ﷺ

*النسب الشريف للنبى ﷺ ٢٢٩
*مكانة النبى ﷺ بين قومه ٢٣٠
*خاتم النبيين ﷺ ٢٣٢
*أسماء النبى ﷺ وكُناه ٢٣٣
*أزواج النبى ﷺ (أمهات المؤمنين) ٢٣٦
*أولاد النـبى ﷺ ٢٣٩
*أعمامه وعماته ﷺ ٢٤٠

* سراريه ﷺ ٢٤١
* موالى الحبيب ﷺ ٢٤١
* إماء رسول الله ﷺ ٢٤٣
* كُتَّابه ﷺ ٢٤٤
* فصل فى مؤذنيه ﷺ ٢٤٦
* حرسه ﷺ ٢٤٦
* فصل: فيمن كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ ٢٤٧
* فصل: فيمن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ٢٤٧
* فصل: فى شُعرائه وخُطبائه ﷺ ٢٤٧
* فصل: فى حُداته الذين كانوا يحدون بين يديه ﷺ فى السفر ٢٤٧
* أسماء خيله ﷺ ٢٤٨
* أسماء بغال الحبيب ﷺ ٢٤٩
* أسماء إبله ولقاحه ومنائحه ﷺ ٢٤٩
* أسماء سلاح الحبيب ﷺ ٢٤٩

الصفات الخلقية للحبيب ﷺ

* وصف أم معبد الخزاعية للنبى ﷺ ٢٥٤
* كان وجهه ﷺ أجمل من القمر ٢٥٦
* لون النبى ﷺ ٢٥٧
* صفة فم النبى ﷺ وعينيه وعقبيه ٢٥٨
* صفة شعر رسول الله ﷺ ٢٥٨
* شيب النبى ﷺ وما جاء فى خضابه ٢٥٩
* صفة لحيته ﷺ ٢٥٩
* صفة كفيه ﷺ وقدميه وذراعيه وساقيه وصدره ٢٦٠
* طيب رائحة النبى ﷺ ... ولين كفه ﷺ ٢٦٠
* كانوا يعطرون العطر بعرق النبى ﷺ ٢٦١
* صفة خاتم النبوة ٢٦١

* النبى ﷺ يشتاق إليكم ٢٦٢

مختصر سيرة الرسول ﷺ

* صفة النبى ﷺ فى التوراة وتبشير اليهود به ٢٦٥
* إخبار الكُهان عن بعثة النبى ﷺ ٢٦٦
* حالة المجتمع الجاهلى قبل بعثة الحبيب ﷺ ٢٦٧
* العادات السيئة فى المجتمع الجاهلى ٢٦٩
* النكاح فى الجاهلية ٢٧٢
* العادات الحسنة فى المجتمع الجاهلى ٢٧٣
* قصة حفر زمزم ٢٧٥
* قصة نذر عبد المطلب بأن يذبح أحد أبنائه ٢٧٧
* حادثة الفيل إرهاصة لبعثة النبى ﷺ ٢٨٠
* زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب ورؤيا آمنة أم النبى ﷺ ٢٨١
* ميلاد المصطفى ﷺ ونشأته ٢٨١
* زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها ٢٨٣
* بناء الكعبة وقضية التحكيم ٢٨٤
* شمس النبوة تشرق على دنيا الناس ٢٨٤
* مرحلة الإسرار بالدعوة المباركة ٢٨٥
* مرحلة الجهر بالدعوة المباركة ٢٨٦
* إسلام حمزة بن عبد المطلب ٢٨٧
* الهجرة الأولى إلى الحبشة ٢٨٨
* إسلام عمر بن الخطاب ٢٨٨
* هجرة الحبشة الثانية ٢٨٨
* المقاطعة العامة وميثاق الظلم والعدوان ٢٨٩
* عام الحزن ٢٩٠
* خروج النبى ﷺ لدعوة أهل الطائف ٢٩١

* الإسراء والمعراج ٢٩٢
* بيعة العقبة الأولى ٢٩٢
* بيعة العقبة الثانية ٢٩٣
* هجرة النبى ﷺ ٢٩٤
* إشارة لطيفة فى تحويل القبلة ٢٩٩
* غزوة بدر الكبرى ٢٩٩
* غزوة أُحد ٣٠٢
* خروج النبى ﷺ إلى حمراء الأسد ٣٠٥
* غزوة الأحزاب (الخندق) ٣٠٦
* غزوة بنى قريظة ٣٠٨
* صلح الحديبية ٣٠٩
* غزوة خيبر ٣١٠
* غزوة مؤتة ٣١١
* فتح مكة ٣١٣
* غزوة حُنين ٣١٥
* غزوة تبوك ٣١٦
* عام الوفود ٣١٧
* حجة الوداع ٣١٧
* وفاة الرسول ﷺ ٣١٨
* اللحظات الأخيرة من حياة النبى ﷺ ٣٢١
* موقف الصدِّيق.. رضي الله عنه ٣٢٢
* تجهيز جسد النبى ﷺ ٣٢٣

من معجزات النبى ﷺ

(١) المعجزة ٣٢٧
(٢) الإرهاص ٣٢٨
(٣) الكرامة ٣٢٨

(٤) المعونة ٣٢٩
(٥) الإهانة ٣٢٩
(٦) الاستدراج ٣٢٩
* بعض الإرهاصات قبل بعثة النبى ﷺ ٣٣٠
* حادثة شق الصدر ٣٣١
* قصة السحابة التى أظلته ﷺ ٣٣٣
* الحجر يُسلم على النبى ﷺ ٣٣٥
* معجزة القرآن الكريم أعظم المعجزات ٣٣٥
* إعجاز القرآن فى أربعة أشياء ٣٣٧
* الإعجاز العلمى الذى احتوى عليه القرآن ٣٣٩
* حفظه من التغيير والتبديل ٣٤٠
* علومه الواسعة ٣٤٠
* إخباره بالغيب الماضى والحاضر والمستقبل ٣٤١
* تحدى الكافرين أن يأتوا بمثله ٣٤٣
* انشقاق القمر ٣٤٤
* حراسة النبى ﷺ بالملائكة ٣٤٤
* معجزة الإسراء والمعراج ٣٤٥
* قريش تكذب النبى ﷺ ٣٤٧
* الله يُعمى أبصار المشركين عن رؤية النبى ﷺ ليلة الهجرة.. ٣٤٨
* تأييد الله لرسوله ﷺ أثناء هجرته ٣٤٩
* قصته ﷺ مع سُراقة وفرسه ٣٤٩
* قصته ﷺ مع شاة أم معبد ٣٥٠
* معجزات فى غزوة بدر ٣٥٠
[أ] إنزال المطر عليهم ٣٥٠
[ب] تقليل عدد كل فريق فى نظر الفريق الآخر ٣٥٠
[ج] إنزال الملائكة للقتال مع المؤمنين ٣٥١

[د] إلقاء النُّعاس على المؤمنين ٣٥٢
* قتال الملائكة مع النبى ﷺ فى معركة أُحد ٣٥٢
* نصرة الله لرسوله ﷺ بالريح والملائكة فى غزوة الأحزاب.. ٣٥٣
* جبريل وميكائيل (عليهما السلام) يقاتلان دفاعًا عن النبى ﷺ ٣٥٣
* معجزة الرسول ﷺ فى حفر الخندق ٣٥٣
* تكثير الطعام فى بيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه ٣٥٤
* البرد يذهب عن حذيفة بدعاء النبى ﷺ ٣٥٥
* معجزات النبى ﷺ فى الحديبية ٣٥٦
* ذراع الشاة تخبر النبى ﷺ بأنها مسمومة ٣٥٧
* النبى ﷺ يخبر بموت القادة الثلاثة فى سرية مؤتة ٣٥٧
* تكثير الطعام فى تبوك ٣٥٨
* خوارق ازدياد الطعام ٣٥٨
* بركة النبى ﷺ كانت سببًا فى عتق سلمان الفارسى ٣٥٩
* الجمل يسجد للحبيب ﷺ ٣٦٠
* الوحش يوقر النبى ﷺ ويحترمه ٣٦١
* كان النبى ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه ٣٦١
* الطعام والحصى يُسبِّح فى يد النبى ﷺ ٣٦١
* شهادة الشجر برسالة النبى ﷺ وطاعته لأمره ٣٦٢
* شجرة تخبر النبى ﷺ باستماع الجن إليه ٣٦٢
* شجرة تشهد للنبى ﷺ بالرسالة ٣٦٢
* النبى ﷺ يأمر غُصنًا فيطيع أمره ٣٦٣
* حنين الجذع شوقًا للنبى ﷺ ٣٦٣
* النبى ﷺ له قوة أربعين رجلاً من أهل الجنة ٣٦٤
* الأرض تلفظ من أراد أن يخدع النبى ﷺ ٣٦٤
* استجابة الله (عز وجل) لدعائه ﷺ ٣٦٥
* استجابة دعائه ﷺ فيما دعا فيه ٣٦٥

* استجابة دعـائه على من دعا عليهم ٣٦٧
* استجابة دعائه في الاستسقاء ٣٦٨
* إخباره ﷺ ببعض الأمور المستقبلية التى أطلعه الله عليها... ٣٦٩
* معجزات شفـاء المرضى وخوارقها ٣٧٠
(١) شفـاء على ﷺ من رمده فى غزوة خيـبر ٣٧٠
(٢) شفاء ساق سلمة بن الأكوع ﷺ ٣٧١
(٣) شفاء ساق عبد الله بن عتيك ٣٧١
(٤) ظهور أثر بركته فى مسحه رأس حنظلة بن حذيم ٣٧٢
(٥) شفاء عين أبى قتادة ٣٧٢
* خاتم النبوة ٣٧٢

تعظيم أمر سُنة الحبيب ﷺ

١- السنة والقرآن بمنزلة واحدة ٣٧٥
٢- السنة محفوظة إلى يوم القيامة ٣٧٥
٣- السنة تبيان للقرآن ٣٧٦
٤- نفى الهوى عن كل ما جاء بالسنة ٣٧٦
٥- تسمية السنة حكمة ٣٧٧
٦- السنة شرط فى قبول العمل ٣٧٨
٧- الوعيد الشديد لمن كذب على صاحبها ﷺ ٣٧٨
٨- سوء عـاقبة من كـذب على النبى ﷺ ٣٧٩

بعض مظاهر العناية الإلهية بأزواج النبى ﷺ

* **أولاً: تربيتهن على أحسن الأقوال والأفعال والأخلاق** ٣٨٣
(١) وجوب الزهد فى الدنيا ٣٨٣
(٢) حثهن على اختـيار الله ورسوله والدار الآخرة ٣٨٣
(٣) تضعيف العذاب لمن ارتكبت شيئًا (حاشا لله) ٣٨٤
(٤) مضاعفة الأجر للقانتات منهن (وهن جميعًا كذلك)...... ٣٨٥
(٥) عدم تسويتهن ببـقية النساء ٣٨٥

(٦) أمرهن بأحسن الأفعال والأقوال والأخلاق ٣٨٥
(٧) إرادة الله كمال طُهرهن وعفتهن ٣٨٦
(٨) تذكيرهن بشرف بيوتهن ٣٨٦
(٩) إعلامهن بلطف الله بهن ٣٨٦
* **ثانيًا: جعلهن قدوة لغيرهن** ٣٨٧
* **ثالثًا: إلزام الأمة توقيرهن** ٣٨٨
* **رابعًا: تحريم النظر إليهن بالكلية** ٣٨٨
* **خامسًا: تحريم الزواج منهن** ٣٨٩
* **سادسًا: تبرئة أعراضهن** ٣٩٠

مظاهر حب وإجلال الصحابة للنبي ﷺ

(١) التصديق المُطلق ٣٩٣
(٢) طاعتهم المطلقة له ﷺ ٣٩٤
(٣) كمال المتابعة ٣٩٥
(٤) كراهة مخالفته ﷺ ولو في الهيئة ٣٩٧
(٥) غضبهم الشديد رضي الله عنهم من معارضة سنة النبي ﷺ ٣٩٨
(٦) حب الصحابة له ﷺ أكثر من حبهم لأنفسهم ٣٩٩
(٧) إيثارهم له ﷺ ٣٩٩
(٨) تعظيم الصحابة رضي الله عنهم لما يحبه ﷺ ٤٠٠
(٩) حبهم رضي الله عنهم لما يحبه ﷺ من أمور الدنيا ٤٠٠
(١٠) حب مرافقته والقرب منه ﷺ ٤٠١
(١١) كراهيتهم ترك شيء فارقوا النبي ﷺ عليه ٤٠٢
(١٢) عظيم أدبهم معه ﷺ ٤٠٤
(١٣) تعظيمه ﷺ في نفوسهم ٤٠٥
(١٤) تعظيم دعائه ﷺ ٤٠٧
(١٥) تبركهم به ﷺ ٤٠٨
* أولاً: تبركهم بفضل وضوئه ﷺ ٤٠٨

* ثانيًا: تبركهم بفضلة الماء الذى شرب منه ﷺ ٤٠٩
* ثالثًا: تبركهم بشعره ﷺ ٤١٠
* رابعًا: تبركهم بمكان صلاته ﷺ ٤١١
* خامسًا: تبركهم بيديه ﷺ ٤١٢
* سادسًا: تبركهم بعرقه ﷺ ٤١٤
* سابعًا: التبرك بأثر قدحه الذى شرب فيه ﷺ ٤١٥

ثمرات رؤية النبى ﷺ

* الفائدة الأولى: فى فضائل النبى ﷺ ٤٢١
* الفائدة الثانية: كيف يعلم المسلم أن الذى رآه فى المنام هو النبى ﷺ؟ ٤٢٢
* الفائدة الثالثة: ما هى فوائد رؤية النبى ﷺ فى المنام؟ ٤٢٢
* الفائدة الرابعة: فى الحديث دليل على أن الشيطان له قدرة على أن يتمثل فى أى صورة أراد، ولكن الله - سبحانه وتعالى - لم يمكنه من التصور فى صورة النبى ﷺ ٤٢٣
* **يتمنى المؤمن رؤية النبى ﷺ ولو بأهله وماله** ٤٢٣
* الفائدة الأولى: فى شمائل النبى ﷺ ٤٢٣
* الفائدة الثانية: فى الحديث لفت أنظار الصحابة ﷺ لما هم فيه من نعمة وحثهم على كثرة مصاحبته ﷺ ونُصرته وملازمته. ٤٢٥
* الفائدة الثالثة: إثبات أنه ليس المقصود اتباع سُنة النبى ﷺ الظاهرة والباطنة فقط ٤٢٦
* الفائدة الرابعة: وهى متفرقات ٤٢٦

توقير النبى ﷺ لإخوانه من الأنبياء والمرسلين

* وفاء النبى ﷺ لإخوانه من الأنبياء ٤٣٣
* وفاؤه لأخيه سليمان (عليه السلام) ٤٣٤
* وفاؤه لأخيه داود (عليه السلام) ٤٣٥

معاملات النبى ﷺ مع كل من حوله

* النبى ﷺ أعظم زوج فى العالم ٤٣٩

*رحمة النبى ﷺ بالنساء ٤٣٩
*النساء يشهدن برحمته ﷺ ٤٤٠
*كان النبى ﷺ يغضب إذا سمع بامرأة يضربها زوجها ٤٤١
*** قبس من الهدى النبوى فى حسن المعاشرة** ٤٤١
(١) تعامل النبى ﷺ مع زوجاته فى الجانب الإنسانى ... ٤٤٣
*أولاً: دخوله عليهن ومؤانسته لهن ٤٤٣
١- القسم العادل فى المبيت ٤٤٤
٢- القرعة بينهن إذا أراد سفرًا ٤٤٤
*ثانيًا: تصريحه بحب أهله ٤٤٤
*ثالثًا: وفاؤه بحقوق المعاشرة الزوجية الخاصة ٤٤٥
(٢) حرص النبى ﷺ على كل ما يُدخل السعادة على زوجه . ٤٤٦
(٣) مزاحه ﷺ مع أزواجه ٤٤٧
(٤) تواضعه ﷺ مع أزواجه ٤٤٧
*رقة النبى ﷺ فى معاملة زوجه وهى حائض ٤٤٨
(٥) تعاون النبى ﷺ مع أزواجه ٤٤٨
أولاً: كان النبى ﷺ فى مهنة أهل بيته ٤٤٨
ثانيًا: التعاون على الخير ٤٤٩
ثالثًا: التشاور بين الزوجين ٤٥٠
(٦) تعامل النبى ﷺ مع زوجاته فى الجانب الاقتصادى .. ٤٥٠
أولاً: من حيث السكن ٤٥١
ثانيًا: من حيث الإحسان فى النفقة ٤٥١
(٧) تعامل النبى ﷺ مع زوجاته فى الجانب الجمالى ... ٤٥١
أولاً: تنظُّفه ﷺ ٤٥١
ثانيًا: اهتمامه ﷺ بمظهره الخارجى ٤٥٢
(٨) تعامل النبى ﷺ مع زوجاته فى الجانب الترفيهى ... ٤٥٢
أولاً: إقراره النظر إلى اللهو المباح ٤٥٣

ثانيًا: إقراره ﷺ أهله على سماع الغناء المباح من الجارية يوم العيد ٤٥٤
ثالثًا: ممارسة الرياضة البدنية ٤٥٤
رابعًا: وكان يصحبهن فى سفره ويتبادلون أطراف الحديث ٤٥٥
خامسًا: سماعه ﷺ الطُّرف والأخبار الاجتماعية منهن ٤٥٥
* **معاملات النبى ﷺ مع أولاده وأحفاده** ٤٥٦
* **هدى النبى ﷺ مع الصغار** ٤٥٩
(١) كان النبى ﷺ يُقبِّل الصغار ٤٥٩
(٢) كان النبى يمازح الصغار ٤٥٩
(٣) كان ﷺ قمة فى الرحمة مع الأطفال ٤٦٠
(٤) كان ﷺ يسلم على الصبيان ٤٦٠
(٥) كان ﷺ يستأذن الصغار عند أخذ شىء من حقوقهم ٤٦١
(٦) كان ﷺ يَعود الصبيان عند مرضهم ٤٦١
(٧) كان ﷺ يمسح رؤوس الصغار ٤٦١
(٨) كان ﷺ يحرص على تعليمهم وتأديبهم ٤٦١
(٩) وكان ﷺ يحسن استقبالهم ٤٦٢
(١٠) وكان ﷺ يخفف من معاتبتهم ٤٦٢
* **حب النبى ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم** ٤٦٢
* **حُسن معاملة النبى ﷺ لجنوده** ٤٦٦

تعاملات النبى ﷺ مع غير المسلمين

* كان حريصًا على هدايتهم ٤٧٥
* وكان إذا حاورهم فإنما كان يحاورهم بكل أدب ورحمة ٤٧٧
* كان لا يُكره أحدًا على الدخول فى الإسلام ٤٧٨
* واشترى من اليهود.. ورهن درعه عند يهودى ٤٧٩
* وأهداهم ﷺ وقَبِل هداياهم ٤٧٩
* وعاهدهم ﷺ وحرَّم خيانة عهدهم ٤٨٠

أخلاق الرسول ﷺ فى الحروب

* **أخلاق النبى ﷺ قبل بدء الحرب** ٤٨٥
* إنما جاء الإسلام بالسلام ٤٨٦
* لماذا قاتل رسول الله ﷺ؟! ٤٨٩
* حروبه ﷺ مع المشركين ٤٩١
* حروبه ﷺ مع اليهود ٤٩٧
* حروبه ﷺ مع النصارى ٥٠٠
* **أخلاق الرسول ﷺ أثناء الحرب** ٥٠٤
* **أخلاق النبى ﷺ بعد انتهاء الحرب** ٥١٤
* **أخلاق النبى ﷺ بعد تحقيق النصر** ٥١٥
* **أخلاق الرسول ﷺ فى التعامل مع الأسرى** ٥١٨
* النبى ﷺ والعفو عن الأسرى ٥٢٠
* أسيرا سرية نخلة ٥٢٠
* أسرى بدر ٥٢١
* أسرى الحديبية ٥٢٣
* حسن معاملة الأسرى ٥٢٥
* راحة الأسير البدنية ٥٢٦
* إطعام الأسرى ٥٢٦
* كسوة الأسرى ٥٢٧
* توفير المأوى لهم ٥٢٨
* راحة الأسير النفسية ٥٢٨
* الرفق بالأسرى، واللين معهم ٥٢٨
* احترام مشاعرهم الإنسانية ٥٣٠
* **أخلاق النبى ﷺ عند عدم تحقيق النصر** ٥٣١
* موقفه مع أهل الطائف ٥٣١
* أخلاقه بعد غزوة أحد ٥٣٢

النبى ﷺ وحقوق الإنسان

* النبى ﷺ وحقوق الوالدين ٥٤١
(١) بر الوالدين... يفرج الله به الكربات ٥٤١
(٢) الفوز بدعوة الوالدين يجلب التوفيق فى الدنيا والنجاة فى الآخرة ٥٤٢
(٣) بر الوالدين سبب لسعة الرزق وزيادة العمر ٥٤٢
(٤) بر الوالدين كفارة للكبائر ٥٤٣
(٥) بر الوالدين يعدل الحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله!! ... ٥٤٣
(٦) بر الوالدين من أسباب حسن الخاتمة ٥٤٣
(٧) بر الوالدين سبب للفوز برحمة الله ومغفرته ٥٤٣
(٨) بر الوالدين سبب لقبول الأعمال والتجاوز عن السيئات.... ٥٤٤
(٩) بر الوالدين سبب لدخول الجنة ٥٤٤
* النبى ﷺ وحقوق الأبناء ٥٤٤
* الحق الأول: اختيار الأم الصالحة ٥٤٥
* الحق الثانى: التسمية والاستعاذة بالله من الشيطان قبل الجماع. ٥٤٥
* الحق الثالث: عدم التخلص منه بالإجهاض خشية الفقر ٥٤٦
* الحق الرابع: الفرح بالمولود ذكرًا كان أو أنثى ٥٤٦
* البنات سترٌ لك من نار جهنم ٥٤٧
* الحق الخامس: التأذين فى أذنه اليمنى ٥٤٧
* الحق السادس: تسمية المولود باسمٍ حسن ٥٤٨
* الحق السابع: العقيقة عن المولود ٥٤٨
* الحق الثامن: الرضاعة من لبن الأم ٥٤٨
* الحق التاسع: التنشئة على العقيدة الصحيحة ٥٤٩
* الحق العاشر: الأمر بالصلاة لسبع والضرب عليها لعشر ٥٤٩
* الحق الحادى عشر: التفريق بينهم فى المضاجع إذا بلغوا عشرًا.. ٥٥٠
* الحق الثانى عشر: تعليمه أركان الإيمان والإسلام ٥٥٠

* الحق الثالث عشر: تعليمه القرآن ٥٥٠
* الحق الرابع عشر: النفـقة عليهم ٥٥٠
* الحق الخامس عشر: العدل بين الأولاد : ٥٥١
* الحق السادس عشر: إلزام البنات بالحجاب ٥٥١
* الحق السابع عشر: غرس القيم الحميدة فى نفوس الأطفال ... ٥٥٢
* الحق الثامن عشر: تعويدهم على السلوك القويم وتصحيح أخطائهم ٥٥٢
* الحق التاسع عشر: تحذير الأولاد من الأخلاق الرذيلة ٥٥٢
* الحق العشرون: ملاطفتهم ومداعبتهم وتقبيلهم ٥٥٢
* الحق الحادى والعشرون: تعليمهم ما ينفعهم من علوم الدين والدنيا ٥٥٣
* الحق الثانى والعشرون: تعليمهم الألعاب المباحة للترويح عنهم. ٥٥٣
* الحق الثالث والعشـرون: عدم الدعاء على الأولاد ٥٥٣
* **النبى ﷺ وحق الرحم** ٥٥٤
١- صلة الرحم شعار الإيمان بالله واليوم الآخر ٥٥٤
٢- أن الله عـز وجل يصل الواصل فى الدنيـا والآخرة، فـيمـده بالرحمة، وييسـر له الأمور ويفرج عنه الكربات ٥٥٤
٣- أنها تجلب للعبد رضـا الله ومحبته ٥٥٤
٤- أنها أعجل الطاعة ثوابًا ٥٥٤
٥- أنها من أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الإيمان به ٥٥٥
٦- صلة الرحم يكفر الله بها سيـئات العبد ٥٥٥
٧- صلة الرحم تجـعلك فى أعلى المنازل ٥٥٥
٨- أن الصدقة على ذى الرحم أعظم أجرًا من الصدقة على المسكين ٥٥٦
٩- أنها من أسباب البركة فى الرزق والعمر ٥٥٦
١٠- صلة الرحم تُعمِّر الديار ٥٥٦
١١- أنها من أعظم أسباب دخول الجنة ٥٥٦
* **النبى ﷺ وحقوق الأخوة** ٥٥٧
* **النبى ﷺ وحقوق المرأة** ٥٦١

* كرامة المرأة المسلمة ٥٦٥
* **النبى ﷺ وحق اليتيم والأرملة والمسكين** ٥٦٨
* قصة تملأ القلب نوراً ٥٧١
* **النبى ﷺ وحق الجار** ٥٧٢
* الحق الأول: الإحسان إليه ٥٧٣
* الحق الثانى: أن يحب لجاره ما يحب لنفسه من الخير ٥٧٣
* الحق الثالث: أن يؤدى إليه كل حقوق المسلم على أخيه المسلم. ٥٧٣
* الحق الرابع: كف الأذى عنه ٥٧٤
* الحق الخامس: احتمال الأذى ٥٧٤
* الحق السادس: تعظيم حُرمة الجار وصيانة عرضه وعدم خيانته. ٥٧٥
* الحق السابع: مواساته بالمال إذا احتاج أو افتقر ٥٧٥
* الحق الثامن: مواساته بالطعام ولا سيما إذا كان فقيراً ٥٧٥
* الحق التاسع: مشاركته فى أفراحه وأحزانه ٥٧٦
* الحق العاشر: النصح له، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ... ٥٧٦
* الحق الحادى عشر: أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحول عنه ٥٧٦
* **النبى ﷺ وحق الضيف** ٥٧٧
* **النبى ﷺ وحقوق الخدم والعمال** ٥٧٩
* **النبى ﷺ وحقوق المرضى وذوى الاحتياجات الخاصة** ... ٥٨٢
* **النبى ﷺ وحق الطريق** ٥٨٥
* الحق الأول: غض البصر ٥٨٦
* الحق الثانى: كف الأذى ٥٨٧
* الحق الثالث: رَدُّ السلام ٥٨٧
* الحق الرابع: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٥٨٧
* الحق الخامس: هداية السبيل ٥٨٨
* الحق السادس: إماطة الأذى عن الطريق ٥٨٨

* الحق السابع: عدم قضاء الحاجة فى طريق الناس ٥٨٨
* الحق الثامن: المحافظة على نظافة الطريق ٥٨٩

عناية النبى ﷺ بالأمة

(أ) **عنايته ﷺ بالتربية الإيمانية** ٥٩٣
١- كان ﷺ يُعلم أصحابه الأدب مع الله ٥٩٣
٢- ويعلمهم ﷺ العبودية لله وحده ٥٩٤
٣- ويعلمهم ﷺ اللجوء إلى الله سبحانه وقت الشدة ٥٩٤
٤- ويُعرفهم ﷺ أنهم سيرون ربهم يوم القيامة ويكلمونه بلا تُرجمان ٤٩٤
٥- ويعرفهم ﷺ بما يحدث للأموات فى البرزخ ٥٩٥
٦- ويوضح لهم ﷺ أن من الموحدين من سيدخل النار بذنوبه، ثم يُخرجه إلى الجنة توحيده ٥٩٥
٧- ويعلمهم ﷺ حب الله ورسوله ٥٩٥
٨- كما يعلمهم ﷺ أن يحبوا لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم.. ٥٩٥
٩- ويعرفهم ﷺ بأن الإيمان أحب العمل إلى الله تعالى... ٥٩٦
١٠- ويبين لهم ﷺ أعمال الإيمان وحلاوته ٥٩٦
١١- ويعلمهم ﷺ وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. ٥٩٦
١٢- وكذلك يبين لهم النبى ﷺ أن من الإيمان النصح لكل مسلم ٥٩٧
١٣- وأن من الإيمان أيضًا حب الأنصار وحب عليٍّ رضي الله عنه ٥٩٧
١٤- ويعلمهم ﷺ الأمانة وردّ الأمانات إلى أهلها ٥٩٧
١٥- ويبين لهم ﷺ أن المعاصى تُنقص الإيمان وتُدخل النار إن شاء الله ٥٩٨
١٦- وينفى ﷺ الإيمان عن المتلبس بالمعصية حتى يدعها ... ٥٩٨
١٧- كما ينفى ﷺ الانتساب إلى أهل الإيمان زجرًا لمن عمل أنواعًا من المعاصى ٥٩٨

١٨- ويطلق ﷺ اسم الكُفر على بعض الأعمال لتنفيرهم منها ٥٩٨
١٩- ويخوفهم ﷺ من إيمان المستهترين والمسوفين ٥٩٩
٢٠- وينفرهم ﷺ عما يحبط إيمانهم وأعمالهم وهو الشرك.. ٥٩٩
٢١- ويبين لهم أن خلط الإيمان بالشرك يضيع الأمن فى الدنيا والآخرة ٥٩٩
٢٢- ويحذرهم ﷺ من الموت على الشرك ٥٩٩
٢٣- ويبين لهم ﷺ أن الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون........ ٥٩٩
٢٤- ويعلمهم ﷺ أن ينسبوا الفضل فى النعم إلى الله تعالى. ٦٠٠
٢٥- ويعلمهم ﷺ أن يكونوا فى ذمة الله ٦٠٠
٢٦- ويحذرهم ﷺ من الفتن ومما يخيفهم ويتهددهم ويحذرهم فتنة الدجال ٦٠٠
٢٧- ويبشرهم ﷺ أن الإسلام يهدم ما قبله من الذنوب ٦٠٠
٢٨- ويزيل ﷺ من أنفسهم ما أشكل عليهم فى فهم الإيمان. ٦٠٠
٢٩- ويبشر الغرباء حال غربتهم وغربة دينهم ٦٠٠
٣٠- ويخوفهم ﷺ من عذاب الله تعالى ٦٠١
٣١- ويعلمهم ﷺ أن من لم يؤمن به بعد سماعه به كفر بالله كاليهود والنصارى وغيرهم ٦٠١
٣٢- ويبشرهم ﷺ بحفظ الله تعالى طائفة منهج الإيمان.... ٦٠١
٣٣- ويحافظ ﷺ على جماعتهم ٦٠١
٣٤- ويربيهم ﷺ على الثبات على الإيمان ٦٠١
٣٥- ويعلم الدعاة استخراج حظ الشيطان وتعلُّم الحكمة والإيمان ٦٠١
٣٦- ويُدخل ﷺ السرور إلى نفوسهم بتشبيههم بالصالحين، وبتواضع جَمٍّ يحدثهم عن نفسه ليتألفهم ويتودد إليهم ﷺ . ٦٠١
٣٧- ويعلمهم ﷺ أن أمر الله ورسوله على الفور لا خيرة فيه ولا تراخِ عنه ٦٠١
٣٨- ويعلمهم ﷺ الاسترجاع عند المصائب ٦٠١

٣٩- ويوصيهم ﷺ بما ينفعهم ويدعو لهم ويعلمهم أدب الدعاء ٦٠١
(ب) عنايته ﷺ بالجانب العبادى والتعليمى فى التربية . ٦٠٢
(ج) العناية بالجانب العاطفى والنفسى ٦٠٤
(د) عناية النبى ﷺ بالجانب الشخصى (بناء الشخصية) عند أصحابه المؤمنين ٦٠٧
(هـ) عناية النبى ﷺ بالجانب الأخلاقى ٦٠٩

حقوق النبى ﷺ على أمته

(١) الإيمان به ﷺ ٦١٣
(٢) محبته ﷺ دون غلو ٦١٤
* الكون يتفاعل مع محبة النبى ﷺ ٦١٤
* جبل أُحد يحب النبى ﷺ وأصحابه ٦١٥
* الصدِّيق رضي الله عنه ومحبته للنبى ﷺ ٦١٥
* محبة تفوق الخيال ٦١٦
* حبيب حبيبى .. حبيبى ٦١٦
* موقف لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه ٦١٧
* حب الصحابة للنبى ﷺ ودفاعهم عنه ٦١٧
* على بن أبى طالب رضي الله عنه يفدى النبى ﷺ ليلة الهجرة ٦١٨
* الزبير بن العوام رضي الله عنه ودفاعه عن النبى ﷺ ٦١٩
* محمد بن مسلمة رضي الله عنه ودفاعه عن النبى ﷺ ٦١٩
* الصحابة يبذلون حياتهم دفاعًا عن النبى ﷺ فى يوم أُحد .. ٦٢٠
* سبعة من الأنصار يبذلون حياتهم دفاعًا عن النبى ﷺ ... ٦٢٠
* أوجب طلحة رضي الله عنه يوم أُحد ٦٢١
* أبو طلحة رضي الله عنه ودفاعه عن النبى ﷺ ٦٢٢
* كعب بن مالك رضي الله عنه يفدى النبى ﷺ بحياته ٦٢٢
* سعد بن الربيع رضي الله عنه ووصيته الغالية للأنصار ٦٢٣
* الملائكة يدافعون عن النبى ﷺ ٦٢٣

*أم عمارة رضي الله عنها تدافع عن النبى ﷺ ٦٢٤
*زيد بن حارثة رضي الله عنه يختار النبى ﷺ على أبيه وعمه ٦٢٤
*أبو أيوب رضي الله عنه... ومحبته للنبى ﷺ ٦٢٥
*هكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ ٦٢٦
*كل مصيبة بعدك جَلَل يا رسول الله ﷺ ٦٢٧
*المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ ٦٢٨
*عروة بن مسعود يرى العجب من محبة الصحابة للنبى ﷺ . ٦٢٩
*المشتاقون لصحبة النبى ﷺ فى الجنة ٦٢٩
*بواعث محبة النبى ﷺ وأسبابها ٦٣١
(٣) طاعته ﷺ فى كل ما أمر ٦٣٥
(٤) الانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر ٦٤٠
(٥) الاتباع ٦٤١
(٦) تصديقه ﷺ فى كل ما أخبر ٦٤٢
(٧) تعظيمه وتوقيره والأدب معه ﷺ ٦٤٤
(٨) التحلى بأخلاق الرسول ٦٤٦
(٩) تبليغ دعوته وسُنته ﷺ ٦٤٨
(١٠) الدفاع عن النبى ﷺ ٦٤٩
* صور من دفاع الله عز وجل عن نبيه ﷺ ٦٤٩
*الله عز وجل ينتقم لنبيه ﷺ من أبى جهل ٦٥٠
*أبو لهب وامرأته حمّالة الحطب ٦٥١
*هلاك أبى لهب ٦٥١
*هلاك أم جميل (زوجة أبى لهب) ٦٥٢
*هلاك ابن أبى لهب ٦٥٣
*عقبة بن أبى معيط ٦٥٥
*أُبَىّ بن خلف ٦٥٥
*عبد الله بن قمئة ٦٥٧

* الأرض تلفظ من أراد أن يخدع رسول الله ﷺ ٦٥٧
* الله يرسل صاعقة على رجل رفض الاستجابة لرسول الله ﷺ ٦٥٨
* غضب الحيوانات من أجله ﷺ وانتقامها له ٦٥٨
(١١) **الصلاة على النبى ﷺ** ٦٥٩
* كيفية الصلاة عليه ﷺ ٦٥٩
* **فضائل وثمرات الصلاة على النبى ﷺ** ٦٦٠
(١٢) **الأدب معه ﷺ بعد موته** ٦٦٤
* **كيف ننصر رسول الله ﷺ ؟** ٦٦٥
(١) مقاطعة أفكار الغرب ومعتقداته ٦٦٧
(٢) المقاطعة الاقتصادية ٦٦٧
(٣) أن نتعلم سيرة الرسول ﷺ ٦٦٩
(٤) العودة إلى هدى رسول الله ﷺ وسُنته ٦٧٠
(٥) أن ندعو الكون كله إلى دين الله بخُلق رسول الله ﷺ .. ٦٧٠

شُبهات و ردود

* دفع الشبهات عن الحبيب المصطفى ﷺ ٦٧٦
* الرد على القس (جيرى فالويل) ومن على شاكلته........ ٦٧٨
* أولاً : ادعاؤهم أن محمدًا يقتل ٦٧٨
* ثانيًا: قوله: أن النبى ﷺ همّ بإحراق قوم فى منازلهم ٦٨٠
* ثالثًا: اعتراضه على قتل (هبار بن الأسود) ٦٨١
* رابعًا: شبهة قتل الأسود العنسى الذى ادّعى النبوة ٦٨٢
* خامسًا: أن رسول الله يعشق الإنتقام ٦٨٣
* سادسًا: أن النبى ﷺ يسب ويلعن ٦٨٥
* سابعًا: يقول أن النبى ﷺ اغتصب صفية رضي الله عنها ٦٨٦
* ثامنًا: زعمه أن الغزوات كانت من أجل السلب والنهب ٦٨٧
* تاسعًا: أن النبى ﷺ اعتدى على الحريات حينما غزا مكة.. ٦٩٠
* عاشرًا: أنه ﷺ قال بغزوة حنين من أجل القتل والغنائم.. ٦٩١

* الحادى عشر: أن النبى ﷺ أجبر الروم فى غزوة تبوك على دفع الإتاوة ٦٩٣
* الثانى عشر: أن الصحابة أجبروا المصريين على الإسلام ٦٩٥
* شبهة انتشار الإسلام بحد السيف ٦٩٥
* وهناك وقفه أخرى مع حديث: «أمرت أن أقاتل الناس» ٧٠٠
* شبهة: أن الإسلام دين يدعو إلى العنف ٧٠١
* شبهة أن النبى ﷺ يقر العبودية ٧٠٥
* شبهة أن النبى ﷺ أخذ القرآن عن اليهود والنصارى ٧١١
* شبهة تكذيبهم لمعجزات النبى ﷺ ٧١٦
* **شبهة تعدُّد زوجات النبى ﷺ** ٧٢٠
* **الحكمة من تعدد زوجات النبى ﷺ** ٧٢٢
* أولاً: الحكمة التعليمية ٧٢٣
* ثانيًا: الحكمة التشريعية ٧٢٥
* ثالثًا: الحكمة الاجتماعية ٧٢٥
* رابعًا: الحكمة السياسية ٧٢٧
* تفنيد تهمة خبيثة ٧٢٩
* شبهة: زواجه من أمنا عائشة رضي الله عنها وهى صغيرة السن ٧٣٣
* شبهة: أن بيوت المسلمين خربت لما أباح لهم النبى ﷺ الطلاق!!! ٧٣٦
* روحى فداك يا رسول ٧٣٨
* دعوة مستجابة ٧٣٩
* الفهرس ٧٤١

* * *